شرح كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ
مُحَمَّد بنِ عبْدِ الْوَهَّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ
(1115 - 1206 هـ)

تفريغ الشرح
لِلشَّيْخ د. علي بن يحيى الحدادي
حفظه الله تعالى

التفريغ لم يُراجع من قِبل الشيخ

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

الَّذي هُو حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبيدِ

مقدمة

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ الدكتور علي بن يحيى الحدادي

– حفظه الله تعالى –

يوم السبت 16 من شهر الصفر في عام 1437 هـ

بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرَّحيمِ

مؤلف هذا الكتاب الإمام المشهور، مجدِّد الإسلام أو من درس من معالم الدين النصف الثاني من القرن الثاني عشر من الهجرة الإمام محمد بنِ عبْدِ الْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ بن علي التّميميّ المِشرَّفي، المتوفى سنة 1206 هـ وله تراجم كثيرة ومن أحسنها محاضرة طُبعت لشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وأُوصي طلبة العلم بقراءة سيرة هذا الرجل لِما فيها من العبر.

أما هذا الكتاب "**كتاب التوحيد**" فقد خصصه فيما يتعلق بتوحيد الألوهية توحيد العبادة والمؤلفات قبله لم تُفرد توحيد العبادة لكتاب خاص، إنما كان أكثر المؤلفات في كتب العقيدة ما يُعرف بكتب السنة وهي التي تشمل الأصول من مسائل الدين، مسائل الاعتقاد وأصول الاعتقاد ومنها ما يتعلق بتوحيد الصفات وكثير من كتب العقيدة عُنيت بموضوع الصفات وذلك أن الضلال والانحراف في هذا الباب وقع في وقت مبكر، بخلاف الانحراف والضلال في الأمة في توحيد العبادة، فإنه حَدَثَ متأخرا.

ذكر في هذا الكتاب رحمه الله:

- توحيد العبادة،
- وما يكمّل هذا التوحيد،
- وما يضاد توحيد العبادة من الشرك،
- وما ينافي كمال التوحيد،

وقد سلك طريقة البخاري والأمثال من أئمة السنة وذلك أنه يَذكر الباب "باب كذا" ثم يُورد ما تيسر من الآيات الدالة على ترجمة الباب ثم يورد بعض الأحاديث إما حديث أو أكثر حسب الباب الدالة أيضا على ترجمة الباب وقد يذكر عَقِبَ ذلك آثارا لبعض السلف تشتمل على الفتوى بمقتضى الترجمة أو شرح بعض الألفاظ الواردة في الآيات أو في الأحاديث، فهو كتاب أثري، وليس في أصل هذا الكتاب كلام من عنده، إنما هو ترجمة مستنبطة من الآيات والأحاديث، ثم الآيات والأحاديث وآثار السلف، ثم إنه بعد ذلك ينبه إلى بعض المسائل التي اشتمل عليها هذا الباب، ومقصود المؤلف بهذه المسائل تنبيه الطالب على الدراسة هذه المسائل حتى لا تفوت عليه، فيقول مثلا تفسير قوله تعالى ﴿واعبدوا الله﴾ التنبيه إلى كذا والتنبيه إلى كذا، فهذا زيادة على أصل الكتاب، المقصود الأصل من الكتاب هو الترجمة وما يدل عليها من الآيات والأحاديث.

وهذا من أهم الأسباب أهمية هذا الكتاب وما حصل له من القبول عند أهل العلم، أنه: قال الله وقال الرسول وقال السلف، وقد ذكر بعض أهل العلم أن أحد طلبة العلم من نجد كان في الهند وحضر الدرس بعض الفضلاء هناك وكان هذا الرجل يدرّس في الحديث وغيره ولكن فُجِئَ هذا الطالب بأن الشيخ في نهاية الدرس يدعو والناس يُؤمنون وكان يدعو على محمد بن عبد الوهاب يدعو عليه والناس يؤمنون وهذا الطالب لم يواجه هذا المحدّث صاحب الدرس

بالإنكار وإنما رجع إلى بيته وأخذ النسخة من كتاب التوحيد وقطع الغلاف الذي فيه الاسم وجاء إلى الشيخ على الصورة مستنصِح، قال له: "يا شيخ هذا الكتاب عندي وجدت من ضمن الكتب وليس له غلاف وأخاف أقرأ في الكتاب ويكون فيه خلال يضربني فأريد أن تقرأه فتفيدني"، الشيخ أخذ كتاب هذا وقال: "سأنظر فيه"، نظر فيه ثم جاء في اللقاء القادم أو نفس الجَلسة، فأخذ يثني على الكتاب ويقول: "في هذا الكتاب نَفَسُ البخاري، باب كذا قال كذا قال الرسول كذا قال السلف كذا" فلما أثنى عليه الشيخ ومدحه وزكاه قال: يا الشيخ تدري هذا الكتاب لمن؟، قال: لمن ؟ قال: هذا غلاف هذا الكتاب لمحمد بن عبد الوهاب" ففجئ الرجل ثم قال: ظلمنا شيخ محمد إذا كان هذا كتابه وهذا عقيدته فإنا قد ظلمناه" يعني بسبب شائعات التي شُيِّعت عنه رحمه الله، فصار بعد ذلك في الدرس إذا انتهى منها رفع يديه ودعا للشيخ عِوَضا عن دعائه عليه، القصد من هذا قوله فيه "نفس البخاري" أن طريقته طريقة البخاري رحمه الله في صحيحه "باب كذا" ويورد البخاري بعد الباب ربما بعض الآيات والآثار ويذكر حديث عن النبي ﷺ أو أكثر من حديثه لذلك الباب.

كِتابُ التَّوْحِيد

قوله **"كتاب التوحيد"** توحيد مصدر وحّد يوحّد توحيدا، والتوحيد أن تجعل الشيء واحدا وهذا الجعل:

- **إما أن يكون حسيا**، تأتي إلى الأجزاء متفرقة وتَجْمَعها، تجعل منها شيئا واحدا
- **وإما أن يكون هذا الجعل شيئا معنويا**، بمعنى أن تعتقده واحدا، الموحِّد يعتقد أن ربه وخالقه ومعبوده واحد لا ثانية له، بخلاف المشرك، فإنه يجعل المعبودات اثنين، ثلاثة وأربعة عشرة أو أكثر أو أقل، هذا معنى توحيد من حيث اللغة.

ومن حيث اصطلاحي شرعي، التوحيد ثلاثة أنواع:

- **توحيد الربوبية**، هو توحيد الله ﷻ بأفعاله بمعنى تعتقد أن الله وحده يخلق ويرزق ويدبر الأمر سبحانه وتعالى.
- **توحيد الألوهية**، هو توحيد الله بأفعال العبد، بأن يصرف له العبادة كلها ولا يصرف منها شيئا لغيره.
- **توحيد الأسماء والصفات**، هو الإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى التي جاءت في الكتاب والسنة والإيمان بمعناها دون تكييف ولا تمثيل ودون تحريف ولا تعطيل.

وتجد بعض العلماء يُقسّم التوحيد إلى القسمين:

- **توحيد المعرفة والإثبات**، يُقصَد به ربوبية والأسماء والصفات
- **توحيد الطلب**، المقصود به توحيد العبادة توحيد الألوهية

هذه الأنواع عُرِفت بالاستقراء والتتبع، فالعلماء نظروا في الآيات والأحاديث الواردة في شأن التوحيد ووجدوها تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة، هذا دليل هذا التقسيم بالتتبع والاستقراء وسيأتينا إن شاء الله في هذا الباب وغيره أن المقصود الأعظم من التوحيد هو توحيد الألوهية وهو الذي من أجله خلق الثقلين وهو الذي من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب.

وَقَوْلُ اللَّه تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]

قوله تعالى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليُفردوني بالعبادة، فلا يعبد معي أحد سوائي، فهذا يبين عظم شأن توحيد العبادة؛ لأنه الحكمة من خلق الثقلين الجن والإنس، فأنت ما خُلقت ووُجِدت إلا لهذا الغرض، ما أُعطيتَ السمع والبصر والعقل والإرادة وهذه الأعضاء وهذه النعم إلا من أجل أن تقوم بهذا الواجب وهو أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا.

وَقَوْلُهُ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:36]

في هذه الأية إثبات الرسالة، الله ﷻ يرسل الرسل، يبعث الأنبياء ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَسُولا﴾، وفي هذه الآية أن خلاصة دعوة الرسل وأساس دعوة الرسل هي إفراد الله بالعبادة واجتناب عبادة ما سواه، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي بعثناهم يأمرون بعبادة الله واجتناب الطاغوت، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال شيخ إسلام ابن تيمية: "العبادة اسم جامع بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة"، يقول شيخ حافظ بن أحمد الحُكمي:

ثم العبادة هي اسم جامع * لكل ما يرضى الإله السامع**

فكل ما أحبه الله ورضيه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة يجب أن يُصرَف لله وحده ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هذا أمر أو نهي؟ – هذا أمر "اجتنب" الفعل الأمر على الصيغة "افعَل" مثل "اعبد"، فعل أمر ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يأمرنا أن نجتنب الطاغوت، فهو في صورته أمر لكن المقصود منه النهي عن عبادة الطاغوت، **والطاغوت** صيغة مبالغة من الطغيان، فيقال الطاغي اسم الفاعل، الطاغية فيه مبالغة أكثر، مثل الداعية والطاغوت صيغة مبالغة، الطاغوت كما يقول ابن القيم: "ما تجاوز به العبد حاده من معبود أو متبوع أو مطاع"،

- معبود كالأصنام،
- متبوع كالعلماء،
- مطاع كالأمراء،

ورأس الطواغيت إبليس ومن الطواغيت الساحر ومن الطواغيت الكاهن ومن الطواغيت من عُبد فهو راضٍ أو أمر الناس بعبادته فهو طاغوت ولو لم يُعبد ومن عُبد وهو الراضي ولو لم يأمر فهو أيضا الطاغوت، أما من عُبد بغير أمره

وبغير رضاه، فليس بطاغوت، كما وقع ببعض الرسل أو الملائكة أو الصالحين، فهؤلاء عُبدوا بدون إذنهم وبدون رِضاهم وهكذا من حكم بغير ما أنزل الله أيضا يدخل في جملة الطواغيت فإذَنْ قوله سبحانه ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ المقصود به اجتناب العبادة ما سوى الله ﷻ ﴿أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي لا تعبد الطاغوت، بل اعبد الله وحده.

وَقَوْلُهُ ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:23]

"**قضى**" بمعنى حكم، أمر، ألزم، أوجب كلها تدخل في معاني قضى، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ يا محمد وإذا كان هو الرب الذي خلقنا وأوجدنا من عدم فهو الذي يأمرنا بما يشاء سبحانه، فالرب فهو المالك والمالك يتصرف في ملكه كما يشاء، يأمر بما يشاء وينهى بما يشاء، يُحل لهم ما يشاء ويحرم عليهم ما يشاء، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يعني ألا تصرف العبادة إلا له ﷻ.

وَقَوْلُهُ ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء:36]

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني أخلِصوا ربكم بالعبادة فلا تصرِفوا العبادة لأحد سواه، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ يعني لا تجعلوا له شريكا، لا تعبد الله ولا تعبد الله غيره معه، فضلا أن تعبد غير الله فقط، يعني إذا كان عبادتك لله مع عبادتك لغيره لا تنفع، من باب أولى عبادتك غير الله فقط، فمعنى "**الشرك**" أن تعبد الله ولكن تعبد مع الله غيره، تدعو الله وتدعو الصنم، تدعو الله وتدعو حسين، تدعو الله وتدعو البدوي، تدعو الله وتدعو العيد روس حضرموت اليمني، هذا شرك لا ينفعك أن تقول "يا رب، يا رب، اللهم اغفر لي وارحمني" أنت أفسدتَ هذا الدعاء وهذه العبادة لما دعوت غير الله ﷻ، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ شيئا نكرة في سياق النهي، فتفيد العموم لا يُشرَك مع الله في العبادة أحد كائنا من كان من الملائكة من الأنبياء من الأولياء، من العلماء، من الشهداء فضلا عن الأشجار والأحجار والجمادات وغيرهم.

وَقَوْلُهُ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [الأنعام:151]

هنا تقدير في الكلام يعني "أوصيكم ألا تشركوا به شيئا" فليس حرام ألا تشركوا به شيئا، بل هذا بعينٍ مأمور به وإنما المقصود هنا معنى أوصيكم ولذلك قال في آخر الوصيَّة ﴿ذلك وصّاكم به﴾، هذه الآيات تشتمل على الأوامر وعلى النواهي، ليس كلها محرمات، فيها الحرام وفيها المأمور به، فالمعنى أوصيكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ وأوصيكم ﴿بالوالدين إحسانا﴾، أوصيكم مثلا الوفاء بالعهد وأوصيكم باتباع سبيلي، هذا كلها أوامر وليس النواهي.

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ مثل ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾، مثل ﴿اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فنلاحظ أن هذه الأوامر اشتملت على الجزئين أمر ونهي أو إثبات ونفي:

- إثبات العبادة لله وحده،

- ونفي العبادة عمن سواه،

هذا مثل التركيب لا إله إلا الله:

- "**لا إله**" مثل ﴿**أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾، مثل ﴿**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾،
- "**إلا الله**" تقابل ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ**﴾،

فيها النفي وفيها الإثبات، نفي الألوهية الحقيقية عمن سوى الله وإثبات الألوهية الحقيقية لله سبحانه وتعالى، فكل ما عُبد من دون الله فعبادته باطل.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ – (إِلَى قَوْلِهِ) – ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾...الْآيَةُ.

ابن مسعود هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن الهذلي، أبو عبد الرحمن، أحد فقهاء الصحابة، توفي **32** من الهجرة، أثنى عمر على علمه رضي الله عنه وأرضاه، قال عنه النبي ﷺ: "إنك غلام مُعلَّم".

قول ابن مسعود "**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ**" يقصد أن النبي ﷺ لو كان مُوصِيا بوصية قبل موته، وصية مكتوبة سيكتب الوصية وسيختم عليها بخاتمه تأكيدا لها لم يُوصِ إلا بهذه الآيات، هذا معنى قوله: "**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ**"، ليس المقصود أن الرسول أملى هذه الآيات كالوصية وختم عليها، المقصود لو كان موصيا بالوصية يكتبها ويختم عليها لأوصى بهذه الآيات هذا معنى هذا النص.

"**فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾** – إلى نهاية الآية الثالثة – **﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**.

وَعَن مَعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنْت رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي: "يا مَعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَاد، ومَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟"، فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدوهُ وَلَا يُشْرِكوا به شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِك به شَيْئاً"، فَقُلْتُ: يا رَسُول اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: "لَا تُبَشِّرْهُمْ فِيتَّكُلوا". أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحيحَيْنِ.

ثم ختم رحمه الله الباب بحديث معاذ بن جبل، **معاذ بن جبل** أحد فقهاء الصحابة، ورد في الحديث: "أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل" ورد "أنه يأتي يوم القيامة متقدَّم على العلماء بالرتوة" يعني برمية الحجر، وقال النبي ﷺ: "يا معاذ إني أحبك"، وفضائله كثيرة رضي الله عنه وأرضاه، توفي في خلافة عمر شابا رضي الله عنه.

يقول: "**كُنْت رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ**" يعني كان الرسول مركبه خلفه:

- وهذا يدل على **سماحة** النبي ﷺ فبعض الناس لا يحب أن يتفضل على غيره بشيء؛ فالنبي ﷺ لما كان في الدابة وفي ظهرها فضل ومكان فارغ أردف معه معاذا، ما قال له "سامحني سآخذ راحتي" بل أردف معه ﷺ،
- وأيضا فيه **تواضع** الرسول ﷺ حيث ركب الحمار، ما يشترط أنه لا يركب إلا بغلة فارغة أو خيلا فاخرا أو بعيرا ثمنه كذا وكذا، يركب ما يسّر الله ﷻ له، يقال الآن أناس أن هذا الحمار اسمه غفير.

"يا مَعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَاد، ومَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟"

هذا التعليم بالسؤال حتى يكون أدعى لاستيعابه وفهمه، بخلاف ما ألقى عليه المعلومة مباشرة قد تصادِف المتلقي وهو الساهي، الغافل سارِح الزهن، لكن إذا سُئل حضر قلبه وحضر عقله واهتم بما سيُلقى عليه فهذا فيه حُسن التعليم من النبي ﷺ.

"أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَاد، ومَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ" هنا مسألتان عظيمتان، قال معاذ: "**اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**" رد العلم إلى الله ورسوله، قوله: "**اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**" في حياة النبي ﷺ لا إشكال فيه، إنما اختلف أهل العلم في القول ذلك بعد موته ﷺ، هل يقال بعد موته الله ورسوله أعلم أو الله أعلم:

- يقول بعض أهل العلم إن كانت المسألة دينية في أمر الدين؛ فلا حرج أن تقول الله ورسوله أعلم،
- أما مسائل الدنيا- لا، فالنبي ﷺ لا يعلم الغيب بعد موته يعني لا يعلم ما حصل بعد موته هو لا يعلم الغيب حيا ولا ميتا،

وهذا من حسن، بل من الآداب الضرورية في حق طالب العلم أن إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول "لا أعلم"، لا يتقحم ويتكلف فيقول على الله ما لا علم له به، عوِّد نفسك! أئمة كبار، علماء كبار فُحول يُقصدون مشارق الأرض ومغاربها لأسئلة الناس يُسألون عمّا لا يعلمون فيقولون "لا نعلم، ما ندري، والله أعلم"، أنا رأيت من أكثر من يقول لا أدري شيخ عبد المحسن العباد، أنا ما أحضر دروسه كثيرة لكن أسمع دروسه مسجّلة كثيرا؛ فما أكثر ما يقول لا أدري، لا يأنف أبدا، أحيانا مسائل ممكن سُئل عنها،.

مرة بن عمر سُئل عن المسألة فقال "لا أعلم"، بعد ذلك فرح وقال: "ما أحسن فعل بن عمر" يعني كلّم نفسه، "ما أحسن فعل بن عمر سُئل عما لا يعلم فقال لا يعلم".

ومن عجائب القصص بهذا قصة الوفد الذي جاء من المغرب إلى مالك بن أنس، فسألوه عن المسائل قرابات أربعين مسألة، فما أجاب منها إلا نحو ست مسائل فقط والباقي أكثر من ثلاثين سؤالا قال "لا أدري"، ففُجئ الرجل المرسول هذا قال: "أرجع إلى المغرب ما أقول لهم؟"، قال: "قل لهم مالك لا يدري"، يعني كبر عليه أن هذا الإمام طبّقت شهرته الآفاق، أنه يُسأل عن أربعين مسألة ثم تفوت عليه أكثر هذه المسائل وليس المعنى ذلك أن يتصدر طالب العلم أو الشخص صاحب التعليم أو الفتوة هو جاهل، لا، يتعلم إذا أَذِن له العلماء ورخّص له في التعليم يعلِّم ويُفتي لكن إن حصل سُئل عما لا يعلم فيقول: "لا أعلم"، فأما يجلس للناس وهو أصلا جاهل، ما تعلّم – لا، لا يصح، طالب العلم أولا يتعلم ويدرس ويجالس أهل العلم ويأخذ عنهم، حتى إذا أذنوا له في التدريس والتعليم وفي الإفتاء، إذا تهيأ لهذا وجلس لهذا فإن سُئِل عما يعلم فأجاب أما الذي لا يعلم فقال: "الله ورسوله أعلم"، يقول للسائل تعال بكرا أو بعد العصر أو بعد العشاء سأبحث لك، ما في إشكال، شيخ أحمد رحمه الله يقول "لما مات شيخ الحافظ وشيخ قرعاوي، احتاج الناس إليه ويأتون أهل القرى من الأماكن البعيدة، كانت مواصلات صعبة جدا، بعضهم يأتي بالمشي وبعضهم يأتي على الدابة، تكلَّف حتى يجد السيارة ويصل إلى الشيخ فيأتي للشيخ ويسأل فيقول:" لا أدري، لكن تعال بعد اليومين إن شاء الله سأبحث لك"، وبها حصّل الحمد لله علما كثيرا، فالمهم أن طالب العلم ينبغي أن يكون مستحضِرا مراقبة الله ﷻ، أنت اليوم مُتكلِّم وغدا مسؤول عن كلامك هذا ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:24] فأَعِدّ للسؤال جوابا.

"قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدوهُ وَلَا يُشْرِكوا به شَيْئاً"،

حق الله على العباد هذا حق واجب **"حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدوهُ وَلَا يُشْرِكوا به شَيْئاً"** مثل ما جاء في الآيات، إثبات العبادة لله وحده نفي العبادة عما سواه.

"وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ" هذا الحق تفضل الله به على العباد، ليس الحق واجب عليه، هو أوجبه على نفسه تفضلا منه وإلا الله ﷻ لو عذّب عذّب بعدله، ولو عذب الخلق كلهم لعذّبهم غير ظالمٍ لهم، فالله ﷻ لا يُوجب عليه أحد شيئا، إنما هذه الأشياء التي أوجبها الواجب على الله هو أوجب على نفسه، فالله لا مُكرِه له، الله يقول ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء:23] **ولا مُوجِب عليه ولا آمِر له سبحانه وتعالى، إنما هذا حق أوجبه على نفسه تفضلا من عنده سبحانه وتعالى، "حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ" هذا حق واجب، "وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ" هذا حق تفضل الله به على عباده سبحانه وتعالى.**

"أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِك به شَيْئاً"

فمن مات على التوحيد لا يشرك بالله شيئا؛ فالله ﷻ لا يعذّبه، لكن هذا على حسب التفصيل المعروف إن مات موحِّدا، فهذا لا يخلَّد في النار، لكن مات موحّدا وعليه الكبائر وعليه المعاصي لم يتب الله ﷻ منها؛ فهذا تحت المشيئة إن شاء عفا عنه وأدخله الله الجنة بلا عذاب وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة.

فمعنى قوله **"أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِك به شَيْئاً"**:

- إما يُعذّبه مطلقا وهذا في الحق من حقق التوحيد واستكمل التوحيد وفعل الطاعات واجتنب المحرمات هذا يدجل الجنة بلا سابق عذاب بفضل الله،
- إن مات موحِّدا لكن عليه الكبائر والموبقات وعليه المعاصي، لقي الله قبل التوبة منها، فهذا أمره إلى الله إن شاء عذب ثم أدخله الجنة، إن شاء أدخله الجنة مباشرة كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:48] يعني قد يعذب على ما دون الشرك بعضُ الناس.

"فَقُلْتُ: يا رَسُول اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُم فِيتَّكُلوا"

معاذ فرح بهذه البشارة أن من مات لا يشرك بالله شيئا لا يعذبه الله، فرح بهذه البشارة، فأراد أن يُدخِل الفرح والسرور في قلوب المسلمين قال: **"أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُم فِيتَّكُلوا"** يعني يتكلوا على التوحيد، فيقعوا في المعاصي، يعني يُغلِّب الرجاء على جانب الخوف؛ فيحتاطون في باب التوحيد، لكن يحصل عندهم التساهل في باب المعاصي، يتكلوا على التوحيد ويستكثر من المعاصي.

ما كل ما يُلقى عليه العلم يُنزِّل المنزِلة الصحيحة، فبعض الناس يفهم من النص غير المقصود منه، هل المقصود من قول ﷺ **"لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِك به شَيْئاً"** يعني "افعل ما شئت من المعاصي أهم الشيء التوحيد" هل هذا قصد ﷺ؟ – لا، لكن بعض الناس قد يفهم هذا الفهم، أنك لا تشرك بالله لكن افعل ما تشاء من المعاصي، فعض الناس قد يفهم النصوص على غير معانيها الصحيحة، فالعلم لا يعطى لكل أحد وما كل العلم يعطى لكل أحد، إنما في المسائل لا تُلقى إلا على أهل البصيرة وأهل التمكن وأهل الفقه وفي العلم يُعلّم الناس كلهم مثل التوحيد، الشرك، الطهارة، الصوم، حق الله وحق الرسول ﷺ وغير ذلك من الأمور الواجبة، هذه يعلِّم بها كل أحد، كل الناس مُطالبون بها ومُخاطبون بها:

- ولهذا يقول علي رضي الله عنه "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدون أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " رواه البخاري،
- ويقول بن مسعود: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ ".

خلاصة الباب: أن المقصود بالتوحيد توحيد العبادة، توحيد الألوهية، توحيد الطلب وهو أن تَصرِف العبادة لله وحده وأن تجتنب وأن تتبرأ من عبادة ما سواه وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارَك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

ٱلَّذي هُو حَقُّ اللَّهِ عَلَى ٱلْعَبيدِ

1- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، المتوفى سنة 1206هـ، يقول في كتابه القول النافع كتاب التوحيد: **"باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب"**.

هذا الباب افتتح به المؤلف أبواب كتابه ترغيبًا في دراسة التوحيد وتعلمه والعناية به؛ لأن الشيء إذا كان له فضل عظيم، ثواب كبير تعلقت به النفوس واعتنت به، وهذا من حسن تأليفه ومن حسن ترتيبه.

"باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب" يعني كأنه قال: باب فضل التوحيد وتكفيره للذنوب، أو باب فضل التوحيد والذنوب التي يكفرها التوحيد.

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

هذه الآية تابعة لما سبقها، فإن أول هذه الآيات قول جل وعلا: ﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ﴾ يعني إبراهيم ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُون * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون﴾ [الأنعام:80-82].

فهذه الآية هي جواب للسؤال ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ﴾ فريق الموحدين أم فريق المشركين؟

الجواب: فريق الموحدين هم أحق بالأمن، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني وحدوا الله جل وعلا:

- في ألوهيته،
- في ربوبيته،
- في أسمائه وصفاته،

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ أي يخلطوا ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾ لم يخلطوا توحيدهم ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بشرك، والعموم هنا ليس العموم في الظلم؛ لِأَنَّ الظلم يشمل الشرك والمعاصي، ولكن المقصود هنا عموم أنواع الشرك وليس عموم أنواع الظلم.

والشرك منه قولي، ومنه فعلي، ومنه اعتقادي، ومنه ظاهر، ومنه باطن، فالشرك أنواع، فهذه الآية تشمل كل أنواع الشرك، وليس كل أنواع الظلم.

والدليل على ذلك أن الصحابة لما نزلت عليهم هذه الآية أشفقوا وشقت عليهم، فقالوا: "يا رسولَ اللَّهِ وأيُّنا لا يظلِمُ نفسَهُ ؟ فقال ﷺ: "إنه ليس بالذي تعنون ولكن الظلم الشرك كما قال العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾" والحديث في الصحيحين حديث ابن مسعود.

فسر النَّبِيّ ﷺ الظلم هنا بالشرك وليس بعموم الظلم الَّذِي يشمل الشرك والذنوب والمعاصي.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي وحدوا الله، فلم يخلطوا هذا التوحيد بشرك، ما ثوابهم؟ قال: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾

- ❖ **الأمن في الدنيا** معناه طمأنينة القلب، والرضا بقضاء الله وقدره، وإلا المخاوف قد تصيب أهل التوحيد، من تسلط عدو أو سجن أو تشريد أو نحو ذلك، ولهذا قد وقع للأنبياء قُتلوا، أُخرجوا من ديارهم، أوذوا في ذات الله وهكذا أنصارهم وأصحابهم حصلت لهم مخاوف في الدنيا، لكن كانت قلوبهم مطمئنة بالله لإيمانها بالله، لثقتها فيه، ينزل عليها السكينة، وتخشاها الرحمة، وهذا ما يكون لغيرهم، وكذلك أيضًا لهم الأمن الذي هو ضد الخوف ولكن كما سبق لا يلزم أن يكون هذا في كل حال.
- ❖ **وأما في الآخرة** فلهم الأمن من عذاب الله جل وعلا، وقد يكون هذا لهم الأمن المطلق بمعنى لا يصيبهم خوفٌ أبدًا، وقد يكون هذا الأمن بعد الخوف، فقد يعذب الموحد أولًا ثم يكون آخر أمره إلى الجنة.

﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي قد من الله ﷻ عليهم بالهداية إِلَى صراطٍ مستقيم وسبيله القويم، فهم على الحق وغيرهم على الباطل.

إذًا هذه الهداية إلى الصراط الذي يصلون به إلى الجنة، والأمن من المخاوف، إنما نالوه بأي شيء؟ نالوه بالتوحيد.

فمناسبة هذه الآية للباب هو باب فضل التوحيد، ما هو الفضل في هذه الآية للتوحيد؟ مناسبتها أن فيها بيان كون التوحيد سببًا للأمن والهداية.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته

ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" أخرجاه.

"**وعن عبادة بن الصامت**" هو عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري أبا الوليد المدني، وأحد النقباء، توفي بالرملة في بلاد الشام سنة 32، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية، وله من العمر 72 أخرج له الجماعة.

"**أخرجاه**" يعني البخاري ومسلم.

"**من شهد**" الشهادة معناها تصديق القلب والإقرار باللسان، قال بلسانه مقرًا مصدقًا بقلبه، لابد أن يتواطأ فيها اللسان مع القلب.

"**من شهد أن لا إله إلا الله**" أي أنه لا معبود حق إلا الله "**وحده**" تأكيد لقوله: إلا الله "**لا شريك له**" تأكيد لقوله: لا إله، "**ووحده**" يؤكد إلا الله، "**لا شريك له**" يؤكد لا إله.

"**وأن محمدًا**" أي ابن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ،

"**عبد الله ورسوله**" وهو عبد مخلوق مربوب لله، وهذا الوصف فيه ردٌ على من يغلو فيه ويصرف له شيئا من أنواع العبادة، وللنبي ﷺ من العبودية أعلى مراتبها، وهو أعلم بالخلق بالله وأخشاهم لله وأتقاهم لله،

"**ورسوله**" أي اصطفاه بالوحي والرسالة إلى الثقلين الإنس والجن، ولابد من الإيمان برسالته وبعموم رسالته، وبأنه خاتم الرسل، من قال: "إنه رسول لكن للعرب" ما صح إيمانه، ولو قال: إنه رسول للثقلين الإنس والجن ولكن ليس خاتم الرسل لم تصح شهادته وإيمانه أيضا؛ فلابد من هذه ثلاثة:

- الإيمان برسالته،
- والإيمان بعموم رسالته،
- والإيمان بأنه خاتم الرسل ﷺ.

وهذا الوصف الثاني رد على من يفرط في حقه ﷺ.

"**وأن عيسى**" يعني ابن مريم "**عبد الله ورسوله**" فهو عبد ليس بإله، مخلوق مربوب لله ﷻ، ثم صاروا عبدوا عيسى بزعمهم أنه خلق من غير أب، وقد رد الله على النصارى هذه الدعوى بأنه إذا كان عيسى استحق أن يكون

معبودا لكونه خلق بلا أب فآدم أولى إذن أن يعبد؛ لأنه خلق بلا أب ولا أم، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران:59]

فآدم خلق من غير أب ولا أم وعيسى خلق من غير أب، يعني إذا عبدتم عيسى لكونه مخلوق من غير أب فاعبدوا إذن آدم؛ لأنه مخلوق من غير أب ولا أم.

"وأن عيسى عبد الله" أي ليس إلهًا ولا ربًا وهو أحد أولي العزم من الرسل.

"وكلمته" أي أن عيسى مخلوق بالكلمة وليس هو الكلمة، عيسى مخلوق بكلمة "كن" وليس هو كلمة "كن"، الكلمة غير مخلوقة؛ لأنها صفة الله، وأما عيسى فهو مخلوق، وإنما سماه كلمة من باب إطلاق السبب على المسبب على النتيجة، وقد يقول قائل: الأشياء كلها مخلوقة بـ كن ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:82] ولكن عيسى هنا له مزيد خصوصية في هذا كونه خلق من غير أب.

"وكلمته ألقاها إلى مريم" وذلك أن جبريل عليه السلام نفخ في قميصها نفخة، فهذه النفخة خلق منها عيسى عليه الصلاة والسلام.

"إلى مريم" بنت عمران **"وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"** أي أن عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله، وليس المقصود أن روح عيسى جزء من روح الله، لا؛ بل هو روح من الأرواح المخلوقة، مثل ما قال الله في آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29]، فعيسى روح من الأرواح المخلوقة ولكن أضافه الله إِلَى نفسه إضافة تشريف وتكريم.

وهذه الجملة أخذ منها العلماء الصيغة الَّتِي ينبغي أن يلقن بها من دخل في الإسلام من النصارى، النصراني إذا أسلم يقال له: قل أشهد أن لا إله إِلَّا الله وأن محمد عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله إِلَى آخره؛ حَتَّى يكون فيه إبطال لما كان يعتقد.

وهكذا لو أسلم مثلاً بوذي يعتقد في بوذى أَنَّهُ إله، هذا ليس شرطًا فَهُوَ يدخل في الإسلام بقول لا إله إِلَّا الله، لكن من باب الاستحباب والتأكيد عليه أن يعلن وحدانية الله جل وعلا ويتبرأ من هذا الإله الَّذِي كان يعبده بخصوصه.

"والجنة حق" يعني وشهد أن الجنة حق، أي أن ما أخبر الله به عن الجنة أنه حق وصدق، أنها موجودة وأنها دار النعيم، فيها من النعيم ما أخبر الله به ورسوله ﷺ.

"**والنار حق**" ليست كذب؛ بل إن الله ﷻ خلق النار وأوجدها وأعدها لأعدائه والعياذ بالله.

"**أدخله الله الجنة**" هذا جواب الشرط في قوله: "**من شهد أن لا إله إلا الله**" هذا الجواب، من فعل تلك الأمور ما جزاؤه ما النتيجة؟ قال: "**أدخله الله الجنة**".

"**على ما كان من العمل**" هذه الجملة لها تفسيران اثنان:

- ❖ **الأول**: إن بلغت ذنوبه ما بلغت، فما دام أنه مات على التوحيد فلابد أن يدخل الجنة، "**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**" أي مهما عمل من الذنوب، ما دام أنه مات على التوحيد لا يشرك بالله شيئًا؛ فإنه لابد أن يدخل الجنة بفضل الله.
- ❖ **الثاني**: أي يدخل الجنة فتكون درجته في الجنة على حسب عمله، "**على ما كان من العمل**" أي على حسب عمله:
  - فقد يكون **في رَبَض الجنة** يعني أسفل الجنة،
  - وقد يكون **في وسط الجنة**،
  - وقد يكون **في الفردوس الأعلى**، ليسوا على درجة واحدة.

قد أخبر النبي ﷺ "أن الجنة مائة درجة، وأن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف كما نتراءى الكوكب الدُرِّي في السماء"، بين الدرجة والدرجة كما بين الأرض وبين النجوم، وكلما كانت الدرجة أعلى كلما كان النعيم أعظم وأجل.

وهذان تفسيران لقوله: "**على ما كان من العمل**".

ولهما في حديث عتبان: "فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله".

"**ولهما في حديث عتبان**" يعني ابن مالك، ليس من حديث عتبان، وإنما قصة عتبان، فلا نقول: ولهما عن عتبان، الحديث ليس من روايته، وإنما "**في حديث عتبان**" يعني في قصة عتبان بن مالك، وذلك أن الحديث

يختصر أحيانًا بموضوع الحديث، يقال مثلا حديث الإفك يعني قصة الإفك، حديث الجمل جمل جابر مثلاً، حديث الفتح وهكذا.

فهذا **"حديث عتبان"** يعني قصة عتبان بن مالك، وذلك أن عتبان ضعف بصره جدًا لا يستطيع أن يرى أو لا يرى إلا شيئًا قليلاً، فشق عليه أنه دائمًا يأتي يصلي مع النبي ﷺ لا يستطيع، فدعاء النبي ﷺ إلى بيته لكي يصلي الرسول ﷺ في موضع في البيت، فيكون هذا مصلى له، فأتاهم النبي ﷺ في حيهم، ولما وصل النبي ﷺ إلى حي هؤلاء الأنصار الجيران والأقارب وكذا اجتمعوا فرحًا برسول الله ﷺ.

وقام النبي ﷺ يصلي، فلما صلى أخذ الناس يتحدثون، افتقدوا رجلا "أين فلان ما حضر؟" فقال بعضهم: "إنه منافق"، يعني ما حضر، ما منعه إلا النفاق، فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته أنكر عليهم وصفه بالنفاق، وذكر فيما ذكر هذا الجزء من الحديث: **"فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله"**، التحريم هنا تحريم كوني قدري؛ **لأن التحريم على نوعين:**

- تحريم شرعي،
- وتحريم قدري،

وتحريم النار على نوعين أيضا:

- **الأول**: **تحريم مطلق**، فلا يدخلها أبدًا كما في حديث السبعين ألف يدخلون الجنة بلا حساب ولا سابق عذاب.
- **الثاني**: **تحريم النار مؤقتًا**، أي بما بعد الخروج منها، يعني من يدخل النار، يعذب فيها ما شاء الله ثم يحرم عليه دخولها بعد ذلك.

وذلك أن الموحدين على قسمين:

- منهم من يموت، فيدخله الله الجنة مباشرة.
- ومنهم من يعذبه أولًا ثم بعد ما يُنقَّى ويُطهَّر يدخل الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:48]

فبعض أهل الكبائر يمن الله عليهم يدخلهم الجَنَّة وبعض أهل الكبائر يعذبهم ثُمَّ يدخلهم الجَنَّة، فالنوع الأول حرم عليهم النَّار مطلقًا ما دخولها، النوع الثاني متى حرمها عليهم؟ بعد ما خرجوا منها.

"فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله" في هذا الحديث بيان شرط من شروط الانتفاع بلا إله إلا الله، وهو الإخلاص لله، ليس مجرد قولها باللسان؛ بل لابد من الإخلاص فيها، المنافقون قالوها لكن لا تنفعهم عند الله؛ لأنهم ما ابتغوا بها وجه الله، وإنما ابتغوا سلامة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم في الدنيا.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله ; قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

"وعن أبي سعيد الخدري" اسمه سعد بن مالك بن سِنان بن عبيد الأنصاري، والخُدري نسبة إلى بني خُدْرة حي من الأنصار، استصغر يوم أحد، يوم أحد كان صغيرا فمنعه الرسول ﷺ من شهودها، وشهد ما بعد أحد، أحد المكثرين من الصحابة، كما قال السيوطي:

وَأَنَسٌ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيّ ... وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيّ

المقصود بالمكثرين من الصحابة الذين تجاوزت أحاديثهم ألف حديث، هذا المقصود بالمكثرين، يقول السيوطي:

وَالْمُكْثِرُونَ فِي رِوَايَةِ الأَثَرْ: ... أَبُو هُرَيْرَةَ يَلِيهِ ابْنُ عُمَرْ

وَأَنَسٌ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيّ ... وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيّ

هؤلاء سبعة.

توفي سنة أربعة وستين (64) من الهجرة، أخرج له الجماعة يعني أحاديث موجودة في البخاري وفي مسلم وفي السنن الأربعة، هذا المقصود بـ "أخرج له الجماعة"، وطبعًا هو وأبوه صحابيان، أبو سعيد الخدري وإذا قلنا سعد بن مالك نقول: رضي الله عنهما؛ لأن هو وأبوه صحابيان.

"عن رسول الله ﷺ قال: "قال موسى " يعني ابن عمران الكليم.

"**يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به**" يعني شيئًا خاصًا، أريد ذكرا خاصا بي ما علمته أحدا من الخلق، هذا طلب موسى أن يعلمه الله شيئًا يذكر الله به ويدعو الله به، هذا الذكر خاص به، مثل ما قال سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص:35] فَهُوَ طلب أن يختص بشيء من الذكر لا يقوله غيره.

"**قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا**" يعني كل الموحدين يقولون: لا إله إلا الله، وأنا أريد ذكرا خاصا، فنبهه الله ﷻ إلى فضل هذه الكلمة، طبعًا هو يريد شيئا خاصا حتى يكون فضله أكبر وأعظم، فبين الله له أن ما في كلمة أو ذكر أعظم من هذه الكلمة.

"**قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري**" يعني سكان السماء من الملائكة وأرواح المؤمنين وأرواح الأنبياء "**لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري**" وهذا دليل على أن الله ﷻ في السماء يعني في العلو، السماء يعني أين؟ يعني إيش في السماء هو أن يكون الله في السماء؟ يعني في العلو، وإذا قلنا: إن الله على السماء تكون السماء يعني السماوات السبع المبنية:

- فعندنا السماء **بمعنى البناء**،
- وعندنا السماء **بمعنى العلو**،

إذا قلنا: الله في السماء يعني في العلو، وإذا قلنا: الله على السماء يعني على البناء المبني، الله في جهة العلو سبحانه وتعالى، في حديث الجارية وفي أدلة كثيرة، ولكن من أصرحها "أين الله؟ قالت: في السماء" يعني في جهة العلو.

وكثير اليوم من المسلمين يعتقد أنك إذا قلت أن الله في السماء أن هذا كفر والعياذ بالله، وهذا جهل وغلط، يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:4] فيقول: الله لا يخلو منه مكان، صحيح لا يخلو منه مكان لكن لا يخلو منه يعني من علمه سبحانه وتعالى، لا يخلو من علمه مكان، أَمَّا هُوَ بذاته العلية فوق خلقه سبحانه وتعالى.

الله قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] لو كان في كل مكان مثل ما يقولون، لكان استوى عَلَى الفراش واستوى عَلَى السيارات واستوى عَلَى كل شيء، لكن الله ما أضاف الاستواء إِلَّا إِلَى العرش فقط استوى عَلَى العرش، والعرش أين؟ هُوَ سقف المخلوقات.

"**والأراضين السبع**" هذا دليل على أن الأراضين السبع مثل السماء، ولكن في القرآن ترد لفظة السماوات بصيغة الجمع والأرض بصيغة المفرد، قال بعض أهل العلم:

- إن السماوات تجمع سماوات؛ لأن كل سماء منفصلة عن الثانية،
- وأما الأرض لم تجمع وإن كانت سبع لكون السبع كلها متصل بعضها ببعض،

هكذا قال بعض أهل العلم والله أعلم، وقد يكون أنها أراضين سبع مثل ما في آخر سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:12] فالسموات السبع منفصلة والأرض سبع أَيْضًا منفصلة ولكن هذا من أمر الغيب نؤمن به ونصدق به.

وأخرج الحاكم فيما أظن من حديث ابن عباس أَنَّهُ قال: "كل أرض مثل هذه الأرض هي سبع، وكل أرض مثل هذه الأرض، في كل أرض آدم مثل آدم وإبراهيم مثل إبراهيم وموسى مثل موسى ومحمد مثل محمد"، يعني يقصد في كل أرض فيها أمم ولها أنبياء ولها رسل ولها نظام مثل النظام الموجود عَلَى هذه الأرض، هذا إذا ثبت هُوَ من كلام ابن عباس، قد يكون فهمه من الآية من قوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ وقد يكون تلقاها عن بني إسرائيل وقد يكون عن رسول الله ﷺ والعلم ذلك عند الله، لكن إن ثبت ذلك ما يلزم أَنَّهُ تلقاه عن وحي، قد يكون من باب الاجتهاد في توسيع مدلول قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا نطيل في هذا.

"لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأراضين السبع في كفة" يعني وضعت كلها في كفة الميزان.

"ولا إله إلا الله في كفة" يعني وضعت لا إله إلا الله في كفة.

"مالت بهن لا إله إلا الله" يعني لثقلها وأيضا ثوابها وأجرها عند الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على أنه لا أعظم من هذه الكلمة، يعني انظر إلى ثقل السماوات، وإلى ثقل الأرض، ومع ذلك لا إله إلا الله تميل بها، فأي ثِقل وعِظم أعده الله في هذه الكلمة،

"رواه ابن حبان والحاكم وصححه" يعني يصححه الحاكم.

وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة.

"وللترمذي" محمد بن عيسى بن سَوْرة.

"وحسّنه" حكم له بالحسن.

"عن أنس" بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، خادم النبي ﷺ، خدم عشر سنين، توفي سنة **90** من الهجرة أو بعدها بقليل، وله **مائة** (**100**) سنة، أخرج حديثه الجماعة، وهو أحد المكثرين من الصحابة، تقدم ذكره في الأبيات:

وَأَنَسٌ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيِّ ... وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيِّ

سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله تعالى" هذا حديث قدسي، والأصل أن الله عز وجل قال هذا اللفظ، هذا الأصل، "قال رسول الله: قال الله"، فالأصل أن هذا الكلام كلام الله عز وجل، هذا هو الظاهر وهذا الأصل، ولكن ليس الحديث القدسي قرآنا، بعض الناس يقول: إذا قلنا إنه كلام الله معناه أنه قرآن، لا، هل كل كلام الله قرآن؟ لا، الله يتكلم بما شاء، متى شاء، ليس كل كلامه قرآن، يختلف عن القرآن بعدة فوارق، طبعًا هذه المعلومات نقولها لأنها أول مرة ترد علينا، لكن لو جئنا بعد ذلك خلاص ما نذكر مثل هذه الأمثال اكتفاءً بما ذُكر سابقًا.

يختلف عن القرآن:

- بأنه ليس مُعجِزا.
- ولا متعبد بتلاوته.
- ولا منقول بالتواتر.
- ولا يرسم كرسم المصحف.
- ويجوز مسه بدون طهارة.

هذه بعض الفوارق بين الحديث القدسي وبين القرآن الكريم، يعني في الصلاة الله أكبر **"يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض"** تقول هكذا؟ لا، لا يتعبد بتلاوته في الصلاة، أو بكل حرف عشر حسنات، ولو جمع في كتاب يجوز للطاهر والحائض والمتوضئ والجنب أن يمسك الكتاب هذا ويقرأ فيه، ما في شيء.

"قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا" قراب يعني بما يقارب ملء الأرض، هذا معنى قراب، **"لو أتيتني بقراب الأرض خطايا"** جمع خطيئة.

"**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**" عنده ذنوب الزنا والسرقة والمعاصي وكذا، لكن ما عنده شرك "**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**" ما عنده شرك، لا شرك أكبر ولا شرك أصغر.

"**لأتيتك بقرابها مغفرة**" فحسنة التوحيد تقضي على السيئات والذنوب، ولكن من الذي يجزم بأنه لم يشرك بالله شيئًا؟ إذا عرفنا أن:

- الرياء من شعب الشرك،
- العطف على الله بالواو من صور الشرك،
- نسبة النعمة لغير الله من صور الشرك،
- الحلف بغير الله من صور الشرك،

الشرك بابه خفي، قال ابن عباس: "الشرك أخفى من دبيب النملة على الصخرة الصماء في الليلة المظلمة" ما تعتبر أن الأمر سهل، أنا أقول لا إله إلا الله وخلاص أفعل ما شئت من الذنوب، لا "**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**" فمعنى ذلك أن هذا التوحيد بلغ الغاية، توحيد الله في ربوبيته، وتوحيده في ألوهيته، توحيده في أسمائه وصفاته "**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**" فهذا الحديث كالأحاديث التي قبلها تدل على أن التوحيد يكفر الله ﷻ به الذنوب والخطايا وأن التوحيد يحرم الله ﷻ به الخلود في النار وربما حتى الدخول إليها.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة، وأن يحرم علينا وعليكم وعلى والدينا النار، هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على الْعبيد

2- باب مَن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب مَن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب"**.

هذا الباب ذكره رحمه الله بعد الباب السابق وهو قوله: **"باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب"**.

يشير بذلك إلى أن فضل التوحيد الكامل إنما يناله مَن حقق التوحيد، يشير بذلك رحمه الله إلى أن فضل التوحيد الكامل إنما يفوز به ويظفر به مَن حقق التوحيد، **وتحقيق التوحيد** أي: تخليصه من شوائب الشرك والبدع، واستكمال واجباته ومستحباته.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:120].

يشير بذلك رحمه الله إلى أن هذه الصفات التي وصف الله بها إبراهيم عليه السلام هي الصفات التي تجمع تحقيق التوحيد:

الصفة الأولى: كونه أمة، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ يعني: قدوةً في الخير، وهذه الصفة تتضمن كمال العلم، كمال العمل، كمال الصبر، فالإمامة في الدين إنما تُنال بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:24].

الصفة الثانية: القنوت، ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ﴾ ومعنى القنوت: دوام الطاعة، فليس الشأن أن تطيع الله فقط، وإنما الشأن أن تثبت على هذه الطاعة كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:99]، ومن القنوت: طول القيام في الصلاة، ومن القنوت: الدعاء في الصلاة، ومن القنوت: التلاوة في الصلاة، والمعنى العام لها: المداومة على طاعة الله جل وعلا.

الصفة الثالثة: ﴿حَنِيفاً﴾ الحنف وهو: الميل عن الشرك والإقبال على التوحيد، ومعنى ذلك السلامة والبراءة من الشرك أكبره وأصغره، ظاهره وباطنه، القولي منه والفعلي.

الصفة الرابعة: البراءة من المشركين، البراءة مما هم عليه وإنكار ما هم عليه بالقلب، واللسان، واليد، وبمفارقتهم بالبدن، ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم:49] ، فإذًا لم يكن منهم لا بقلبه ولا بلسانه ولا بفعله، ولا أيضًا ببدنه لما يئس من صلاحهم واستقامتهم بل هجرهم في الله سبحانه وتعالى.

فمراد المؤلف رحمه الله: أن هذه الصفات العالية التي وصف الله بها إبراهيم هي صفات مَن حقق التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:59].

أي: لا شركًا أكبر ولا شركًا أصغر، وهذه الآية من جملة آيات يثني الله بها على عباده الصالحين، أول السياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:57] أي: خائفون من عذاب الله سبحانه وتعالى، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:58] إيمان بلا شك ولا ريب، فيؤمنون بآيات الله المتلوة، ويؤمنون بآيات الله المخلوقة.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:59] هذه الآية الثالثة، ثم بعدها: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:60] أي: أنهم يعملون الطاعة ومع ذلك يخافون ألا تُتقبل منهم، فإذا كان هذا حالهم مع الطاعة فحالهم مع المعصية من باب أولى، إذا كان يعمل الطاعة ويخاف ألا تُقبل، فمعنى ذلك أنه لو وقعت المعصية كان أعظم خوفًا من الله جل وعلا، وقد سألت عائشة النبي ﷺ قالت: "يا رسول أهذا الرجل يسرق ويزني؟ قال: لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ثم يخاف ألا يُتقبل منه".

﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:61] فمَن كانت هذه صفته كان دائم المسارعة للخير مثلما قال الله عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً﴾ دائم الطاعة، فهو لما حقق الإيمان والمراقبة لله والخوف من الله وعِظم الرجاء فيه أثمر ذلك فيه المسارعة للخير، ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ تأكيد لقوله: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، أو أنهم لأجل ذلك صاروا من السابقين يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:10-11].

وهذه الصفات ذكرها الله ﷻ لنا حتى نجتهد في الاتصاف بها قدر الاستطاعة.

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة". قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: عُرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منْزله، فخاض الناس في أولئك؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا. وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يَسْتَرْقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: أنت منهم. ثم قام جل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: "سبقك بها عكاشة".

ثم ذكر دليلا ثالثا على الباب وهو من السنة النبوية حديث حصين بن عبد الرحمن، وهذا الحديث، هذا اللفظ الذي بين أيديكم في الكتاب بهذا السياق هو لفظ مسلم في صحيحه، وأخرجه البخاري لكن دون القصة الأولى.

وحصين بن عبد الرحمن هذا السُلمي تابعي، روى عن جابر بن سمرة، وعُمَارة بن رُوَيبة الثقفي، توفي سنة مائة وستة وثلاثين (**136**) وأخرج له الجماعة، ليس حارثيًا، وليس بتابع تابعي بل هو تابعي وهو سُلمي.

عندكم في الكتاب السُلمي الحارثي، وعندكم في الكتاب أنه تابع تابعي؛ هي ترجمتان وراء بعض حصين بن عبد الرحمن السلمي، وثم حصين بن عبد الرحمن الحارثي، فلعله حصل لبس.

عن حصين بن عبد الرحمن يعني: السُلمي، وذاك حصين الحارثي لم يخرج له أصحاب الكتب الستة، ولهذا جعله في التقريب ورمز له بالتمييز؛ يعني: ليس من رجال الكتب الستة، أما السُلمي هذا من رجال الكتب الستة.

"**قال: كنت عند سعيد بن جبير**" التابعي المشهور الأَسَدي مولاهم ثقة ثبت، توفي سنة خمسة وتسعين (**95**) من الهجرة وقتله الحجاج بن يوسف ولم يكمل الخمسين (**50**) من عمره.

"**فقال سعيد: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟**" الكوكب يعني: الشهاب الذي يُرمى به، والله ﷻ خلق النجوم لثلاث كما يقول قتادة:

- زينة للسماء،
- ورجومًا للشياطين،
- وهداية للسائرين،

وهكذا علماء السنة في الأرض مثل النجوم في السماء زينة للأرض، ما تتزين البلاد إلا لوجود علماء الشريعة، وهم رجوم لأهل البدع والأهواء والانحلال وفساد العقائد والأخلاق، وهم أيضًا هداية للناس، يهدونهم إلى الصراط المستقيم، فالكوكب يرميه الله ﷻ بقدرته على مسترقي السمع من الشياطين، فأحيانًا يصيب النجم الشيطان قبل أن يبلغ الكلام الذي استرقه من السماء.

وأحيانًا لا يصيبه إلا وقد بلّغ الكلمة إلى مَن تحته؛ لأن مسترقي السمع هكذا بعضهم فوق بعض كما يقول سفيان الثوري، فالشيطان الأعلى يبلغ الكلمة للذي دونه، والذي دونه يبلغ لمن دونه حتى تصل إلى أذن الكاهن، فالشهاب هذا قد يصيبه قبل أن يبلغ مَن بعده فلا يصل الخبر للكاهن، وقد يأتيه الشهاب بعدما بلغها لمن بعده فتصل الكلمة إلى الكاهن، **وهل يجوز النظر إلى الشهاب إذا سقط؟** هذه فيها خلاف:

- صح عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال في الكوكب: "نُهينا أن نُتبعه أبصارنا" فإذا رأيت الكوكب منقض من السماء فلا تنظر إليه واصرف بصرك عنه، وإذا قال الصحابي نُهينا يكون الناهي هو مَن؟ هو الرسول ﷺ، وهذا أخرجه أحمد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح.
- وذكر ابن أبي شيبة عن الحسن البصري "أنه لم ير بأسًا بالنظر للكوكب إذا سقط"، ولكن هذا رأي من الحسن البصري، والأول له حكم الرفع إلى النبي ﷺ،
- وأخرج ابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب: أنه كان إذا رأى الكوكب قال: "اللهم صوِّبه وأَصِبْ به واكفنا شر ما تَبِع" ولكن في السند **عمرو بن خالد** وهو متروك متهم بالكذب، فإذًا الذي يظهر أن هذا الخبر لا يصح عن علي رضي الله عنه وأرضاه، ولم أجد له إسناد آخر غير هذا.

فبقي عندنا في الموضوع النظر إلى الكوكب إذا سقط هل يُنظر إليه ألا لا يُنظر إليه؟ أبو قتادة يروي النهي، والحسن البصري يرى الجواز، والأقرب في مسلم أنه يصرف بصره عن النظر إلى هذه الشهب إذا رُمي بها.

وهل النهي هذا للتحريم أو للكراهة؟ يحتمل الأمرين لكن الأصل في النهي أنه للتحريم، الآن ظهرت ظاهرة عند الناس وعندنا حديث ما أدري يمكن في البلاد الأوربية قديمة عندهم وهي: أنه إذا جاء موسم؛ لأنه هذه الشهب التي يُرمى بها بعضها يكون لها مواسم، الشهب التي تنقض عن طريق مثلًا كوكبة الجبّاريات أو كذا يكون لها موسم معين في السنة يكثر فيها رمي هذه الشهب، فصار عندنا في السنوات الأخيرة السنتين أو الثلاث الماضية أنه يُدعى إلى بعض المراصد الفلكية مَن أراد أن ينظر إليها، أو يحث الناس يقول في اليوم الفلاني اخرج إلى مكان ليس فيه أضواء حتى تستمتع بالنظر إلى الشهب الفلانية، وهذا كما سمعنا مخالف لهدي السلف الصالح، فلا ينبغي أن ننساق وننجر وراء مثل هذه الأمور.

وهذا معنى قوله: **"أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟"** البارحة: أقرب ليلة مضت، فإذا حصل أمر مثلًا قبل الفجر، مثلًا زرتَ شخصا بعد صلاة العشاء، في اليوم الثاني أبوك سألك قبل الظهر، فقال لك: أين كنت بعد صلاة العشاء؟ تقول له: الليلة كنت عند فلان، تقصد بالليلة هذه الماضية اللي راحت، طيب إذا كان السؤال بعد الظهر أو بعد العصر، أين كنت بعد العشاء؟ تقول: البارحة كنت عند فلان، فإذا كنت قبل الظهر وقبل الزوال تعبر بالليلة، وإذا كنت بعد الزوال وبعد الظهر تعبر بالبارحة، هكذا ذكروه في كتب اللغة.

"أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟" فالذي يظهر أن هذا الاجتماع كان بعد الزوال، كان بعد الظهر، بعد العصر، بعد المغرب، الله أعلم.

"قال حصين: فقلت: أنا" يعني: أنا رأيته، طيب الكوكب انقض ليلًا، فتوقع حصين أن مَن سمع جوابه أن يظن به أنه كان يصلي في الليل، وهو لم يكن يصلي بالليل، فخاف أن يدخل في أن يُحمد بما لم يفعل، فحتى لا يُظن به هذا الظن الطيب بادر وقال:

"أما إني لم أكن في صلاة" فانظر إلى هذا الورع، وهذه التقوى، وهذه التربية العالية العظيمة، واحد يتمدح بما ليس فيه حتى يُمدح وهذا ينفي عن نفسه أنه يكون في عمل صالح وهو لم يكن كذلك في نفس الأمر.

"أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت" اللَدْغة: القَرْصة من ذوات السموم، القَرْص واللَسَع الذي يكون من ذوات السموم، لدغته حية، لدغته عقرب، لدغه بعوض أو أي شيء من ذوات السموم.

"**قال: فما صنعت؟**" يعني ماذا فعلت لما لدغت؟، تداويتَ، أو ماذا؟

قلت: ارتقيت" ارتقيت بمعنى: استرقيت؛ يعني: طلبت مَن يرقيني، يصح أن تقول: استرقيت، ويصح أن تقول: ارتقيت؛ كلها صحيحة.

"**قال: فما حملك على ذلك؟**" لماذا تسترقي؟ لماذا تطلب الرقية؟

"**قلت: حديث حدثناه الشعبي**" يعني: عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني.

"**قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة**" هذا مرفوع ولا موقوف على بريدة؟ موقوف، بريدة يقول: لا رقية، هذا الحديث أخرجه ابن ماجه مرفوعًا بنفس السند، حصين عن عامر عن بريدة عن رسول الله ﷺ، صرح به بالرفع وهذا في سنن ابن ماجه وإسناده صحيح، فهو عند مسلم موقوف وعند ابن ماجه مرفوع صراحة.

"**لا رقية إلا من عين أو حمة**" يعني: أنفع ما تكون الرقية من العين وأنفع ما تكون من لدغة ذوات السموم، وليس المقصود حصر الرقية في هذين الأمرين؛ يُسترقى من كل داء، ولهذا في الحديث يقول النبي ﷺ: "بسم الله أرقيك من كل شيءٍ يؤذيك" أو "من كل داءٍ يؤذيك" فليست الرقية خاصة بالعين أو خاصة باللدغ، ولكن أنفع ما تكون الرقية وأسرع أثرًا بإذن الله حينما تكون من عينٍ أو تكون من لدغة ذوات السموم.

"**قال سعيد: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع**" وهذه قاعدة؛ يعني: مَن عمل بما علم فهذا الذي أحسن، إذًا مَن الذي أساء؟ من المسيء؟ واحد من اثنين: إما مَن يعمل بلا علم أو يعلم ولا يعمل، هذا المسيء، فعندنا محسن ومسيئان: المحسن مَن عمل بما علم، المسيء الأول: مَن علم ولم يعمل، أو مَن عمل بلا علم.

"**ولكن حدثنا ابن عباس**" هذا سعيد بن جبير يقول: أنت أحسنت؛ لأنك عملت بحسب علمك، لكن عندي علم ليس عندك، أنت فعلت شيئا مباحا وجائزا لكن عندي شيء أفضل مما عملت، وهو أن تصبر وتحتسب ولا تطلب من أحد يرقيك وارقِ نفسك أنت لكن لا تطلب من أحد يرقيك.

قال: ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: "عُرِضت عليّ الأمم" قالوا: هذا العرض كان في ليلة الإسراء والمعراج ليلة عُرج به، "**عُرِضت عليّ الأمم**" قد يكون المقصود يعني: عُرض عليَ مثال هذه الأمم، وقد يكون عُرضت عليه الأمم حقيقة ويكون هذا من أمر الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ليس جزمًا أنه

عُرض عليه مثال الأمم، قد يكون عُرضت عليه الأمم نفسها والله ﷻ على كل شيءٍ قدير، **"عُرضت عليّ الأمم"** يعني: كل أمة مع نبيها.

"فرأيت النبي ومعه الرهط" الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى تسعة.

"والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم" رأى سوادا عظيما؛ يعني: يرى الأشخاص لكن ما يتحقق من أعيانهم وتفاصيلهم، هذا معنى السواد، السواد: أن ترى الشخص لكن لا تتبين معالمه، ترى شخصا من بعيد لا تدري هل هو رجل ولا امرأة، كبير ولا صغير، هذا معنى السواد.

"فظننت أنهم أمتي" يعني: من حسن ظنه بربه ظن أن هؤلاء أمته وأنه سيدخل الإسلام من أمته عدد كبير، وإذا كان هذا من حسن ظنه بربه بناءً على أن هذا العرج متى كان؟ ليلة المعراج، وليلة المعراج كم كان المسلمين معه في مكة؟ عدد قليل، فهذا من حسن ظنه بربه إن شاء الله أن الله ﷻ سيجعل أمته من أكثر الأمم.

"فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق" يعني: انظر إلى الأفق الآخر، والأفق يعني: ما بينك وبين السماء، هذه الجهات الأربعة كلها أفق.

قال:"فنظرت فإذا سوادٌ عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر" هذه رواية عند غير مسلم، عند البخاري.

"انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك" يعني: أكثر من أمة موسى، ولهذا لما مر النبي ﷺ بموسى ليلة عُرج به، فلما جاوزه بكى، فقيل له: لماذا بكيت؟ فقال: "أنه يتبعه من أمته أكثر مما يتبعني" ما قال هذا حسدا، ولكن أسف على قومه أن كثير منهم كفروا ولم يؤمنوا.

فالشاهد: أن هذه الأمة هي أكثر الأمم ونبينا ﷺ أكثر الرسل أتباعًا ولله الحمد والمنة، وهذه الأمة أكثر من نصف أهل الجنة، الجنة مئة وعشرين (**120**) صف ثمانون (**80**) صف من هذه الأمة، بقي كم صف؟ أربعون بين الأمم كلها، من آدم إلى أمة عيسى.

"ومعهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" لا يسبق دخولهم الجنة لا حساب ولا عذاب من فضل الله عليهم، وجاءت روايات أخرى خارج الصحيحين: أن مع كل ألف (**1000**) سبعون ألفا (**70000**) تفضلًا من الله جل وعلى، هؤلاء يدخلون الجنة كلهم بدون حسابٍ ولا سابق عذاب.

"ثم نهض فدخل منْزله فخاض الناس في أولئك" فلما نهض وذهب عنهم أخذوا يتفاوضون في هؤلاء السبعين ألف، يتناقشون وهذا فيه مشروعية المناقشة في العلم، فضيلة المناقشة في العلم للوصول إلى معنى الآية أو معنى الحديث، فأخذوا يطرحون بعض الاحتمالات.

"قال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ"

وفي رواية أخرى: نحن، وهذا يدل على أنه متقرر عندهم فضيلة الصحابة على غيرهم، فلهذا جعلوه أول الاحتمالات، هم الذين صحبوا رسول الله ﷺ.

"وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام"

أولادنا، لماذا؟ لأن لهم ميزة، نحن صحيح صحبنا رسول الله لكن في الغالب أنهم سبقت صحبتهم وإيمانهم أنهم كانوا مشركين، لكن هؤلاء الذين ولدوا في الإسلام خرجوا من بطون أمهاتهم ونشئوا على التوحيد حتى ماتوا، فلهم هذه الفضيلة.

"فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء"

احتمالات أخرى.

"فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه"

قالوا: أنت بعدما دخلت تناقشنا في هؤلاء السبعين ألف مَنْ هم؟ ناس قالوا كذا، وناس قالوا كذا، فجاءهم الجواب من النبي ﷺ.

"فقال: هم الذين لا يَسْتَرْقون"

عند مسلم: "لا يرقون" لا يرقون غيرهم، لكن جزم ابن تيمية وغيره أن هذه الزيادة غلط، وهم من الراوي، لماذا؟ لأنك كونك ترقي غيرك هذا ما فيه تعلق القلب بغير الله سبحانه وتعالى بل هذا محض إحسان، فلا ينافي التوكل من قريب ولا بعيد، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يرقي، هذه رتبة علية وهي رتبة إحسان، فالصحيح أن زيادتها من باب الوهم وليس من باب الحفظ، هذا بالنسبة لقوله: **"لا يسترقون"**.

"ولا يسترقون"

من هنا تبدأ الرواية الصحيحة المحفوظة، **"لا يسترقون"** وهكذا عند البخاري، البخاري **"لا يسترقون"** ما عنده: "لا يرقون"، **"لا يسترقون"** يعني: لا يطلبون الرقية إذا مرضوا، إذا لُدغوا، يصبر ويحتسب، هو محتاج إليها لكن يأخذ بالحال الأكمل وهو عدم طلب الرقية، إن جاء واحد ورقاه تبرعًا ما يقول له: لا، لماذا؟ لأنه لا يوجد طلب، وأما كونه يطلب يقول: يا فلان ارقني؛ لا ما يفعل هذا ولا يطلب هذا.

طيب لو طلب الرقية هل حرام؟ يأثم؟ لا، لكن ترك الأفضل.

"ولا يكتوون"

إذا مرضوا وقال الطبيب: العلاج الكي، يتركون الكي ما يطلبون الكي، لا يطلبون من أحدٍ أن يكويهم، يقول "تعال اكويني"، لكن لو جاء الطبيب وكشف عليه وكواه من عند نفسه ما في مشكلة، مثل لو جاء ورقاه، لكن هو يقول: اذهبوا ابحثوا لي الكاوي يكويني، "يا فلان تعالى اكويني"، لا يطلب مَن يكويه.

"ولا يتطيرون"

يعني: لا يتشاءمون بالطيور، والتشاؤم بالطيور كان موجودا عند العرب كثيرًا، إذا وقع الغراب على بيت ونعق وصوّت تشاءموا قالوا: يموت واحد في هذا البيت مثلًا، إذا واحد مسافر وجاء الطير وقابله من اليمين إلى اليسار تشاءم به، إذا جاء من اليسار إلى اليمين تفاءل به خيرا، إذا رأى الطير ولا سمع صوت الطير قالوا: خير يا طير، وهذه الكلمة لا تزال موجودة إلى يومنا هذا: خير يا طير.

ابن عباس سمع رجلا يقول: خير يا طير، فقال: "أي خير عند هذا الطير"، ما أدراه، الطير هذا يصوت هو مستأنس، مبسوط، أو جوعان يعبر عن جوعه ما أدراك عنه، أي خيرٍ عند هذا الطير؟ فهذا من الخرافات المتوارثة عبر الأجيال إلى زماننا هذا، فإذًا لا يتطيرون، ولو فرضنا أنك سمعت كلمة ولا رأيت شيئا وتشاءمت به، هذا قد يقع في النفس بدون إرادة منك، لكن ماذا تفعل؟ لا تلتفت إلى هذا الأمر وامضِ على ما عزمت عليه، ولهذا يقول ابن مسعود: "ما منا إلا" يعني يتطير "ولكن الله يُذهبه بالتوكل" فإذا تطيرت فلا تحقق يعني: لا تلتفت لهذا التطير وامضِ لما عزمت عليه، كون هذا الشيء وقع في نفسك هذا أمر غير إرادي.

"وعلى ربهم يتوكلون"

وهذا يفيد الحصر: **"وعلى ربهم يتوكلون"** تقديم المعمول على العامل، مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5] يفيد الحصر، يعني: لا يتوكلون على أحدٍ غيره، قد فوضوا أمورهم إليه، وعلقوا قلوبهم عليه سبحانه وتعالى،

"وعلى ربهم يتوكلون" فهذه صفات المحققين للتوحيد، من صفاتهم: تحقيق التوكل على الله جل وعلا فلا يلتفتون بقلوبهم إلى غيره، ولا يفوضون أمورهم إلى غيره.

هل معنى التوكل ترك الأسباب المباحة؟ لا، التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، أنت تعمل وتأخذ بالسبب المباح والسبب المشروع لكن من تمام التوكل أن تترك الأسباب المكروهة، هذا من كمال التوكل والتوحيد، ولو أخذ العبد بالرخصة واسترقى عندما تشتد به الحاجة فلا إثم عليه، أو طلب مَن يكويه عند اشتداد الحاجة فلا أيضًا حرج عليه.

"فقام عكاشة بن محصن" عكاشة بن محصن الأسدي.

فقال: "يا رسول الله أنا منهم؟ قال: أنت منهم"، وفي رواية مسلم: "ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم".

وهذه فيها معجزة وآية من آيات الله ﷻ الدالة على صدق رسول الله ﷺ، لو تخيلنا مثلًا عكاشة مات مرتدا ماذا صار؟ تخلف خبر النبي ﷺ وصار هذا فيه قدح في صدقه، ولكن انظر الله ﷻ حفظ عكاشة حتى مات على خير ميتة، وخُتم بأحسن خاتمة وهي الشهادة في سبيل الله، فبقي مواظبًا مستقيمًا مؤمنًا بالله ورسوله ومجاهدًا في سبيل الله حتى قُتل أو استشهد في حروب الردة مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

مثل قول الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:1] ثم قال: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد:3] انظر أبو لهب ما أسلم لا ظاهرًا ولا باطنًا؛ يعني كان بإمكانه ماذا يفعل لكي يكذب الرسول؟ كان يتظاهر بالإسلام يقول أنا أموت كافرا على زعمه فأنا مسلم، لكن سبحان الله، وهذه من آيات الله جل وعلا فهو لا أسلم لا ظاهرًا ولا باطنًا، قوله ﷺ: **"أنت منهم"** هذه من آيات الله ﷻ الدالة على صدق عبده ورسوله محمد ﷺ.

"ثم قام جل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة"

هذا من حسن أخلاق النبي ﷺ ما قال: لست منهم فيوقع في نفسه الحزن والكآبة والإحراج أمام الناس، وأيضًا بهذا الأسلوب أقفل الباب على مَن يأتي ويطلب من بعده، لأنه لو قال مثلًا أنت منهم، يقول الثالث يقول: ادع الله أن يجعلني منهم، لو قال: لست منهم وهكذا، يقوم واحد آخر يقول: ادع الله أن يجعلني منهم، يصير نصيب مثل نصيب عكاشة وأيضًا ما يتسكر الباب هذا، لكن لما قال: **"سبقك بها عكاشة"** خلاص، لو واحد كان في باله يطلب من الرسول لما سمع الجواب هذا سكت ولم يطلب.

أيضًا في هذا الجواب تقرير لقاعدة سد الذرائع، كيف يعني سد الذرائع في هذا الحديث؟ لو فُتح الباب ربما طلب هذا الطلب مَن ليس أهلًا له، نعرف أن مجالس النبي ﷺ قد يحضرها بعض المنافقين، فحتى لا يطلبها مَن ليس أهلًا لها أقفل النبي ﷺ هذا الباب، وحتى قد يكون أيضًا مؤمنا لكنه ليس من السبعين ألف، ليس شرط أن يكون منافقا، قد يكون أيضًا من أهل الإيمان والصلاح والاستقامة لكنه ليس من السبعين، فحتى لا يدخل في هذا الباب مَن ليس منه أقفل النبي ﷺ الباب على من أراد أن يسأل بعد عكاشة.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المحققين للتوحيد، هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على الْعبيد

3 – باب خوف من الشرك

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

1437هـ

3 - باب خوف من الشرك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى المتوفى سنة ألف ومائتين وستة (**1206**) للهجرة، يقول في كتابه التوحيد: **"باب الخوف من الشرك"**.

تقدير الكلام: باب وجوب الخوف من الشرك؛ ومعنى **الخوف**: الغم من أمرٍ في المستقبل، وبما أنه غم من هذا الشيء فمعنى ذلك: أن هذا الشيء مكروه وليس بمحبوب، لو كان هذا الشيء الذي في المستقبل محبوبا لكان الشعور فرح وليس خوف، ويقابل الخوف **الحزن**، وهو: الغم على أمرٍ فائت، ولهذا تجد في الآيات الجمع بين الخوف والحزن: ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:62] لا يحزنون على ما فات من الدنيا ولا يخافون مما سيقدمون عليه.

والشرك مصدر وهو جعل شريك لله سبحانه وتعالى في العبادة، سواءً كانت هذه العبادة قولا بالدعاء، أو عملًا كالذبح، أو عملًا قلبيًا كالمحبة، أو عملًا ماليًا كالنذر المالي، وأيًا كانت وأي كان هذا الذي أُشرك به مع الله نبيا أو ملكًا أو شجرا أو حجرا أو غير ذلك.

الخوف من الشرك واجب وهكذا أيضًا الخوف من المعاصي جميعها؛ لأنها موجبة لغضب الله سبحانه وتعالى، **ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد** أن الشرك يضاد التوحيد من كل وجه، يضاد التوحيد من أصله فوجب الخوف منه.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48].

هذا بيان سبب من أسباب الخوف من الشرك، إنه ذنبٌ لا يغفره الله أي: في حق مَن مات عليه، أما مَن تاب منه في الحياة فإن الله يتوب عليه، وهذه في حق الأموات، في حق مَن مات عليه:

- قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:53].
- وفي الحديث الصحيح: "الإسلام يجُب ما كان قبله".

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فمَن مات على الشرك الأكبر فهو خالد مخلد في النار والعياذ بالله، الجنة عليه حرام، كما في الآية: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة:72].

3 - باب خوف من الشرك

وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48].

يعني: ما دون الشرك كالقتل ظلما وعدوانا، كالزنى، شرب الخمر، وغير ذلك من الكبائر والصغائر، يبشر الله عباده أن من مات موحدًا وقد تلطخ بشيءٍ من هذه القاذورات فإنها قابلة للمغفرة، يبشرهم بذلك حتى لا يقنطوا من رحمته.

وهذه المغفرة لأصحاب الكبائر تكون لبعضهم دون بعض، ومعنى ذلك:

- أن من أهل الكبائر من يغفر الله له ويُدخله الجنة دون سابق عذاب،
- ومنهم مَن يُدخله النار أولًا ثم يُخرجهم بعد العذاب إلى الجنة كما في أحاديث الشفاعة المعروفة،

وفيها إخراج أهل الكبائر من النار، وهم عدد عظيم، يُحد الله للملائكة حدا فيُخرجون منهم، ويُحد للأنبياء حدا ويُخرجون منهم، ويُحد للصالحين حدا فيُخرجون منهم، ثم الله بعد ذلك يُخرج بفضله ورحمته، فهذا يدل على خطورة الكبائر وأن كثير من الناس يدخل النار بسببها وإن ماتوا على التوحيد، فإذا كان الشرك ذنبًا لا يُغفر وجب الخوف منه أشد الخوف.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:35].

الآية الثانية: "**وقال الخليل**" الخليل من الخُلة، وهي أعلى درجات المحبة، ولم يصل إلى هذه الرتبة إلا:

- إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:125]،
- ونبينا ﷺ فقد ثبتت خُلته بالسنة الصحيحة، "ولكن صاحبكم خليل الرحمن"

ولما صرح الجعد بن درهم بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى في القصة المشهورة المعروفة.

﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ يعني: اجعلني أنا وأبنائي في جانب وعبادة الأصنام في جانبٍ آخر بعيد، هذا، ﴿وَبَنِيَّ﴾يعني: أبنائي، ذريتي، سواء أولاده من صلبه أو مَن بعده، يدعو لبنيه، ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ أن وما بعدها مؤولة بمصدر، يعني: جنبني عبادة الأصنام، الأصنام جمع صنم، **والصنم**: ما نُحت على صورة إنسان أو حيوان.

وأما **الوثن**: فما عُبد من دون الله كالشجر، الحجر، القبر، هذه تسمى أوثان، الوثن أعم من الصنم، فما عُبد من الأصنام أو القبور أو الأشجار أو الأحجار كل هذه تسمى أوثان، لكن مما عُبد مما نُحت على صورة هذا الذي يسمى بالصنم.

﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ **دلالة هذه الآية على وجوب الخوف من الشرك** أنه إذا كان:

- إمام الحنفاء،
- وأبو الأنبياء،
- والذي كسر الأصنام،
- والذي ابتلاه ربه بكلمات فأتمهن،
- والذي شُرعت له الشرائع فوفى بها،
- والذي اتخذه الله خليلًا،

ومع ذلك يخاف من الشرك ولا يأمن الشرك فغيره من باب أولى أن يخاف منه، كما قال **إبراهيم التيمي**: "ومَن يأمن البلاء بعد إبراهيم".

وفي هذه الآية رد على الذين يقولون: إن الموحدين لا يمكن أن يعودوا إلى الشرك ولاسيما في هذه الأمة، فإذا كان إمام الموحدين يخاف على نفسه وعلى أبنائه وفيهم الأبياء، فكيف نأمن على أنفسنا نحن؟! وهؤلاء الذين أمنوا مكر الله وقعوا فيه، وبهذا عادت مظاهر الشرك والوثنية لكثير من الناس في هذه الأمة، فلما ظهر التصوف، ظهر التشيع والرفض والغلو، أشركوا مع الله سبحانه وتعالى بعض الخلق، عبدوا القبور، عبدوا بعض أهل البيت، عبدوا بعض مشايخ الطرق، وهذا هو الشرك، صرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، وسيأتي مزيد لهذا إن شاء الله مما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأصنام.

وفي الحديث: "أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر"، فسئل عنه، فقال: "الرياء"

"**وفي الحديث**" يعني: في الحديث الذي أخرجه أحمد من طريق عمر بن أبي عمرو، عن عاصم بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن النبي ﷺ أنه قال:

3 - باب خوف من الشرك

"أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسئل عنه" يعني: ما هو؟ **"فقال: الرياء، إن الله يقول للمرائين: اذهبوا للذين كنتم تراءون فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً"**.

وهذا إسناده حسن، تتمته بعد الجزء الذي ذكره المؤلف: "إن الله يقول للمرائين: اذهبوا للذين كنتم تراءون فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً" ومحمود بن لبيد صحابي صغير لكنه سمع من النبي ﷺ وأدركه وهو مميز يعقل ويحفظ ويهفم.

"أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر" خاف النبي ﷺ هذا البلاء على أمته لكمال شفقته ونصحه، ما خاف علينا الفقر، ولا خاف علينا النقص في أمر الدنيا، الله تكفل برزق عباده، ولكن خاف علينا ما هو أخطر من ذلك بكثير، ألا وهو ما يضر بالعبد في دنياه وآخرته؛ وهو الشرك، وهنا قال: **"الشرك الأصغر"** وفسره بالرياء.

"فسُئل عنه" الصحابة يسألون عما يُشكل للتعلم والفهم وليس للتعنت، ولهذا الأشياء الواضحة ما يسألون عنها، ومن هنا أخذ أهل العلم أن الصفات تمر على ما جاءت عليه؛ لأن الصحابة لم يستشكلوا معانيها فدل على أن المراد بها هو ظاهرها، لو لم يكن هذا المراد لاستشكلوا وسألوا النبي ﷺ، وكأن الصحابة كانوا يعرفون الشرك الأكبر الذي هو صرف العبادة لغير الله، لكن لما سمعوا الشرك الأصغر أشكل عليهم أمر فسألوا عنه: ما هو هذا الشرك؟ **فقال: "الرياء"**.

الرياء: أن تُري الناس عملك ليمدحوك ويُثنوا عليك، هذا معنى الرياء، تصلي أمامهم، تتصدق أمامهم، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أمامهم، ونحو ذلك من أجل أن يمدحوك، ففي الصحيح يقول ﷺ: "مَن راءى رَاءى الله به ومَن سَمّع سمَّع الله به" فالمراءاة تكون في العبادات العملية، والتسميع يكون في العبادات القولية، يقرأ القرآن ويزين صوته حتى يسمعه الناس فيمدحوه، أو يعمل العمل في السر ثم يتحدث به في العلانية أمام الناس حتى يمدحوه.

وليس الشرك الأصغر محصور في الرياء بل هذا نوع من أنواعه، فالعلماء يقولون في **تعريف الشرك الأصغر**: ما سماه الشارع شركًا ولا يبلغ الشرك الأكبر، ومنه الشيء الباطن كما سمعنا الرياء، ومنه القولي مثل العطف على الله ﷻ بالواو "كما شاء الله وشئت"، "ولو البط لسرق اللصوص" ومنه أيضًا الحلف بغير الله، كل هذا من الشرك الأصغر، فمنه قولي، ومنه عملي، ومنه ظاهر، ومنه باطن.

3 - باب خوف من الشرك

والرياء من أعظم الآفات التي تصيب وتدخل على الصالحين، تجده محتاط في أكله وشربه لا يأكل إلا حلال، تجده محتاط في القيام بالحقوق التي عليه، تجده مثلًا بارًا بوالديه وكذا، ولكن يتسلط عليه الشيطان ويدخل عليه من جهة الرياء؛ فيُفسد عليه طاعته، ومن خطورة الرياء أنه يحبط العمل الذي خالطه كما في الحديث: "مَن عمل عملًا أشرك معيَ فيه غيري تركته وشركه".

فإذا كان الرياء مقارن بأصل العمل، يعني قام، يصلي وتصدق، قرأ القرآن، وهو يريد الأجر ويريد المدح سواء، فهذا العمل حابط والعياذ بالله، فإذا اقترنت النيتان سواء حبط وبطل ذلك العمل، وإن كان أصل العمل لله قام يصلي لله، قام يقرأ القرآن لله، قام يتصدق لله ﷻ، ثم طغت بعد ذلك نية الرياء، فأخذ يزين عمله، فهنا إن جاهد نفسه صلح العمل وإن استمر هذا الرياء إلى آخر العمل، فإنه على خطر عظيم أن يكون قد حبط العمل كله أوله وآخره.

وجاء في بعض الأحاديث تفسير الشرك الأصغر بيسير الرياء، إضافة الوصف يسير، **فالرياء على نوعين**: يسير، كثير:

- **والكثير** المقصود به رياء المنافقين، وهو: أن يُظهر الإسلام ويبطن الكفر، هذا كثير الرياء،
- **وأما يسير** الرياء فهو أن يكون مؤمن، موحد ظاهرًا وباطنًا ولكن يرائي الناس ببعض أعماله حتى يُمدح ويُثنى عليه.

والفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

- **الفرق الأول**: أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:88]، وأما الشرك الأصغر، فإنه يحبط العمل الذي خالطه وقارنه.
- **الفرق الثاني**: أن الشرك الأكبر يُخرج من الملة، وأما الشرك الأصغر فلا يُخرج من الملة.
- **الفرق الثالث**: أن الشرك الأكبر يوجب الخلود في النار لمن مات عليه، والشرك الأصغر لا يوجب الخلود في النار لمن مات عليه.
- **الفرق الرابع**: أن الشرك الأكبر يبيح الدم والمال والعرض، وأما الشرك الأصغر فلا يبيح شيئًا من ذلك.

- **الفرق الخامس**: أن الشرك الأكبر يوجب البراء التام الكامل فلا يوالى صاحبه، ولا يُواد، وأما صاحب الشرك الأصغر فلا.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار رواه البخاري.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **"وعن ابن مسعود"** تقدم أنه عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذلي، أحد علماء الصحابة فقهائهم، توفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين (**32**) من الهجرة.

أن رسول الله ﷺ قال: **"من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار"**.

هذا الحديث في صحيح البخاري أوله يقول ابن مسعود: "قال رسول الله كلمة وأنا قلت أخرى، قال ﷺ: من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار، قال: وقلت أنا: ومَن مات وهو لا يدعو لله ندًا دخل الجنة".

"مَن مات وهو يدعو لله ندًا" الند يعني: المثل، والمساوي، وليس المقصود أن يساوي بالند، أن يساويه بالله في كل شيء، إنما المقصود أن يساويه بصرف شيئا من العبادة ولو كان يعتقد أن الله ﷻ أعلى وأعظم وأجل من هذا الند، المشركون الذين عبدوا الأصنام، والذين عبدوا الأولياء، والذين عبدوا الملائكة ما زعموا أن آلهتهم مثل الله في كل شيء؛ ولهذا نجدهم في حال الشدة ماذا يفعلون؟ يخلصون الدعاء لله؛ لأنهم يعلمون أن الله ﷻ أعظم وأعلى وأجل من آلهتهم التي يشركون بها مع الله، ومع ذلك مع اعتقادهم هذا الفرق قالوا في نار جهنم: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:97-98].

فهذه تسوية وإن كانوا لا يعتقدون تسويتهم بالله في كل شيء، وهم صرحوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:3] فدل على أنهم يعتقدونهم درجة أقل من درجة الله سبحانه وتعالى، أنهم في رتبة دون رتبة الله جل وعلا، فهم عبدوهم قصدا، عبدوهم ليكونوا واسطة لهم إلى الله سبحانه وتعالى، فمَن صرف شيئًا من العبادة لغير الله فقد سوى هذا الغير بالله وجعله لله ندًا.

"رواه البخاري" واسمه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ الجُعفي مولاهم، توفي آخر يوم في رمضان سنة مائتين وستة وخمسين (**256**) من الهجرة في قرية تسمى خَرتنك، واسم كتابه المشهور بصحيح البخاري لكن قالوا اسمه: "الجامع الصحيح المختصر المسند من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه

وأيامه" هذا عنوان الكتاب، ويقولون أنه لم يكتب مقدمة للكتاب اكتفاءً بهذا العنوان، أن فيه بيان موضوع هذا الكتاب وما تضمنه.

ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار.

ثم قال: "**ولمسلم عن جابر**" جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السَلَمي، نسبةً إلى بني سَلِمة، أما إذا مر عليك السُلمي فهو نسبة إلى بني سُليم، أحد مكثرين الحديث وهم سبعة كما تقدم، والمقصود بالمكثرين الذين تجاوزت رواياتهم ألف حديث، فالذي تجاوزت روايته ألف حديث فهذا يسمى مكثر، عُمّر رضي الله عنه وأرضاه حتى توفي بعد السبعين (**70**) عن أربعة وتسعين (**94**) سنة.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لقي الله". يعني: مات. **"مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه"** يعني: مات **"يشرك به شيئًا دخل النار"**.

هذا فيه وعد ووعيد، وفيه ترغيب وترهيب، فيه رجاء وخوف، وفيه بيان قرب الجنة والنار، قريبة ما بينك وبينها إلا الموت،

- فمَن لقي الله قد حقق التوحيد توحيدًا كاملًا دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب،
- ومَن لقي الله موحدا ولكنه خلط التوحيد بعمل سيء من الكبائر أو البدع غير المكفرة ونحو ذلك، فهذا أمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة.

ومعنى ذلك: أن مَن لقي الله لا يشرك به آخر أمره إلى الجنة ولابد تفضلًا من الله.

"ومَن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار" مَن لقي الله يشرك به شيئًا شركًا أكبر، فهو في النار خالد مخلد فيها، لا تتناوله المغفرة ولا تسعه رحمة الله، ولا تنفعه شفاعة الشافعين، نسأل الله العافية فأولئك يئسوا من رحمته، وأما إن لقي الله بشرك دون الشرك الأكبر:

❖ فمن أهل العلم مَن قال: **لابد أن يعذب** وقصدهم بذلك أنه يُعذب عذابًا مؤقتا ثم يدخل الجنة.

3 - باب خوف من الشرك

❖ ومنهم مَن يقول: أن الشرك الأصغر **داخل في المغفرة**؛ يعني: داخل في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء:48] فأمره إلى الله إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة، وإن شاء غفر له وتجاوز عنه وأدخله الجنة دون سابق عذاب، وهذا يدل على خطورة الشرك.

وإذا كان الشرك هو أخطر شيء، فإن من الواجب تعلمه ومعرفة أنواعه؛ لأنك إذا لم تعرفه كيف تحذر منه وكيف تهرب منه؟ الآن ما الذي يجعلك تهرب من الشيء الخطير عليك؟ علمك بخطره، ولهذا لو جئنا لطفل وأتينا له بحية، رمينا له حية وهو طفل صغير يمكن يبتسم ويضحك ويريد أن يلعب بها، لماذا لم يهرب، لماذا لم يبك؟ لأنه ما يعرف خطورتها، لكن الشخص الذي يعرف أن هذا الحيوان خطير وأنه قاتل وأنه مهلك تجده يهرب ويفر ويأخذ بأسباب السلامة والنجاة، فهكذا الذي يعرف الشرك وأراد الله به خيرا، فإنه يهرب منه وينهى عنه ويحذره، بخلاف مَن يجهل الشرك؛ فإنه قد يقع فيه وهو لا يدري.

فهذا الباب يوجب علينا الخوف من الشرك ويوجب علينا أيضًا تعلم الشرك ومعرفة ما هو الشرك حتى نحذره ونجتنبه كما قال حذيفة في الصحيحين: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"، وقال عمر رضي الله عنه: "إنما تُنقض عُرى الإسلام عروة عُروة إذا نشأ في الإسلام مَن لا يعرف الجاهلية".

نسأل الله أن يجنبنا الشرك كله أكبره وأصغره، وظاهره وباطنه، وسره وعلانيته، وأن يمسكنا وإياكم بالتوحيد الخالص إلى يوم نلقاه، هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

4 – باب الدعاء إلى شهادة لا إله إلا الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

1437هـ

4 – باب الدعاء إلى شهادة لا إله إلا الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى المجدد لما اندرس من معالم الدين في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، المتوفي في الدرعية سنة ألف ومائتين وستة للهجرة.

يقول: "**باب الدعاء إلى شهادة لا إله إلا الله**" تقدير الكلام: باب وجوب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وفضيلته، وذلك أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله أو الدعوة إلى التوحيد واجبة، ولكنها واجبة على الكفاية، فإذا قام بها سقط الإثم عن الباقين، كما قال سبحانه وتعالى:

- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران:104].
- ومما يدل على وجوب الدعوة إلى الله أيضًا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل:125]،
- وقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر:94] وغير ذلك من الأدلة.

وأما فضل الدعوة إلى التوحيد فقد بين النبي ﷺ في قصة علي: "والله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النعم"، ومن فضيلة الدعوة إلى الله أنه يتحقق بها اتباع النبي ﷺ كما في قوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

والدعوة إلى التوحيد هي وظيفة أهل العلم، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ يعني: على علم وبينة، أما الجهال فإنهم يفسدون أكثر مما يصلحون، ومناسبة هذه الترجمة لكتاب التوحيد، أنه لما بين وجوب التوحيد وفضل التوحيد، وخطر ما يضاد التوحيد ناسب أن يورد هذا الباب الذي فيه حث الغير على تكميل أنفسهم بالتوحيد، وتخليص أنفسهم مما يضاده، فهذا من أعظم الإحسان إلى الخلق، كما أن الله تفضل عليك وهداك للتوحيد والبراءة من الشرك فاسعَ إلى تخليص غيرك من الشرك.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:108].

(قل) الخطاب للنبي ﷺ، وقد جرت عادة كثير من المفسرين أن يقولوا في مثل هذا المقام: قل يا محمد، ونبه بعض أهل العلم إلى أن الأسلوب الأحسن أن يقال: قل يا أيها الرسول، أو قل يا أيها النبي؛ لأن الله ﷻ لم

4 – باب الدعاء إلى شهادة لا إله إلا الله

يخاطب النبي ﷺ باسمه المجرد، ما يخاطبه إلا بـ "يا أيها الرسول، أو يا أيها النبي"، أما غيره من الرسل فيناديهم بأسمائهم المجردة: يا إبراهيم، يا نوح، يا موسى ونحو ذلك، وكما قلت هذا أمر جرت به عادة أهل العلم أيضًا أن يذكر هذا التقدير: قل يا محمد.

﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ هذه إشارة إلى المعروف والمعلوم في الذهن، أو إلى الذي سيأتي ذكره، والسبيل: الطريق، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ ما هي؟

قال: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ يعني:

- أدعو إلى **عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه،**
- أيضًا يدعو إلى **ما شرعه الله من الشرائع،** فهو لا يدعو إلى طلب ملك ورئاسة، ولا يدعو إلى تنظيم بشري، أفكار بشرية لا، إنما يدعو إلى ما شرعه الله، يدعو إلى الله،
- والمعنى الثالث مما يدخل في قوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ يعني: **أدعو إلى الله أريد وجه الله** سبحانه وتعالى ولا أدعو إلى نفسي لتمدحوني، أو لأجل حظ من حظوظ الدنيا، ففيه بيان الإخلاص في الدعوة إلى الله. إذًا:

❖ ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه،

❖ ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ أدعو إلى ما شرعه الله ولا أدعو إلى شيء جئت به من عند نفسي،

❖ ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ يعني: أريد وجه الله سبحانه وتعالى لا أريد حظًا من حظوظ الدنيا،

فعلى الداعي إلى الله أن يعتني بهذه الأمور الثلاثة، أن يعتني بالدعوة إلى التوحيد، أن يعتني بالدعوة إلى ما شرع الله، قال الله وقال رسوله، وأن يجاهد نفسه على الإخلاص في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: على علم، العلم كالبصر، البصيرة في القلب والبصر في العين، وذلك أن العلم يميز لك الحق من الباطل، كما أن البصر يميز لك ما أمامك، فتجتنب في الطريق ما يضرك من حفرة أو شوك أو وحل وتسلك الطريقة السليمة، وهكذا العلم بإذن الله يكشف لك ويبين لك الحق من الباطل.

﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يعني: ومَن اتبعني كذلك على بصيرة من أمرهم، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أيضًا يدعون إلى الله جل وعلا، فإذًا هي خصلتان:

- البصيرة،
- والدعوة إلى الله،

وهذه طريقة النبي ﷺ، وهذه أيضًا صفة أتباعه على الحقيقة، جمعوا بين الأمرين: الدعوة إلى الله، وأنهم على بصيرة مبينة من أمرهم، **وهذا فيه تنبيه** على ضرورة العلم قبل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ينبغي أن نلاحظ أن الجماعات الدعوية التي ظهرت ونشأت في هذا العصر تكاد تتفق على إهمال العلم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ولهذا يصدّرون ويقدّمون في الدعوة إلى الله الجهال، ما درسوا ولا تعلموا العلم الشرعي ولهذا أفسدوا كثيرا، تركوا بسبب هذا أهم ما يُدعى إليه وهو الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه، أو صرفوا بسبب الجهل أو الهوى مقصود الدعوة، بدل ما يكون مقصود الدعوة إخراج الناس من عبادة الأضرحة والقبور والأوثان وغيرها صار هدف الدعوة وقصد الدعوة عندهم الوصول إلى كرسي الحكم، فهذه من آثار مجانبة طريقة النبي ﷺ والأنبياء من قبله في الدعوة إلى الله جل وعلا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله" وفي رواية: إلى أن يوحِّدوا الله. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرد على فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" أخرجاه.

ثم قال رحمه الله: **"عن ابن عباس"** تقدم أنه عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ، وحَبْر هذه الأمة، وترجمان القرآن، توفي في قريش سنة ثمانية وستين **(68)** من الهجرة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن.

"**معاذ بن جبل**" تقدم في أول حديث في كتاب التوحيد، وهذا الإرسال بعثه يعني: أرسله، كان في آخر حياة النبي ﷺ، السنة العاشرة (10) من الهجرة، وقد ذكر بعض العلماء أن النبي ﷺ أرسل معاذًا إلى اليمن حتى يستعين بهذه الولاية على الكسب المباح، وذلك أنه يُروى أن النبي ﷺ حجر على معاذٍ ماله، فباع ماله حتى يسدد غرمائه، وكان معاذ رجل سمْحا، جوادا، كريما، ويأتيه الناس يقصدونه في حاجاتهم، فإن كان عنده أعطاهم، ليس عنده يستلف ويقترض ويعطي مَن سأله، فكثرت عليه الحقوق والديون، وصار أصحاب الحقوق يطالبون بحقوقهم، فما صار؟ صارت الديون التي عليه أكثر من المال الذي عنده، وحجر النبي ﷺ عليه، وهذا الحجر لمصلحة الغير؛ يعني: يُمنع من التصرف في ماله، ثم باع هذا المال وسدد به الغرماء.

ثم ذكر يقول بعض أهل العلم: أن النبي ﷺ واساه بأن أرسله إلى اليمن قاضيا وواليا ومعلما وداعيا إلى الخير، ويأخذ حقه من بيت المال، يأخذ نصيبه من بيت المال، وكان هذا كما قلت في آخر حياة النبي ﷺ وذلك في السنة العاشرة (10) من الهجرة، فما رجع معاذ إلا وقد مات النبي ﷺ.

قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب**».

يعني: من اليهود والنصارى، كانت اليمن فيها الوثنية، وفيها اليهودية، وفيها النصرانية، وأيضًا قد يكون فيها في ذلك الوقت مجوس؛ لأنها تتعرض كثيرًا لحكم فارس، وأما بعد ذلك ففي طائفة يقال لهم: البانيان، من المجوس موجودون في اليمن، وإذا قيل فلان من الأبناء يعني: من أبناء فارس الذين كانوا مستقرين في اليمن.

المقصود: أن الثقافات في اليمن كانت متعددة، وثنيون، كتابيون، مجوس، فالذي يذهب إلى تلك البلاد يدعو إلى الله ينبغي أن يكون مستعدًا بما عند هؤلاء القوم من العلوم ومن الشبهات حتى يستطيع أن يدفعها ويردها وينقضها، فليست دعوة العالم مثل دعوة الجاهل، كلٌ له خطابه، وله أسلوب، وله المداخل والمخارج التي يتكلم بها معهم.

«**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب**» يعني: فاستعد لهم، وأنتم الآن أمامي من بلاد متنوعة، متعددة، وستعودون إن شاء الله دعاة إلى الله سبحانه وتعالى بعدما تنتهون من دراساتكم، فتستعدون أيضًا لما عند قومكم من الشبهات، الانحرافات بالعلم الصحيح وبالحُجة حتى يكون لدعوتكم أثر أبلغ بإذن الله سبحانه وتعالى، فالبلد الذي فيه شيعة غير البلد الذي فيه مدارس عقلانية، غير البلد الذي فيه يهود، غير البلد الذي فيه مثلًا تصوف، وهكذا، فيحتاج طالب العلم أن يتزود ويتسلح بالعلم الشرعي، تدرس الحق حتى تدعو إليه، وتدرس المهم من الباطل حتى تستطيع أن تنقضه وترد عليه.

4 – باب الدعاء إلى شهادة لا إله إلا الله

«**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**».

يعني: وأن محمدًا رسول الله؛ لأن هذه تابعة لها، هم لو شهدوا أن لا إله إلا الله ولكن رفضوا أن يشهدوا أن محمدًا رسول الله؛ ما قُبلت منهم، وبالنسبة للضبط يصلح أن تقول: فليكم أولَ، ويصلح أن تقول: فلكن أولُ، فإذا جعلتها أولَ ترفع شهادةُ أن لا إله إلا الله، وإن جعلت أولُ بالضم فتنصب شهادةَ أن لا إله إلا الله على أنها خبر كان.

وفي رواية: «**إلى أن يوحدوا الله**» يعني: في العبادة، فهذا يدلك على تفسير هذه الكلمة وأن لا إله إلا الله هي الإسلام، لا إله إلا الله هي إفراد الله بالعبادة، لا إله إلا الله هي التوحيد، لا إله إلا الله هي عبادة الله وحده، «**إلى أن يوحدوا الله**»، إلى شهادة أن لا إله إلا الله، إلى عبادة الله، فمعناها: أن يُفردوا الله ﷻ بالعبادة ويتبرءوا من عبادة ما سواه.

فهذا أهم المهمات في الدعوة إلى الله، الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة وهذا الذي يفرق اليوم بين دعوة أهل السنة واتباع السلف الصالح، وبين الدعوات المخترعة المبتدعة، ما في داعي اليوم أو كالحركة تدعو إلى إفراد الله بالعبادة كما أمر الله ورسوله ﷺ، إلا أهل العلم من أتباع السلف الصالح، ولهذا تجد هذه الجماعات في بيئات وبلاد تكثر فيها القبور، تكثر فيها الأضرحة، تكثر فيها مظاهر الشرك سواءً أكبر ولا أصغر، لا يحركون فيه ساكنًا، النبي ﷺ انظر إلى دعوته: «**أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**».

هم يقولون: نحن في بلد إسلامي، بلد مسلم، كيف ندعو للتوحيد؟ قد تكون في بلد مسلم فيه شركيات، المساجد ما يكاد يخلو المسجد من قبر أو ضريح، ولاسيما المساجد الكبيرة، هذه صورة من صور الشرك، هذا قبر يطاف به، يُنذر له في بيئة يكثر فيها الاستغاثة بالأولياء، ولو قيل أن هذا بلد مسلم خلاص ما تُنكر مثل هذه المظاهر الشركية؟ الجواب: لا، النبي ﷺ أنكر على مَن قال: "اجعل لنا ذات أنواط"، أليس كذلك؟ وهم صحابة مؤمنون بالله وبرسوله، ويجاهدون تحت رايته، لكن الغلط يُنكر، الخطأ يُنكر ويُرد.

ولكن الذي يمنعهم من الدعوة إلى التوحيد، طبعًا الموانع كثيرة ولكن منها: أنهم لا يريدون أن يخسروا الجماهير والناس، فهم في الحقيقة ما دعوا إلى الله إنما دعوا إلى حظوظ أنفسهم وإلى حظوظ جماعاتهم.

«**فإن هم أطاعوك لذلك**» يعني: أول ما يُدعون إلى الدخول في التوحيد، قبلوا التوحيد دعوناهم إلى ما بعده وهو الصلاة «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**» فهذه تأتي في الأهمية بعد التوحيد، هي الركن الثاني من أركان الإسلام.

«فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترُد على فقرائهم».

صدقة المقصود بها: الزكاة المفروضة، تسمى صدقة؛ لأنها من فوائدها أنها تدل على صدق الإيمان، **«تؤخذ من أغنيائهم»** الغني المقصود به هنا: مَن ملك نصاب الزكاة، ولو لم يكن في عرف الناس أنه من الأغنياء الأثرياء، لكن المقصود هنا بالغني: مَن ملك النصاب وحال عليه الحول هذا الغني، فشخص عنده أربعون رأس من الغنم سائمة وحال عليها الحول هذا يسمى غني وجبت عليه الزكاة.

«تؤخذ من أغنيائهم فترُد على فقرائهم» نص على الفقراء لأنهم أهم أصناف الزكاة الثمانية، ولهذا بدأ الله بهم: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة:60] فهم أهم الأصناف الثمانية التي تُصرف فيهم الزكاة، وليس المقصود أنه لا يُعطى غيرهم من الأصناف الثمانية؛ لا، إذا وُجد شيء من هذه الأصناف الثمانية فيُعطون، لكن ينبغي الاهتمام والعناية بالفقراء، وأيضًا يدل على أنه لو وُجدت أصناف من أصناف الزكاة وأُعطيت الزكاة لصنفٍ واحد برأت الذمة بذلك.

«فترُد على فقرائهم» دليل لمن قال: إن الزكاة لا تُنقل من البلد، وإنما تؤخذ من أغنياء البلد وتُعطى لفقراء البلد، فما تُنقل الزكاة من بلد إلى بلد؛ لأن فقراء البلد أولى بزكاة أغنيائهم، وذلك أنهم يرون أموال الأغنياء أمام أعينهم، فإذا أُخذت منهم ونُقلت إلى بلدٍ آخر وقع في أنفسهم كما يقال الحقد أو الغيظ أو نحو ذلك، كيف هذه الأموال تخرج من بين أيدينا ومن أمام أعيننا وتُنقل إلى بلادٍ أخرى، ألسنا أولى؟!

فالصواب: أن الزكاة تُعطى لفقراء البلد نفسه، لكن إن لم يوجد فيها فقراء فتُنقل إلى مَنْ بعدهم، وإذا قُدر أنه قورن بين فقراء هذا البلد وفقراء آخرون في بلد آخر ووُجد أنهم أشد حاجة فلا مانع من نقلها لهم للمصلحة الطارئة، وذلك أنه من معاني: **«تؤخذ من أغنيائهم فترُد على فقرائهم»** يعني: تؤخذ من أغنياء المسلمين وترُد على فقراء المسلمين، وإذا كان أهل هذا البلد المسلمون فكذلك الفقراء في بلد آخر أيضًا مسلمون فيكونون من أهل هذه الزكاة، لكن لا ينبغي نقلها إلا لمصلحة كبيرة تقتضي ذلك **«تؤخذ من أغنيائهم فترُد على فقرائهم»** يعني: من باب المواساة.

«فإن هم أطاعوك لذلك» يعني: أقروا بفرضية الزكاة وخضعوا لها.

«فإياك وكرائم أموالهم» الأموال تقسم ثلاثة أقسام:

- مال كريم،

- مال **حقير**،
- مال **وسط** بينهما.

فإذا كان المال كله كريم أُخذت منه الزكاة، وإذا كان المال كله حقير أُخذت الزكاة منه، وأما إذا كان المال فيه كذا وكذا فيؤخذ من الوسط، أما إن تبرع صاحب الزكاة، تبرع بالمال الكريم يُخرج في الصدقة فيؤخذ منه.

«**فإياك وكرائم أموالهم**» يعني: لا تجبرهم على إخراج الزكاة من المال الكريم، خذ من الوسط، لا تأخذ من الكريم فتضر صاحب المال، ولا تأخذ الحقير فتضر بالفقير، ولكن خذ الوسط، لكن إن صاحب الزكاة وصاحب المال هو تبرع بإخراج المال الكريم ليُعطى للفقراء فجزاه الله خيرا، يُقبل منه وتؤخذ ويُشكر ويُدعى له؛ لأنه طبق قول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:92] فأنفق أحسن ما عنده، «**فإياك وكرائم أموالهم**» يعني: لا تجبرهم على إخراجها في الزكاة.

«**واتق دعوة المظلوم**» سواءً مسلم أو كافر.

«**فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» فيستجيب الله ﷻ للداعي المظلوم على مَن ظلمه، ولو كان هذا المظلوم كافرًا أو فاسقًا، وكان الظالم مسلمًا أو عبدًا صالحًا، ففيه التحذير من الظلم، لا تظلم زوجة، لا تظلم ولدا، لا تظلم موظفا تحت يدك، لا تظلم خادما عندك، لا تنظر إلى ضعف هذا المظلوم ولكن انظر إلى قوة الذي حرم عليك الظلم ونهاك عنه.

"**أخرجاه**" يعني: البخاري ومسلم.

ولهما عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: "لأعطين الراية غدًا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها: فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه. فأرسلوا إليه فأُتي به، فبصق في عينيه ; ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية فقال: أنفُذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم

ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم".

ولهما عن سهل بن سعد ابن مالك الساعدي، أحد المعمرين من أصحاب الرسول ﷺ.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدًا».

يوم خيبر يعني: معركة خيبر، فتح خيبر كانت في السنة السابعة من الهجرة، وخيبر في شمال المدينة هي عبارة عن سبعة حصون تقريبًا، كل حصن فيه طائفة من اليهود، فكان فتح خيبر بالتدرج كل مرة يفتحون حصن، يحاصرون حصنًا حتى يفتحه الله على أيديهم، فإذا انتهوا من الأول انتقلوا للثاني وهكذا.

والحصون: هي عبارة عن بيوت منيعة جدًا لا يمكن تجاوز أسوارها وأبوابها إلا بشق الأنفس، وتكون معدة ومهيأة بالطعام والشراب الذي يكفي أهل الحصن مدة، تختلف وتتفاوت، يقدرون مثلًا لو جاء العدو أراد يحاصرها كم يستطيع العدو أن يحاصرها؟ فيقدرون مثلًا لا يستطيع العدو أن يحاصرهم أكثر من شهرين، فيخزنون في هذه الحصون مئونة مثلًا ثلاثة أشهر احتياطًا، فإذا هجم العدو وحاصرهم أغلقوا أبواب الحصن وفي داخل هذا الحصن يأكلون ويشربون ويقتاتون بما فيه حتى يمل العدو ويشعر بالخطر فينصرف عنهم، هذه كانت فكرة الحصون، الذي يسمى اليوم عندنا بالخزانة الإستراتيجية.

الشاهد: أن هذه الحصون كان تُحاصر حصن بعد حصن، فأحد الحصون كان شديد جدًا ومنيع واستعصى على الصحابة فتحه، كلما حاولوا لم يستطيعوا، فقال النبي ﷺ ليلة من الليالي:

«لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»

يعني: هذه شهادة لمعين:

- بأن هذا المعين يحب الله ورسوله،
- وهذا المعين يحبه الله ورسوله،
- وهذا المعين أيضًا سيفتح الله على يديه بشارة،

كل مؤمن بشكل عام يحب الله ورسوله، لو ما أحب الله ورسوله فهو ليس بمؤمن، وأيضًا كل مؤمن يحبه الله ورسوله، لكن على سبيل الإجمال والعموم، لكن في هذا المقام هنا شهادة لهذا المعين بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

لهذا طمع الصحابة كل واحد منهم طمع ورجا أن يكون هو صاحب الراية ليس حبًا في الإمارة والولاية والمنصب ولكن محبةً في أن يكون هو الذي شُهد له بمحبة الله ورسوله، وبمحبة الله ورسوله له هذا الذي طمعوا فيه.

«فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها» مثلما خاضوا في مسألة سبعين ألف الذي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فيتناقشون مَن الذي سينال ويُعطى هذه الراية، ربما فلان لأنه كذا وكذا، قال الآخر: يمكن فلان لأنه كذا وكذا، فاجتهدوا في معرفة هذا الرجل.

«فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها».

طلع الفجر وطلع الصبح وانطلقوا للمسجد مع النبي في المصلى الذي يصلون فيه، فلما صلوا أخذ النبي ﷺ يتلفت يمينا شمالا، والصحابة كلٌ يحاول أن يُري النبي ﷺ وجهه حتى يختاره هو للراية.

فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» ما رآه.

«فقيل: هو يشتكي عينيه» يعني: في مخيمه ما يستطيع يأتي يصلي مع الناس؛ لأن به رمد ما يرى، ما يستطيع فتح عينيه، فأرسل إليه فأُتي به لا يكاد يرى.

«فبصق في عينيه» يعني تفل ﷺ في عينيه ودعا له بالشفاء والعافية فبرأ، شفاه الله من لحظته، وهذه من آيات الله سبحانه وتعالى، من كراماته التي أيد بها نبيه ﷺ، ثم أعطاه الراية، انظر سبحان الله الذي حرص عليها وبكر للنبي ﷺ في الصلاة وأخذ يرفع عنقه ويُري الرسول وجهه أنه أنا هنا ما نفعه ذلك، وهذا الذي ربما ما خطر على باله أنه يكون صاحبها بسبب الوجع والمرض وأنه لا يصلح للقتال بهذا الظرف الصحي ساقها الله إليه، كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب **فيه إثبات القدر**، الذي سعى وحرص ما نالها والذي بما لم تكن على باله وصلت إليه.

"ثم أعطاه الراية" والراية لواء عظيم يكون مع شخص حتى ينضم عليه الجيش، وإذا حصلت مثلًا هزيمة أو شيء من هذا رفع الراية فاجتمعوا حولها ويعيدون ترتيب صفوفهم ويتقوون على عدوهم، وقريش توزعت المناصب،

فكان حمل الراية في قريش عند بني عبد الدار، المهم أن النبي ﷺ أعطاه الراية؛ يعني: إشارة وإعلام بأنه هو قائد هذا الجيش.

فقال: «**انفذ على رسلك**» يعني: امضِ على رِسلك، على مهلك من غير ضعف، لكن لا تمشِ بتر ولا رياء، ولا بصخب وأصوات مزعجة، هذا ليس من شأن أهل الإسلام في جهادهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:63] فهم أبعد ما يكونون عن الكِبر والبتر.

«**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم**» يعني: المكان القريب من دورهم، الأفنية والمساحات الواسعة القريبة من دورهم وحصونهم، فالعدو إذا رآك قريب منه دخل في قلبه الرعب، بخلاف ما لو أوقف المعسكر بعيد جدًا ثم أرسل واحدا فقد يستضعفون هذا الجيش، لكن كون الجيش يصل إليهم ويقترب منهم، ويحاصرهم، هذا يقذف في قلوبهم الرعب.

«**ثم ادعهم إلى الإسلام**» وهؤلاء اليهود هل قد بلغتهم دعوة الإسلام أو لا؟ بلغتهم الدعوة، بل كان أحبار اليهود من أول الناس حرصا عند مقدم النبي ﷺ المدينة أن يعرفوا حقيقته، فهم على العلم بالإسلام، ومع ذلك النبي ﷺ يأمر عليًا أن يدعوهم قبل القتال إلى الإسلام، وهذه الدعوة من باب الاستحباب؛ حتى يكون أكمل في المعذرة وأبرأ إلى الله جل وعلا، وإعطائهم الفرصة الأخيرة للدخول في الإسلام.

في حديث بريدة بن حصيب عند مسلم: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: ادعهم إلى الإسلام، فإن أبوا فخذ منهم الجزية، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم» فإذًا القائد يدعو الكفار قبل المعركة إلى الإسلام، ولو كانت الدعوة قد بلغتهم من باب إكمال المعذرة وإعطائهم الفرصة لعل وعسى أن الله يهديهم للإسلام، وأما إذا كانت الدعوة لم تصلهم أصلًا وما بلغتهم الدعوة أصلًا فهنا يجب أن يُدعوا إلى الإسلام «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: ادعهم إلى الإسلام».

فإذًا عندنا دعوة إلى الإسلام واجبة، وعندنا دعوة إلى الإسلام مستحبة، الدعوة الواجبة إذا كان هؤلاء القوم لم تبلغهم الدعوة، يدعون إلى الله قبل القتال، إن كانت الدعوة قد بلغتهم فيُستحب أن يُدعوا مرةً أخرى إلى الإسلام قبل القتال.

والدليل على أنه مستحب وليس واجب إذا كانت الدعوة قد بلغتهم أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون؛ يعني: على غفلة، ما فاجأهم إلا والنبي ﷺ قد نزل بهم، فقتل المقاتلة وسبوا النساء والذرية، فهنا باغتهم بالقتال ما في دعوة للإسلام، لمَ؟ لأنه قد بلغتهم الدعوة، فإذًا هل تجب الدعوة إلى الله قبل القتال أم لا؟ لا نقول

نعم ولا نقول لا، تفصيل: إن كانت الدعوة لم تبلغهم فتجب دعوتهم إلى الإسلام لحديث بريدة: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: ادعهم إلى الإسلام»، وإن كانت قد بلغتهم الدعوة فتُستحب ولا تجب، تُستحب لهذه الأحاديث: «**ادعهم إلى الإسلام**»، ولا تجب؛ لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون؛ يعني: على حين غفلة من أمرهم.

«**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**» يعني: أول الأمر فقط ادعهم إلى الشهادتين خليهم يدخلوا في التوحيد، إذا دخلوا في التوحيد يُدعون بعد ذلك إلى ما يجب عليهم بالتدرج: الصلاة، ثم الزكاة، وهكذا، ولاحظنا في حديث معاذ أن النبي ﷺ اقتصر على التوحيد والصلاة والزكاة، مع أنه في وقت إرسال معاذ كانت كل الشرائع قد شُرعت حتى الحج، لم يذكر له الصوم ولم يذكر له الحج، قالوا: السبب في ذلك؟ أن مَن وحد الله وخضع للصلاة وخضع للزكاة فإنه سيأتي بكل شرائع الإسلام مما هو بعد ذلك، فهذا سبب الاختصار، مثلما قال الله ﷻ في سورة البينة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البينة:5] ما ذكر لا حج ولا ذكر صوم.

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [التوبة:5] إشارة إلى أنه مَن أتى بهذه جاء بما عداها بإذن الله، وليس المقصود أنهم لا يُدعون إلى الصوم، ولا يُدعون إلى الحج؛ لا، ولكن النص على هذه الأشياء لأهميتها ولأنه أيضًا إذا أتى بها جاء بما عداها.

ثم قال ﷺ: «**فوالله**» حلف، لا حرج الحلف على مسائل العلم إذا اقتضت الحاجة، ولو لم يُطلب منك الحلف، فإذا وُجدت مصلحة:

- **كتأكيد** معلومة مثلًا،
- أو تريد أن **ينتبهوا** لها،
- أو كان عند المخاطب شيء من **التردد في القبول** ويزول هذا التردد بالحلف،

المهم إذا **وُجدت مصلحة** تقتضي الحلف، أما إذا لم يكن هناك مصلحة فلا ينبغي الإكثار من الحلف، قال الله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم:10] والنبي ﷺ حلف في مسائل، وأهل العلم أيضًا قد يحلفون في بعض المسائل، وهناك رسالة أظن لأبي داود "المسائل التي حلف عليها أحمد بن حنبل رحمه الله" رسالة مطبوعة

وموجودة، فإذا احتاج العالم للحلف يحلف، لكن إذا لك تكن حاجة لا ينبغي، والله تعالى يقول: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:89].

«**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا**» الرجل هنا خرج مخرج الغالب، وإلا الرجل أو المرأة الجميع.

«**خير لك من حُمْر النَعَم**»

- عندنا **حُمْر** الحاء مضمومة والميم ساكنة، حُمر جمع أحمر حمراء،
- وعندنا **حُمُر** هذا جمع حِمار،

والمقصود هنا جمع حمار ولا جمع أحمر؟ جمع أحمر؛ يعني: الإبل الحُمْر، والنَعَم: الإبل، والنِعم بكسر النون: جمع النِعمة، **ولماذا قال: حُمْر النَعم**؟ لأن هذه كانت أنفس أموال العرب وأعظمها شأنًا عندهم، **والمقصود: أن هداية رجل واحد على يديك خيرٌ لك من الدنيا وما فيها**، فضلًا عن أن يهتدي على يديك رجلين أو ثلاثة ومائة وعشرة وألف، فكلما كثر العدد كلما كان ذلك أعظم لأجرك إن شاء الله، لمَ؟ لأنك إذا دعوت شخصا وهداه الله على يديك ما يعمل حسنة إلا ويُكتب لك مثل أجره، «مَن دل على هدى أو على خير فله مثل أجر فاعله»، في الحديث الآخر: «كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء».

فهذا دخل في الإسلام ثم هذا الشخص الذي دعوته للإسلام أدخل الله على يديه للإسلام العدد؛ يعني مثلًا نفرض دعوت رجلا إلى الإسلام فأسلم على يديك، هذا الرجل رجع البيت ودعا زوجته وأسلمت، ودعا عياله وأسلموا، فكل هؤلاء إذا عملوا حسنات لك مثل أجورهم، ولهذا يكون النبي ﷺ هو أعظم هذه الأمة أجور، لماذا؟ لأنك ما تعمل حسنة إلا كُتبت لك إن شاء الله حسنة وكُتبت لرسول الله ﷺ مثلها، كل حسنة، كل هذه الملايين إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، فما عملوا من خير إلا بسبب دعوته ﷺ لهم.

هذا من أعظم ما يحث الداعي إلى الله سبحانه وتعالى على أن يجتهد في الدعوة والتعليم، لعل الله ﷻ أن يهدي على يديه أحد من خلقه فيُكتب له مثل أجره، «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَعم**» وأعظم ما يُدعى إليه هو التوحيد، فاحرصوا وانشطوا في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وتعليم الناس العقيدة، وتعليم الناس العبادة، حذروهم من الشرك، حذروهم من البدع والخرافات، واستعينوا على ذلك بالعلم النافع، وبالأسلوب الحسن البعيد عن التهور.

4 – باب الدعاء إلى شهادة لا إله إلا الله

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، والدعوة إليه على بصيرة، هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

5 – باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **"باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"** يعني: تفسير توحيد العبادة، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله، ثم ساق الآيات وساق الحديث ولم يقسمها، لم يقل إن هذا تفسير التوحيد، وهذا تفسير شهادة أن لا إله إلا الله؛ يعني: ذكر العنوانين تفسير التوحيد، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله، ثم ساق الأدلة مساق واحد ما قسمها، ما قال: بعضها تفسير التوحيد وبعضها تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، **ما السبب**؟ السبب: أنهما واحد، أن التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هما شيءٌ واحد، فإذا قيل التوحيد فالمقصود به توحيد العبادة، إذا قيل: لا إله إلا الله فمعناها: توحيد العبادة؛ هذا المقصود.

فمعنى التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله كلها تدل على معنى واحد وهو إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه.

والناس في تفسير التوحيد وتفسير لا إله إلا الله اختلفوا:

فأكثر ما يفسر التوحيد عند المتكلمين يفسرونه بتوحيد الربوبية، فإذا قيل لهم: ما معنى: لا إله إلا الله؟ قالوا: لا صانع إلا الله، لا قادر على الاختراع إلا الله، فهذا تفسير المتكلمين فسروا التوحيد بتوحيد الربوبية، وهذا التوحيد وإن كان مطلوبا لكنه لا يُخرج الإنسان من الكفر إلى الإسلام حتى يقر بتوحيد الألوهية.

فالمشركون الذين بُعث فيهم النبي ﷺ كانوا يقرون بهذا النوع من التوحيد، يقرون أن الله خالق، أن الله رازق، أن الله الذي يملك الضر والنفع، الله الذي يدبر الأمر، كما حكى الله ﷻ ذلك عنهم ومع ذلك حكم بكفرهم، فما نفعهم هذا التوحيد؛ لأنهم لم يضموا إليه إفراد الله بالعبادة.

السياسيون يفسرون لا إله إلا الله بـ"لا حاكم إلا الله"، وهذا أيضًا تفسير خاطئ فسروا الكل بالجزء، هذا جزء من معاني لا إله إلا الله، ولو أن شخصًا لم يتخذ مشرعا كرئيس أو أمير أو مطاع في التحليل والتحريم لكنه يعبد القبور لم ينفعه بشيء، فالمعنى الصحيح لـ "لا إله إلا الله" للتوحيد هو ما أورد عليه المؤلف رحمه الله هذه الأدلة، خلاصة هذه الأدلة كلها تقتضي إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه، ثم قال:

وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء:57].

هذه الآية الكريمة من سورة الإسراء فيها بيان أن مَن عبد الصالحين هو مشرك ولو كان يعبد الله ﷻ، فعندنا رجل يعبد رجلًا صالحًا ويعبد الله جل وعلا، يقول بلسانه: لا إله إلا الله ويصلي ويصوم، ولكنه يعبد رجلا صالحا، وليا من الأولياء، مثلًا يعبد الرسول ﷺ، أو يعبد أبا بكر ولا عمر، أو يعبد الحسين بن علي، المهم أنه عبد رجلا صالحا من الأنبياء أو من الأولياء ومن الصالحين، وهو في نفس الوقت يعبد الله جل وعلا، هل هذا موحد ولا مشرك؟ مشرك.

طيب لما تجيء تقول له: اتقي الله هذا شرك، هذا عمل المشركين، أنت مشرك، قال: لا، المشرك الذي يعبد الأصنام، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم:19-20] هذا هو المشرك، اللي يعبد صنما، يسجد لصنم، يذبح لصنم، هذا هو المشرك، أما الذي يتوسل بهؤلاء الصالحين هذا ليس بمشرك، فنقول له: لا، لا فرق بين عبادة صنم وبين عبادة ولي من أولياء الله، عبادة الصنم شرك وعبادة الولي أيضًا شرك.

ما الدليل؟ نقول: هذه الآية، الله ﷻ ذم الذين عبدوا ناسًا صالحين، ما نجد في القرآن ذم عباد الأصنام ومدح عباد الأولياء والصالحين، القرآن فيه ذم الجميع، كل مَن عبد غير الله فهو مذموم.

لاحظ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعني: يدعون عندنا ضمير، ضمير الفاعل، دعا يدعو، دعا هو، تدعو أنت، يدعون يعني هم، وفي عندنا مفعول به، ضمير المفعول به، فهنا لما يدعو في عندنا داعي، وفي عندنا مدعو، طيب الفاعل في ﴿يَدْعُونَ﴾ يعني المشركين، المفعول في ﴿يَدْعُونَ﴾ يعني الأولياء والصالحين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعني: يدعونهم.

﴿يَبْتَغُونَ﴾ مَن هم؟ الداعون ولا المدعوون؟ المدعوون، هؤلاء المدعوون الذين أنتم تدعونهم أصلًا هم عباد متذللون لله جل وعلا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ يعني: أولئك المدعوون المعبودون مع الله ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أنبياء، أولياء، صالحون، كانت حياتهم لله جل وعلا، يدعون الله يجتنبون معصيته، يخافون الله، يرجون الله سبحانه وتعالى، فقراء إلى الله، متذللون إلى الله جل وعلا ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.

﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ يعني: يتوسلون إلى الله بما يرضيه، هذا معنى الوسيلة، الوسيلة: ما تتوصل به إلى الشيء، فهم يحاولون الوصول إلى رضا الله بفعل ما أمر وترك ما نهى، إذًا مَن كان عبدًا خائفًا متذللا لله هل يصلح أن يكون إلها؟ لا، ما يصلح أن يكون إلها، هو بنفسه عبد لله جل وعلا، كيف تعبده؟!

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إذًا هم مثلك، أنت عبد من عباد الله وهم أيضًا عباد من عباد الله، نافذ فيهم أمره، جارٍ عليهم حكمه سبحانه وتعالى، فإذًا هذه الآية فيها:

- **أولًا**: بيان أنه لا فرق بين مَن عبد الصنم وبين مَن عبد الأولياء وكلاهما مشرك.
- **ثانيًا**: أن المدعوين من الملائكة والأنبياء والأولياء لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا بل هم عباد من عباد الله جل وعلا، والعبد الضعيف الفقير لا يصلح أن يكون مألوهًا معبودًا.
- **ثالثًا**: أن مَن عبد الله سبحانه وتعالى وعبد معه غيره ولو كان ملَكًا أو وليًا، فإنه من جملة المشركين والعياذ بالله.

فإذًا عرفنا الآن أن مَن عبد الله وعبد غير الله معه ولو كان هذا المعبود وليًا صالحا فإنه مشرك، إذًا بالضد نعرف معنى التوحيد، معنى التوحيد أن تُفرد الله بالعبادة، ما تشرك معه غيره، **فإذًا تفسير التوحيد الذي يؤخذ من هذه الآية** أنه لا يكون العبد موحدا حتى يفرد الله بالعبادة ولا يصرف منها شيء لغير الله كائنًا مَن كان ذلك العبد، هذا بالنسبة للآية الأولى.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:26-28].

الآية الثانية ما حكاه الله ﷻ عن خليل الرحمن، وأبي الأنبياء، محطم الأصنام إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ* إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:26-28].

إبراهيم قال لقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ ما معنى هذا؟ معناه: أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون شيئين، ما هما؟

- يعبدون الله جل وعلا،
- ويعبدون الأصنام،

فيقول: أنا أتبرأ مما تعبدون لكن أنتم تعبدون معبودا يستحق العبادة ومعبودا لا يستحق العبادة، فأنا أتبرأ من معبودكم الذي لا يستحق العبادة، أما الذي يستحق العبادة وهو الله فأنا لا أتبرأ منه.

فالآية الأولى أنكر الله على مَن عبد الصالحين مع الله، وهذه الآية فيها إنكار مَن عبد الأصنام مع الله جل وعلا، إذًا ما في فرق بين صرف العبادة لولي أو صرف العبادة لشجر أو حجر أو صنم.

﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ فأنتم تعبدون الله وتعبدون الأصنام، أنا أتبرأ من عبادتكم للأصنام، أما الله عز وجل لا، فهو وليي وهو ربي وهو المستحق سبحانه وتعالى للعبادة، لكن هل نفعتهم عبادتهم لله؟ ما نفعتهم عبادتهم لله، ما الذي أبطلها وأبطل نفعها؟ كونهم أشركوا مع الله غيره.

ومعنى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يعني: الذي ابتدأ خلقي، الذي خلقني وأوجدني من العدم، فالذي خلقني ورباني بنعمه هو المستحق أن يُعبد وحده سبحانه وتعالى.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ما هي الكلمة؟ كلمة لا إله إلا الله؛ لأنها هي ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾،

- ❖ ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ هذا إثبات ولا نفي؟ هذا نفي، ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ هذه مثل: لا إله،
- ❖ ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هذا إثبات مثل: إلا الله،

ولهذا قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ يعني كلمة: لا إله إلا الله وصى بها بنيه من بعده حتى يتمسكوا بها ويعودوا إليها ولا يتخلوا عنها.

فقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هذا معنى: لا إله إلا الله مركبة من ركنين: نفي ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾، إثبات ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

والخلاصة إذًا: أن هذه الآية تدل على أن التوحيد لا يكون توحيدًا حتى يُفرد الله فيه بالعبادة وحتى يُتبرأ من عبادة ما سواه.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:31].

الآية الثالثة قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿اتَّخَذُوا﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:31].

هؤلاء أهل الكتاب من اليهود والنصارى اتخذوا الأحبار، ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ جمع حَبر؛ يعني: العلماء، ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ جمع رهبان أو جمع راهب وهم العُباد أصحاب الصوامع، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: معبوديهم، معبودين من دون الله جل وعلا، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: وجعلوا المسيح بن مريم أيضًا ربا، هذا معنى العطف هنا: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ يعني: اتخذوه ربًا مع الله تعالى الله وتقدس أن يكون له شريك.

ما هي عبادتهم للأحبار والرهبان؟ هل كانوا مثلًا يأتي عند الراهب ويسجد له؟ هل كان يأتي عند الراهب ويذبح له؟ هل كان يخاف الراهب ويرجوه مثلما يخاف الله ويرجو الله؟ النبي ﷺ فسر في قصة عدي بن حاتم فسر معنى اتخاذهم أحبار ورهبان؟ أن هذا الراهب وهذا الحبر يحلل ويحرم من عند نفسه، وهم يطيعونهم فيعتقدون أن الحلال ما أحله هذا الراهب، وأن الحرام ما حرمه هذا الراهب «أليسوا يُحلون لكم ما حرم الله فتُحلونه ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم».

إذًا مَن أطاع شخصا في تحليل الحرام أو تحريم الحلال فقد اتخذه ربًا ولو لم يذبح له، ولو لم يسجد له، **فإذًا من معاني التوحيد** ألا تعتقد شيئًا حلالًا أو شيئًا حرامًا إلا ما أحله الله أو حرمه الله جل وعلا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:165].

ثم ذكر آية سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:165-166].

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يعني: المشركون، ﴿مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ هؤلاء الأنداد متنوعون قد يكونوا أصنام، قد يكونوا قبور، قد يكونوا ملائكة، قد يكونوا أنبياء، قد يكونوا أشجار، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ يعني: جعلوهم واعتقدوهم نظراء لله سبحانه وتعالى.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يعني: حب عبادة، لأن الحب ليس نوع واحد، حب الأب مثلًا غير حب الزوجة، حب الزوجة غير حب الولد، حب الولد غير حب المال، هو كله حب لكن أنواع الحب تختلف، حب الرسول غير حب الله سبحانه وتعالى، فحب الله ﷻ حب يستلزم العبادة، كمال الذل، كمال الخضوع.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ما معنى هذا التشبيه ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾؟ يعني: يحبون الأنداد مثل ما يحبون الله، فأثبت لهم حبين: حب لله، وحب للأنداد، فوزعوا الحب بين الله ﷻ وبين الأنداد، فإذًا أثبت لهم حبًا لله سبحانه وتعالى، **لكن هل هذا الحب لله نفعهم**؟ لا، لماذا لم ينفعهم؟ أبطلوه بماذا؟ أبطلوه بالشرك، أبطلوه بحبهم للأنداد حب عبادة.

إذًا لو قيل لك: هل المشرك يحب الله؟ تقول: نعم، الله يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، لكن هل هذا الحب نافع، نفعهم بشيء؟ ما نفعهم بشيء، أبطلوه وأحبطوه بالشرك، فالمشرك يدعو الله، المشرك يتقرب لله سبحانه وتعالى بأنواع من القُرب، المشرك يحب الله ﷻ، ولكن هذا كله لم ينفعهم عند الله سبحانه لأنهم أبطلوه وأحبطوه بالإشراك بالله سبحانه وتعالى.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لما ذم المنددين مع الله في الحب أثنى على الذين أخلصوا لله ﷻ في المحبة وهم أهل التوحيد: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يمدح المؤمنين ويثني على المؤمنين أن حبهم لله أشد من حب المشركين لأندادهم ولآلهتهم.

ثم توعد هؤلاء الذين اتخذوا مع الله أندادا: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لو يرى يعني: لو يعلم، ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: لو يعلم الذين ظلموا ووضعوا العبادة في غير موضعها، هذا معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم الظلم أن تضع العبادة في غير موضعها، تصرفها لغير الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ يعني: متى؟ عند معاينة الموت والقدوم على الآخرة، لو يعلمون ما سيرونه من العذاب الشديد ما أشركوا مع الله غيره ولأفردوا الله بالعبادة، ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ليس للأنداد منها شيء، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ إلى آخر السياق الكريم وما فيه من الوعيد الشديد نسأل الله العافية والسلامة.

إذًا هذا فيه بيان: أن مَن أحب الله ﷻ وأحب غير الله حب عبادة كان مشركًا، ولو لم يذبح لهذا الند أو لو لم يصرف له شيئًا آخر من العبادة غير هذه المحبة، فمَن أحب غير الله محبة عبادة كان بذلك مشركا ولو كان يحب الله سبحانه وتعالى، ولو كان هذا الذي يحبه حب عبادة وليًا صالحًا أو مَلَكا مقربا أو أيًا كان، ما يختلف الحال.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل".

ثم قال: وفي الصحيح عن النبي ﷺ.

"**الصحيح**" هنا صحيح مسلم، وهذا الصحابي إذا رجعت في مسلم تجده: عن أبي مالك عن أبيه، ولكن بيَّنه أحمد في مسنده؛ لأن أبو مالك هذا اسمه سعد بن طارق وأبوه طبعًا طارق الأشجعي، طارق بن أشيم، فالحديث هذا من مسند طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه.

"**وفي الصحيح**" يعني: صحيح مسلم إذا مرت بك هذه العبارة "**وفي الصحيح**" قد يكون المقصود بها البخاري، وقد يكون المقصود بها مسلم، وقد يكون المقصود بها البخاري ومسلم، فهنا المقصود بها صحيح مسلم.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قال لا إله إلا الله».

قالها بلسانه معتقدًا بقلبه، ليس مجرد قول بدون تصديق ما تنفع في شيء، قد تنفع في الدنيا تحقن الدم وتحقن المال وتحفظ العرض لكنها عند الله ما تنفع بشيء.

«مَن قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله».

مثل قول إبراهيم: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ فلابد من البراءة، لابد من الكفر، لابد من اعتقاد بطلان عبادة غير الله سبحانه وتعالى، ما يكفي؛ يعني: لو عندنا شخص من يوم عقل حتى مات وهو لا يعبد إلا الله لكنه ما يعتقد بطلان عبادة الكفر، عبادة الكفار وعبادة الأولياء، **هل ينفعه كونه أنه أفرد الله بالعبادة؟** لا، ما ينفعه؛ حتى يعتقد أن عبادة غير الله سبحانه وتعالى باطلة، وحتى يتبرأ منها، ومن أهلها، لابد من هذا **«مَن قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله»**.

«حرم ماله ودمه» لأنه صار من أهل التوحيد، وهذا في الظاهر، ولهذا قال:

«**وحسابه على الله**» يعني: أمر القلوب، أمر البواطن، هذه إلى مَن؟ إلى الله سبحانه وتعالى ونحن ما نطلع عليها، الذي يعلمها، ويعلم ما في السرائر، ما في الصدور، ما في القلوب هو الله جل وعلا، ولهذا كان في المدينة منافقون، كان يوصلهم بعض أهل العلم إلى ثلاثمائة (**300**) منافق، ثلاثمائة منافق كانوا في المدينة ما بين رجل وامرأة ومع ذلك الرسول ﷺ يتعامل معهم بما يظهر، يتعامل معهم حسب الظاهر أنهم مسلمون، فمَن أبطن شيئا فالله ﷻ مطلع عليه وهو الذي يحاسبه، هذا معنى قوله: «**وحسابه على الله**».

فإذًا فيها تهديد لمن قال هذه الكلمة، قالها نفاقًا ورياءً، وفيها أيضًا ترغيب أن يكون العبد صادقا، فالله ﷻ إذا علم منك الصدق سيجازيك عليه أحسن الجزاء.

ثم قال الشيخ: **وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب** يعني: أنه ما بعد هذا الباب سيبدأ يفصل لك ما هو من التوحيد، ما هو من الشرك الأكبر، ما هو من الشرك الأصغر، ما هو من مكملات التوحيد؛ حتى تفهمه فهمًا جيدًا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا وإياكم في دينه وأن يعلمنا كتابه، وأن يجعلنا من أهل التوحيد ظاهرًا وباطنًا يحيينا عليه ويتوفانا عليه، هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

6 – باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

1437هـ

6 – باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-: **باب من الشرك ولبس الحلقة والخيط، ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**

"**من**" هذه للتبعيض، بمعنى أن الشرك أنواع، "**ولبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفع البلاء**" هذا نوع من أنواع الشرك، فليس كل الشرك هو لبس الحلقة والخيط لهذا الغرض، إنما الشرك أنواع وهذا نوع منه، فـ"**من**" هذه للتبعيض.

وقوله "**الشرك**" الشرك النوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر كما هو معلوم.

هل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء ودفعه شرك أكبر أم شرك أصغر؟ نقول على حسب ما يقوم بقلب اللابس لهما:

- إن كان يعتقد أن الحلقة والخيط **تستقل بنفسها** لجلب الخير أو دفع الضر فهذا شرك أكبر؛ لأنه سواها بالله –سبحانه وتعالى-.
- وإن كان يعتقد أن الحلقة والخيط ونحوهما **إنما هي أسباب** لجلب الخير، ودفع الضر فهذا شرك أصغر؛ لأن النبي ﷺ سماه شركا، ولا يبلغ الشرك الأكبر. وما سماه الله ورسوله شركا ولا يبلغ درجة الشرك الأكبر؛ فإنه شرك أصغر.

ولا يجوز جعل شيء من الأشياء سبباً إلا إذا ثبت كونه سبباً من جهة الشرع أو جهة القدر مع اعتقاد أن هذه الأسباب لا تنفع أو لا تضر إلا بإذن الله القدري الكوني، ومع تعلق القلب بالله سبحانه وتعالى، وتفويض الأمور إليه.

والناس في الأسباب طرفان ووسط:

❖ **الطائفة الأولى**: **الغلاة في إنكار الأسباب،** الغلاة والمقصود بهم الجهمية، والأشاعرة وهم الذين أنكروا وألغوا تأثير الأسباب، فأنكروا أن يكون الأكل سبباً للشبع، وأنكروا أن الماء سبباً للري، وأن النار سبباً للإحراق بل منهم من غلا وقال: ليس الإيمان سبب لدخول الجنة، ولا الكفر سبب لدخول النار، الطائفة الأولى هؤلاء غلاة في إنكار الأسباب، وفي إلغائها.

❖ **الطائفة الثانية** **الغلاة في إثبات الأسباب،** وهم الذين جعلوا ما ليس سبباً لا شرعاً ولا قدراً جعلوه سببا، كتعلق الصوفية، والرافضة، والخرافيين عموماً بالقبور، والأضرحة، وتربة القبور وآثار الصالحين، والمعظمين عندهم سبباً للبركة، وجلب الخير، ودفع الضر.

❖ **الطائفة الثالثة** **وهم أهل السنة والجماعة** الذين اعتقدوا أن الأسباب التي دل عليها الشرع أو القدر أنها مؤثرة؛ فتنتج مسبَّباتها لكن بإذن الله القدري الكوني مع كمال توكلهم على الله، وتفويضهم الأمر إليه.

ومن هنا يُعلم أن نفي الأسباب مطلقاً قدحاً في الشرع، وحتى في العقل، وأن الغلو في إثبات الأسباب قدحاً في الشرع، وفي الاعتقاد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 38].

قوله –سبحانه وتعالى– ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم﴾ قل يا أيها الرسول يا محمد للمشركين مجادلاً لهم، ومحاجاً لهم لإبطال الشرك وإثبات التوحيد. ﴿أَفَرَأَيْتُم﴾ أي أخبروني ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي الذي تدعون من دون الله، ﴿تَدْعُونَ﴾ أي تطلبون منهم جلب الخير أو دفع الشر.

﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كمرض أو فقر أو موت ونحو ذلك، ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ هل تستطيع أن تصرف عني قضاء الله وقدره المؤلم؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ برزق من مال أو ولد أو جاه أو غير ذلك، ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ فلا تصل إلي؟ والجواب سيقولون قطعاً لا تستطيع ذلك.

وإذا كان لا تستطيع فإذاً هي آلهة عاجزة ضعيفة وما كان كذلك فلا يستحق أن يُعبد، إنما المستحِق للعبادة هو الله وحده، القادر على النفع وعلى الضر، ولهذا قال: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أن يكفيني أن أعبد الله سبحانه وتعالى، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يكفيني ربي جل وعلى أعبده، وأدعوه، فهو الذي بيده الأمر كله. ثم قال:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة. فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً" رواه أحمد بسند لا بأس به

"**عن عمران بن حصين**" هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، صحابي ابن صحابي، هو وأبوه صحابيان، تُوفيّ سنة **52** من الهجرة.

" **أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر**" حلقة مستديرة معروفة. "**من صفر**" نوع من أنواع المعادن أو النحاس.

"**فقال: ما هذه؟**" **هل هذا سؤال استنكار أم سؤال استفهام؟** الذي يظهر أنه سؤال استفهام؛ لأن هذه الحلقة يحتمل لبسها كذا، ويحتمل لبسها كذا، فلها عدة احتمالات.

فقال الرجل "**من الواهنة**" أي لبستها لغرض دفع هذا المرض أو رفع هذا المرض، وهو الواهنة. قالوا: الواهنة مرض يصيب اليد، يسبب لها الوهن والضعف، فتكون اليد ضعيفة.

وعندهم اعتقاد أو معلومة تناقلوها أن لبس هذه الحلقة من الصفر إما أن تدفع هذا المرض قبل أن يصيب الشخص أو أنها تشفي، وتزيل هذا المرض بعد وقوعه.

قال له النبي ﷺ "انزعها" بقوة بشدة بسرعة انزعها **"فإنها لا تزيدك إلا وهناً"** لأن الجزاء من جنس العمل **"فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً"** يعني ما فزت، وهذا كناية عن دخول النار، وحرمان من الجنة والعياذ بالله.

وفي هذا أن العبرة بالخواتيم؛ ولهذا قال: **"فإنك لو مت وهي عليك"** فلو عاش على التوحيد، ومات على الشرك كان من أهل الشرك، ولو عاش على الشرك ثم مات على التوحيد كان من أهل التوحيد.

قال المؤلف شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب رحمه الله في المسائل "أنه لم يعذره بجهله"، وكان السبب في ذلك أنه كان في المدينة وفي حضرة النبي ﷺ، وفي حضرة الصحابة فلم يعذر بالجهل؛ فلهذا قال له هذا القول؛ لأن بإمكانه التعلم، ومن أهل العلم من قال إن هذه المسألة فيها تفصيل، وأن الشخص تارة يُعذر بالجهل، وتارة لا يُعذر بالجهل، وسيأتي إن شاء الله المزيد في الدروس القادمة.

وفي هذا الحديث أن الحلقة ليست سببا لشفاء الأمراض، الشرع أنكرها، وأيضاً من جهة القدر، فلا علاقة مباشرة بين الحلقة من صفر وبين الواهنة المرض.

لكن قد يقول قائل أن فلانا لبسها، وذهب عنه الوهن؟ فالجواب:

- أن هذا قد يكون **من باب شعور النفس**؛ لأنه يعتقد أن هذه الحلقة تنفع من هذا المرض فعنده استعداد أو شعور نفسي فلما لبسها شعر بالراحة، وأن الألم قد ذهب، بينما أن المرض ما يزال موجودا.
- وقد يُقال أن هذا الشفاء حصل اتفاقا يعني **صادف قضاء وقدرا**، وأن الله كتب له أن يُشفى بهذا الوقت، وقدر الله له أن لبس هذه الحلقة في هذا الوقت أيضاً وحصل له الشفاء، لكن ليست بسبب هذه الحلقة.
- وقد يكون **من باب الاستدراج** كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:182] وكما يقول بعض أهل العلم: لو أن أصحاب القبور، والأضرحة ما وجدوا نفعاً في بعض الأوقات لما عبدوها، لكن استشفوا من المرض فشفوا، استسقوا عند القحط فسقوا، ابتلاء من الله سبحانه وتعالى.

فلا يصح أن تجعل هذه الأشياء سببا إلا إن دل الشرع على أنه سبب أو دلت التجربة يعني القدر وكان هناك سبب مباشر معقول بين هذا السبب، وبين ذاك المسبب أو بين السبب والنتيجة. ثم قال:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: "من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له"، وفي رواية: "من تعلق تميمة فقد أشرك".

"**عن عقبة بن عامر**" الجهني، هو صحابي مشهور أحد الأمراء ولي مصر لمعاوية ومات بعد سنة **60** من الهجرة.

"**مرفوعاً**" يعني من كلام النبي ﷺ، "**من تعلق تميمة**" يعني علقها على رقبته، ربطها حول بطنه أو شيء من هذا أو في بيته أو في سيارته، "**تميمية**" خرزات أشكال وأنواع، وأجناس مختلفة قد تكون فيها صور، رموز، طلاسم.

"**ومن تعلق ودعة**" أحجار تخرج من البحر. قوله: "**فلا أتم الله له**"، و"**فلا ودع الله له**" هذا من باب الدعاء من جنس العمل، في التميمة قال: "**فلا أتم الله له**"، وفي الودعة قال: "**فلا ودع الله له**":

- "**فلا أتم الله له**" يعني لا أتم الله له مراده،
- وقوله: "**فلا ودع الله له**" أي لا جعله الله في دعة وسكون من أمره، بل لا يزال قلقاً مضطرباً.

وهل هذا خبر أم دعاء؟ يعني هل يُخبر الرسول أن كل من تعلق تميمة فلن يتم له أمره؟ كل من تعلق ودعة فلن يبقى ويعيش في دعة وسكون؟ هل هذا خبر أم أن الرسول يدعو عليه بذلك؟ يدعو أنه لو تعلق تميمة ألا يتم الله له أمره؟، يحتمل الأمرين:

- يحتمل أن يكون دعاءً عليه،
- ويحتمل أن يكون خبراً من النبي ﷺ،

وعلى كلا المعنيين النتيجة واحدة وهي دلالة الدعاء أو الخبر على أن هذا العمل منكر، ولا يجوز فعله، ولا الرضا به، ولا إقراره.

"**وله في رواية**" يعني لأحمد عن عقبة بن العامر قال ﷺ: "**من تعلق تميمة فقد أشرك**".

وهذا الحديث غير الحديث السابق الذي معنا وكلها عن عقبة بن العامر، لكن هذا حديث، وهذا حديث.

الحديث الثاني هذا له قصة وهو أنه جاء النبي ﷺ قد رهب من عشر أشخاص يبايعونه على الإسلام؛ فبايع الرسول ﷺ تسعة منهم، ولما جاء العاشر يبايع كف النبي ﷺ يده لم يبسط يده إلى كفه الآخر. فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت واحداً، فقال: "إنه معه تميمة"؛ فأدخل يده فقطعها.

الذي يظهر أن الشخص العاشر هذا هو الذي قطع التميمة من نفسه، ويحتمل أن النبي ﷺ هو الذي قطعها؛ فبايعه النبي ﷺ وقال: **"من تعلق تميمة فقد أشرك"**. وهذا كما سبق يحتمل شرك أكبر، وشرك أصغر بحسب ما يقوم بقلبه واعتقاده.

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]

"ولابن أبي حاتم" اسمه عبد الرحمن بن محمد بن إدريس تُوفيّ سنة **327**.

"عن الحُذيفة بن اليمان" واليمان اسمه حِسْن، ويُقال حسين العَبْسي حليف الأنصار، تُوفي مع ابن مسعود قرابة **32** من الهجرة قبل موت عثمان.

"أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه – الذي هو حُذيفة – **وتلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾** أي بربوبيته **﴿إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** أي في ألوهيته، فيكون مؤمنا بتوحيد الربوبية أن الله الخالق والرازق وكذا، ولكن عنده شرك في الألوهية، فيصرف شيئا من العبادة لغير الله، والشرك الذي هنا هو نفس هذا الخيط؛ حتى تكون وقاية له أو علاجاً له من الحمى.

ما العلاقة بين الخيط وبين الحمى؟ هل الشرع قال أن الخيط شبهاً من الحمى؟ لا.

هل العقل يقول أن هناك علاقة مباشرة بين هذا الخيط وبين الحمى التي في الجسد؟ ما الذي يخرج من الخيط ويدخل في الجسد ويقاوم الحرارة، والحمى وأسبابها ويقضي عليها؟ لا يوجد سبب مباشر معقول؛ إذاً لا دل شرع، ولا دل عقل على أن هذا سبب.

واحد من الناس كان عنده حمى ولبسوه هذا الخيط، وشُفي، ما الدليل على أن الخيط هذا هو سبب هذا الشفاء من هذا المرض؟ ما عندنا دليل، ولا يوجد رابط واضح بين الخيط وبين الحمى، فهي مجرد وساوس وأوهام ومشاعر نفسية عند بعض الناس.

بعضهم يقول مثلاً إذا أُصيب بمرض أو عين أو رُبط عن زوجته أو كذا يأخذ حديدة ويسخنها ثم إذا صارت حمرة كالجمرة قام وبال عليها، إذا بال عليها أُشفى مرضه، فما العلاقة بين هذا وهذا؟! تلاعب من الشيطان.

وحذيفة ﷺ استدل بالآية في الشرك الأكبر على صورة من صور الشرك.، **وهل يصح أن يأتي شخص ويقول إن هذه نفس طريقة الخوارج** الذين يأخذون الآيات التي نزلت في المشركين فينزلونها في المسلمين؟ الجواب طبعاً لا،

فما الفرق؟ الفرق أن الخارجي يكفر المسلم، أما في حال حذيفة فهو إن استدل بالآية في الشرك الأكبر لكن من باب البيان أن هذا العمل تحت مسمى الشرك، وإن كان هذا شرك أكبر وهذا شرك أصغر لكنهما يشتركان في كونهما شركاً.

لكن هل معنى هذا أن حذيفة قال إنك خرجت من الملة؟ خرجت من الإسلام وصرت حلال الدم؟ لا، بينما الخارجي ماذا يفعل؟ يأتي مثلاً عند الآية في الشرك الأكبر ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:81].

فيأتي عند الخطيئة هذه ويجعلها كل الكبيرة بينما الآية تتكلم عن أي خطيئة؟ الشرك الأكبر، فيأتي إلى المعصية ويعامل صاحبها بنفس معاملة الشرك الأكبر إذا كان قد كفر بالشرك الأكبر واستحق النار بالشرك الأكبر، وصار حلال الدم بذلك الشرك الأكبر، فيقول المسلم حينما يزني، حينما يسرق، حينما يأكل الربا، ونحو ذلك يقول أنت الآن مشرك شركاً أكبر، كافر مرتد، حلال المال والدم.

أليس هذا مثله؟ لا، لأن بعض الناس يأتي ويقول: كيف تقولوا أن الخوارج جاءوا إلى الآيات نزلت على المشركين وجعلوها في المسلمين وحذيفة يستدل بآية من الشرك الأكبر ويتلوها في حق شخص مسلم وقع في هذا إنما هو من أنواع الشرك هو شرك أصغر؟

فنقول: آيات الشرك الأكبر تشمل الشرك الأصغر، ولكن كل واحد منهم له نصيب، فليس الشرك الأصغر مثل الشرك الأكبر، إنما الشرك الأصغر يدخل في عموم كونه شركاً، لكن مع الفوارق وتكلمنا عن الفوارق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر: الأكبر يُخرج من الملة، ويُحبط كل الأعمال، يبيح الدم، يمنع التوارث إلى آخره، أما الشرك الأصغر لا، فلا يُخرج من الملة، ولا يُحبط كل الأعمال، ولا يبيح الدم ولا يوجد الخلود في النار إلى غير ذلك من الفوارق.

6 – باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

خلاصة هذا الباب أن غير الله سبحانه وتعالى لا يملك نفعاً ولا ضرا، إنما الذي يملكه هو الله وحده، وأنه لا بأس بتعاطي الأسباب التي أذن فيها الشرع، وحرمة الأسباب التي نفاها الشرع ومنها لبس الحلقة والخيط والتمائم وهي قد تكون الشرك الأكبر أو الأصغر على حسب التفصيل السابق.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

7 – اب ما جاء في الرقى والتمائم

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

1437هـ

7 – اب ما جاء في الرقى والتمائم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب ما جاء في الرقى والتمائم"**

إذا قارنا بين هذا الباب والباب الذي قبله وهو **"باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ... إلى آخره"** نجد الفرق أن هناك صرّح بالحكم **"باب من الشرك"** وهنا لم يصرّح بالحكم **"ما جاء في الرقى والتمائم"** فيُستفاد حكم الرقى، حكم التمائم مما سيرد من النصوص في هذا الباب.

وذلك لأن الباب الأول اشتمل على أن الأمور كلها شرك، أما في هذا الباب منها ما هو شرك، ومنها ما ليس بشرك ومنها ما يجوز، ومنها ما لا يجوز؛ لأجل هذا لم يصرّح بحكم الله عليه والله أعلم.

"باب ما جاء في الرقى والتمائم"

الرقى جمع رقية وهي القراءة على المريض بمرض حسي أو مرض معنوي أقصد غير معلوم الأسباب كالعين والسحر ونحو ذلك، وتعويذه يعني قراءة القرآن عليه أو تعويذه بكلمات بأدعية، وكانت الرقى معروفة في الجاهلية، ولعلها أيضاً موجودة في بعض الأمم الأخرى غير العرب، وجاء الإسلام وهذّبها، ووضع لها القيود والشروط كما سيأتي إن شاء الله ما تكون بإذن الله نافعة بدون الضرر في الاعتقاد.

والتمائم جمع تميمة، وهي ما يُعلق على الإنسان أو على الدابة أو على الدار أو في البيت أو في السيارة؛ لقصد اتقاء الأضرار ولاسيما العين والحسد، والتمائم أيضاً كانت معروفة بكثرة في الجاهلية، ويذكرونها في أشعارهم، بل حتى في أشعار بعض الإسلاميين يعني ممن أدركوا الإسلام أيضاً نجد فيها ذكر التمائم مثل ما يُقال للمجنون:

تَعَلَّقتُ لَيلى وَهيَ ذات تمائم *** وَلَم يَبدُ للعَيْنَينِ مِن ثَديِها حَجمُ**

صَغيرَينِ نَرعى البَهمَ يا لَيتَ أَنَّنا *** إِلى اليَومِ لَم نَكبَرَ وَلَم تَكبَرِ البَهمُ**

والآخر يقول:

بِلادٌ بِها نِيطَتْ عليَّ تَمائِمِي *** وأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابُها**

فكانت شائعة منتشرة عند الناس، وأما حكم الرقى، وحكم التمائم فسيأتي الحكم إن شاء الله بعد قليل. قال:

" في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً "أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت"

"في الصحيح" المقصود هنا في الصحيحين جميعاً، فكأنه يقول: في الحديث الصحيح.

"عن أبي بشير الأنصاري" معروف بكنيته يقول **ابن عبد البر**: "لا يُعرف باسمه"، لا يُعرف إلا بكنيته.

"أنه كان مع رسول الله في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً "يعني النبي ﷺ أرسل واحدا من أصحابه ينادي في الناس، مثل ما يرسل بعض أصحابه إلى البلاد البعيدة مثل اليمن وغيرها للدعوة إلى الله، وهذا أرسل شخصا في هذا الجيش يبلغ الناس هذا الحكم.

"أن لا يبقين في رقبة بعير" أو أي دابة أخرى ليس شرط البعير، يدخل في ذلك أي دابة أخرى كانت من بقر أو غنم، لكن كأن شاع عندهم تعليق الأوتار على الإبل أو هي التي كانت موجودة معهم في السفر، أما من حيث الحكم فالبعير غير البعير.

"قلادة من وتر" القلادة ما يُوضع حول العنق **"من وتر"** المقصود به وتر القوس، القوس الذي يُرمى به السهم يكون فيه الوتر المطاطي، فإذا بلي ولم يعد صالحا للاستعمال في الحرب أو في الصيد أخذوا هذا الوتر وعلقوه على الدواب حتى تقيها من العين في زعمهم.

"قلادة من وتر أو قلادة" يعني مطلقاً من وتر أو غير وتر، ولكن الذي يظهر والله أعلم أنه:

- ❖ إذا كان المقصود من هذه القلادة هذا القصد وهو وقايتها من العين، والحسد، والسحر والجن ونحو هذا،
- ❖ أما تعليق القلادة لتكون علامة أو شيء من هذا أو حتى يسهل الإمساك بها فالذي يظهر أنه لا يدخل في النهي.

قال **"إلا قطعت"** متعلق بقوله **"أن لا يبقين"**، **"إلا قطعت"** يعني إلا أُزيلت من باب تغيير المنكر وإزالة المنكر.

فهذا الحديث فيه:

- **أولا: النهي عن تعليق الأوتار** على الدواب بقصد وقايتها من العين، والسحر، والجن ونحو ذلك من الأضرار والآفات.

- **ثانياً**: **فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، فولي الأمر ينبه الناس بنفسه أو بمن ينيبه ويوكل إليه هذا الشأن، وطلبة العلم الذين تعلموا، ودرسوا أيضاً ينشرون هذا في الناس، ويبينون للناس سواء رأوا قلادة ووترا، ورأوا شيئا من هذه المظاهر أو لم يروها في الناس من باب وقايتهم وتعليمهم.
- **ثالثا**: وفيه أيضاً **المبادرة إلى إزالة التمائم** كقوله **"أن لا يبقين"** ثم قال: **"إلا قُطعت"**.

فهذا الحديث الأول يتعلق بموضوع التمائم **"أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت"**

ثم قال: **"وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك" رواه أحمد وأبو داود**

"عن ابن مسعود" أي عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من علماء الصحابة، وفقهاء الصحابة، تُوفي سنة **32** من الهجرة رضي الله عنه.

"إن الرقى" الرقى جمع رقية وهي ما يُقرأ على المريض، وهذه الصيغة تفيد العموم **"الرقى"** يعني كل رقية،

"والتمائم" تَقَدَم معناها، وهي أيضاً صيغة تفيد العموم يعني كل تميمة.

"والتولة" فسرها المؤلف رحمه الله بأنه **"شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته"** ما يُسمى بالعطف.

قوله **"شرك"** يعني هذه الأمور المذكورة شرك، والحديث بهذا اللفظ عام يشمل كل رقية، كل تميمة، كل تولة.

وما نوع هذا الشرك؟ يحتمل أن يكون شرك أكبر، ويحتمل أن يكون شركاً أصغر:

- فإن كان يعتقد فيها النفع بنفسها هي المؤثرة في دفع الضر، وجلب الخير فهذا الشرك الأكبر،
- وكذلك أيضاً إذا كان فيها صرف للعبادة لغير الله كان يكون في هذه التمائم أو في هذه الرقى يكون فيها دعاء لغير الله أو استغاثة لغير الله فهذا أيضاً شرك أكبر.
- وإذا كانت تولة من باب السحر فهي أيضاً كفر والعياذ بالله؛ لأن الله ذكر عن هاروت وماروت ذكر أنهم يعلمون الناس السحر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة:103] فهذا تفريق أيضاً قد يحببون الرجل للمرأة والمرأة للرجل.

فتكون شركاً أكبر من هذه الحيثية إذا اعتقد أنها تنفع بنفسها أو تضر بنفسها، إذا اشتملت الاستغاثة بغير الله، والدعاء بغير الله، وكثير من هذه التمائم فيها الدعاء للجن والاستغاثة بالجن، وكذلك أيضاً إذا كان هذا النوع السحر يتلاعب بالقلوب، والمشاعر فهذا أيضاً شرك أكبر.

وإذا كان يعتقد أنها أسباب وليس فيها ما يصل إلى شرك أكبر، فهي شرك أصغر، وأما الرقى فسيأتينا الكلام بالتفصيل فيها.

ثم قال المؤلف رحمه الله:

"التمائم": شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين؛ لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود.

و"الرقى": هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

و"التولة": هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

"التمائم": **شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين**" يعلقون جلودا مثلاً، خِرَقا، صدفا أو غيرها من الأمور يعلقونه على الأولاد إما حول الرقبة أو حول البطن أو على العضد أو على الذراع، المهم يعلقونه على أطفالهم حتى لا يصيبهم مكروه من عين أو سحر أو جن ونحو ذلك، وهكذا أيضاً يُعلق غير الأطفال كما تَقَدم.

له صور كثيرة لا تدخل تحت الحصر يعني منهم مثلاً:

- من يُعلق العين الزرقاء في المحلات التجارية أو في السيارة،
- ومنهم من يعلق الخيوط السوداء خِرَق سوداء أراها على السيارات الكبيرة يعلقون عليها خِرَق سوداء، هي أيضاً من التمائم؛ لأن المقصود بها الوقاية من الشر ليست لا زينة ولا نظافة، إنما يريدون بها الوقاية من الحوادث، ومن الآفات،
- وهكذا بعضهم يعلق رؤوس بعض الدواب، وبعض الحيوانات مثل رأس غزال مثلاً أو غير ذلك من الأشياء،

7 – اب ما جاء في الرقى والتمائم

المهم إن التمائم أمرها واسع جداً، فسواء عُلقت على الأولاد أو لا، فهي ليس المقصود بها الحصر، أنه التمائم تُعلق على الأولاد فقط، مثل ما تَقَدم في حديث أبي بشير يُعلق على رقاب الدواب. ثم قال:

"لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف"

من الصحابة وما بعدهم رخّص فيه بعض أهل العلم لماذا؟ قالوا:

- لأن إذا كان كانت التميمة من القرآن، **فالقرآن شفاء،**
- وأيضاً قالوا: **لا يدخل في شرك؛** لأن القرآن صفة من صفات الله ﷻ، وصفات الله غير مخلوقة، والنبي في استعاذته يقول: "أعوذ بكلمات الله التمات" فالاستعاذة بكلمات الله الاستشفاء بالقرآن، كل هذا لا يدخل في الشرك؛ لأنها غير مخلوقة.

هذا وجه من رخّص فيه من السلف أن القرآن شفاء كما قال تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل:69] أيضاً أن القرآن صفة من صفات الله فلا يدخل في باب الشرك؛ فرخص فيه بعض السلف.

" وبعضهم لم يرخص فيه وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ﷺ" وتلاميذه الذين لم يرخصّوا فيه:

- قالوا بأن النبي ﷺ قال: "من تعلق شيئا وُكل إليه" فإذا قلنا: أنه لا تدخل في قوله التمائم شرك، فإنها تدخل في قوله ﷺ "من تعلق شيئا وُكل إليه"، فـ"شيئا" **هنا نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم،** هذا العموم حتى نخرج منه تعليق الآيات القرآنية نحتاج إلى دليل.
- وأيضاً في الحديث السابق الذي مر معنا "من تعلق تميمة فلا أتم الله له" وهذا يدخل في كل تميمة سواء من القرآن أو من غير القرآن.
- أيضاً قالوا: إن النبي ﷺ نهى عن التمائم بشكل عام والعام يبقى على العموم حتى يرد المخصص.
- كذلك أيضاً إذا علق التميمة من القرآن فإن هذا **قد يفضي إلى إهانة كلام الله** ﷻ، فيدخل به إلى المراحيض أو ينام عليه أو يطأه برجله أو شيء من ذلك؛ ففيه تعريض له للإهانة، وإذا عُلق على الأطفال مع عدم أفهامهم، ومع قلة إدراكهم، فإن أيضاً باب الإهانة فيها أوسع.

❖ كذلك من وجوه المنع أن تعليق التمائم من القرآن **قد يفتح الباب فيُعلق ما ليس من القرآن**، إذا فُتح هذا الباب فإن الناس ربما يتمادون ويتجاوزون هذا الحد، فيعلقون ما ليس بقرآن.

ولا شك أقوى هذه الوجوه ما تقدم في الوجه الأول وهي أن النهي عن التمائم عام، ولم يرْد في الشرع استثناء لهذا العموم كما ورد في موضوع الرقى. ثم قال:

" **والرقى: هي التي تسمى العزائم**" يسمونها العوام العزيمة،

"وخص منه الدليل ما خلا من الشرك" من الأدلة على جواز الرقية إذا خلت من المحاذير:

❖ قال: ﷺ **"اعرِضوا عليَّ رُقاكم، لا بأسَ بالرُّقى ما لم تكُنْ شِركًا"**

❖ وتقدم في حديث بريدة بن الخصيب أنه **"لا رقية إلا من عين أو حمة"** وتقدم أن هذا ورد موقوفا من كلام بريدة لكن ثبت في سنن ابن ماجه أنه مرفوع إلى النبي ﷺ عن بريدة عن النبي ﷺ أنه قال: **"لا رقية إلا من عين أو حمة"**.

❖ ومما يدل أيضاً على جواز الرقية إذا خلت من المحاذير أن جبريل رقى النبي ﷺ لما سُحر،

❖ وهكذا في مرض موته ثبت في الصحيح أن عائشة كانت ترقيه بالقرآن الكريم،

❖ ولما رأى أولاد جعفر بن أبي طالب عليهم آثار المرض، قالوا: "استرقوا لهم" أي اطلبوا لهم من يرقيهم.

فإذاً الرقى ليست كالتمائم، الرقى ورد فيها استثناء، فجاءت الأدلة على أن من الرُقى ما هو مشروع ولا بأس فيه، **وحتى تكون الرقية جائزة، ومباحة قالوا:**

❖ **الشرط الأول:** لابد أن تكون من القرآن الكريم كالفاتحة، وكآية الكرسي، والمعوذتين، والقرآن كله شفاء أو تكون من الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ **"بسم الله أرقيك"، "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم"، "أعوذ بكلمات الله التامة"** وغير ذلك مما ورد عن النبي ﷺ في هذا الباب.

❖ **الشرط الثاني:** قالوا: أن تكون بكلام عربي، مفهوم المعنى حتى تخرج الطلاسم والرموز التي يستخدمها السحرة والمشعوذون.

❖ **الشرط الثالث**: أن يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله جل وعلا.

فهذه شروط جواز الرقية:

- أن تكون من **القرآن الكريم أو من الأدعية المأثورة** عن النبي ﷺ.
- أن تكون **بكلام عربي مفهوم المعنى** خالٍ من الطلاسم، والرموز التي يستعملها السحرة والمشعوذون.
- **ألا يعتقد أنها مؤثرة بنفسها**، وإنما هي سبب لا تنفع إلا بإذن الله جل وعلا.

فهذه الرقى التي أذن فيها الشارع، أما الرقى بالطلاسم أو بالكلام غير مفهوم المعنى فهي من الشرك، الرقى التي تكون بالاستغاثة، والاستعانة بالجن فهذا من الشرك الأكبر والعياذ بالله، الرقى التي يعتقد فيها الراقي أو المرقي أنها تنفع بنفسها فهي أيضاً لا يجوز.

يقول المؤلف رحمه الله: **"الرقى هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة"** العين معروف، والحمة لدغة ذوات السموم، وليس المقصود حصر الرقية في هذين الداءين، ولذلك قالوا أن أكثر ما تنفع الرقية وأسرع ما تنفع الرقية في هذين الأمرين، وإلا الرقية من كل داء.

" والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته"

ما يُسمى بالعطف يعني يميل قلب الرجل إلى امرأته، والمرأة إلى زوجها، وهذا من السحر، فالصرف والعطف هذا من أنواع السحر ولا يجوز، بعض الناس يقول: أنا استعمل السحر الأبيض، **ما هو السحر الأبيض**؟ قال: يعني الذي فيه الجمع، أما الإفساد بين الزوجين، والإفساد بين الأصدقاء وهكذا يقول: أنا ما أدخله.

فعنده نوعين من السحر: الجمع هو يحبب المرأة إلى زوجها، والزوج إلى امرأته حتى تستقيم الحياة الأسرية أو أني فقط أفك السحر، هو ساحر يستعمل في حل السحر، والنصوص جاءت بتحريم السحر كله لا يوجد تفريق بين سحر وسحر، السحر كله حرام، كله كفر والعياذ بالله.

أيضاً مما تقدم من كلام المؤلف رحمه الله نعرف أن التمائم على النوعين:

- **منها ما رخص فيه بعض السلف** وهو إذا كان من القرآن،

- **ومنهم من لم يرخص فيه مطلقاً** وهو القول الصحيح إن شاء الله.

والرقى أيضاً على نوعين:

- منها ما هو مشروع،
- ومنها ما هو ممنوع.

والتولة حرام ولا تجوز؛ لأنها ضرباً من السحر.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: من تعلق شيئا وُكل إليه رواه أحمد والترمذي.

"**وعن عبد الله بن عكيم**" الجُهَني صحابي لكن لم يثبت له السماع من النبي ﷺ، فيكون بينه وبين الرسول واسطة، ومراسيل الصحابة أعلى من مراسيل التابعين، الكلام والخلاف في المراسيل إنما هو في مراسيل التابعين، أما مرسل الصحابي لا، كثير من الأحاديث في البخاري ومسلم هي مراسيل الصحابة يعني الصحابي يروي ولم يشهد أو لم يسمع الواقعة التي يحكي عن النبي ﷺ.

ومن ذلك قصة بدء الوحي في البخاري، حديث عائشة "**أول بدئ برسول الله ﷺ من الوحي أنه كان يرى الرؤية ثم يحبب إليه الخلاء**"، تحكي أشياء ما أدركتها، فهي أخذت هذا عن غيرها، والمقصود أن الخلاف الذي جاء في المرسل هل هو صحيح؟ هل هو ضعيف؟ هل يُقبل أو يُرد؟ هذا المقصود به مراسيل التابعين.

"**مرفوعا**" يعني من كلام النبي ﷺ "**من تعلق شيئا**" يعني من التمائم أي كانت، "**وُكل إليه**" يعني والعياذ بالله خذله الله سبحانه وتعالى وأسلمه الله إلى هذا الشيء الذي تعلق به من وتر، من جلد، من شعر، من خِرَق، ونحو ذلك من الأشياء.

هل إذا وكلت إلى هذه الأشياء هل تستطيع أن تحفظك وأن تقيك من الشر، وأن ترفع عنك البأس؟ لا يمكن، فقد وكلتَ إلى ضعيف حقير ومن كان كذلك فأمره إلى الخسار، والوبال والعياذ بالله.

والمقصود هنا "**من تعلق شيئا**" يعني من التمائم، علقها على جسده، وتعلق بها قلبه أيضاً، فيه تعليق من الجهتين:

- ❖ **التعليق على البدن** أو على الدابة أو على الدار،

❖ **وتعلق القلب** بها بحيث يكون قلبه مُعلق بهذه التميمة.

إن كانت موجودة حول رقبته، حول يده، حول بطنه شعر بالطمأنينة والأمان، وإذا ضاعت منه خرج من البيت، ونسي أن يلبسها ولم ينتبه إلا بعد ما خرج فإذا به مُضطرب وفزع، وترقب أن يصيبه مكروه وشر حتى يلبسها والعياذ بالله.

وهذا حالهم أنهم دائما الخوف والقلق، والاضطراب وهذه من آثار دعوة النبي ﷺ **"من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له"** يعني لا جعله الله في دعة، ولا في سكون، ولا في طمأنينة من أمره، ومثل ما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:6] زادوهم الخوف والعياذ بالله، لعبت بهم هذه الشياطين.

"من تعلق شيئاً وكل إليه رواه أحمد والترمذي" فهذا فيه تحريم كل ما علقه العبد بقصد دفع العين، والضر أو بقصد رفع هذه الأشياء بعد وقوعها. ثم قال:

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ : "يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه"

"وروى أحمد عن رويفع" بن ثابت الأنصاري.

" قال لي رسول الله ﷺ:"يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك" وهذا الذي حصل، فإنه مات بعد النبي ﷺ قرابة خمسين (**50**) سنة أو نحوها، وهذا من أمر الغيب الذي أطلعه الله ﷻ على رسوله ﷺ.

"أخبر الناس" أي بلِّغ الناس **"أن من عقد لحيته"**:

❖ قيل المقصود به **عقدها بقصد الكبر** والخيلاء كما كانت تفعله بعض الشعوب، يعقدون اللحى بصورة معينة من باب الكبر،

❖ وقيل المقصود **عقد اللحى في الصلاة** يعبث بها في صلاته،

❖ وقيل **من باب الطرف** والزينة.

"أو تقلد وتراً" الحبل الذي يكون في القوس الذي يُرمى به السهم، وهكذا ما كان مثل الوتر يعني أي خيط، أي حبل، أي شيء تعلقه أو علقه على غيره بقصد دفع العين والسحر والجن، والأضرار والأمراض ونحو ذلك.

"أو استنجى برجيع دابة" الرجيع أي روث دابة، **"أو عظم"** أي استنجى بعظم، والاستنجاء معناه تطهر بعد البول والغائط أو استنجى يعني أزال ما يبقى من الغائط أو من البول في الفرج قال: **"برجيع دابة أو عظم"**.

فالاستنجاء جائز لكن الاستنجاء يكون بالماء، والاستجمار يكون بغير الماء كالحجار، والمناديل والخرق ونحو ذلك، ويحرم الاستجمار بالروث، وبالعظام، وبأوراق العلم المحترمة، وبالطعام الآدمي فهذه الأشياء يحرم الاستجمار بها، والعلة من تحريم الاستجمار برجيع الدابة أو بالعظام أنها طعام الجن كما ثبت عن النبي ﷺ **"وطعام لدواب الجن"** العظام طعام للجن، والروث طعام لدوابهم.

"فإن محمدا بريء منه" هذا يدل على خطورة هذه الخصال المذكورة في الحديث، فإن ظاهر هذا اللفظ أن هذا العمل من أشد المحرمات؛ ولهذا يقول أهل العلم: أن الذنب الذي يقول فيه الرسول: "أنا بريء ممن فعل كذا وكذا" أنه يدل على أن هذا المنهي عنه كبير من كبائر الذنوب، مثل قوله من فعل كذا فليس منا.

وعن سعيد بن جبير ؓ ، قال: "من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة" رواه وكيع

سعيد بن جبير هو أحد التابعين المشاهير من أهل العلم، من تلاميذ ابن عباس وغيرهم.

"من قطع تميمة من إنسان" إن كان هذا الشخص لك عليه سلطة، فلك أن تقطع هذه التميمة بيدك مثل ولدك، أو زوجتك، أو أنت أمير وهذا من رعيتك، أو مخول من قبل ولي الأمر بإزالة المنكرات باليد، فلك أن تقطعها بيدك، وأما إن كان هذا الشخص لا سلطة لك عليه فإنك تنصحه، تنكر عليه، وتنبهه، فإذا قطعها كان لك هذا الأجر؛ لأنه إنما قطعها وأزالها بدعوتك، ونصحك له.

" كان كعدل رقبة" يعني ثواب هذا العمل كثواب من أعتق رقبة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه **"من أعتق رقبة"** يعني شخص مملوك، ثم تعتق لوجه الله ﷻ **"من أعتق رقبة أعتق الله بكلِّ عُضوٍ منها عُضوًا منه منَ النَّارِ"** في الصحيح رواية **"حتى فرجه بفرجه"** فإذن ثواب عتق الرقبة النجاة من النار.

"**من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة**" وذلك أن هذا الشخص لو مات والتميمة عليه ربما كان من أهل النار، تذكرون الحديث "**إنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**" حديث عمرو بن الحصين، في قصة الرجل الذي رآه النبي ﷺ بيده خيط، **قال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، قال: "انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، إنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا"** فأنت حينما تقطع منه هذه التميمة، وتخلصه من هذا المنكر العظيم تكون ساهمت في تخليصه إن شاء الله من النار وبالتالي يكون لك هذا الثواب العظيم.

لكن الملاحظ هنا أن سعيد بن جبير تابعي ولم يقل هذا عن صحابي أو عن رسول الله ﷺ، فهل كلامه حجة في هذا الموضوع الغيبي؟ يعني هذا الثواب المخصص "**كان كعدل رقبة**"، لو قال: "من قطع تميمة كان له أجر" كنا نقول هذا من كلام سعيد مما استفاده واستنبطه من الأدلة وهو راجع للاجتهاد، لكن تحديد الثواب "**كان كعدل رقبة**" **هل هذا مما يُدرك بالرأي والاجتهاد؟** هذا أمر غيبي، فالذي يظهر إن سعيد هنا يكون تلقى عن الصحابي، والصحابي تلقاه عن رسول الله ﷺ فتجاوزوا وتساهلوا في نقل مثل هذه الأخبار عن التابعين التي فيها إخبار عن أمر مُغيَّب لا يمكن الإدراك من قبل الاجتهاد؛ لأنهم أعطوها والله أعلم حكم ما لو قال عن الصحابي عن الرسول ﷺ.

"**رواه وكيع**" يعني ابن الجراح،

وله عن إبراهيم قال: "كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن".

"**وله عن إبراهيم**" بن يزيد النخعي، من تلاميذ ابن مسعود.

"**كانوا**" يعني ابن مسعود وتلاميذه، الربيع بن خثيم وغيرهم.

" **كانوا يكرهون التمائم كلها**" تأكيد، وتمائم أيضاً تعم من القرآن وغير القرآن لما تَقدَّم أنها تدخل في علوم النهي "**من تعلق شيئاً وكل إليه**"، "**من تعلق تميمة فلا أتم الله له**" أن فتح هذا الباب يؤدي إلى تعليق التمائم المحرمة، أن تعليق التمائم من القرآن يؤدي إلى إهانة القرآن.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده، ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

8 – باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ
مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ
1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرحِ للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **"باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما"**

"التبرك" تفعّل أي طلب البركة، والبركة الخير الكثير الدائم.

"بشجرة" معروفة، **" أو حجر نحوهما"** يدخل فيها القبور، ويدخل فيها الحديد، ونحوه مما يوضع في المساجد أو حول بعض القبور، كذلك التبرك بأجساد الصالحين أو ملابسهم وما نحو ذلك، كل هذه يدخل في قوله **"ونحوهما"**، وتقدير الكلام فهو مشرك، **"من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما"** أي فهو مشرك، ولكن ربما الشيخ لم يصرح هنا بالشرك، ربما أقول وليس جزماً؛ لأن هذا التبرك منه ما هو شرك أكبر ومنه ما هو شرك أصغر يعني يحتاج إلى تفصيل.

وهذا الباب من جنس الأبواب التي قبله، فقد سبقه لبس الحلقة والخيط، وسبقه ما يتعلق بالرقى والتمائم والتولة ثم هذا التبرك بالشجر والحجر، ونحوهما.

وقول الله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾**

﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾ هذا التركيب معناه "أخبروني"، الهمزة همزة استفهام، والفاء عاطفة، يقولون هذا التركيب فيه قولان، من هذين القولين:

- **القول الأول**: أن فيه **تقديم وتأخير**، وأصل التقدير **"فَأَرَأَيْتُمُ"** لكن قُدمت الهمزة على الفاء فصارت **﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾** فتكون الفاء عاطفة عطفت هذه الجملة **﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾** على ما قبلها،
- **والقول الثاني**: أن بين الهمزة وبين الفاء **فيه كلام مقدر مناسب**، ولكن لا نشتتكم خذوا اليوم القول، وإن شاء الله تأتي لها مناسبتها.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾ أي: أخبروني **﴿اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾**

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾ اللات:

- قرئ **بالتخفيف** يعني التاء واحدة، اللات وثن لأهل الطائف، قيل هو صخرة بيضاء عليها نقوش،
- وقُرئ **بالتشديد** (اللاتّ) من لتّ يلتّ سويق يعني رجل كان يصنع طعاما يسمونه العرب السويق، يصنعه، ويهيئه ثم يمده للناس، يتصدق به عليهم لصلاحه، وكرمه، وإكرامه للناس، يعمل هذا وكأنه كان يقدمه للحجاج الذين قاصدين مكة، يلت السويق للحاج، فعظموه وأحبوه، ولما مات جعلوا قبره وثناً.
  - فإذاً إما أن يكون **قبر هذا الرجل** نفسه،
  - وإما أن **يكون صخرة** وبعضهم يقول هذه الصخرة كان الرجل يجلس عليها أو يعد عليها هذا السويق، فهي متعلقة به.

﴿وَالْعُزَّى﴾ هذا وثن لأهل مكة، من أعظم أوثانهم إن لم يكن أعظم أوثانهم، وهو عبارة عن ثلاث شجرات عظيمة ووضعوا عليها بناء، ستورا حتى يكون لها هيبة في قلوب عُبادها وقاصديها، وقد افتخر بها أبو سفيان في أُحُد، مع أنه في مكة في الحرم حول الكعبة ثلاث مئة وستين **(360)** صنما، لكن ما التفت إليها في يوم أحد في باب الفخر؛ لأن هذه كانت لها ميزة عندهم.

فبعد ما أُصيب المسلمون بما أُصيبوا به وقف أبو سفيان ليغيظ المسلمين فقال: اعلوا هُبل، هذا واحد أيضاً من أصنامهم الكبيرة، فرد عليهم النبي ﷺ قال: **"أجيبوه، قالوا: ماذا نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل"**، فانتقل إلى صنم ربما هو أعظم منها عندهم فقال: لنا العزى ولا العزى لكم، فقال ﷺ: **"أجيبوه، قالوا: بما نجيبه؟ قال: قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم"**[1] فأسكته هذا الجواب.

﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ وأما مناة هذا صنم لأهل المدينة، وهي على ساحل البحر أو قريب من ذلك، إما بين مكة والمدينة، وكانت القبائل في هذه المناطق تقصد مناة، وكانوا يحرمون من عنده إذا

---

[1] البخاري (٣٠٣٩)

قصدوا مكة حجاج ومعتمرون يحرمون من عند مناة، وكان عندهم من أحرم من مناة، فإنه لا يسعى بين الصفا والمروة إنما يطوف بالبيت فقط؛ ولهذا بعضهم تحرّج أن يسعى بين الصفا والمروة، فأنزل الله ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:158] فأزال بهذا من كان عندهم من الشك، هذه ثلاثة أصنام كبيرة، وعظيمة عند المشركين.

ومعنى السؤال ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ يعني "أخبروني هل نفعتكم؟! هل دفعت عنكم الضر؟!" هذا المقصود، **والجواب**: لم تنفعهم بجلب الخير، ولم تدفع عنهم ضراً، والدليل أن هي نفسها لم تنفع نفسها، ولم تدفع عن نفسها:

- ❖ فقد أرسل النبي ﷺ **المغيرة بن شعبة**، فقضى على اللات فكسرها، وأبطلها وأزالها.
- ❖ وأرسل **خالد بن الوليد** إلى العزى؛ فهدمها وقضى على الأشجار ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما فعل قال: "ارجع لم تفعل شيئاً"؛ فرجع ولما راح السدنة هربوا ثم خرجت امرأة ناشرة شعرها وتُوَلوِل، فضربها بالسيف فقتلها، فأخبر النبي ﷺ قال: "تلك العزى"، فقد تكون إنسية، وقد تكون من الجن الله أعلم، يعني "تلك العزى" تلك التي تغري الناس بعبادة العزى، وتشجعهم عليها، وتستدرجهم، وتفتنهم لعبادتها.

هي لم تدفع عن نفسها، ومن لم يدفع عن نفسه كيف يدفع عن غيره؟! هذا محال، العاجز عن نفع نفسه، ودفع الضر عن نفسه لا يملك أن يعطي الخير لغيره أو يدفع الضر عن غيره.

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى﴾ هذا أيضاً استفهام إنكاري، وذلك أن المشركين كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، ويزعمون في اعتقاداتهم الشركية الكفرية أن الله ﷻ اتخذ صاحبه من ثروات الجن، فجئنا له بالملائكة، فرد الله ﷻ عليهم:

- 🕮 ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾ [الجن:3].
- 🕮 ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام:101].
- 🕮 ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:1-3].

فنسبوا لله البنات في الوقت الذي هم فيه يكرهون البنات ولهذا إذا بُشِّر أحدهم أن امرأته أنجبت له بنتا اسود وجهه، وأصابه الخجل والحياء كيف يخرج على الناس والناس قد علموا أن فلان قد رُزق ببنت؟ ومن شدة الغيظ والكرة لمجيء البنات يفكر ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾[النحل:59]، هل يبقيها حية مع الذل والصَّغَار الذي يشعر به أو يدفنها ويرتاح؟ نسأل الله العافية.

فالإناث بهذه المنزلة عندهم، كيف إذاً تنسبونهم لله؟! جعلتم الولد الذي لله جعلتموه أنثى، وأنتم لا ترضون بالإناث في أنفسكم، ولهذا قال: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ يعني باطلة غير عادلة، تجعلون لله ما تكرهون ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم:23-21].

إذاً هذه أسماء لا حقيقة لها، سميتم العزى إلها، سميتم مناة إلها، سميتم اللات إلها، وعلى هذه التسمية رتبتم لها العبادة، تعبدونها مع الله ﷻ، وفي واقع الأمر لا حقيقة لهذه الأشياء بكونها أنها آلهة مستحقة للعبادة أو أنها تنفع أو تضر، هم تعلقوا بأوهام والعياذ بالله.

إذاً هذه الآيات الكريمة فيها الإنكار والرد على من تعلق بالأشجار، أو تعلق بالأحجار أو تعلق بالأصنام أو تعلق بالقبور يطلب منها الخير والبركة، ودفع الضر.

وتبرك المشركين بهذه الأمور الثلاثة ونحوها هذا تبرك شركي، الشرك مُخرِج من الملة، **لماذا؟**

لأنه تبرك بمعنى صرف العبادة لها، فيعظمونها تعظيم عبادة، ويعتقدون أنها تنفع وتضر، فلما اعتقدوا في هذا تبركوا بها، ولجؤوا إليها، ورجوها، وخافوها.

وهكذا اعتقادهم بأنها وسائط بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:3] فيدخل في هذا اللات، والعزى، ومناة فتبركهم بها تبرك شركي شرك أكبر لما عندهم لها من التعظيم الذي هو كتعظيم الله وهو تعظيم عبادة.

كذلك أنهم يعتقون أنها تنفع وتضر، كذلك اعتقادهم في أنها وسائط بينهم وبين الله ﷻ.

فمن كان تبركه بقبور الصالحين، وأجساد الصالحين بهذا المعنى، هذا يكون شرك أكبر والعياذ بالله، الذين الآن في هذا الوقت ممن ينتسبون للإسلام، ويقولوا: لا إله إلا الله، وهم في الوقت نفسه يتبركون بالقبور، والمشاهد، والأضرحة، إذا كانوا يعتقدون أنها تنفع وتضر أو أنها تنفعهم عند الله كتوسط أو كواسطة وشفاعة، والذي يسمونه توسل فهذا تبرك شركي يُخرِج من الملة والعياذ بالله؛ لأنه عين تبرك المشركين باللات والعزى ومناة والعياذ بالله.

وأما إن كان التبرك بمعنى أنه يعتقد أن قبر الصالح أنه سبب في الشفاء من المرض، سبب في حصول الأجر مثلاً، سبب في بلوغ ما يتمنى من ولد ونحوه مع اعتقاد أن الله ﷻ هو المسبب لذلك فهذا شرك أصغر، لا يخرج به من الملة.

لكن ليس معنى هذا أن نتهاون فيه، ونتساهل فيه، فلا ننكر عليهم، ولا نعلم من فعل ذلك، الشرك الأصغر غداً يصل إلى الشرك الأكبر إذا فشا الجهل، وكثرت هذه المظاهر، الشيطان لا يقف بالناس عند حد يجرهم شيئاً فشيئاً، من معصية إلى بدعة، من بدعة إلى شرك أصغر وإلى شرك أكبر، فهو يأخذ الخطوات شيئا فشيئا، فليس معنى هذا إذا قلنا أن هذا شرك أصغر أنه يتساهل في إنكاره، ويتساهل في تعليم الناس، إنما حتى لا يُظلم أحد، يُقال: أنه خرج من الملة وهو ليس كذلك.

ثم قال رحمه الله:

" عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ "لتركبن سنن من كان قبلكم". [رواه الترمذي وصححه]".

"**عن أبي واقد الليثي**" قال الشارح الحارث بن عوف صحابي مشهور مات سنة **68** من الهجرة وله **85** سنة، مشهور بكنيته أبو واقد الليثي، ولكن ممن أُشتهر بكنيته وعُرف اسمه، أبو هريرة أُشتهر

بكنيته لكن اسمه أُختلف فيه اختلافا كثيرا جدا، وبعض الرواة يكون اسمه كنيته، ما له اسم أصلا، يعني طلع من بطن أمه وأبوه سماه أبو بكر، سماه أبو فلان وهكذا، فليس له اسم إلا الكنية.

والعلماء اعتنوا بموضوع الكنى وألفوا فيه مؤلفات الأسماء والكُنى ومن ألف فيها مسلم رحمه الله، له كتاب في الكنى، فالراوي أو الصحابي أو أياً كان في سلسلة السند ممن عُرف بالكنية ترجع فيه إلى كتب الكنى، ويعطيك اسمه إن كان له اسم أو قال لك أن اسمه كنيته، هذا بالنسبة للكتب المستقلة في الكنى.

فيه كتب الرجال مثل "التهذيب"، و"التقريب"، و"تهذيب الكمال" وهذه الأشياء يجعلون قسما للكنى، أولاً يبدئون بأسماء الرواة، إذا انتهوا من أسماء الرواة يدخلون باب الكنى من الرواة، مثل التقريب يرتب لك الكنى بأول حرف بعد الكنية، لنفرض "أبو أحمد" أين نبحث في باب الكنى؟ في حرف الهمزة، لا تذهب إلى الأسماء وتقول: لم ألقِ "أبو أحمد"، باب الأسماء يرتبها على الأسماء نفسها "أحمد، خالد، عبد الله" وهكذا، لكن في باب الكنى احذف أبو وانظر في الحرف الذي بعده:

- فأبو **بكر** في حرف الباء،
- أبو **واقد** في حرف الواو،
- أبو **سعيد** في حرف السين وهكذا.

إذا كانت الكنية أم، مثل "أم سليم" نذهب إلى قسم النساء، وبعد أن ينتهي من أسماء الرواة يذكرون أسماء الراويات النساء، خلصوا من أسمائهن انتقلوا إلى الكنى من النساء، وهكذا.

فلو مثلاً قلت لك ابحث لي عن عائشة، تذهب إلى قسم الرجال تبحث عن حرف العين ما تلقى عائشة، وتقول "ابن حجر شكله نسي أن يترجم لعائشة" لا، أنت تبحث في غير مكانها الصحيح، اترك قسم الرجال، واذهب إلى قسم النساء في آخر الكتاب، تجد في آخر الكتاب أسماء النساء.

يقول: "**خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين**" الوادي وهو المكان الذي وقعت فيه المعركة بين النبي ﷺ وبين أهل الطائف، وكانت في شوال من السنة الثامنة (8) من الهجرة، لما فتح النبي ﷺ مكة خاف أهل الطائف، خافت هوازن أن يغزوها النبي ﷺ فجمعوا له وأرادوا أن يغزوا النبي ﷺ؛ فغزاهم النبيﷺ.

خرجنا مع النبي ﷺ" وهكذا كانت عادة الصحابة، وطريقة الصحابة أنهم ما يفتاتون على الرسول بالغزو، بل يغزون تحت رايته، معه، وراءه؛ لأنهم فهموا أن موضوع الجهاد موكول إلى من؟ إلى ولي الأمر، إلى الرسول ﷺ، فما أحد يستقل ويكوّن له مجموعة ويروح يجاهد دون إذن النبي ﷺ، ودون أمره.

فلما سمعوا قول الله تعالى: ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال:65] الآن بعض الناس يفهم ويقول: أن هذا خطاب مثل ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فهو خطاب لكل مسلم يغزو مثل ما كل مسلم يصوم، كل مسلم يزكي، كل مسلم يصلي؛ إذاً كل مسلم يحمل سلاحه ويروح يجاهد.

س: لماذا تربطون بولاة الأمور؟

ج: نقول فيه فرق، فموضوع الجهاد لما نزلت آيات الجهاد الصحابة ما أحد منهم فهم أن هذه الآية أن كل واحد يحمل سيفه ويروح يقتل من يشاء ويقاتل من يشاء، إنما تركوا هذا الأمر لرسول الله ﷺ قال: نذهب إلى بدر، قالوا: نذهب إلى بدر، قال: نذهب إلى أحد؟ إلى أُحد، إلى مكة؟ إلى مكة، كل هذه الأشياء بأمر النبي ﷺ، ما أحد منهم تقدم على الرسول في الغزو.

بعضهم يذكر حالتين ويشبِّه بها على الناس، ويلبِّس بها على الناس:

- **الصورة الأولى: قصة أبي بصير** رضي الله عنه، لما الرسول سلَّمه لقريش طلع من عند النبي ﷺ فتوجه إلى الغابة على الطريق بين الشاة وبين مكة، وهناك أخذ يترصد لقوافل قريش، ثم كل من هرب من مكة لجأ إليه فيقول لك أن أبا بصير، رفع راية الجهاد، وسام المشركين سوء العذاب بالنسبة لأموالهم، وتجارتهم، والرسول ﷺ لم يأمره، ولم يستأذن النبي ﷺ، ومع ذلك الرسول أقره ولم يشنّع عليه.

وهذا ليس فيه دليل، لماذا؟ لأن الملابسات القوية ما هي؟ قصة أبي بصير وقعت بعد الحديبية، وكان من بنود الحديبية أنه من خرج من مكة مسلما إلى المدينة ماذا يفعل به الرسول؟ يرده إليهم هذا موجب الاتفاق.

فأبو بصير أفلت من مكة، ووصل إلى المدينة لما وصل المدينة أرسلت قريش وراءه، جاء رسل قريش "يا محمد وفِّ العهد الذي بيننا وبينك" فسلمه إليهم، في الطريق خرج من المدينة قتل الجنود الذين معه، قتل واحدا والثاني هرب، فقد جاء رجلين يردونه إلى مكة، ففي الطريق خدع واحدا وقتله، والثاني هرب، المهم قال له الرسول: "يا أبا بصير بيننا وبينهم عهد"، فانطلق الرجل وراح إلى أن وصل الساحل هناك.

لو رجع مكة سيقتلونه، وفي المدينة ما له مقام، وهكذا أي مكان تحت سلطة النبي ﷺ ليس شرط المدينة، إنما أي مكان خاضع لسلطة النبي ﷺ لا يحق له البقاء فيه؛ لأن الرسول مأمور برده إليهم، انطلق إلى مكان ليس للرسول فيه سلطة، وهي طريق القوافل هذه بين مكة وبين الشام على ساحل البحر.

فإذاً أبو بصير المكان والوقت، والملابسة لم يكن للرسول عليه سلطة وولاية، حتى لا تقول: أن أبا بصير أقام راية الجهاد بدون إذن ولي الأمر، والرسول أقره، إذاً نحن نقتضي به، لا، الاستدلال غير صحيح.

- **الصورة الثانية: قصة سلمة بن الأكوع** الذي بلغه أن بعض العرب أغار على إبل الصدقة، وعلى سرح رسول الله ﷺ، فانطلق وراء العدو بنفسه، وأرسل واحدا قال له: بلِّغ الرسول والصحابة، وانطلق ابن الأكوع وضارب هؤلاء القوم حتى استرد كل الإبل التي نهبوها، ولما فرغ وإذا الرسول قد وصل هو ومن معه، هنا الآن يقول لك إن ابن الأكوع ماذا فعل؟ واجه العدو، يعني أراد أن يقاتل العدو، وفعل ما استطاع من ذلك واسترد الأموال المنهوبة، والنبي ﷺ لم يأمره، ولم يستأذن من الرسول، فهذا دليل على أنه يحق للواحد من أفراد المسلمين أن يقاتل العدو.

والجواب: أن هذه ليست قاعدة أصلية في الموضوع، وإنما هذه حالة استثنائية، وهي أن العدو إذا نزل ببلد ولم يكن هناك وقت لاستئذان ولي الأمر، لو انتظرنا إذنه لاستباح العدو البلد، قتل الأنفس، انتهك الأعراض، سلب الأموال ما يجيء الإذن إلا وقد فرغ العدو من مراده، فهذا مثل ما نقول من باب جهاد الدفع إذا نزل عدو ببلد، إذا نزل العدو ببلد وداهم الناس فيذبون عن أنفسهم، إلى متى ينتظرون؟! فهذه حالة مثل ما نقول في حالة الضرورة قد يقتضيها هذا الموقف.

- **فهاتان الصورتان** التي في السنة نجد أن فيهما مواجهة للعدو دون الرجوع إلى النبي ﷺ لكن كما عرفنا هذه ملابساتها.
- **هاتان الصورتان** لا تنقض القاعدة التي يقررها أهل العلم إن الجهاد موكول على ولي الأمر، وإن الجهاد لا يكون إلا تحت راية ولاة الأمور، الذي قاد لهذا قوله: "**خرجنا مع النبيﷺ إلى حنين**".

"**ونحن حدثاء عهد بكفر**" هذا تمهيد، يعطيك العذر لما ستسمع من الكلام.

"**وللمشركين سدرة**" يعني شجرة، "**يعكفون عندها**" يعني يلازمون الجلوس عندها، مثل ما يعتكف المسلم لله ﷻ في المسجد، فهؤلاء يعتكفون عند هذه السدرة، لكن الذي يظهر أنهم يعتكفون للسدرة نفسها يرجون بركتها، وخيرها.

"**وينطون بها أسلحتهم**" يعني يعلقون بها أسلحتهم، لماذا؟ حتى يعلق سلاحه ويستريح مثلاً؟ لا، يعلقون هذه الأسلحة للاعتقاد أن هذه الأسلحة تتبارك بهذه الشجرة، فإذا قاتلوا بها العدو غلبوا عدوهم.

"**يقال لها: ذات أنواط**" يعني ذات التعاليق؛ لكثرة ما يعلقون فيها أسلحتهم، سبحان الله شجرة ما درت عنهم ولا عن أسلحتهم، لكن أوهام وخيالات.

"فمررنا بسدرة" كأنها تشبه السدرة التي يعلق بها المشركون أسلحتهم ربما كبيرة، فروعها كثيرة، مكانها جيد، في المجال الواحد الناس تجتمع عندها، وهذا يعلق سلاحه، وهذا يأخذ سلاحه، يعني أنها مناسبة لهذا الغرض.

"فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" لأنهم قد ألفوا، وتعودوا على تعليق أسلحتهم في ذات أنواط، والذين قالوا هذا الكلام هل هم كل **12000** الذين ذهبوا إلى حنين؟ لا، إنما صدر هذا الكلام من القوم الذين قال فيهم: "ونحن حدثاء عهد بكفر" الباقي ما فهم تفاصيل التوحيد، ربما ناس أسلموا في مكة في رمضان، والمعركة وقعت في شوال، يعني لا يوجد إلا الأيام الفاصل بينهم بين إسلامهم وبين خروجهم إلى حنين.

"فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" يعني نعلق فيها أسلحتنا حتى نتقوى بما فيها من البركة، والخير على قتال العدو.

"فقال الرسول ﷺ: الله أكبر!" يكبر استنكارا لما قالوا، والرسول أحيانا يُكَبِّر وأحيانا يُسَبِّح عند التعجب أو عند الاستنكار.

"إنها السنن" يعني طرق المشركين، وفي هذا الإنكار من النبي ﷺ على هؤلاء الذين قالوا ما قالوا دليل على أن إنكار الشرك الأكبر والأصغر من أوجب الواجبات، وأهم المهمات:

- فلا يُترك من باب **تأليف القلوب**،
- لا يُؤخر **بدعوى ظروف المعركة** والحرب، بعض الناس يقول "نحن الآن في وقت الحرب، ولو جئنا ننكر على هذا الخرافي، وننكر على هذا القبوري، وننكر على هذا الصوفي، وكذا وكذا اختلفت كلمة الجيش، فانتظر المعركة حتى تنتهي، وتستقر الأمور، وينزل النصر وبعد ذلك نبدأ نفهّم الناس ونعلّم الناس، لكن الآن الوقت صعب وحرج"، لا، ما في نصر إلا بالتوحيد أصلا، فصحح العقيدة أولا، ثم إذا قاتلت بجيش موحدا جاءك النصر بإذن الله ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:7]، لكن تقاتل بجيش هذا في رقبته قلادة، وهذا في عضده حلقة، وهذا يعتقد في قبر كيف تريد النصر؟! فالنبي ﷺ لم يؤجل موضوع العقيدة، وقال "بعد ما ننتهي من المعركة

سنعلمهم، ونفهمهم"، بل بادر ﷺ من الإنكار **"الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده"** يعني حلف، وهو لم يُحلّف، ولم يُطلب منه الحلف ومع ذلك حلف تنبيها على عِظم المسألة، وعظم شأنها.

"كما قالت بنو إسرائيل لموسى" بنو إسرائيل أولاد يعقوب لموسى بن عمران.

﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ بعد ما طلعوا من البحر سلمهم الله ونجاهم من فرعون وجنوده، مروا على قوم لهم صنم، فقالوا **﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** هذا الكلام ما صدر إلا عن جهل بالتوحيد، كما أيضاً هذه الكلمة في ذات أنواط **"أجعل لنا ذات أنواط"** ما صدرت إلا عن جهل بالتوحيد.

عندهم علم أن لا إله إلا الله يعني لا تجعل مع الله شريكا تعبده مع الله، لكن تفاصيل هذه الأشياء إلى تلك الساعة ما أدركوها؛ لأن تفاصيل التوحيد تحتاج إلى علم، وبصيرة، وبينة، وهذا إنما يكون بالتعلم:

- فإذا وُجد الجهل في بعض تفاصيل التوحيد، **في بعض أصحاب النبي** ﷺ بسبب حداثة عهدهم بالإسلام،
- إذا وُجد الجهل بالتوحيد **في بعض قوم موسى** وهم الذين كانوا معه؛

فإذن ما الذي يجعلنا نستبعد، ويجعل بعض الناس يقول: لما العناية بالتوحيد وأنت في مجتمع مسلم؟ لماذا تدرسون التوحيد، وتخطبون عن التوحيد، وتحاضرون عن التوحيد، وتؤلفون عن التوحيد والناس في مجتمع مسلم؟ يعني يقول: أن كلامكم هذا معناه أنكم تعتقدون أن هذا المجتمع مجتمع كافر، وأنتم تدعونهم إلى التوحيد"، هم يقولون إذا دعوت إلى التوحيد في مجتمع مسلم هذا معناه أن عندك نظرة تكفيرية أنك تعتقد أنهم كفار وأنت جالس الآن تدعوهم إلى التوحيد، وإلا إذن كلامك هذا كله من باب تضييع الوقت تحصيل حاصل، تدعوا الناس إلى التوحيد، وهم موحدون، يا أخي في قضايا أهم وأكبر من هذا الناس بحاجة إليها، هكذا يُلبسون على الناس، وهكذا أيضاً يثبِّطون بعض الدعاة وطلبة العلم حتى لا يعتني بهذه القضية.

النبي ﷺ دعا إلى التوحيد، ونبه إلى هذه المسائل التي تخالف التوحيد، وهو في مجتمع صحابة، بل ما ترك هذا وهو على فراش الموت في النزع الأخير "لَعْنَةُ اللَّهِ على اليَهُودِ والنَّصارى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبِيائِهِمْ مَساجِدَ" متى قال هذا؟ هو في النزع ﷺ، فما ترك النبي ﷺ الدعوة إلى التوحيد بدعوى أن المجتمع صار كله مجتمع مسلم، الناس بحاجة إلى التذكير به، وتعليمه؛ لأن في قضايا، في مسائل قد تخفى على كثير من الناس حتى وإن كانوا مسلمين موحدين.

ثم انظر الصحابة الذين طلبوا قالوا: **"اجعل لنا ذات أنواط"** وقوم موسى قالوا ﴿**اجْعَل لَنَا إِلَهًا**﴾ هل الفرق في الألفاظ منع النبي ﷺ من سد البلاية؟ لا؛ لأن العبرة بالمعنى ليس باللفظ.

وهذا في تنبيه على أنه الذين يعبدون القبور اليوم، ويعبدون الأولياء ويسمون هذه عبادة لا يسموها عبادة بل يسموها توسلا، هل هذه التسمية تغير الحكم وتغير المعنى؟ لا، فالشرك شرك سُميّ توسلا، سُميّ تعظيما، سُميّ محبة، سُمي ما سُمي، هذه التسمية ما تغيِّر حقيقة المعنى، ولا تغيِّر الحكم.

﴿**اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ تجهلون حق الله فيه أن يُفرض بالعبادة، تجهلون التوحيد وأنه لا يجوز ما يُعمل ما يضاد هذا التوحيد أو يقدح في كماله الواجب.

ثم قال ﷺ: **"لتركبن سنن من كان قبلكم"** سُنَن جمع، وسَنَن مفرد وكلها صحيحة **"لتركبن سنن من كان قبلكم"** يعني طريق من كان قبلكم، والمقصود بهم اليهود والنصارى.

فهذه الأمة أشبه الأمم باليهود والنصارى، وهذا فيه التحذير، يعني هذا إخبار عن أمر مستقبل لكن بمعنى التحذير، كأن المعنى: "احذروا ركوب سنن من كان قبلكم" هذا المقصود؛ لأن هذا بوابة إلى فساد العقيدة، فساد العبادة، فساد الأخلاق، فساد المعاملات، فتشبه المسلمين بالمشركين بأصنافهم جميعاً هذا من أسباب فسادهم في الدين والدنيا:

- ناس تتشبه بهم في **اللباس**،
- ناس تتشبه بهم في **العادات**،
- ناس تتشبه بهم في **العقيدة**،

- ناس تتشبه بهم في **العبادة**.

هكذا يضيع المجتمع المسلم والعياذ بالله، فإذن على طلبة العلم أن ينبهوا الناس على خطر التشبه بغير المسلمين من وثنيين، ومن أهل الكتاب، من أمم راقية أو من أمم ضعيفة، ما دام أنهم غير مسلمين فلا يُتشبه بهم لا في العقيدة، ولا في العبادات، ولا في الأخلاق المنافية لدينهم.

أما الاستفادة منهم في أمور الدنيا مما ينفعنا هذا الشرع لا ينهى عنه، الاستفادة من خبراتهم، من علومهم الدنيوية النافعة، شراء ما نحتاجه منهم من لباس، من دواء، من سلاح وغير ذلك من المنافع، الاستفادة من خبراتهم العسكرية، الطبية، الهندسية هذا الشرع لا يمنعه وفي عندنا أمثلة كثيرة على هذا في حياة النبي ﷺ وأصحابه من بعده:

- ✓ **استفادوا في الطب**، الرسول يقول: "**هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيلَةِ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلا يَضُرُّ أبناءه**" فهذه فائدة طبية أخذها من غير مسلمين من فارس والروم، **الغيلة** – أن يجامع الرجل امرأته وهي حامل، أو يجامع الرجل امرأته وهي تُرضع في زمن الرضاعة، فأراد أن ينهى عنه، لكن ترك النهى، لماذا؟ لأنه بلغه أن أهل الفارس، وأهل الروم يصنعونه ولا يضر الجنين في بطن أمه إذا كانت المرأة حاملا، ولا يضر هذا الطفل الرضيع إذا حصل جماع في مدة الرضاعة، وهذا شيء يتعلق بالطب.
- ✓ **الملابس** كانوا يشترونها من النصارى، تأتيهم الملابس من اليمن، ومن الشام يشترونها ويلبسونها.
- ✓ وهكذا أيضاً **في الجانب العسكري** قالوا إن النبي ﷺ استفاد الخندق من خطط أهل فارس.
- ✓ ولما توسعت الدولة بعد النبي ﷺ **دوّن عمر الدواوين**، وكانت هذه الدواوين في الغالب ليست معروفة عند العرب، إنما اكتسبوها لما فُتحت بلاد الشام والعراق؛ فاستفادوا مما عندهم من الخبرات في تنظيم الدولة، وأُدخلت بعض التجديدات في هذا الباب.

هذا الجانب الشرع لا يقف أمامه الحمد لله، هذه منافع مشتركة بين أهل الأرض، لا تدخل في باب الولاء والبراء، ولا تدخل في باب التشبه المحرَّم وإنما هي من باب المنافع التي خلقها الله للناس، وأولى الناس بهذه المنافع من هم؟ المسلمون

📖 ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:32]

📖 ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:29]

فأولى الناس بهذه المنافع هم المسلمون؛ لأنهم يستعملونها فيما أذن الله في هذا الأصل فيها بخلاف المشركين ينتفعون بهذه المنافع ويعبدون مع الله غيرها، يستعملونها هذه المنافع في معصية الله، يستعملونها في حرب الله، ورسوله ﷺ، لابد أن نُفرق بين هذا وهذا.

أيضاً في قولهم للرسول ﷺ **"اجعل لنا ذات أنواط"** كأن هذا أمر متقرر عندهم حتى عند حُدثاء العهد في الإسلام أن العبادة مبناها على ماذا؟ على التوقيف، إذا دخل في دين جديد، هذا الدين يُؤخذ ممن؟ من النبي ﷺ، تبغي شيئا تتعبد فيه لله في إطار هذا الدين إذاً خذه عن النبي ﷺ، فما استقلوا بهذا الأمر من عند أنفسهم مباشرة، لكن طرأت لهم الفكرة رجعوا فيها إلى من؟ إلى رسول الله ﷺ، فهم إن جهلوا بعض التفاصيل، لكن عندهم أيضا من العلم ما جعلهم يستأذنون من النبي ﷺ في هذا الأمر **"اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"** فأجاب بالمنع والنهي عن ذلك.

والذي يظهر أن هؤلاء أرادوا أن تكون هذه الشجرة سبباً أم معبوداً؟ أرادوا أن تكون سببا يعني إن الله ﷻ يجعل فيها خيرا، ويجعل فيها بركة فنعلق فيها أسلحتنا وتكون سببا بإذن الله.

لا يُظن بهم أنهم قصدوا أن تكون معبوداً مع الله ﷻ؛ لأن هذا يبطل أصل معنى لا إله إلا الله، فكونه قال: لا إله إلا الله معنى هذا أنه يعتقد أن ما أحد يُعبد غير الله سبحانه وتعالى، بل عبادة غير الله حرام، وشرك أكبر، ويتنافى مع هذه الكلمة.

فهم قصدوا أن تكون سببا بإذن الله في حصول الخير والبركة، ومما يدل على هذا أن النبي ﷺ لم يأمرهم في الدخول في الإسلام من جديد، أما لو اعتقدوا أنه يجوز عبادة هذه الشجرة مع الله حتى لو ما عبدوها.

<u>س:</u> متى اعتقد فقط أن هذه الشجرة يجوز عبادتها هذه ردّة أم ليست ردّة؟ <u>ج:</u> ردة، إذا اعتقدت أنه يجوز أن تعبد شجرة فهذا ردّة حتى لو ما عبدتها.

فإذاً النبي ﷺ لم يأمرهم بالدخول في الإسلام من جديد، هذا الدال على أن المسألة كانت في دائرة الشرك الأصغر، والذي أوقعهم فيه جهلهم بهذه القضية من قضايا هذا الباب.

من المسائل في هذا الحديث قضية التبرك بذوات الصالحين:

- **أما بالنسبة بالتبرك بالنبي ﷺ** فهذا أمر مشروع، التبرك بجسده، التبرك بشعره، التبرك بريقه، التبرك بوضوئه هو الماء الذي أصاب جسده بعد الوضوء، **والدليل على ذلك** أن الصحابة كانوا يتبركون بهذه الأشياء، فكان يحلق شعره ثم يوزعه على الناس، يوزعه لماذا؟ يتبركون به، الواحد يضع هذا الشعر في إناء، ويصب عليه ماء ثم يشرب هذا الماء أو يرش به ويشفى إن شاء الله من المرض أو كذا، العرق يُجمع، ويُتمسح به والوضوء يُؤخذ ويتمسح به وهكذا يتبركون بفضلاته ﷺ، وهذا مرأى من النبي ﷺ بل هو إقرار من النبي ﷺ على هذا العمل، فالنبي جسده مُبارك.

الآن في بعض المتاحف يقول لك: أن هذه شعرات من شعر الرسول، وهذا كذا، كل هذا لا حقيقة له، ما في عندنا دليل قطعي يقيني إن هذا الشعر هو شعر محمد ﷺ، إنما المسألة مسألة خرافات، واستجلاب للأموال وأكل أموال الناس؛ حتى يأتوا هذا المتحف أو هذا المكان ويدفعوا أموالا، فيكون فيه مدخل اقتصادي وربح فقط، ولو ثبت أن هذا الشعر من شعر النبي ﷺ جازت التبرك به لكن ما فيه اليوم أثر ثابت عن النبي ﷺ من هذه الأمور.

- **التبرك بغير النبي ﷺ من الصالحين** – لا يجوز، **والدليل**؟ أن أكبر الصالحين بعد النبي ﷺ هو أبو بكر الصديق صديق هذه الأمة، وخير هذه الأمة بعد نبيها، لما مات النبي ﷺ ما نجد صحابيا واحدا تبرك بأبي بكر، لا بثيابه، لا بجسده، ولا بشعره، ولا بريقه، ولا بوضوئه، ولا بشيء، وهكذا عمر، وهكذا عثمان، وهكذا علي، لا يوجد أحد من الصحابة كان يتبرك بأحد من هؤلاء أو بغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فدل ذلك أنهم عرفوا أن هذا التبرك بالذات خاص بمن؟ خاص بالنبي ﷺ، ومات النبي ﷺ وانتهى هذا الجانب.

فإذاً ما نجده من كلام بعض شرّاح الحديث في العصور المتأخرة أنه يجوز التبرك بالصالحين، فيه دليل التبرك بالصالحين كل هذا من المنكر، قضية أن هذا قبر فلان، أو تربة فلان الترياق المجرب، ترياق يعني

دواء مجرب للأمراض هذا كله من المنكرات، ومن الخرافات التي دخلت على الناس، وأصل هذا ومصدره الروافض، هم الذي أسسوا في هذه الأمة الغلو في الذوات وفي الصالحين.

وعنهم أخذوا الناس من الصوفية وغيرهم، فهم عمّار المشاهد والأضرحة، وأصحاب الغلو في الصالحين حتى انتشرت في الأمة، ودخلت للأسف على بعض أهل العلم ممَنَ لهم عناية بالتفسير، وعناية بالحديث النبوي، والعناية بعلوم الإسلام دخل عليهم شيء من هذا، فتجد في تقريراتهم جواز التبرك بالصالحين.

إن كان التبرك بالصالحين بقصد التبرك يعني طلب الدعاء منهم وهو حاضر حي ما فيه شيء أو التبرك الأخذ من علمه، والدراسة عليه واستفتاءه، وأخذ أيضاً بمشورته الطيبة هذا التبرك جائز ليس فيه شيء، لكن الكلام على التبرك بجسده، بثيابه، بكذا هذا هو الممنوع.

أيضاً عندنا مسألة وهي قضية التبرك بالكعبة، الله ﷻ قال عن بيته أنه مبارك ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:96] لكن ما معنى بركة البيت؟

- إنه يُستقبل في القبلة، يُستقبل في الصلاة،
- ويُطاف حوله،
- ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:125].
- استلام الحجر الأسود،
- استلام الركن اليماني،
- يُعتكف عنده لله جل وعلا هذه البركة المقصودة،

أما تروح مثلاً للكعبة وتلصق صدرك بحجار الكعبة أو ستار الكعبة وتطلب البركة، وتريد البركة من هذه الملامسة؟ لا، هذه ليست البركة المقصودة.

حين مثلاً تستلم الحجر الأسود تقبله، أو تستلمه أو تسمح الركن اليماني هل معنى هذا أنك تطلب البركة بهذا المسح؟ وأن البركة تنتقل من الحجر إليك؟ لا، إنما البركة هنا أنك تتبع رسول ﷺ

فقط، فهي بركة اتباع، هذا هو المقصود، ولهذا عمر ثبت عنه في الصحيح أنه قال: "إِنِّ أعلَمُ أنّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنفَعُ، ولولا أنِّ رأيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يُقبِّلُكَ ما قَبَّلتُكَ"[2] المسألة هنا مسألة اتباع لا تبرك بهذا الحجر.

الآن انظر الجُهال ماذا يفعلون؟ حتى الأعمدة الجديدة التي بُنيت الآن، والأبواب التي صُنعت يتبركون بها، ويتمسحون بها، يمسك عمودا من الأعمدة ويتمسح به، ويأتي عند الباب ويتمسح به فضلاً عن الكعبة، وعن مقام إبراهيم ولا غيره، هذا من الجهل، حجر صُنع قبل أمس واليوم يتبرك به! لماذا؟ بسبب الجهل، بعض الطائفين أسمعهم بدل ما ينادي الله ينادي الكعبة "يا بيت الله" أنا سمعت هذا بأذني، يترك الله ﷻ وينادي الكعبة.

هذا التبرك والبركة الموجودة في القرآن أو في السنة فيما يتعلق بالبيت ليس كما يفهمه بعض الناس أنه تمسح بغير ما شرع الله ﷻ التمسح به، فهي بركة بمعنى استقبالها في الصلاة، بمعنى الطواف حوله، بمعنى استلام الحجر، استلام الركن، واتخاذه مصلى، الصلاة فيه بمئة ألف صلاة إلى غير ذلك مما وردت فيه الآيات والأحاديث عن رسول الله ﷺ هذه البركة المقصودة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده، ورسوله محمد.

[2] البخاري (١٦٠٥)

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

9 – باب ما جاء في الذبح لغير الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

9 – باب ما جاء في الذبح لغير الله – التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: **"باب ما جاء في الذبح لغير الله"**

المؤلف في هذا الباب لم يجزم بالحكم، ولم يصرح بالحكم يعني ما قال: باب من الشرك الذبح لغير الله، إنما قال: **"باب ما جاء في الذبح لغير الله"** ولا شك أن الذبح لغير الله عز وجل تقرباً لهذا الغير أنه شرك أكبر مُخرِج من الملة، ولكن ترك الشيخ الباب مفتوحاً:

- من أهل العلم ممن شرح هذا الكتاب قال: قصده **أن يُمرّن طالب العلم على استنباط الحكم** من الأدلة التي سيوردها.
- ومنهم من قال: أن الذبح لغير الله ﷻ:
  - يحتمل أن يكون **من باب التعبد والتقرب**؛ فهذا يكون شركاً أكبر،
  - ويحتمل أن يكون **من باب الفرح أو من باب الإكرام** فلا يكون شركاً،

وعادة المؤلف أن المسألة إذا تحتمل أكثر من صورة أنه لا يجزم بالحكم.

والذبح معناه إراقة الدم، فقالوا "الذبح لا يكون إلا ما فيه روح، ما فيه دم"، فيُقال: فلان ذبح دابة، ذبح بهيمة، ذبح بقرة، ذبح شاة، ذبح حمامة، وهكذا، أما إذا كان الشيء لا روح فيه فلا يُقال ذبح بل يُقال قطع، يعني مثلاً نقول: قطع فلان البرتقال، قطع التفاحة لا نقول ذبح تفاحة أو ذبح برتقالة؛ لأن هذا ليس فيه إراقة الدم أو إزهاق الروح.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:163] الآية،

﴿قُلْ﴾ فعل أمر مُوجَّه إلى النبي ﷺ، وهكذا أمته أيضاً مأمورة بذلك، وهذا القول لابد أن يتواطأ فيه اللسان مع القلب، أما لو قال بلسانه وهو غير مصدق لهذا القول بقلبه فلا ينفعه، هذا إيمان المنافقين يقولون شيئا ويخفون في قلوبهم شيئا آخر والعياذ بالله.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي﴾ الفريضة والنافلة، ﴿وَنُسُكِي﴾ جمع نسيكة، والنسك:

- ❑ يُطلق على **العبادة**،
- ❑ ويُطلق على **الذبيحة** بخصوصها، ﴿وَنُسُكِي﴾ جمع نسيكة أي الذبيحة، وعلى التفسير الثاني يكون هذا محل الشاهد.

﴿وَمَحْيَايَ﴾ يعني ما أفعله في حياتي من الطاعات والقربات القولية، والعملية، البدنية، المالية، الظاهرة، الباطنة.

﴿وَمَمَاتِي﴾ يعني ما أموت عليه من الدين، أموت موحداً لله ﷻ.

إذاً قوله ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي﴾ الصلاة فريضة ونافلة، ﴿وَنُسُكِي﴾ إما العبادات كلها وإما الذبائح بخصوصها، ﴿وَمَحْيَايَ﴾ ما أفعله في حياتي من القربات، ﴿وَمَمَاتِي﴾ ما أموت عليه من الدين، كل لذلك لمن؟ لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ﴾ يعني خالص ﴿لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لمألوهي ومعبودي الذي هو رب العالمين، يعني الخالق، والمالك والمدَبر للعالم كله، وما سوى الله عالم، فإذا كان هو رب العالمين وحده؛ فإذاً هو المستحق أن يُعبد وحده.

﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ من ملك مقرب أو نبي مُرسل أو عبد صالح أو قبر أو شجر أو حجر أو أي شيء كان، لا أشرك به في ألوهيته كما أنه لا شريك له في ربوبيته سبحانه وتعالى، فقوله ﴿لِلّهِ﴾ هذا فيه إثبات، ﴿لاَ شَرِيكَ﴾ هذا نفي، مثل لا إله إلا الله.

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ مثل قول الله تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:2]، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:19]، فالرسول ﷺ عبد مأمور يأمره الله بما يشاء، ويكلفه الله بما يشاء، فلا يجوز أن يُعطى ما لله ﷻ من الصفات والحقوق، فلا يُدعى، ولا يُعبد، ولا يُستغاث به ﷺ.

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي أمرني ربي جل وعلا، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ هذا خبر للنبي خاصة، هذا خاص بالنبي ﷺ أول المسلمين يعني من هذه الأمة:

- فهي **أولية نسبية** يعني بالنسبة لهذه الأمة، وإلا فقد سبق من الناحية الزمنية سبقه الأنبياء والرسل وأتباعهم إلى الإيمان، وإلى التوحيد، لكن المقصود بالنسبة لهذه الأمة هو أول هذه الأمة إسلاماً؛ لأن الوحي ابتدأ بالنزول عليه ﷺ.
- ومنهم من فسر أولية هنا **أولية معنوية**، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني أنا أكمل المسلمين إسلاما، وأكملهم إيمانا، ولا شك أنه ﷺ كما قال عن نفسه: **"أنا أعلمكم بالله، وأتقاكم لله، وأخشاكم لله"** فلا أحد يدانيه في هذا ﷺ.

فوجه إيراد المؤلف لهذه الآية في هذا الباب، أنها دلت على أن النسك عبادة، وأن الذبح عبادة، وإذا كان عبادة، فيجب صرفه لله وحده، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك.

وقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:2]

وقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ هذه الآية الثانية من سورة الكوثر، أقصر سورة في القرآن الكريم تشتمل على ثلاث آيات.

ولهذا إذا مر عليك في مبحث الإعجاز أن أقل ما يُتحدى به في الإعجاز ثلاث آيات، يقصدون الاستدلال بهذه السورة؛ لأن الله قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة:23] هذا أقل ما وقع به التحدي، وأقل سورة تشتمل على ثلاث آيات وهي سورة الكوثر، وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ بشّر أصحابه فقال: **"أُنزلت عليّ سورة بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:1-3] وهذا السياق فيه فائدة جليلة وهي إثبات أن البسملة آية من كتاب الله، أن "بسم الله الرحمن الرحيم" آية من كتاب الله، خلافا لمن يقول أن البسملة ليست آية، ونقصد بها البسملة في مقدمة السورة، أما البسملة في سورة النمل فهذا بالإجماع، لكن المقصود بها البسملة التي في أول السور، فالبسملة آية نزلت على النبي ﷺ، ولكنها ليست من السورة نفسها، فهي كالوسيلة يُستعان بها على تلاوة ما بعدها،

فهي آية من كتاب الله لهذا الحديث الصحيح، وأيضاً لأن الصحابة كتبوها في المصحف بين يدي السور، فالصحابة لم يكتبوا في المصحف شيئاً إلا القرآن الكريم، جردوه من غير كلام الله ﷻ.

فليست البسملة آية لا من الفاتحة، ولا من غيرها يعني في مقدماتها، إنما هي آية مستقلة بنفسها نُزِّلت، وشُرعت تلاوتها استعانة بالله وتبركاً بذكره عند تلاوة ما بعدها من السور.

ومما يدل على أنها ليست آية من السورة نفسها حديث أبي هريرة قال ﷺ: **"قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين"** يقصد بالصلاة هنا الفاتحة، **"فإذا قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي"** إلى آخر الحديث، الشاهد أنه لم يذكر البسملة.

ومعنى قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ امتن الله على عبده، ورسوله ﷺ بأن أعطاه الكوثر، والكوثر صيغة مبالغة من الكثير، والمعنى الخير الكثير، الكوثر بمعنى الخير الكثير، وقد أعطاه الله ﷻ خيراً كثيراً ومنه ما لا يشاركه فيه أحد لا من الرسل فضلاً عمن غيرهم مثل قوله: **"أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي"** منها الشفاعة، وجُعلت له الأرض مسجدا وطهورا إلى غير ذلك من خصائصه الكثيرة التي جمعها العلماء في كتب تُسمى بـ "**الخصائص**" يعني فيما اختص الله به نبيه ﷺ عن غيره، ومن هذا الخير الكثير الحوض الذي ترده أمته يوم القيامة، فهذا ليس هو الكوثر كله أو الخير كله، إنما هذا جزء منه، ومنه نهر في الجنة إلى غير ذلك مما أعطاه الله لنبيه ﷺ.

﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ انظر إلى الفاء، يعني بما أنّا أعطيناك الخير الكثير ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ يعني فاشكر الله ﷻ على هذه النعمة، اشكره بالصلاة، واشكره بالذبح، ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**﴾ يعني لا تصل لأحد غيره، ﴿**وَانْحَرْ**﴾ أي انحر لربك، لا تنحر لأحد غيره، فأخلص لله سبحانه وتعالى في عبادتك كلها، ولاسيما الصلاة والنحر.

ومحل الشاهد من هذه السورة قوله ﴿**وَانْحَرْ**﴾ فقارن النحر بالصلاة؛ فدل على أن النحر عبادة، وإذا كان عبادة، فيجب صرفه لله وحده، ومن صرف لغير الله فقد أشرك مع الله آلهة أخرى.

والنحر الطعن، والذبح معروف قطع الحلقوم والمريء والأوداج، والسنة في الإبل أن تُنحر في لبّتها وهي جزء رقيق في أسفل الرقبة، ولو ذبح البعير أو نحر البقرة أو نحر الشاة حلت وأُبيحت، ما دام أنه أنهر الدم، وقطع الأوداج جائز ما فيه شيء، لكن من حيث السنة والأفضل أن الإبل تُنحر، وأن البقر والغنم تُذبح.

ورُوي عن بعض الصحابة أن معنى قوله ﴿وَانْحَرْ﴾ أي ضم يمينك على شمالك عند نحرك في الصلاة، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ يعني "في صلاتك اجعل اليمين على اليسار عند النحر"، لكن المعنى المشهور هو الأول "صلِّ لله واذبح لله".

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ يعني مبغضك، وكارهك، ومعاديك ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ يعني الأقطع من كل خير، وقيل في سبب نزولها أن النبي ﷺ لما مات أولاده الذكور في مكة سخر وتشمت به المشركون قالوا: "محمد أبتر" يعني ليس عنده إلا بنات، وما عنده أولاد ذكور فلا يبقى اسمه بعد موته، فرد الله ﷻ عن نبيه، ودافع عنه، ورد على أولئك الشامتين، بأنهم هم الأحق بهذا الوصف بالبتر والانقطاع عن كل خير.

وصدّق الله وعده سبحانه وتعالى، هذا ذكر محمد ﷺ من مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:

- **فاسمه يُنادى به في الأذان** "أشهد أن محمد رسول الله"،
- **لا يدخل عبد في الإسلام إلا بالشهادتين** "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله" فجعل الشهادة له باسمه قرينا للشهادة له سبحانه وتعالى للألوهية "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله" فالشهادة له بالعبودية والرسالة إحدى جزأي الشهادة.

وهذا من رفع ذكره سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:4] وقد ذكر بعض السلف أن أتباع النبي ﷻ حقاً وصدقا لهم نصيب من هذا الوصف يعني رفع الذكر ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾، وأن من خالف سنته فنكّب سبيله، وارتكب البدع والمحدثات أن له نصيب من قوله سبحانه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ فانظر ذكر أهل السنة، وأئمة أهل السنة كيف الله ﷻ رفع ذكرهم، ورفع شأنهم، وبارك في علومهم، وكيف أخمر الله عز وجل ذكر أعداءه، على سبيل المثال:

- **قارن بين أحمد بن حنبل وبين أحمد بن أبي دؤاد**، لو وقف واحد يوم الجمعة وقال: "من يعرف أحمد بن حنبل؟" يمكن كل أهل المسجد يعرفونه، من يعرف أحمد بن أبي دؤاد؟ يمكن ولا واحد إلا

خواص طلبة العلم الذين يقرؤون، مع أن هذا الرجل في زمانه كان له ذكر، وصِيت، ومكانة، الخليفة يأتمر بأمره لكن أين هو؟ أخمر الله ذكره، وإن ذُكر يُذكر بالسوء: "هذا عدو الإمام أحمد يعني عدو أهل السنة، وهذا كما قلت على سبيل المثال.

- **ابن تيمية كم له من الخصوم في زمانه** خاصموه، وعادوه، وعاندوه، وتسببوا في حبسه، أفتوا في قتله، وهؤلاء كلهم كان لهم صيت، ولهم مكانة ومقام عظيم في دولهم وفي زمانهم، اليوم لو أسألكم "أعطوني أشهر واحد من أعداء ابن تيمية" لا نعرف ولا واحدا، لكن نعرف ابن تيمية.

- **وهكذا في زمان محمد بن عبد الوهاب** رحمه الله، كم من الخصوم الذين خاصموه في نجد، وفي الحجاز، وفي البحرين، هنا وهناك عادوه، حاربوه، شنّوا عليه من الأقربين ومن الأباعد أخمر الله ذكرهم لا يُذْكرون ولا يُعرفون وإن ذُكر أفراد منهم ذُكر بهذا الوصف "هذا كان عدوا للدعوة"، ورفع الله ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

هؤلاء ليس بينهم وبين الله نسب ولا شيء، بينهم وبين الله الصدق معهم إن شاء الله، الثبات على السنة، وعدم المداهنة فيها، تعرضوا للأذى من سب، وشتم، ولعن، وتشويه السمعة، وحبس وربما ضرب وجلد، وطرد من الديار وغيرها لكن كما قال الله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128] وهذا فيه تسلية لطلبة العلم، تسلية لأهل السنة في كل مكان، اصبر واحتسب، وتوخَّ الحكمة في دعوتك إلى الله، ولكن إذا أُبتليت اصبر واحتسب، إذا صبرت جاء الله بالفرج، وجاء الله بالعاقبة الحميدة إن شاء الله، المهم أن تتأكد أنك على الطريق المستقيم، هذا المهم أنك تسير على خطى محمد ﷺ، وخطى السلف الصالح:

- **صحة السبيل،**
- **وصحة القصد.**

هذا المهم أن يكون سيرك في الطريق صحيحا، ويكون أيضاً قصدك في السير قصدا صحيحا، أما تتنكب غير طريق محمد ﷺ، تمشي على نفس الضرب في الظاهر، ولكن في الباطن تريد حظ نفسك، لا، هذا لا ينفع.

والمقصود أن المؤلف رحمه الله ذكر هذه السورة أو هذا الجزء من السورة حتى يبين ويدلل على أن الذبح عبادة، وإذا كان عبادة، فلا يجوز ذبحه لغير الله سبحانه وتعالى. ثم قال:

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض» [رواه مسلم].

"**عن علي رضي الله عنه**" يعني بن أبي طالب،

"**قال: حدثني رسول الله ﷺبأربع كلمات**" يعني بأربع جمل مفيدة، وكلمات جمع كلمة. وكلمات المقصود بها هنا يعني جملة مفيدة، ليست كلمة قول مفرد؛ لأن مثلاً كلمة "قال" هذه كلمة من حيث اللغة عند أهل النحو، لكن ليس المقصود بها هنا هذا المعنى، المقصود هنا جملة مفيدة:

- "**لعن الله من ذبح لغير الله**" هذه كلمة،
- "**لعن الله من لعن والديه**" هذه كلمة،
- "**لعن الله من آوى محدثاً**" هذه كلمة،
- "**لعن الله من غير منار الأرض**" هذه كلمة.

فالمقصود بها الجملة المفيدة؛ ولهذا يقول ابن مالك في الألفية: "**وكلمة بها كلام قد يُؤم**" أي قد يُقصد، يعني تقول فلان ألقى علينا كلمة، كيف ألقى كلمة؟ يعني ألقى خطبة، كلمة نصف ساعة أو ساعة، وأنت كله سميتَها كلمة، "**وكلمة بها كلام قد يُؤم**" يعني قد يُقصد بلفظ الكلمة الكلام الكثير، لكن المقصود بالكلام يعني المفيد.

"**حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات**" ولاحِظ قوله "**حدثني**" يعني كأنه حدثه مع غيره أو لوحده؟ لوحده، يعني خصه بهذا الكلام، ليس خصه بمعنى أن هذا سر لا تُطلع عليه أحدا، لا، وإنما حدثه لم يكن معه غيره، ولو كان هذا خاصا، وسِرا لم يكن علي ليحدث به ويفشيه.

الرافضة يزعمون أن النبي خص أهل البيت، وخص عليا بعلم ليس عند أحد من الأمة وهذا كذب على علي، وهذه الشائعة ليست جديدة في هذا العصر، بل هي في زمن علي، يعني أُشيعت هذه الشائعة وعلي على قيد الحياة ﷺ؛ ولهذا سُئل علي: **"أخصكم رسول الله بشيء دون الناس؟ قال له: والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ ما خصنا رسول الله بشيء إلا بما في هذا الجِراب أو فَهْم يُعْطِيهِ اللَّهُ الرجل المسلم"**

ما الذي في الجراب؟ كتاب، وضعه في جراب السيف فيه مسائل فقهية، مسائل تتعلق بالديات، مسائل تتعلق بأن لا يقتل مسلم بكافر، مسائل فقهية، لكن شيء خاص خص به الرسول عليا ﷺ، وخص به فاطمة، وخص به أحدا من أهل البيت دون سائر الأمة وهذا العلم ما فيه تشريع، لم يكن ذلك، ولاحظ قوله أنه ليس فيه تشريع للأمة.

أما أخبار غيبية، فهذا الرسول ﷺ قد يخبر بها بعض الصحابة من أهل البيت أو من غيرهم، ولا تكون مجالا للنشر والإفشاء؛ لأنها لا يترتب عليها تشريع، ومن ذلك قول أبي هريرة: **"حفظتُ عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعاءينِ: أما أحدُهما فبثَثْتُه فيكم وأمَّا الآخَرُ فلو بثَثْتُه لقطَعْتُم هذا البلعومَ"**. يأتي واحد ويقول: "انظر أبو هريرة يكتم العلم"، لا ما كتم العلم الذي أُمر بنشره:

- **الوعاء الأول**: العلم الذي أُمر بنشره، هو الوعاء الذي بثه في الأمة، في مسند بقي بن مخلد خمسة آلاف وثلاث مئة وأربعة وسبعين (**5374**) حديث، هذا العلم بثه، ونشره في الأمة،

- **الوعاء الثاني**: لا يترتب عليه تشريع وحلال، حرام، وعقيدة وكذا، إنما ذكر العلماء أنها قضايا خاصة تتعلق بأشخاص "فلان سيقتل فلانا، فلان سيتولى الإمارة، وفلان سيفعل كذا" أمور تتعلق بأشخاص معينين، هذا ما فيه مصلحة في نشره؛ ولهذا لو قال للناس مثلاً لنفرض تخيلاً: أن الرسول حدثني أن فلان سيقتل فلاناً، ربما هذا الذي قيل فيه هذا القول سيأتي ويقتل أبا هريرة، وما له أي مصلحة، إذا كان الله قضى وقدّر، فلا بد من وقوعه، يعني إخبارك بهذا الأمر لن يغير في القدر شيئا.

ولهذا عثمان ﷺ لماذا سلّم نفسه للقتل؟ ولم يدافع، ولم يقاتل، وما ترك الصحابة يقاتلون عنه؟ لأنه علِم أن هذه الفتنة أنه مقتول فيها كما أخبره النبي ﷺ، فسواء دافع عنه الصحابة أو مواليه أو لم يدافع هو سيُقتل،

سيُقتل، فإذا كان سيُقتل إذن ما الداعي أن تُراق الدماء في سبيل الدفاع عنه؟! ولهذا أكّد على الصحابة، وأكّد على مواليه، وعلى أبناء الصحابة أن يغمدوا سيوفهم، ويرجعوا إلى بيوتهم، استسلم لأمر الله.

فالمقصود أن النبي ﷺ لم يخص علياً، ولا غيره من أهل البيت ولا أحد من الصحابة بعلم يتعلق بالتشريع للأمة دون بقيتهم ودون سائرهم.

"لعن الله من ذبح لغير الله" هذا الأسلوب **"لعن الله"** يحتمل أن يكون دعاء، ويحتمل أن يكون خبرا، دعاء كأنه قال: "اللهم العن من ذبح لغير الله" هذا الدعاء، اللعن يُخبر النبي ﷺ أن من ذبح لغير الله؛ فالله قد لعنه، وعلى كلا الأمرين فاللعن متحقق، سواء قلنا الدعاء أو أخبر فاللعن متحقق.

واللعن معناها الطرد، والإبعاد من رحمة الله سبحانه وتعالى، فالملعون من أهل النار والعياذ بالله؛ لأن الجنة دار رحمته، فهذا الملعون مطرود من رحمة الله، وهذا يدل على عظم شأن اللعن، "لعن الله فلانا" كأنك تخبر أن الله قد طرده من رحمته، وما يدريك؟! هذا أمر غيبي؛ ولهذا لما النبي ﷺ لعن فلانا وفلانا من المشركين أنزل الله ﷻ عليه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:128].

الله ﷻ نهى عن لعن المشركين بأسمائهم، فكيف إذاً بلعن المسلم المعين؟! وفي الحديث **"لَعْنُ المؤمِنِ كقَتلِه"** وليس من خُلُق المسلم اللعن **"ليسَ المؤمنُ بالطَّعّانِ ولا اللَّعّانِ"**، يجوز اللعن على جهة العموم "لعن الله آكل الربا، لعن الله شارب الخمر، لعن الله شاهد الزور، لعن الله الظالم، لعن الله الكاذب" على جهة العموم لكن لعن مُعين ينبغي البعد عنه.

نعم من أهل العلم من رخّص في لعن المعين إذا اشتد خبثه، فجوره، وبدعته، لكن قالوا إن هذا اللعن من باب التنفير عن هذا العمل، وليس من باب الحكم عليه بعينه بأنه مطرود من رحمة الله، والقول الأول أحوط، وهو اجتناب لعن معين.

"لعن الله من ذبح لغير الله" هذه الكلمات الأربع بدأ فيها بهذا الأمر؛ لأنه شرك، والشرك أعظم الذنوب كالذبح للأصنام، الذبح للمعظمين تعبداً، وتقرباً لهم هذا شرك، الذبح للجن خوفاً منها، واتقاء لشرها، الذبح للسحرة، والكهنة لتحقق مطلوب هذا كله شرك.

وللأسف، كثير من هذه الصور لا تزال موجودة إلى يومنا هذا في بلاد المسلمين:

- **بعض الناس إذا بنى بيتا يذبح عند عتبة الدار** ذبيحة، لمن؟ خائف من الجن، وخائف من الشياطين، خائف من الحسد؛ لا يذبحها لله، بل يذبحها خوفا من الأرواح الشريرة الخبيثة، هذا شرك.
- **واحد يذهب إلى الساحر**، الكاهن يسمونه الراقي، الطبيب الشعبي أو الحكيم أو كذا التسمية ما تأثر، العبرة بالمعنى، عندنا فلان مريض ما تركنا مستشفى، وعلاج إلا وجربناه لا توجد فائدة، قال: خلاص اذبحوا ديكا، اذبحوا تيسا بلون كذا، وضعه في مكان كذا، فيذبحون هذه الذبيحة شركا بالله ﷻ يعني تذبح للجن، وتذبح للشياطين، فهذه الأنواع من الذبائح كلها شرك.
- هكذا أيضاً أفتى بعض الفقهاء والعلماء على أن **الذبائح أن تُذبح للملوك والعظماء** أنها أيضاً من باب الشرك بالله، مثلاً يقوم الحاكم بجولة على الرعية، فإذا مرت سيارته، ومر موكبه يكونون مستعدين ومعهم إبل، معهم بقر، ومعهم غنم، فعند مروره ينحرون الإبل، ويذبحون البقر، والغنم، فهذا الذبح شرك على ما أفتى به كثير من أهل العلم؛ لأن هذا الذبح مثل الذبح لله، تقرب لله.
- **أما إذا كان هذا الذبح من باب الإكرام كالضيافة**، هذا ما فيه شيء، يعني الحاكم أو الأمير زار المدينة الفلانية أو القرية الفلانية وسووا له حفلا، وذبحوا له الذبائح وأطعموه منها، وأطعموا منها الناس، ما يدخل فيه ذلك، يأتيك ضيف تذبح له، يأتيك مولود تذبح له، تذبح لأهلك للبيت، كل هذا ما فيه شيء؛ لأن ليس فيه نية التقرب، والتعظيم، إنما المقصود إكرام الضيف أو الفرح بقدوم هذا الغائب أو شكرا لله سبحانه فإذا كان شكرا فهذا لا نتكلم عنه، فهذا داخل في القربى، إنما الذبح للبيت أو لضيف هذا كله ذبح جائز، ولا يدخل في الشرك، ويأتي إن شاء الله في نهاية الكلام تفصيل في موضوع الذبح ما يحل، وما يحرم منه.

ثم قال: **"لعن الله من لعن والديه"** وانظر كيف جاء بما يتعلق بالوالدين بعدما ذكر بما يتعلق بالله سبحانه وتعالى، فأعظم الأوامر التوحيد ثم بعدها بر الوالدين:

- يعني أعظم الحقوق حق الله ثم حق الوالدين ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:23].
- الإشراك بالله، عقوق الوالدين **"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، الإشراك بالله وعقوق الوالدين"**

❍ وهنا لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه فجعل العقوق بعد الشرك.

وهذا يدل على خطر، وعلى عظم شناعة العقوق، وقد تكون عاقًّا بأقل من كلمة بـ"أف" تكون عاقا والعياذ بالله، ليس العقوق أن تضرب، تسب وتلعن، أن تقاطع، وتهجر ولا تزورهم، لا، العقوق بأقل من ذلك بكثير، تكون العقوق بالتأفف، بإظهار التضجر من أوامرهم حتى لو نفذت الأمر "اذهب هات لنا خبز، اذهب عبي الأسطوانة" لو نفذت لكنك كنت متأففا تظهر التأفف، وتظهر التضجر وقعت في العقوق.

والعقوق يتفاوت طبعاً ليس على درجة واحدة، لكن كله شر والعياذ بالله، ومن أشد العقوق اللعن:

❑ إما اللعن **مباشرة** والعياذ بالله،

❑ وإما **التسبب** في لعنهم،

فاللعن المباشر والعياذ بالله أن تبلغ الخِسَّة والدناءة بالابن أن يلعن أباه "لعنك الله"، اللعن غير المباشر أن تلعن أبا رجل "الله يلعن أباك" وهو ماذا يفعل؟ يرد عليك ويقول: "الله يلعن أباك أنت" فأنت الآن تسببت في لعن أبيك أو تسببت في لعن أمك، فهذا أيضاً داخل في لعن والديه.

"لعن الله من لعن والديه" إذاً الشرع أمرنا أن نحسن للوالدين، ندعو لهم ﴿وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:24]، أبو هريرة كان ينادي **"يا أماه" تقول: لبيك، فيقول: رحمك الله يا أمي كما ربيتني صغيراً"** امتثالا لهذه الآية.

فالمقصود أن الابن ينبغي أن يكون أحسن الناس أخلاقاً مع والديه، براً بهم، وعطفاً عليهم وشفقة وسعيا في الخدمة، حتى وإن كان الأب كافرا، والأم كافرة، يمكن معنا في المجلس من أبوه على هذا الحال، حتى وإن كان أبوك يهوديا أو نصرانيا أو وثنيا أو ملحدا تَبَرّ به، حتى لو كان يحارب ويصارعك على أن تشرك بالله وتترك دينك، وترجع إلى الدين السابق، أنت أيضاً مأمور بالإحسان إليه، ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:15] هذا ما يمنع عن أن تهديه، أن ترسل له مالا، تسعى في خدمته في الشيء الذي ليس فيه حرام، فهذا من دينك، وإن شاء الله بحسن هذه الأخلاق الله يشرح صدره للإسلام، ويقعد ويفكر في نفسه "أنا الحين أضرب ولدي وأسيء إلى ولدي، وأشتم ولدي،

وأضيق عليه وهو يحسن إليّ، لماذا يحسن؟!" يبدأ يتساءل هو، إذا عرف أن هذا هو الدين يرى أن هذا الدين عظيم فعلاً، الدين ليس من تركيب البشر، وصنع البشر، فيكون هذا خيرا له إن شاء الله.

المهم أن الابن لا بد أن يحسن إلى والديه قدر ما يستطيع سواء في حياتهم أو حتى بعد مماتهم، إذا ماتوا على الإسلام فمن البر بهم بعد الموت الدعاء لهم، والاستغفار لهم:

- في المسند، والسنن والأدب المفرد عن أبي هريرة **"أن الرجل يُرفع يوم القيامة درجة فيقول: يا رب أن لي هذا؟ قال: باستغفار ولدك لك"**.
- حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: **"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث"** ذكر أنه **"ولد صالح يدعو له"**، وهكذا أيضاً صلة أقاربهم، وأصدقائهم من البر بهم بعد الموت.

"لعن الله من آوى محدثاً" هذه الجملة الثالثة، والكلمة الثالثة، **المحدث يشمل نوعين اثنين:**

- **النوع الأول المحدث المرتكب لجريمة**، يستوجب عليها عقوبة كالقتل، والسرقة، حرابة وغير ذلك من جرائم التي فيها عدوان على الأنفس أو عدوان على ما دون النفس، عدوان على المال، عدوان على الأعراض أي جريمة فيها عقوبة؛ فيتخبأ من الجهات المسئولة عندك فتأويه، وتتكتم عليه، وتتستر عليه، هذا محدث.
- **النوع الثاني من الإحداث الابتداع في الدين "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"** المحدِث يعني المبتدِع.

فحماية المحدث الجاني يعني إيواء المحدث الجاني تكون بالحيلولة بينه وبين أن يُقام عليه حكم الله سبحانه وتعالى، تُخفيه، وتكتم أمره وتتستر عليه.

وإيواء المحدث المبتدع يكون بصور:

- منها **أن تؤيده**، وتدعمه، وتصدق على بدعته،
- منها **أن تكرمه** وتظهر مكانته أو قيمته عند الناس حتى يقتدوا به ويتبعوه، فالذي يؤيد صاحب البدعة فهو محدث معه يعني آواه، هذا إيواء معنوي،

❍ **الذي ينصره**، ويعينه بأي وسيلة كانت ينشر له كتبه، يوزع من صوتياته، يستضيفه في مسجده أو في بيته، أو في مجلسه ويجمع الناس له.

كل هذا من صور الإيواء، إظهار إكرامه، وإجلاله وتوقيره حتى يكون في قلوب الناس هيبة له، ومكانة له هذا أيضاً كله من إيوائه، ولهذا يقول السلف: **"من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام"** لأن توقير صاحب البدعة يحبب الناس في هذه البدعة، ويجعل عند الناس ثقة، قناعة أن هذه البدعة هي الدين الصحيح وإلا كان فلان ما وقرّه وعظمه، الشيخ ابن باز رحمه الله في بعض فتاويه يقول: **"من مدح صاحب البدعة فهو مثله"** فإذاً هذا أمر خطير، يجب الحذر منه.

ونحن الآن في هذا الوقت ابتلينا بالذات بفكر الخوارج، وطريقة الخوارج، وهؤلاء المفسدون في بلادنا، وفي بلاد المسلمين الأخرى بالتفجيرات والاغتيالات باسم الدين، فهؤلاء لا يجوز التستر عليهم، ولا التعاون معهم، ولا إخفاء أمورهم عن الجهات المسئولة، بل يجب التعاون مع الجهات المسئولة لكف شرهم، بذلك تنال أجر وثواب من الله، إذا كان قصدك سلامة المجتمع من شرهم، إضافة ما قد يأتيك من الخير أن الدولة أحياناً تعلن عن مكافئات، لما تتعاون مع الدولة لا يكون قصدك هذا المردود المادي، فهذه الدنيا لا تسوى شيئا، يمكن الجماعة يقتلوك قبل أن تحصل على الشيك، وما استفدت لا أجرا، ولا استفدت المكافأة التي وُعدت بها، لكن قصدك يكون ما عند الله سبحانه وتعالى، هذا المهم، النبي ﷺ يقول: **"أينما لقيتموهم فاقتلوهم"** يعني تعاون مع الجهات المسئولة على كف شرهم هذا من أعظم القربات لمن حسنت نيته، وصلح قصده.

"لعن الله من آوى محدثاً" ولاحظ هنا إذا كان من آوى المحدث ملعونا، ما ظنك بالمحدث نفسه؟ أحق باللعن، أشد، إذا كان من آواه، نصره وأيده فهو ملعون؛ إذاً هذا يدل على خطر الإحداث في دين الله.

تذكرون مر معنا أحاديث الحوض أن الأُناس يريدون الحوض حتى إذا وصلوا إليه دنوا، مُنعوا منه، وصُدوا عنه، فيقول الرسول: **"يا رب أمتي! أمتي!"** وفي رواية **"أصحابي! أصحابي!"، فيُقال: "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"**، فصار هذا الإحداث مانعا لهم من ورود الحوض، فهذه واحدة فقط من شؤم الإحداث في دين الله نسأل الله العافية.

"لعن الله من غير منار الأرض" المنار يُطلق على أمرين:

- **الأمر الأول الحدود** التي تفصل بين أرض فلان، وأرض فلان كعلامات، هذا عنده أرض، وهذا جاره عنده أرض، جاره الثالث عنده أرض، وهكذا، فالذي يفصل بين أرض زيد، وأرض عمرو علامات، يسمونها بِتر، يسمونها أي شيء، ترونها الآن تلك المخططات، الإخوان الذين يتمشوا في المخططات يرون مثل البلوك الأبيض ملون باللون الأبيض هذه المنار، المهم أنه العلامات التي تُبين أرض فلان من أرض فلان، وملك فلان من ملك فلان سواء كبيرة أو صغيرة، الشاهد هذه المنار، وهذا المعنى الأول للمنار.
- **الأمر الثاني للمنار العلامات الإرشادية** التي تقول مثلاً: القرية الفلانية تأخذ يمين، المدينة الفلانية تأخذ يسار، تلك اللوحات التي توجد على الطرق، وهذه ليست جديدة مع وجود الأسفلت، المنارات من قديم على طرق مسافرين وكانوا أشد الحاجة لها من اليوم؛ لأنك تمشي في الصحاري وفي القفار؛ فكانوا يضعون علامات تبيّن للمسافرين، فإذا غيّر الشخص منار الأرض ماذا يحصل؟ يضل المسافرون، ويتيهون، قد يدخلون في الصحراء ويهلكون ويموتون جوعاً وعطشاً، لو مشوا على الطريق الصحيح أمامهم قرى فيها أكل، فيها شرب، فيها أسواق يتزودوا منها للمرحلة التي بعدها، لكن لو ضيعوا ودخلوا في الصحراء هلكوا وماتوا.

فتغيير منار الأرض بمعنى تغيير الإرشادات، والعلامات الإرشادية هذه تؤدي إلى الموت.

تغيير منار الأرض التي بمعنى العلامات بين الأراضي والممتلكات هذه تؤدي إلى استقطاع مال الغير بغير حق **"ومن اقتطع شبراً من أرض مسلم بغير حق طُوّقه من سبع أراضين في عنقه يوم القيامة"**. دخل أبو سلمة بن عبد الرحمن على عائشة، وعائشة سمعت أن أبا سلمة بينه وبين واحد خصوم في أرض، قالت: **"يا أبا سلمة اجتنب الخصوم في الأرض، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ومن اقتطع شبراً من أرض مسلم بغير حق طوقه من سبع أراضين"** يعني قالوا: يعظم عنق الشخص يوم القيامة ثم تُطوق سبع الأراضي فيه في عنقه والعياذ بالله. وهكذا يكون في المحشر حتى يقضي الله بين العباد، هذا وعيد شديد وما أكثر الخصومات في الأرض.

حدثني بعض مشايخنا في جزان الله يرحمهم كلهم المحدث والمحدث عنه، أن الشيخ أحمد النجمي استولى بعض الناس على بعض أراضيه، أراضي زراعية، فجاءوا حرضوا عليها أنه يذهب إلى القاضي ويخاصمهم وكذا، فقال: **"العمر قصير، والموعد يوم القيامة"**، **"العمر قصير"** يعني لا أضيعه في المحاكم، والمخاصمات والمجادلات ويمكن تطول السنين على ما يصدر الحكم النهائي، **"والموعد يوم القيامة"** وترك الأرض، وما جادلهم، وما خاصمهم، مع أنه في بيئة ما أكثر الخصومات فيها على الأراضي، هذا معنى الحديث، قال: **"أخرجه مسلم"** وهو حديث صحيح.

عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» [رواه أحمد].

الحديث الذي بعده هو حديث طارق بن شهاب أحد صغار الصحابة يُخبر عن النبي ﷺ: **"دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب"** مُقدمة يُراد بها التشويق والترغيب، **"دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب"** كيف هذا؟ " **قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟!**" كيف كان الذباب سببا في دخول الجنة، والذباب هذا المخلوق الصغير الحقير سببا في دخول النار؟

"دخل الجنة رجل في ذباب" يعني بسبب ذباب، والذباب معروف الحشرة الصغيرة لكنها مؤذية، بعض فقهاء اللغة يقولون: اسمها ذباب يعني مكونة من كلمتين من "ذُبَّ"، "آب" ذُبَّ يعني تدفع، "آب" يعني يرجع، كلما جاء على أنفك تدفعه فيرجع مرة أخرى ويُروى عن بعض الجبابرة، بعض الملوك أنه كان في مجلس وعنده واحد من الوعّاظ الصالحين وفيه ذبابة آذته وأخذت تنزل عليه، فقال: **"لماذا خلق الله الذباب؟ فقال: ليُذِلَّ به الله الجبابرة"**، يعني أنت الذي مُلك في الشرق والغرب وجنودك، وذبابة لعبت فيك وآذتك حتى يُريك الله أنك مخلوق ضعيف، وأن الذبابة تقدر أن تأذيك، إذاً قوله: **"في"** يعني بسبب.

ففسر النبي ﷺ الموضوع كيف حصل هذا، قال: **"مر رجلان"** بعض الشرّاح يقولون إنهم من بني إسرائيل، قد يكون من بني إسرائيل وقد يكون من الأمم قبل بني إسرائيل الله أعلم، المهم أنهم ليسوا من هذه الأمة.

"مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد" يعني تجاوزه يتعداه **"حتى يقرب له شيئاً"** عندهم نظام الذي يريد أن يتجاوز هذه المنطقة التي فيها الصنم إما يُقرب لهذا الصنم وإلا يقتل، هذا النظام الذي عندهم.

فمر رجلان **"فقال لأحدهم: قرِّب"** لهذا الصنم، فاعتذر بالعُدم يعني بالفقر، أظن موجودة في الشروح إذا مرت عليك هذه الكلمة "بالعدم" أي بالفقر، الفلان مُعدِم يعني فقير ما عنده شيء.

"قال: ليس عندي شيء أقرب" يعني ما عندي شيء، ما عندي بعير، ما عندي شاة، ما عندي ولا شيء، **"قالوا له: قرب ولو ذباباً"** قالوا: ما مشكلة، أي حاجة، الحشرة، المهم فيها روح، وفيها حياة، لو ذبابة أحقر شيء، واذبحها لكن بنية التقرب لهذا الصنم، فقال: الأمر سهل، رأى له ذبابة وعقرها تقربا لهذا الصنم **"فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار"** يعني استمر على شركه حتى مات، يعني ما تاب إلى الله بعد ما فعل، وربما بعدما قرب الذبابة الله ﷻ قبض روحه مباشرة ودخل النار، ممكن، كل شيء وارد:

- **إما أنه أُمهل وعاش** ومات على ذاك الشرك ما تاب إلى الله منه،
- **أو إنه بعد ما قرب الذبابة مات مباشرة**، هرب من القتل وما هرب من الموت، مات ودخل النار، لماذا؟ لأنه أشرك بالله سبحانه وتعالى.

"وقالوا للآخر: قرب" قالوا للثاني: قرب، ما اشتكى وقال ما عندي شيء **"فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل"** لا أقرب للصنم لا كثير ولا قليل، لا كبير ولا صغير، لا ثمين ولا حقير، فاستسلم وصبر **"فضربوا عنقه فدخل الجنة"** فقتلوه فدخل الجنة، والحديث رواه أحمد وفيه كلام في ثبوته.

المقصود أن هذا الحديث يدل على ما دلت عليه النصوص أن الذبح لغير الله شرك أكبر موجب للخروج من الملة، وموجب لمن مات عليه دخول النار.

مسألة: لكن تبقى القضية هل هذا الشخص لما قرب للصنم قربه ظاهرا، وباطنا مطمئن بالإيمان؟ أم تقرب للصنم ظاهراً وباطناً؟ ظاهر وباطن؛ لأن لو كان العمل صوريا فقط، والنية ليست للصنم ما صدق أنه متقرب للصنم.

المسألة الثانية: لو تعرض شخص في هذه الأمة لمثل هذا الموقف، فهل له أن يُظهر التقرب لهذا الصنم، ويكون قلبه مطمئن بالإيمان؟ أو يجب أن يستسلم للقتل، ولا يتظاهر بشيء؟ نتكلم عن الوجوب؟ لا يجب الاستسلام للقتل، له أن يتخلص من القتل بأن يُظهر لهم أنه ذبح هذه الذبيحة للصنم، وينوي بها التخلص من شرهم، أو ينوي بها الذبح لله سبحانه وتعالى، فهو يذبح في الظاهر للصنم لكن في الحقيقة هو يذبح لله، لكن من أجل أن يتخلص من شرهم، في شريعتنا والحمد لله أن هذا جائز ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:106] فلو قائل: لماذا ذاك لم يستلم للقتل؟ نقول:

- ربما **لم يكن في شريعتهم العذر بالإكراه،**
- أو الجواب الآخر **أنه أراد الدرجة العليا** أن يُقتل في سبيل الله وله ذلك.

ولو أن واحدا في هذه الأمة تعرض لمثل هذا الموقف، واستسلم للقتل وقُتل له أجره، ولو أخذ بالرخصة فلا حرج عليه ولله الحمد، لكن المقصود عندنا هنا أنه لو كان ذاك الشخص الذي قرب الذبابة لو فعل هذا في الظاهر فقط، وما قصد تقرب فالذي يظهر والله أعلم أنه لم يكن من أهل النار لو كان ذلك حاله، لكن استوجب دخول النار؛ لأنه نوى وقصد بقلبه التقرب لهذا الصنم، ولهذا المؤلف رحمه الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المسائل ذكر أن مقصد الكفار هو عمل القلوب، وهذا يدل على أنه كان بقلبه هو ناوي التقرب لهذا الصنم.

هذا ما يتعلق بهذا الباب، أختم بخاتمة موجزة وهي أن الذبح لله سبحانه وتعالى قد يكون واجبا، وقد يكون مستحبا:

- **الواجب** مثل هدي التمتع، وهدي القران، وهدي الإحصار، والجبر عما يقع في الحج والعمرة من النقص والتقصير بارتكاب المحظور أو فعل ترك واجب هذا كله ذبح واجب، كذلك أيضاً

الأضاحي، والعقائق عند من يجيبونها، فيهما خلاف هل هي واجب أم مستحبة أقول: الذبح لله لما هو واجب كما سمعنا.

- **المستحب**: منه ما هو مُستحب كهدي التطوع يُرسل الشخص بالإبل، بالبقر، بالغنم إلى البيت الحرام وهو في بلده يذبح هناك، وتُوزع هناك هذا هدي تطوع ﴿وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ [المائدة:2].
- **المباح**: ومن الذبح ما هو مُباح مثل الذبح للأهل يذبح شاة وغيرها لبيته للحم هذا جائز لكن بشرط أن يُسمي الله عليها ويقول: "بسم الله"، فلابد من التسمية، ولابد من التزكية الزكاة الشرعية المعروفة بشروطها، فذبح الدواب للحم لا بقصد القربة هذا جائز بشرط أن تستوفي الزكاة الشرعية شروطها.
- **أما الذبح لغير الله**: المقصود بغير الله هنا: إن كان بقصد التقرب، التعبد هذا شرك أكبر مُخرِج من الملة كذبح للأصنام، أو الأوثان، الذبح للمعظمين، للجن، الشياطين ونحو ذلك هذا كله شرك أكبر مُخرج من الملة، ولو ذكر اسم الله عليه، يعني ذبح ذبيحة للجن قال: "بسم الله" حتى لو كبر بعدها "بسم الله والله أكبر" لكن النية للجن فهذه تكون ذبيحة شركية، لا ينفع أن يُقال عليها "بسم الله" مثل لو ذبح هديا أو أضحية وقال: "بسم المسيح"، وهو الناوي بها أضحية لله سبحانه وتعالى في عيد الأضحى تنفع أم لا؟ لا تنفع؛ لأن هذا شرك لا يجوز، إذاً الذبح لغير الله أن يقصد، وأن ينوي التقرب نية عبادة، ونية قربة لغير الله سبحانه ولو ذكر عليها اسم الله جل وعلا.
- **الذبح للضيف أو الفرح بقدوم غائب** أو نحو ذلك، الولد كان مسافرا ورجع هذا كلها جائزة، وإن كنا نقول: الذبح للضيف، الذبح للغائب، الذبح للمولود هذا، فليس المقصود باللام هنا التقرب، الذبح للضيف يعني لإكرام الضيف، للغائب يعني فرح بقدوم الغائب هذا ما فيه إشكال، يأتي واحد ويقول كيف تقول إن الذبح لغير الله حرام وشرك وأنتم تذبحون للضيف؟ أو للغائب؟ نقول الذبح للضيف يعني لإكرام الضيف، الذبح للغائب يعني الفرح بقدومه ليس هذا داخل في باب النية والقصد والتقرب.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

9 – باب ما جاء في الذبح لغير الله – التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

10 – باب لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

10 – باب لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله – التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله"**

هذا الباب عقده المؤلف بعد **"باب ما جاء في الذبح لغير الله"** تَقَدم أن من ذبح لغير الله تَعبُدا، وتقربا فهو مُشرك، وذبحه هذا شرك والعياذ بالله، في هذا الباب بيان حكم الذبح لله ﷻ ليس لغير الله، الذبح لله لكن في مكان يُعبد فيه غير الله جل وعلا بهذه العبادة وهي عبادة الذبح:

- كأن يكون هذا المكان **فيه صنم**، فيه وثن تُذبح هذه الذبائح لتلك الأصنام،
- أو يكون في **عيد من أعيادهم**، فيذبحون في هذا العيد لغير الله جل وعلا،

فالباب السابق **من باب المقاصد**، وهذا الباب **من باب الوسائل** بمعنى أن الباب السابق فيه بيان أن الذبح لغير الله شرك، وهذا الباب في بيان أن الذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله وسيلة من وسائل الشرك، وسيلة من وسائل الذبح لغير الله فيما بعد.

قوله: **"باب لا يُذبح"** لا نافية، ولهذا جاء الفعل المضارع بعدها مرفوعا، والنفي هنا بمعنى النهي، فهي جملة خبرية، لكن معناها إنشائي، معناها "لا تذبح يا عبد الله! لله في مكان يُذبح فيه لغير الله"، فهذا النفي بمعنى النهي.

"بمكان" هذا يشمل صورتين:

- يشمل **نفس الموضع** الذي يُذبح فيه لغير الله،
- ويشمل **المكان القريب منه**،

فمثلاً لنفرض أن الذبح للصنم عند هذا العمود فالذبح في هذا المكان حرام، وهكذا أيضاً ما كان قريباً منه؛ فيُفهم أن هذا الذابح يريد التشبه بمن؟ التشبه بأولئك الذابحين عند الصنم؛ لأن الباء:

- تدل على **المجاورة**،
- وتدل على **الظرفية**،

عندما تقول: مررت بزيد يعني مررت قريباً من زيد لست بعيداً عنه، وتقول: نزلت بالمكان يعني في نفس المكان، فهي تصلح أن تكون ظرفاً وتكون أيضاً تفيد المجاورة والمقاربة.

"**بمكان يُذبح فيه لغير الله**" من الأصنام، والأوثان، والقبور، والمشاهد ونحو ذلك.

وقول الله تعالى: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: 108]

وقول الله تعالى: ﴿**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا**﴾ هذا جزء من آية في سورة التوبة، وهي سورة تُسمى بالفاضحة التي فضح الله فيها المنافقين، فبيّن صفاتهم، وسيء أعمالهم، ما يضمرونه من محاربة الله ورسوله، والمؤمنين حتى خشي بعض الناس أن تنزل أسماءهم في هذه السورة، لما كان الله يُنّزل فيها ومنهم، ومنهم ظنوا أن الله عَجَّلَ سيسمي بعض هؤلاء المنافقين بأسمائهم.

يقول الله عز وجل فيها: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:107-108] إلى آخر السياق الكريم.

س: ما قصة هذا المسجد؟

ج: هؤلاء جماعة من المنافقين أنشؤوا مسجداً، في الظاهر أنه بيت للعبادة من جملة المساجد التي أمر الله، وأحب الله عَجَّلَ أن تُبنى وتُرفع، ويُذكر فيها اسمه، ويُصلى فيه الصلوات الخمس، هذا ظاهر هذا العمل، ولما أتموا بناء المسجد جاؤوا إلى النبي ﷺ قالوا: "**يا رسول الله بنينا مسجدا يصلي فيه المريض، والضعيف،**

والمسكين، وصاحب الحاجة" يعني يكون مسجدا، ويكون محل إيواء، ويكون محل سكن لمن يحتاج، فكأنهم يقولون أن ما يستطيع كل الناس أن ينزلوا مثلاً من جهة قباء إلى المسجد النبوي، ويصلون فيه، لا يستطيعون كلهم أن يصلوا في مسجد قباء؛ فبنينا هذا المسجد في مكان حتى يسهل على من يصعب عليه أن يصلي في مسجد قباء أو يصلي في مسجدك؛ فيصلي في هذا المسجد، وأيضاً يكون أيام فيها مطر، أو ليالي باردة؛ فيشق عليهم الذهاب حتى لو كانوا أقوياء ونشيطين، فيكون هذا المسجد قريبا منهم يصلون فيه.

وهذا الظاهر إنه مقصد حسن، ومقصد جميل، وفي الظاهر يحبه الله ورسوله فقالوا: **"يا رسول الله نريد أن تأتي، وتصلي في هذا المسجد"** فوعدهم الله ﷺ خيرا قال لهم ﷺ: **"نحن على جناح سفر"**؛ لأنهم أتوه وهو يتهيأ للخروج لغزوة تبوك فقال: **"نحن على جناح سفر، لكن إن عدنا إن شاء الله صلينا فيه"** يعني نحن راجعون من تبوك أَمرُّ بهذا المسجد، وأصلي لكم فيه.

فانطلق النبي ﷺ إلى شأنه إلى تبوك، وفي طريق العودة لما بقي بينه وبين مسجد الضرار في منطقة يُقال لها **"ذو أوان"** باقي بينه، وبين مسجد الضرار مسيرة ساعة، والنبي ﷺ على وعده، فنزل الوحي، وأخبر الله ﷻ رسوله بحقيقة ما أراد هؤلاء المنافقون، فأخبره الله ﷻ بحقيقة أمرهم، وأنهم ما أنشؤوا هذا المسجد إلا لهذه المقاصد السيئة

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ يعني مضارة لمسجد قباء؛ لأنه قريب منه وليس ببعيد.

﴿وَكُفْرًا﴾ اتخذوه للكفر، وليس للتوحيد؛ لأنهم منافقون لا يؤمنون بالله ولا برسوله ﷺ، فقلوبهم في الباطن قلوب وثنية مشركة، قد يكون معهم يهود.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بدل ما كان أهل قباء يصلون في مسجد قباء جميعاً صاروا الآن يصلون في مسجدين؛ فتقل الجماعة التي في مسجد قباء، وانقسامهم وتفرقهم بين المسجدين، والشريعة الإسلامية تحب الاجتماع؛ ولهذا صلاة الرجلين أفضل من صلاة الرجل، وصلاة الثلاثة، والأربعة أفضل من صلاة الاثنين وهكذا، فالشريعة تحب الاجتماع، ولهذا الجوامع ما يكون في البلد إلا جامع واحد، هذا الأصل، لا يُفتح الجامع الثاني إلا إذا ضاق الجامع الأول ولم يعد يتسع لأهله؛ فيُنشأ الجامع الثاني، الشريعة حريصة على اجتماع المسلمين، اجتماع أبدان في بيوت الله، واجتماع قلوب على الحق.

﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني تجمع فيه أعداء الله، ورسوله وإذا اجتمعوا في هذا المسجد خططوا، وتآمروا على رسول الله ﷺ، وعلى الإسلام وأهله؛ لأن لو تجمعوا في بيت واحد منهم، وكثرت هذه التجمعات صار هذا محل تُهمة، وريبة، لكن الناس مجتمعين في المسجد، واجتماع المسلمين في المسجد، جلوسهم في المسجد هذا بعيد عن التهمة والريبة، فهم اتخذوا هذا المسجد؛ حتى يصرفوا الأنظار عن حقيقة المقصد.

وكان معهم رجل يُقال أنه: **أبو عامر الفاسق** فهذا قال لهم: **"اجتمعوا في هذا المسجد، وافعلوا واصنعوا، وأنا سأذهب إلى ملك الروم، وأطلب منه السلاح والمدد حتى نستعينوا بهذا السلاح، وبهذا المدد على تنفيذ المخططات التي يتوصلون إليها"**.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ يعني لو سُئلوا ماذا قصدتم بهذا المسجد؟ حلفوا أنهم ما أرادوا إلا الخير؛ لأن هذه عادة المنافقين، إذا حدّث كذب، لا يخاف من الله، ولا يستحي من رسوله ﷺ، يحلف بين يديه كاذباً ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:1]

فنهاه الله ﷻ عن الوفاء بوعده لهم؛ لأنه لما وعدهم بالصلاة فيه على أساس إنه مسجد أُسس على التقوى لكن تبيّن الأمر اختلف الوضع.

س: ماذا فعل النبي ﷺ؟

ج: أرسل اثنين من أصحابه **مالك بن الدُخْشُم، ومَعْن بن عَدي**، فأمرهما أن يهدما المسجد، وأن يحرقاه، فانطلق مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي حتى وصل إلى المسجد، فقال مالك لمعن: **"انتظر حتى أتي بالنار"** ودخل بيته وجاء بسَعْفة، وأوقد فيها نارا، ودخل المسجد والقوم مجتمعون فيه؛ فأحرقه، تفرّق القوم طبعاً، وخرجوا، وفضحهم الله سبحانه وتعالى بهذه الآيات التي أنزلها.

وذكر علماء السير أن ذاك المكان أُتخذ كناسة يعني محل رمي الزبائل، والأوساخ، والقاذورات معاملة لهم بنقيض القصد، أرادوا أن يكون مسجدا فجعله الله كُناسة، لما؟ ليس كرهاً للمسجد، لكن للمقصد السيء

الذي قصدوه وهو أن يكون هذا المسجد مُنطلقا لمحاربة الله، ورسوله ﷺ، فهذا من باب الإذلال، والإهانة لهم.

وهذه الطريقة للأسف يفعل مثلها بعض أهل الأهواء، البدع في عصرنا الحاضر، فإنهم يأتون إلى ما يُسمى بالأنشطة الطيبة الخيرية، والأعمال الخيرية، ويجعلونها غطاء لنشر البدعة، ومحاربة السنة وأهلها:

- **أولئك اتخذوا مسجدا**، بنوا مسجدا حتى يُبعدوا التهمة عن أنفسهم،
- ونجد اليوم **من يتخذ بعض الأنشطة الخيرية**، والشعارات الخيرية، والأعمال الخيرية ويستغلها لنشر عقيدة الخوارج، وفكر الخوارج أو غيرها من البدع والمحدثات.

فيجعل هذه الأعمال الطيبة غطاء، وللأسف هؤلاء فيهم شبه من أولئك أصحاب مسجد الضرار الذين يتخذون هذا الأمر الطيب يتخذونه شعارا لهم؛ حتى يبعدوا التهمة عن أنفسهم، ويكون التآمر تحت هذه المظلة وللأسف.

وأذكر قديماً أحد الكتب الفكرية يُقرر صاحب هذا الكتاب يقول: "إذا ضُيق على الجماعة – جماعته جماعة الإخوان – **إذا ضُيق عليكم العمل في بلد من البلدان، فلا بأس أن تتخذوا من الأعمال الخيرية"** وسمى بعض الأعمال الخيرية **"أن تتخذوها وسيلة وتعملوا تحت مظلتها"** لأنك إذا علمت تحت مظلتها الناس يحسنوا بك الظن، فما أحد يخطر بباله أنك الآن تتخذ من هذا العمل وسيلة لنشر أفكارك التي تهدف للوصول إليها.

هذا بالنسبة للآية الكريمة، **السؤال**: الآية ما تعرضت لموضوع الذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله، فما مناسبة ذكر المؤلف، **واستشهاده بهذه الآية على هذا الباب؟** المسألة من باب القياس، فالله ﷻ نهى رسوله أن يصلي لله في مكان أُنشئ لمحاربة الله ورسوله؛ فيُقاس عليه أنك لا تذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله جل وعلا، والقياس أحد الأدلة الشرعية المعتبرة، فأدلة التشريع: الكتاب، السنة، الإجماع، القياس. والنبي ﷺ استعمل القياس في أكثر من حديث.

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأله النبي ﷺ فقال: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟" قالوا: لا. قال: « فهل كان فيها عيد من أعيادهم" قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: "أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم" [رواه أبو داود، وإسنادها على شرطها]

ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث **"ثابت بن الضحّاك"** بن خليفة الأشهلي الخزرجي الأنصاري.

" **قال: نذر رجل**" لا تضر الجهالة باسم هذا الصحابي السائل؛ لأن هذه الجهالة أولا في المتن، وجهالة الاسم، وجهالة الشخص في المتن لا تضر؛ لأن الجهالة المؤثرة هي الجهالة التي تكون في الإسناد، ولا تؤثر الجهالة في الإسناد إذا كان هذا المجهول صحابيا، فالصحابة كلهم عدول سواء عرفنا اسمه، أو لم نعرف اسمه.

فلو قال التابعي: "حدّثني رجل صاحب النبي ﷺ، حدّثني رجل من أصحاب الرسول ﷺ أن رسول الله قال: كذا وكذا" هذا إسناد صحيح، لا تضر الجهالة باسم هذا الصحابي، فكلهم عدول رضي الله عنهم.

" **قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة**" ما معنى نذر؟ النذر في الشريعة **"أن يُلزم المُكلف نفسه بعبادة ليست واجبة عليه بأصل الشرع"** كأن يقول "لله علي نذر أن أُصلي ركعتين، لله علي نذر أن أصوم غداً"، وهكذا.

نأخذ الحديث ثم نذكر بعض أحكام النذر باختصار، فهذا الرجل كأنه قال "لله علي نذر أن أذبح شاة أو بعيراً أو كذا في بوانة"، و**"بوانة"** مكان قريب من ينبع.

ثم أنه أشكل عليه هذا النذر من جهة أنه حدد هذا المكان، ربما لو قال "لله علي نذر أن أذبح كذا" ربما ما كان في نفسه حرج، ولا تردد في الموضوع، لكن كأن الإشكال من أين نتج؟ أنه حدد مكاناً يذبح فيه هذا الشيء الذي نذره لله، فسأل النبي ﷺ، والشاهد أنه وقع في نفسه حرج من ذبح هذه الإبل في بوانة؛ فسأل النبي ﷺ.

"**فسأله النبي ﷺ**" هنا النبي ﷺ استفصل، لماذا استفصل؟ **هل مطلوب من كل مفتي إذا سأله سائل أن يستفصل كل المسألة؟** لا، إنما الاستفصال يكون عند الحاجة، فمثلاً لو جاء رجل إلى المفتي، وقال له: "طلقت امرأتي، فهل تحل لي؟" هل يقول له المفتي نعم أم يقول له لا؟ يستفصل؛ لأنه:

- في طلاق تحل بعده المرأة،
- وفيه طلاق لا تحل بعده المرأة.

فيسأله المفتي هي الطلقة الأولى أم الثانية أم الثالثة؟ وعلى ضوء الجواب تكون الفتوى، فهنا في حاجة للاستفصال، فإذا وُجدت الحاجة إلى الاستفصال، فعلى المفتي أن يستفصل، وأن يتبين حقيقية المسألة حتى يكون الجواب مطابقا للصورة.

وهنا النبي ﷺ استفصل، لماذا؟ لأنه لما خصص مكانا معينا هذا أورث في نفس المسئول شكا، لماذا خصصته؟ فهنا سأل "**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**" **والوثن** تَقَدم أنه كل ما يعبد من دون الله سواء على هيئة صورة أو على غير هيئة صورة، فالقبر إذا عُبد سُمي وثناً، الشجرة إذا عُبدت سُميت وثناً، الحجرة إذا عُبدت سُميت وثناً، الصنم المنحوت على صورة إذا عُبد سُمي أيضاً وثناً. **أما الصنم** قالوا: ما كان منحوتا على هيئة صورة، صورة إنسان يُعبد، أو صورة خيل، أو غيره من الصور.

"**قالوا: لا**" قالوا بصيغة الجمع، مَن المجيب؟

- قد يكون **هو السائل** قال: لا، وعبّر الراوي بقوله: "**قالوا**" كأن الحاضرين كلهم سكتوا، فكأن الجميع نطق،
- أو لما سأل **الجميع** يعرف الذين كانوا حاضرين أو بعض منهم يعرفون أن هذا المكان ليس فيه وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؛ فأجابوا وقالوا: لا.

إذاً هذا المكان ليس مكان عبادة لغير الله جل وعلا، بقي الاحتمال الثاني قال ﷺ: "**هل كان فيه عيد من أعيادهم؟**" **العيد** اسم لما يعود، ويتكرر من الاجتماع في وقت محدد أو مُعين.

- **السؤال الأول** من باب المقاصد،

❍**والسؤال الثاني** من باب الوسائل،

كيف؟ الصورة الأولى عبادة لغير الله وثن يُعبد، الثاني عيد من أعيادهم، الأعياد قد تكون وسيلة من وسائل عبادة غير الله جل وعلا، فربما يجتمعون في هذا العيد، وربما في هذا الاجتماع قد يذبحون في هذا المكان لغير الله سبحانه وتعالى.

"**قالوا: لا**" إذاً ليس فيه شرك، وليس فيه وسيلة من وسائل الشرك،

"**فقال ﷺ:"فأوف بنذرك**" لأن الله مدح المؤمنين

❑ بقوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:7]،

❑ وفي الآية الأخرى في موضوع الحج ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج:29].

فالوفاء بالنذر مطلوب، بل هو واجب، هذا الأصل في نذر الطاعة يجب الوفاء به "**فأوف بنذرك**" لماذا يوفي بالنذر؟ لأنه تبيّن الآن أنه نذر طاعة، وليس نذر معصية بقوله ﷺ: "**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**". فما دام أمره بالوفاء بالنذر؛ إذاً هذا ليس بمعصية.

لو كان هذا المكان يُذبح فيه لغير الله يكون حكم الوفاء بالنذر هنا طاعة أم معصية؟ معصية، وبهذا يكون هذا الحديث دليلا لما بوّب عليه المؤلف رحمه الله أن الذبح لله بمكان يُعبد أو يُذبح فيه لغير الله أنه معصية وليس بطاعة.

"**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**" إذا نذرت أن تعصي الله فلا تعصه، لا يجوز الوفاء بهذا النذر، كأن يقول قائل والعياذ بالله: "لله عليه نذر أن يشرب الخمر" هذا نذر معصية لا يجوز الوفاء به.

"**ولا فيما لا يملك ابن آدم**" واحد يقول: "لله عليّ نذر أن أتصدق بسيارة زيد" فهذه سيارة زيد ليست سيارتك فكيف تنذر أن تتصدق بها؟! لا تملكها، تنذر في شيء لك أنت، تتصدق بسيارتك أنت، بمالك أنت.

[رواه أبو داود، وإسنادها على شرطهما] يعني على شرط البخاري، ومسلم كما قال هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" بأن هذا الإسناد إسناد هذا الحديث صحيح على شرط

الشيخين، إسناده متصل ليس فيه تدليس، ولا انقطاع، ورواة ثقات عدول، فالشاهد أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم" صحح هذا الحديث على شرط البخاري، ومسلم.

وهنا أيضاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أقر، ولخص حكم شيخ الإسلام في هذه العبارة الموجزة، يعني الذي يظهر أن الشيخ رحمه الله لخّص هذا الحكم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من "اقتضاء الصراط المستقيم" لما عُلم عنه رحمه الله من العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم.

موضوع النذر

حكم النذر:

- ❑ يقول أهل العلم أن النذر **مكروه**،
- ❑ وبعضهم يقول إنه **حرام**،

لماذا مكروه؟ أولاً لما ثُبت عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، فالجمهور حملوه على الكراهة، وقال ﷺ: **"إن النذر لا يأتي بخير، وإنما يُستخرج به من البخيل"**.

س: كيف يعني **"يُستخرج به من البخيل"**؟

ج: يعني بعض الناس لا يعمل عملا صالحا إلا إذا نذر، إذا مرض قال: "لله عليّ نذر إذ شُفيت أن أذبح شاة" فلا يذبح هذه الشاة لوجه الله، وصدقة، ويتبرع بها إلا إذا حصل له الشفاء ذبح هذه الشاة، "لله عليّ نذر أن أذبح شاة" ولو ما نذر ما ذبح، ولو ما شُفي ما ذبح، هذا معنى **"يُستخرج به من البخيل"**.

فينبغي على المسلم أن يبادر إلى فعل الطاعة، ولا ينتظر حتى يمرض ويعلق الطاعة على الشفاء ويلزمها على نفسه "لله عليّ نذر إن رجع فلان إني أتصدق بكذا، وكذا أو أخذ عمرة أو أحج حجة" حَجَّ بدون نذر، اعتمر بدون نذر، تصدق بدون نذر، ولا تربط هذه العبادات بحصول بعض الأشياء التي ترجو حصولها أو بزوال الأشياء التي تتمنى زوالها، لا تربط طاعتك بهذه الأشياء.

ومعنى قوله: "**النذر لا يأتي بخير**" يعني هل تتوقع أنك إذا مرضت، وقلت "لله عليّ نذر إني لو شُفيت آخذ عمرة" إن هذا النذر سيكون سببا من أسباب الشفاء؟ لا، فالنذر لا يأتي بخير، فبعض الناس يتوهم إنه إذا نذر حصل له المقصود من حصول خير أو زوال شر، الرسول ﷺ بيّن لك "**النذر لا يأتي بخير**".

يأتي شخص ويقول: **الله ﷻ مدح الوفاء بالنذر كيف نقول أن النذر مكروه؟** نقول المدح جاء على أي شيء؟ ما جاء على عقد النذر، إنما جاء على الوفاء بالنذر، ما قال "ينذرون" إنما قال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ فمدحهم على الوفاء بالنذر؛ لأن كثير من الناس ينذرون ثم لا يوفون بنذورهم والعياذ بالله، وهذا وجه من وجوه كراهة النذر، أنك كنت في سعة من أمرك، ولما نذرت صار هذا الشيء واجبا متحتما عليك.

وكثير من الناس وقت الحماس ينذر بشيء فيه صعوبة، ومشقة، يعني كثير من الناس يسألون بالذات النساء "نذرت نذر إني أحج كل سنة إذا حصل كذا أو كذا، أو تصوم عشرة أيام من كل شهر" تحقق المطلوب الذي كانت تتمناه، جاء وقت وفاءك بالنذر، وإذ النذر فيه مشقة عليها،

- نقول إن أول شهر صامت عشرة أيام، ثاني شهر صامت عشرة أيام لكن بعد ذلك ملت، وتعبت،
- الحج كل سنة هذا أمر يسير؟ لا، في غاية الصعوبة.

فبعض الناس وقت الحماس ينذر بنذر لا يستطيع فيما بعد أن يوفي به؛ فيقع في الحرج، فلماذا تشق على نفسك، وتضيق على نفسك في أمر كانت لك فيه سعة، ويسر؟!

أنواع النذر

- ❑ **نذر الطاعة**

أنواع النذر عندنا نذر يُقال له نذر الطاعة، كأن تقول "لله عليّ نذر أن أصوم غداً، لله عليّ أن أعتمر الشهر القادم" هذا نذر الطاعة، مثل ما قال عمر: "**نذرت يا رسول الله أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام**" قال له: "**أوفِ بنذرك**"، فهذا نذر الطاعة.

وللفائدة يعني إذا نذرت نذر الطاعة، فلك أن تأتي بما هو خير منه، يعني مثلاً واحد نذر "لله علي نذر أن أعتكف في المسجد النبوي خمسة أيام" ثم جعل اعتكافه في المسجد الحرام، ليس فيه حرج، لو نذر أن

يعتكف في المسجد الأقصى ثم اعتكف في المسجد النبوي ليس عليه حرج، كما استفتى رجل من الصحابة رسول الله ﷺ إنه يعتكف في المسجد الأقصى؛ فأمره النبي ﷺ أن يعتكف في المسجد النبوي.

المهم أن من نذر أن يطيع الله فعليه أن يوفي بنذره، لو ما استطاع أن يوفي بالنذر، وعجز عن الوفاء بالنذر؟ إذا عجز فعلاً، لم يعد قادرا على الوفاء بالنذر كفر كفارة يمين.

أما المسألة لو مجرد ملل أو مشقة لكن إنما مشقة مقدورة، هذا ليس بعُذر، العذر أن يعجز عن هذا الوفاء، ويعجز عن هذا العمل، أما مجرد طفش أو ملل، لا، لو واحد صام أول يوم في رمضان، وثاني يوم في رمضان، وعاشر يوم في رمضان، وبعد ذلك طفش، ومل نقول له: خلاص لا تصم؟! لا، الطفش هذا ليس بعُذر شرعي، لكن لو مرض مثلاً في رمضان وما قدر أن يصوم عذر أم ليس بعذر؟ هذا عذر، فإذا عجز عن الوفاء بنذر الطاعة؛ فإنه يكفر كفارة يمين.

❑ نذر المعصية

والثاني نذر المعصية، كأن يقول: "لله عليّ نذر أن أشرب خمراً".

س: ما حكم الوفاء بالنذر؟

ج: لا يجوز، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله.

س: ولكن إذا نذر نذر معصية، فهل عليه كفارة أو لا؟ هل يُكفر كفارة يمين أو ليست فيه كفارة؟

ج: خلاف بين العلماء، والصواب أنه يُكفر، كفارة يمين لماذا؟ أولاً لحديث ابن عباس عند أبي داود عن النبي ﷺ أنه قال: **"من نذر نذراً في معصية الله فليكفر كفارة يمين، ومن نذر نذراً لا يُطيقه فليكفر كفارة يمين"** يقول **ابن حجر**: "إسناده صحيح"، فهذا يوضح لنا أنه إذا نذر العبد نذراً لا يطيقه، وعجز عنه كفر كفارة يمين، وإذا نذر نذر معصية فلا يوفي بنذره ولكن أيضاً عليه كفارة يمين، فهذا الحديث وما جاء مثله يُفيد أن نذر المعصية يترتب عليه كفارة النذر وهي كفارة اليمين.

وكفارة اليمين معروفة:

❍ **إطعام** عشرة مساكين،

- أو **كسوتهم**،
- أو تحرير **رقبة**،

يُخير بين واحدة من هذه الثلاثة، فإن عجز عنها كلها، فإنه **يصوم ثلاثة أيام**، والصحيح أنها تكون متتابعة هذه كفارة اليمين، وهي كفارة النذر.

- **نذر اللجاج، والغضب.**

وفيه نذر يسمونه نذر اللجاج، والغضب وفي الغالب يكون في وقت خصوم أو كلام بين طرفين اختلفا في مسألة، في قضية، فواحد يقول: إن كنت أنا مُخطئا فلله عليّ نذر أن أفعل كذا وكذا مثلاً أن أصلي، أن أصوم، أن أذبح شاة أو كذا" فهذا ليس القصد فيها من الأصل قصد القربى، ليس من نذر الطاعة، إنما هذا الحامل عليه الاختلاف بينه، وبين الطرف الثاني، فهذا يُخير بين الوفاء بالنذر، وبين كفارة اليمين.

واحد مثلاً قال: "لله عليّ نذر أن أعتمر" ما حكم هذا النذر؟ نذر طاعة، ويجب الوفاء به.

اثنان اختلفوا متى تُوفي ابن تيمية؟ واحد قال: 728، وواحد قال: سنة 750 كل واحد متمسك برأيه، واحد منهم قال: "لو كنت أنا غلطانا فلله عليّ أن أذبح شاة صدقة"، وهو نذر طاعة أم لا الآن؟ نذر طاعة فهو يذبح لله شاة، يتصدق بها.

صار هو غلطانا الذي قال 750 هل يجب عليه أن يذبح الشاة هذه أو لا يجب؟ نقول: أنت مُخير إن شئت أن تذبح اذبح، وإن شئت ألا تذبح لا تذبح لكن تُكفر كفارة يمين، لماذا؟ لأن الدافع له الخصومة الذي بينه، وبين صديقه، هذا الذي يُسمى بنذر اللجاج والغضب.

- **نذر المكروه**

ومن النذر أيضاً نذر المكروه، وأن ينذر فعلاً مكروهاً قال: "لله عليّ نذر أن آكل ثوما أو بصلا أو لله عليّ نذر أن أدخل المسجد برجلي اليسرى" مثلاً فعل مكروه، فإذا نذر فعل المكروه؛ فيُكره له الوفاء بنذره.

- **نذر مباح**

كذلك إذا نذر فعلا مباحاً لو قال مثلاً: لله عليّ أن ألبس شماغا، وأصلي به الظهر" هذا شيء مباح، إن شاء وفى بنذره، وإن شاء لم يوف، وإذا لم يوف، فإنه يكفر كفارة يمين.

❑ نذر لا يُسمى

وفي عندنا نذر لا يُسمى، ما عيّن شيئا، قال: "لله عليّ نذر" فقط، وبعد ذلك جاء يسأل يقول: "يا الشيخ أنا قلت: لله عليّ نذر"، نقول له: "ما كنت تنوي؟" قال: "والله ما أدري، وما نويت شيئا"، إذا نذر نذرا لم يُسم فيكفر كفارة يمين.

وإن كان عنده عُرف أو عادة يُرجع إليها ما دام ما عنده نية، يعني مثلاً ناس في قرية عندهم عُرف أن الواحد لو قال: "لله عليّ نذر" يفهم الناس أن المقصود به يذبح شاة، ويتصدق بلحمها أو يعزم الناس عليها، يقول: أنا قلت لله عليّ نذر، إذاً نقول له: اذبح شاة وتصدق بها هذا العرف الموجود عندكم في قريتكم، في قبيلتكم، في بيئتكم.

❑ حُكم النذر لغير الله

النذر للقبور، للأضرحة، للأولياء هذا شرك أكبر مُخرج من الملة؛ لأن النذر إن قلنا إنه مكروه لكنه عبادة؛ لأن الله مدح على الوفاء به، فدل على أنه عبادة، ولكن عبادة يُكره إنشاءها، فمن نذر لغير الله فقد أشرك، والعياذ بالله، وسيأتي في هذا باب مستقل إن شاء الله.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده، ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

11 – باب من الشرك النذر لغير الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّدِ بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:"**باب من الشرك النذر لغير الله**

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾

النذر معناه أن يلزم المكَلف نفسه بطاعة غير واجبة عليه في الشرع، كأن يوجب على نفسه صلاة أو صدقة أو صوما أو نحو ذلك، والنذر عبادة:

- لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج:29] فسمى المناسك والعبادات نذورا؛ ولهذا قال العلماء: أن من دخل في الحج ولو كان حج تطوع، فإنه يلزمه إتمامه، ولو نوى بقلبه أن يخرج من إحرامه، فإنه لا يخرج حتى يتم المناسك.
- مما يدل على أن النذر أيضاً طاعة وقربة أن الله سبحانه وتعالى مدح الوافين به قال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:7].

وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

وأيضاً قارنه بالطاعة ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:270]، **﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾** صغيرة أو كبيرة، سراً أو علناً.

﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ المقصود به نذور الطاعات، كنذر اعتكاف أو صوم، نذر صدقة ونحو ذلك.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ أي فيثيبكم عليه ثوباً عظيماً إذا كانت هذه النفقات، وهذا الطاعات موافقة لما شرعه الله، اجتمع فيها الإخلاص والمتابعة لرسول الله ﷺ، ويكون **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾** تهديدا إذا كان القصد منها الرياء، السمعة، الدنيا، ونحو ذلك من المقاصد السيئة، ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها:

عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"

هذا الحديث قسّم النذر إلى قسمين:

- ❑ نذر **طاعة**،
- ❑ ونذر **معصية**.

أما نذر الطاعة فيجب الوفاء به، وأما نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به، واختلف العلماء إذا نذر نذر معصية هل فيه كفارة أم لا؟ والصواب أن فيه كفارة، وقد جاء عن ابن عباس مرفوعاً ما يدل على هذا **"أن من نذر نذر معصية فليكفر كفارة يمين"**، وتقدم الكلام على مباحث النذر في الدرس الماضي، ذكرنا أنواعه، وأشياء مما يتعلق بالنذر، فلا حاجة للإعادة، لكن المقصود هنا أن هذه النصوص دلت على أن النذر عبادة، وما دام عبادة فلا يجوز النذر لغير الله.

فقد تعوّد كثير من عُباد القبور، عُباد الأضرحة، عُباد الأصنام أن ينذروا لأوثانهم، فيقول مثلا: "للولي فلان عليّ شاة، عليّ بقرة، عليّ مبلغ وقدره كذا، عليّ صدقة" وفي الغالب يعقدون هذه النذور إذا أرادوا تحقيق مطالب لهم نذروا لأصحاب القبور، للأولياء.

وهذا والعياذ بالله جمع إلى الشرك شيء أخبث منه، وهو كأن الله سبحانه وتعالى لا يصلح أن يُدعى لهذه المهمة، في نظره أن هذه مهمة عظيمة، وكبيرة، ومقصد كبير، ولا يمكن تحقيقه إلا على يد الولي، يقول: لو دعوت الله، ونذرت الله ما تحقق، لكن هذا الولي مُجرَّب، فلانة نذرت له وحملت، فلانة نذرت له وتزوجت، فلان نذر له وشُفي، وفلان وفلان ينذر لله ويدعو الله ما يستجيب له، فيحملهم على هذا شدة الشرك والعياذ بالله، **فجمعوا إلى الإشراك بالله سوء الظن أيضاً بالله سبحانه وتعالى، وتعظيم هذا المنذور له أعظم من تعظيمهم لله**، وثقتهم فيه أعظم من ثقتهم في الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقد تحصل فتنة لعُباد القبور، فقد ينذر الشخص لله، ويدعو الله لكن لا يتحقق، ثم ينذر لصاحب هذا القبر فمباشرة يتحقق الطلب، وهذا ليس دليل على أن هذه القبور والأضرحة تملك الأمر، وتصرّف الأمور أو تدبرها أو عندها القدرة على الاستجابة للداعين، لا، لكن هذا من باب الاستدراج، فهي أفعال شركية وافقت قدراً، استدراج من الله لهم، ومكر من الله بهم لمكرهم.

وأذكر بعض الناس قديماً التقيت به، فيقول: "كنا في الجاهلية" يقصد بالجاهلية الزمن الذي قبل توحيد الملك عبد العزيز للديار يسمونها الجاهلية لكثرة مظاهر الشرك، فيقول:"كنا إذا جاء القحط والجدب ننزل لوادي في شجرة ونذبح بقرة من أجل أن يأتي السيل، كنا نذبح البقرة هناك عند الوادي هذا ليست لله، بل لتلك الشجرة، فقليل والسيل قد وصل أو المطر قد نزل" فهذا استدراج.

وواحدة أيضاً من النساء كانت ترعى الغنم لأهلها، فضيعت من القطيع شاة أو بقرة، فخافت أن ترجع لأهلها دون هذه البهيمة التي ضاعت منها؛ فتُجلد وتُضرب، وكان أبوها شديدا عليها، فركبت يمينا شمالا، تبحث وتبحث، والشمس تكاد تغرب وما وجدتها، فدعت يا رب! يا رب! ما وجدتها، وفي الأخير قالت واحدا من أصحاب القبور من جهة اليمن هناك نادت باسمه، "لك علي نذر لو رجعت لي بقرتي أو كذا" فهذا حفيدها أخبرني فيقول: "فالتفت فإذ هي ترى البقرة التي ضاعت منها بعد النذر لهذا القدر، ففرحت وأخذتها ورجعت، ووفت بنذرها.

فالمهم أن هذا يكون من باب الاستدراج، وليس تحقق مثل هذه المطالب دليل على مشروعية مثل هذا العمل، في الأمور الشركية قد يحصل بها نفع، عُباد الأصنام، عُباد الأوثان لو ما وجدوا في بعض الأحيان نفعاً ما عبدوها، إنما تعلقوا بها لحصول نفع، هذا النفع كما قلت هو استدراج من الله سبحانه وتعالى لهم، وتزين لهم هذه المعاصي، تُزين هذه الشركيات، حتى يتمادوا عليها؛ فتكون عقوبتهم أشد والعياذ بالله، وهذه عقوبة من الله ﷻ لما تنكبوا عن دعوة رسله وما أنزله في كتبه سبحانه وتعالى.

هذا فيما يتعلق بهذا الباب.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

12 – باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 – 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

12 – باب من الشرك الاستعاذة بغير الله (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:...

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب من الشرك الاستعاذة بغير الله"**

"مِن" تبعيضية؛ لأن الشرك يكون بالاستعاذة بغير الله ويكون بالذبح لغير الله، ويكون بدعاء غير الله، فليس الشرك محصورا في الاستعاذة بغير الله، فـ **"مِن"** هنا تبعيضية.

"من الشرك الاستعاذة بغير الله" لأن الاستعاذة عبادة، فمن استعاذ بغير الله فقد صرف هذه العبادة لغير الله عز وجل.

س: وهل كل استعاذة بغير الله شرك أكبر؟

ج: لا، وإنما يدخلها التفصيل:

- ففيه استعاذة **بالمخلوق شرك**،
- وفيه استعاذة **بالمخلوق استعاذة جائزة** مباحة،

وسيأتي إن شاء الله التفصيل عليها، ثم ذكر المؤلف رحمه الله آية سورة الجن قال:

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

نزلت هذه الآية تخبر عن حال بعض العرب في جاهليتهم أنهم كانوا يستعيذون بالجن، وبيّن المفسرون طريقة استعاذتهم أن الرجل منهم كان ينزل بسفره بوادٍ، ويكون هذا الوادي مُوحِشا أو هناك شائعات تدور بين الناس أن هذا الوادي مسكون بالجن، فيشعر بالقلق والخوف، فماذا يفعل الرجل؟ ينادي **"أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه"**، وينزل في الوادي ويبيت فيه حتى يرتحل منه.

والذي يغلب على الظن أن:

- منهم من استعاذ هذه الاستعاذة وسَلِم ما صار له شيء،
- ومنهم من نزل بالوادي ولم يستعذ هذه الاستعاذة؛ فأُصيب بشيء،

ولهذا تعلقوا بهذه الاستعاذة، ولهذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في المسائل ذكر **"أن حصول النفع بالشيء لا ينفي عنه الشرك"**.

فهذه استعاذة شركية، قال المشرك "أنا نزلت بالوادي وقلت، وسلمت، وفلان معي نزل في هذا الوادي وما قاله وهلك، جُنّ، صُرِع، لُدغ أو حصل له سوء"، فنقول "كونك انتفعت بهذه الاستعاذة الشركية لا ينفي أن تكون شركاً"، فالنفع قد يكون بهذا الأمر الشركي، لكن كما قلنا من باب الاستدراج، ومن باب الاختبار والابتلاء.

فهذه كانت طريقتهم في الاستعاذة بالجن في هذه السورة وهي نزول الأودية الموحشة "أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه" **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾** "بسيد" ما قال بسيدة، فالشاهد أيضاً أن الجن فيهم أيضاً رجال، وفيهم نساء كما جاء في تفسير قول النبي ﷺ **"أعوذ بالله من الخبثُ والخبائث"** الخبُث بالضمتين قالوا ذكور الشياطين، "الخبائث" قالوا: إناث الشياطين، فكما في الإنس ذكور وإناث، كذلك أيضاً في الجن ذكور وإناث.

وأما مبحث هل الجني يمكنه أن يجامع الإنسية؟ الإنسي هل يمكن أن يجامع الجنية؟ ونحو ذلك، فهذه بغض النظر عن إمكانها حقلاً أو كذا، من حيث الدليل الشرعي **ليس هناك دليل واضح، وصريح، وصحيح** يدل على أن الجني قد يجامع الإنسية، لا يوجد دليل صحيح، صريح في هذا الباب مرفوع إلى النبي ﷺ، إنما جاءت أخبار مرفوعة لكنها ضعيفة لا تثبت عن النبي ﷺ، وجاءت أخبار عن بعض التابعين كمجاهد **"أن الرجل إذا جامع أهله ولم يقل: الذكر "بسم الله اللهم جنبنا الشيطان" أن الشيطان يلتفُّ حول إحليله، فيجامع المرأة معه"**، لكن هذا لا يثبت عن مجاهد، وعى فرض ثبوت عن مجاهد فهو خبر غيبي، يحتاج إلى دليل عن النبي ﷺ،

فأقول: ليس هناك دليل صريح صحيح يدل على ثبوت هذا الأمر، يبقى كلام الناس وأخطار الناس، والله أعلم هل هي من باب الواقع أم باب الهلاوس والوساوس، يتهيأ للمرأة هذا الأمر، أو يتهيأ للرجل هذا الأمر؟ لكن لا حقيقة له في الواقع.

وأما قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن:56] فهذا يتعلق بأمر الجنة، وبالآخرة وليس بأمر الدنيا، فليست صريحة في هذا الموضوع، فيما يتعلق أقصد بأمر الدنيا.

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ يعني زاد رجالُ الجن رجالَ الإنس رهقا، فيكون رجال الإنس مفعول به، ورجال الجن فاعل، ما معنى الرهق؟ يعني الذعر، والخوف، والضعف، عُملوا بنقيض القصد، أرادوا الطمأنينة والأمان؛ فُعملوا بنقيض القصد زادهم قلقا، ورعبا، وخوفا، وضعفا.

وبعض المفسرين يقول: زاد رجالُ الإنس رجالَ الجن رهقاً، ويكون رجال الإنس فاعلا، ورجال الجن مفعولا به، والمعنى؟ المعنى "زادوهم كِبْراً وغروراً؛ لأن الجني إذا رأى الإنسي يخافه، ويستعيذ به، ويلجأ إليه يزداد عُجبا، وكبرا، وفخرا.

فهذه الآية دلت على أن الاستعاذة بغير الله شرك، والاستعاذة بالجن شرك؛ لماذا؟ لأنهم قالوا قبل ذلك في هذه السورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن:2] ثم ذكروا موضوع الاستعاذة بالجن، فدل على أن الاستعاذة بالجن أنها شرك، فهذا مما يدل على أن الاستعاذة بغير الله أنها شرك.

ومثل الاستعاذة بالجن الاستعاذة بغير الجن من المخلوقات، **فإن الاستعاذة معناها** "أن تلجأ ممن تخاف إلى من يعصمك منه" هذا معنى الاستعاذة في اللغة.

والعرب عندهم كلمتين قريبة من بعض تقول: أستعيذ، وتقول: ألوذ، فالاستعاذة مما تخاف، واللياذ فيما ترجو وتُأمِّل، يعني تلوذ بفلان في الخير، وتعوذ بفلان في الشر، مثل ما يقول الشاعر:

يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤمِّلُهُ *** وَمَنْ أعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحاذِرُهُ**

لا يَجْبُرُ النّاسُ عَظْماً أنْتَ كاسِرُهُ *** وَلا يَهيضُونَ عَظْماً أنتَ جابِرُهُ**

فالشاهد أنه لما ذكر الخير قال: ألوذ، ولما ذكر الشر قال أعوذ.

فالاستعاذة بغير الله فيها تعلق القلب بهذا المخلوق، فكما تعتقد أن الله ﷻ هو الذي يدبر الأمر، وهو الذي بيده الخير، والشر سبحانه حينما تلجأ لهذا المخلوق مستعيذاً به، نقصد بها الاستعاذة الشركية، فيكون هذا القلب قد حصل فيه، ووقع فيه من التعلق كما يحصل من التعلق بالله ﷻ، فكأنك تعوذ بهذا الجن، وتعتقد أنهم بيدهم جلب الخير، ودفع الضر، تستعيذ بهذا الجن الغائب كما تستعيذ بالله سبحانه وتعالى، أنت تستعيذ بالله وأنت لا ترى، وهذا يستعيذ بالجن، وبالأرواح وهو لا يراها، ويعاملها كما يعامل الله ﷻ؛ فيعتقد أنها تسمعه، وتراه، وتدبر الأمر، وتستطيع أن تجلب الخير، وتدفع الشر.

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» [رواه مسلم]

هذه الصحابية الجليلة تروي لنا هذا الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **"من نزل منزلاً"** يعني نزول مؤقتا كما يحصل للمسافر مثلاً أو يتمشى في بر أو كذا أو نزل في مكان نزول الداعي الأمر واحد.

"فقال: أعوذ بكلمات الله التامات" هنا الاستعاذة ما صارت استعاذة بالله، إنما صارت استعاذة بصفة من صفات الله؛ فالكلمات ليست لله إنما هي صفة من صفاته سبحانه وتعالى.

"التامات" تمام الكلام أن يكون صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، يعني يفسره قوله سبحانه وتعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:115] صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام.

وكلمة الله على نوعين:

- كلمات **قدرية**،
- وكلمات **شرعية**.

الكلمات الشرعية: القرآن الكريم أمره، ونهيه، وتكليفه، **وكلامه القدري**: ما يتعلق بتدبير الكون: الحياة والموت، والعز والذل، وليل ونهار وما يجري فيهما من الحوادث ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، وكلمات الله ﷻ لا عدد لها:

- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:109].
- والآية الأخرى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:27]

فكلمات الله لا نفاد لها، وهذا يدل على أن كلام الله غير مخلوق، فهو من جملة أدلة أهل السنة والجماعة على المعتزلة، وعلى الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن، فالقرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق.

س: كيف الاستدلال بهذا على هذه المسألة؟

ج: أنه قد تقرر شرعاً أنه لا تجوز الاستعاذة بالمخلوق ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ فلما شُرعت لنا الاستعاذة بكلمات الله دل على أنها ليست بمخلوقة، فصفات الله ﷻ يُستعاذ بها، ويُقسم بها أيضاً:

- فلك أن تقول: أعوذ بكلمات الله، أعوذ بعزة الله.
- ولك أن تقول: أقسم بكلمات الله، أقسم بعزة الله.

كل هذا جاءت به الأدلة، أما دعاء الصفة لا يجوز، فلا تدعو وجه الله، لا تدعو الرحمة إنما تدعو الله سبحانه وتعالى بأسمائه.

فإذا استعذتَ بكلمات الله كأنك استعذتَ بالله نفسه؛ لأن كلماته صفته سبحانه وتعالى.

"من شر ما خلق" "ما" بمعنى الذي أي: من الشر الذي خلق مما فيه شر كالحيات مثلاً، العقارب، الشياطين، النار، تستعيذ بالله من هذه الأشياء، تستعيذ بالله من النار، تستعيذ بالله من عدوك، تستعيذ بالله من الشياطين، تستعيذ بالله من الحاسد، ومن الساحر وهكذا، تستعيذ بالله من شر كل ذي شر.

فالله ﷻ هو الذي خلق هذا الذي فيه شر، خلقه لحكمة سبحانه وتعالى، ففعله هو خير، إنما الشر في مفعوله، وفي مخلوقه، أما نفس فعل الله، خلق الله فهذا خير محض، فتستعيذ بالله منه؛ لأنه هو الذي خلق هذا المخلوق، وخلق هذا الشر الذي فيه، وهو القادر وحده سبحانه وتعالى أن يعصمك منه.

أما المخلوق فإنك تستعيذ به فيما يمكنه أن يعيذك، مثلاً استعذت بالشرطة من لص نزل بك، داهمك، هذا ما فيه شيء، هذه استعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق، وليس فيه تعلق قلبي في هذا الشرطي مثلاً، هذا الشرطي عنده إمكانات، وعنده صلاحيات، وعنده قدرات يستطيع أن يخلّصك من هذا العدو، أو من هذا اللص مثلاً، تستعيذ بالقاضي ممن ظلمك، مخلوق حي، حاضر، قادر، مثل الاستعانة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه:

- ❑ أما تستعيذ بمخلوق **غائب**،
- ❑ تستعيذ بمخلوق **فيما لا يقدر عليه إلا الله**،
- ❑ تستعيذ بمخلوق وأنت **متعلق القلب به** أنه يصرّف الأمر، ويدبّر الأمر،

فهذا شرك أكبر والعياذ بالله مُخرِج من الملة.

بقي التنبيه على مسألة: وهي الشخص قد يقول: نزلت منزلاً، وذكرت هذا الذكر، ولكن لُدغت، ولكن حصل لي أذى وسوء، أنا أقول: **قد يوجد السبب، ولا يوجد الأثر لماذا**؟ لوجود مانع:

- ❍ إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار، والنار محرقة يعني سبب الإحراق موجود أليس كذلك؟ وجسم إبراهيم قابل للاحتراق، والنار محرقة، وهو أُلقي فيها ومع ذلك تخلف المسبَّب، لماذا ما احترق إبراهيم؟، وُجِد مانع؛ لأن الله قال: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:69].
- ❍ الله يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾ [غافر:60] قد يوجد الدعاء، ولا توجد الاستجابة، وُجِد مانع، قد يكون أكلك حرام "**يمد يديه إلى السماء يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك؟!**"

فهكذا قد يوجد السبب، ولا يوجد المسبَّب الأثر، لماذا؟ لوجود مانع منع نفع وتأثير هذا السبب.

فبعض الناس مثلاً قد ينزل منزل ويقول: هذا الذكر **من باب التجربة**، يقول "أجرب لست خسران بشيء، فهي كلمة أقولها"، طيب هنا عنده يقين أم ليس عنده يقين هذا الشخص؟ ما عنده يقين، ولهذا يقول بعض السلف: **"ما تصدقت لله بصدقة إلا وجدت زيادة في مالي"**، واحد سمع الكلمة هذه تصدق مرة أو مرتين ما زاد عنده ولا شيء، فرجع إليه قال: "أنا تصدقت بكم صدقة، ومالي ما زاد ولا شيء"، فقال: "إني تصدقت عن ثقة، وأنت تتصدق عن تجربة، فأنت تجرب ربك"، فلا توجد ثقة، ولا يوجد يقين، قد يكون هذا من الموانع أن يقول الشخص هذا الذكر وهو ضعيف الثقة، إنما يقولها من باب التجربة، فلا يُنتبه له، وقد يكون لمانع آخر الله أعلم.

أيضاً من هذا الحديث نستفيد حكمة من حكم الشرع، وهي لما أغلق علينا باب الاستعاذة الشركية عوّضنا بما هو خير منه، وهو الاستعاذة بالله سبحانه، والاستعاذة بكلماته، وهي الاستعاذة المبنية على التوحيد.

وهكذا طالب العلم إذا سُئل عن مسألة، وكانت حراما، فينبغي أن يفتح للمستفتي باب الحلال، الشرع حرم علينا الرب، وأباح لنا البيع، حرم الزنا وأباح النكاح، وهكذا، فإذا سألك المستفتي عن شيء، معاملة مثلاً أو لبس حرام أو كسب حرام؛ فبيّن له الحكم، ووجهه هذا تفضل منك عليه أن توجهه إلى الشيء البديل المباح.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده، ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

13 – باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

<u>تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى</u>

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

13 – باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **"باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره"**.

قوله **"من الشرك"** **"مِن"** هذه للتبعيض؛ إذاً ليس كل شرك محصورا في أن يستغيث بغير الله، إنما هذا بعض الشرك.

"من الشرك" يعني من الشرك الأكبر أن يستغيث بغير الله سواء كان هذا المستغاث به من الملائكة، أو من الأنبياء، أو من الأولياء أو الجمادات كالحجار والأشجار أو الجن والشياطين، أو الإنس أو غير ذلك، فيشمل كل مُستغاث به غيرَ الله سبحانه وتعالى.

والاستغاثة بغير الله ﷻ تكون شركاً أكبر إذا كانت في الأحوال التالية:

- الأولى: أن يستغيث **بالميت**.
- الثانية: أن يستغيث **بغائب**.
- الثالثة: أن يستغيث **بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله**.

فإذا كانت الاستغاثة بغير الله في مثل هذه الحالات كان شركاً أكبر.

أما إذا استغاث بالحي الحاضر فيما يقدر عليه فهذا جائز، فقد قص الله سبحانه وتعالى علينا قصة الإسرائيلي مع الفرعوني مع موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عليه﴾ [القصص:15]، فالإسرائيلي استغاث بموسى، والله ﷻ قص علينا هذه القصة، ولم يعقبها بإنكار، ما أنكر هذا النوع من الاستغاثة، لا في هذا الموضع، ولا في غيره من المواضع الأخرى، فدل على أن هذه الصورة، وما كان مثلها جائز.

13 – باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

فالمقصود أن الموحد لا يستغيث إلا بالله جل وعلا كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:9] فكما أن الموحد لا يستعيذ إلا بالله، ولا يدعو إلا الله، كذلك أيضاً لا يستغيث إلا بالله جل وعلا.

والاستغاثة أو يستغيث فيها طلب الغوث، والمقصود بالغوث هنا أو بالاستغاثة هنا: طلب إزالة الشدة، فالدعاء في حالة الشدة، في حالة الاضطرار تُسمى استغاثة.

"أن يستغيث بغير الله" قوله **"أن"** والفعل المضارع هذه مؤولة بالمصدر، يكون المعنى "من الشرك الاستغاثة بغير الله.

"أو يدعوَ غيره" لماذا نصبنا الفعل المضارع مع أنه لم يُسبق بناصب بل سُبق بـ**(أو)** ؟ معطوف، إذاً يكون التقدير: ومن الشرك أن يدعو غيره.

س: **هل المقصود هنا دعاء المسألة** مثل طلب الخير، وطلب كشف الضر أو المقصود بالدعاء هنا دعاء العبادة؟ أو المقصود الجميع؟

ج: الجميع، إذن إذا دعا غيره دعاء مسألة أو دعا غيره دعاء عبادة فهو شرك أكبر مُخرج من الملة، مثل الاستغاثة الشركية.

س: **ما العلاقة بين الاستغاثة، وبين الدعاء؟**

ج: بينهما عموم وخصوص، الاستغاثة هي الدعاء لكن الدعاء في حالة الشدة، الدعاء يشمل دعاء الله في حالة الشدة، وفي حال الرخاء، فإذاً الاستغاثة خاصة، والدعاء عام.

س: **لماذا لم يقل باب من الشرك من يدعو غير الله**، ويكون الاستغاثة داخلة في الدعاء؟ لماذا نص عليها، وخص هذا بالذكر؟

ج: اهتماماً بشأنها، فذكر الخاص مع العام المقصود به الاهتمام بهذا الخاص.

13 – باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قلنا إن الدعاء هنا يشمل النوعين:

- دعاء المسألة،
- ودعاء الطلب.

- **دعاء المسألة** عرفناه "يا رب اغفر لي، يا رب أجرني من النار، يا رب أنقذني من هذه الشدة، والهلكة" هذا دعاء المسألة فيه سؤال، فيه طلب.
- **دعاء العبادة** مثل: الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، بر الوالدين، صلة الرحم، كل هذه الطاعات تُسمى دعاء عبادة، **كيف الواحد الآن قاعد يخرج من ماله ويعطي الفقير ونقول أن هذا دعاء؟!** كيف يصل رحمه ويزورهم ونقول إن هذه دعاء؟ **بلسان حاله**؛ لأنه لما ذهب إلى صلة رحمه يعتقد أنه لو وصل رحمه له أجر، وإذا قطع رحمه فعليه وزر، فحينما ذهب لصلة رحمه كأنه يقول: اللهم اكتب لي أجر الصلة، اللهم لا تجعلني من القاطعين مثلاً، هكذا لما الشخص يصلي أو يصوم، هو في هذا الحال طالب الأجر، وكأنه أيضاً مستعيذ بالله من العذاب والعقوبة لو ترك هذا الشيء.

"**أو يدعو غيره**" والمقصود بدعاء الغير هنا الذي يكون شركا، يعني دعاء عبادة، كأنه يدعو لمخلوق راهباً راغباً متضرعاً أو يدعو المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى هذا شرك.

أما إذا دعا المخلوق فيما يليق به، ويصلح له، ما فيه حرج، هذا ليس دعاء عبادة، وليس داخلا في هذا الباب، ولهذا قال النبي ﷺ: "**حق المسلم على المسلم خمس**" قال فيها "**وإذا دعاك فأجبه**" "**دعاك**" يعني ناداك لوليمة فتجيبه؛ فهذا ليس داخلا في هذا الباب.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:106-107]

13 – باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿وَلاَ تَدْعُ﴾ هذا نهي، والخطاب هنا موجه لمن؟ للنبي ﷺ، ويدخل في حكم هذا الخطاب أمته، فالخطاب له ﷺ، لكن الحكم ليس خاص به، الحكم له ولأمته، ﴿وَلاَ تَدْعُ﴾ دعاء عبادة أم دعاء مسألة؟ كلها ﴿مِن دُونِ اللّهِ﴾ "دون" بمعنى غير، من أي شيء كان.

﴿مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ إذاً لا تعبد غير الله معبوداً لا ينفعك، ولا يضرك، واحد قرأ هذه الآية، فقال: إذاً أنا لن أعبد ما لا ينفعني ولا يضرني لكن سأعبد الشيء الذي ينفعني حتى استجلب خيره، وسأعبد الشيء الذي يضرني حتى يكف شره عني، فصار مثلاً رأى حية يعبدها؛ حتى لا تضره، رأى أميراً غنياً عبده؛ حتى يعطيه، ويستدل بالآية يقول الله قال: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ أنا عبدت ما ينفعني، وعبدت ما يضرني ويستدل بالآية، فهمه صحيح؟ لا، ليس بصحيح، لماذا؟ لأن معنى الآية أن هذا ليس قيدا ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ بل هذا تعليل، فالمعنى ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ﴾ لأنه ﴿لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ هذا معنى الجملة، فهي **صفة كاشفة للواقع**، مبينة للواقع إن كل معبود من دون الله فإنه لا ينفع ولا يضر.

فيكون المعنى مرة أخرى ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ﴾ يعني أحداً لماذا؟ لأنه ﴿لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ فلا يملك النفع، ولا يملك الضر استقلالاً إلا الله جل وعلا، المخلوق قد ينفع، قد يضر لكن بإذن الله، هو سبب من الأسباب لكن النافع الضار هو الله جل وعلا.

﴿مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ ما يجلب لك خيراً، ولا يدفع عنك ضر.

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ يعني دعوت دون الله أحداً، **(إن)** أداة شرط تحتاج الفعل، وتحتاج الجواب:

- فعلها ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ يعني فإن دعوت غير الله،
- والجواب ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ فمن دعا غير الله فهو ظالم،

﴿فَإِنَّكَ إِذًا﴾ يعني إن فعلت في حال فعلك، لكن في حال لم تدعُ غير الله لست بظالم، إذن ﴿فَإِنَّكَ إِذًا﴾ يعني في حال صرفك العبادة لغير الله جل وعلا.

﴿مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ عبّر بالظالمين هنا كما يقول أهل العلم، ولم يقل من المشركين؛ حتى يُنبه القارئ، والتالي، والسامع أن الشرك ظلم، فكأنه قال: فإنك إذاً من المشركين، والمشركون ظالمون؛ فأفادتنا فائدتين: الشرك، والظلم، ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، يقولون: **الظلم** – وضع الشيء في غير موضعه، أشد صور وضع الشيء في غير موضعه صرف العبادة، ووضعها في غير من يستحقها.

إذاً مرة أخرى ﴿وَلاَ تَدْعُ﴾ لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة ﴿مِن دُونِ﴾ يعني من غير الله ﴿مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ يعني والحال أنه لا ينفعك، ولا يضرك ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فدعوت غير الله أي شيء من المخلوقات ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني المشركين.

هل يُتصور من النبي ﷺ أن يدعو غير الله؟ لا، حاشاه، ولكن هذا فيه تهديد، وتخويف للناس، يُقال لهم: إذا كان الرسول هو الرسول لو عبد غير الله لكان مشركاً، والمشرك مُخلد في نار جهنم؛ إذاً أنتم من باب أولى لو دعوتم غير الله أشركتم، ولو أشركتم؛ لكنتم في النار خالدين مخلدين فيها.

- ✓ وهذه الآية مثل **آية الزمر** ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:65]. حاشاه أن يشرك هو أو غيره من الرُسل لما لهم من العصمة، لما لهم من المكانة عند الله جل وعلا، ومع ذلك لو أشركوا لعُذبوا، فإذاً غيرهم لمن هم دونهم بمراحل لو أشركوا لاستحقوا العقوبة البالغة.
- ✓ في **سورة الأنعام** ذكر الله ثمانية عشر نبياً، ورسولاً أثنى عليهم، ورفع شأنهم ومقامهم، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:88]، فالشرك إن صدر ممن صدر، فصاحبه مُستحق لهذا الوعيد.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ صغير أم كبير؟ كله، في الدين أو في المال أو في البدن أو في الأهل، في كل شيء، فهذه نكرة في سياق الشرط تفيد العموم.

﴿فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ "لا" نافية للجنس، يعني لا رافع له، ووقع الضر الآن، يحتاج إلى رفع، أما قبل وصوله يُسمى دفعا:

- **فالدفع** قبل وصوله،
- **والرفع** بعد حصوله، ووقوعه.

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ يعني لا دافع، ولا صاد لفضله.

إذاً إذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ:

- هو القادر على أن **يمسك بالضر،**
- وهو القادر على أن **يوصل إليك الخير؛**

إذاً فلا تدعُ غيره، ما يستحق الدعاء إلا ما ينفع ويضر، **ما يستحق العبادة إلا ما ينفع ويضر**، والذي ينفع ويضر حقيقية هو الله جل وعلا؛ إذاً دعاء غيره عبث، وسفه، كيف تدعو، وكيف تعبد من لا يملك مثقال ذرة من خير، ولا يملك مثقال ذرة من ضر؟!

﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ مشيئته مشيئة كونية ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، المشيئة واحدة أما الإرادة اثنتان، هذا الفرق بين المشيئة، وبين الإرادة:

- **المشيئة واحدة المشيئة كونية قدرية،** ما جاء في الكتاب والسنة مشيئة بمعنى الإرادة الشرعية، بل جاءت بمعنى الإرادة الكونية القدرية فقط،
- أما الإرادة تأتي بمعنى **الإرادة الكونية** القدرية، وبمعنى **الإرادة الشرعية.**

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يغفر ما مضى هذا الغفور، ويحفظك للمستقبل هذا من صور الرحمة، إذا جُمعت المغفرة والرحمة يكون المغفرة لما فات، والرحمة للمستقبل: يغفر لك ما مضى، ويحفظك فيما تستقبل.

إذاً الآية هنا تقرر توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم ماذا؟ توحيد الألوهية، إذا كان الله هو النافع الضار؛ إذاً لا تعبد أحداً سواه.

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:17]

﴿الرِّزْقَ﴾ كل نفع فهو رزق، الرزق ليس الطعام، والأكل، والشرب فقط، الرزق ليس المال فقط، بل كل خير حسي أو معنوي فهو رزق، وكل ضر دُفع عنك فهو رزق.

النبي ﷺ لما حصل بينه وبين عائشة كلام في موضوع خديجة قال: "إني رُزقتُ حبَّها" يعني حب خديجة، فجعل حبها رزقا، فهكذا مثلاً المضطر لو نزلت به كربة، وشدة، وطلب من الله النجاة، والحفظ ألا يهلك، لا يموت في الحقيقة يطلب الرزق، إن كان يطلب الحياة فهذا رزق، ويطلب الماء في شدة العطش هذا طلب رزق، كربة معنوية ودعا الله أن يفك عنها أيضاً هذا رزق.

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ لماذا؟ لأن الرزق ملك الله جل وعلا يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء لحكمته، وما دام الرزق عنده فلماذا تطلبونه من غيره؟! العاقل يطلب الشيء مِمَّن؟ مِمَّن يملك، لكن المجنون والسفيه يطلب الشيء مِمن لا يملك ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ مثل ما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:22] فالرزق عند الله ﷻ.

﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ هذا التعبير القرآني يُعدى الشكر باللام، **الشكر** في اللغة معناه الزيادة، العرب تقول: شكرتِ الدابة يعني سمِنت، والشكير يعني الزيادة تكون في الشجرة يسمونها شكيرا، شيء يخرج من الجزع ينبع عنه يسموا هذا شكيرا بالراء وليس باللام وذلك أنه يوجد ترابط بين الثناء على الله، وبين الزيادة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7].

وشكر الله سبحانه وتعالى كما نعرف جميعاً لكن للتذكير:

- يكون بالقلب،
- ويكون باللسان،
- ويكون بالجوارح.

أولا: الشكر بالقلب أن تعتقد، وتعترف، وتؤمن أن هذه النعمة من الله سبحانه وتعالى، قارون لما قال: ﴿أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:78] ما نسبه لله، ماذا فعل الله به؟ خسف به، وبماله، وبداره الأرض، اجعل

عِلمَك ينجّيك! فمن أهم صور الشكر، وأعظم صور الشكر أن تعتقد، وتستحضر أن هذه النعمة من الله جل وعلا ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:53].

ثانياً: الشكر باللسان، وذلك أن تثني على الله بها، أن تحمد الله ﷻ عليها، أن تتحدث بها، يعني تتحدث بها في المكان المناسب اللائق قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11]، وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن أحد التابعين قالوا: أبو نضْرة مُنذِر بن مالك بن قُطَعة يقول: "**كان المسلمون يَرَون أن من شكر الله على النعم التحدث بها**":

- فيحدّث المسلم **بالنعمة الخاصة** التي منّ الله به عليه في الحالة التي يناسب ذكره، أقصد مثلاً لا يكون في المجلس من قد يُكذِّبك أو من قد يحسدك أو قد يؤذيك، بل عند من يحبك ويحب لك الخير.
- كذلك أيضاً التحدث **بنعم الله العامة** على الناس، أنت خطيب جمعة مثلاً، الناس يعيشون في أمن فذَكِّر الناس بهذه النعمة، الناس يعيشون في رخاء، ورغد العيش ذَكِّر الناس بهذه النعمة؛ لأن الناس إذا ألفوا النعمة لا يعرفون قدرها، وربما لا ينتبهون لأسبابها الحقيقية وأنها من الله جل وعلا، ويذكر الأشياء التي يمكن أن تفسد هذه النعمة من الشرك، والجحود، والمعاصي؛ ولهذا قال الله لموسى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم:5] يعني ذكّرهم بنِعم الله ﷻ، ذكّرهم بآلاء الله جل وعلا، فإنهم إذا شكروا الله أثابهم، وأدوا هذه الطاعة، وهذا المقصد الأهم، المقصد الثاني أن هذه النِعم تثبت، بل وتزيد.

ثالثا: يكون **الشكر بالجوارح** بمعنى طاعة هذه المنعم، واجتناب معصيته، الشكر بالجوارح استعمال هذه النِعم فيما يرضيه في طاعته سبحانه وتعالى، وعدم استعمالها فيما يغضبه.

وأنت لو أطعت الله لا تطيعه إلا بنعمة من نِعم الله عليك، ولو عصيته لا تعصيه إلا بنعمة من نِعم الله ﷻ عليك، يعني مثلاً واحد يعصي الله ببصره، البصر هذا من أين؟ نعمة من الله، فأنت إذاً تعصي الله بنعمة من نِعم الله عليك، تعصيه بقوتك، بجارحة من جوارحك، بمالك وهذه الأشياء كلها من نِعم الله ﷻ عليك، ففكِّر بنفسك يليق بك أن الله يتفضل عليك وينعم عليك، وأنت تستعمل هذه النعمة فيما يُغضبه؟! طبعاً

لا، المسلم قبل أن يذل يتذكر هذه الأشياء فهذا يردعه، وإن ذل فعليه أن يتذكر، ويستحي من الله، ويبادر بالتوبة والإنابة إليه.

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيثيب الشاكر، ويعاقب الجاحد.

فالمقصود إذا كان الرزق عند الله؛ فإذاً لا يُطلب إلا منه جل وعلا، ومن طلبه من غيره فقط أشرك مع الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:5-6]

هذه الآية من أسلحة طالب العلم التي يواجه بها عُباد القبور، عباد الأضرحة، عباد الأولياء، يحفظ هذه الآية، يستحضرها، يفهم معناها، يستطيع بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجادل بأقرب وسيلة من يعبد غير الله جل وعلا، ولا سيما من غلاة الصوفية، وغلاة الرافضة، وأصحاب الخرافات المتعلقين بالقبور والأولياء.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ هذا الأسلوب معناه أن لا أحد أضل، فصور الضلال كثيرة، الضالون كُثر لكن أشدهم ضلالة من؟ الذي يدعو من دون الله، فمثلاً الآن:

- الذي يشرب **الخمر** ضال،
- والذي يأكل **الربا** ضال،
- والذي **يقتل النفس** بغير حق ضال،
- والذي **يدعو غير الله** ضال،

أيهما أشد ضلالاً؟ الذي دعا غير الله، ما في أحد أضل منه.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ من الذي اسم موصول، ﴿مِمَّنْ﴾ يعني مِنَ الذي. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من غير الله.

13 – باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هذا قيد أم صفة كاشفة؟ صفة كاشفة بمعنى التعليل، لماذا هو أضل واحد؟ لأنه دعا من لا يستجيب له، فلا يخطر في بالك أنه ممكن تدعو غير الله ويستجيب لك، أقصد دعاء عبادة، سواء حي أو ميت، إنس أو جن، حاضر أو غائب؛ لأن كل من تدعوه من دون الله فلا يملك نفعاً ولا ضراً من باب الاستقلال، إن كان حيا، وحاضرا فهو لو جرى على يده خير، فهو من باب السبب، لو أراد الله أنه ما ينفعك بذرة لا نفعك بشيء، فإذاً دعاء العبادة لا يجوز صرفه لأحد غير الله سبحانه وتعالى ولو كان ممن يتوهم فيه الاستجابة لكونه مثلاً صاحب سلطة أو لكونه حاضر أو لكونه كذا.

﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ نأخذ بعض أصناف المدعوين عند المشركين، المشركون كانوا يدعون:

- ❑ **أصناما**، الصنم حجر يُنحت أو خشبة تُنحت على صورة ثم يدعونها، هذا الصنم لا يستجيب إلى يوم القيامة، وهو عن دعائك غافل، ما يدري عنك الأصم لا يسمع، لا عقل له، لا سمع له، هذا إن كان صنما.
- ❑ إن كان **ميتا**، نفس الشيء لا يسمعك، لا يراك، لا يشعر بك، لا يدري عنك، أنت في عالم وهو في عالم آخر، حتى الرسول ﷺ وهو الرسول، يقول الله له: **"إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"**، ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل:80]، فالميت لا يسمع، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر:22]، فإذاً إن كانوا جمادا كشجرة أو حجرة أو كذا فهو لا يسمع، ولا يدري عنك، وإن كان ميتا فهو أيضاً لا يسمع، ولا يدري عنك،
- ❑ وهكذا إن كان **مَلَكًا**، تدعو جبريل أو إسرافيل أو ميكائيل في السَّمَاوَاتِ الْعُلَى لا يسمعك، ولا يدري عنك.
- ❑ وإن دعوت **حياً حاضراً** مثل عُباد فرعون، عبدوا شخصا أمامهم حي، حاضر ويسمع، هو إن كان يسمع، وإن كان يبصر، وإن كان يعرف ويعلم لكن هل يملك لهم ضراً أو نفعاً؟ لا ما يملك لهم ضراً ولا نفعاً؛ إذاً هو في حكم من؟ في حكم الأنواع السابقة، لو واحد قال لفرعون مئة مرة، ألف مرة، ألف سنة "أدخلني الجنة، ونجني من النار" يقدر فرعون؟ لا؛ إذاً هو في حكم الميت أو الغائب أو في حكم الجماد الذي لا يدري.

﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ لاحظ إذا كان في الدنيا غافلين عنهم، لا يدرون عنهم؛ إذاً ذهب دعاءهم عبثا وفي الآخرة؟ ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ مَن يُعادي مَن؟ المدعو يعادي الداعي أم الداعي يُعادي المدعو أم العداوة من الطرفين؟ العداوة من الطرفين ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت:25] وخصومات في الآخرة بين الضعفاء والكبراء، بين المدعوين وبين من عبدوهم.

﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ عيسى يتبرأ ممن عبده، مريم تتبرأ ممن عبدها، محمد ﷺ يتبرأ ممن عبده، الملائكة تتبرأ ممن عبدها، ولو فرضنا أنه يوجد طاغوت كان يدعوا الناس إلى عبادته، في الآخرة يتنصل، إذا كان رأس الطواغيت إبليس ماذا يقول؟ يقول وهو في النار: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم:22] يعني أنا ما جبرتكم على عبادتي، ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فهذا إبليس رأس الطواغيت يتنصل من عبادة من عبده، فما ظنُّك بغيره من الطواغيت.

فإذاً كل من دعا غير الله فدعوته في ضلال ما ينتفع منها بشيء، فهذا المدعو الذي تدعوه:

- إما **ميت** لا يدري عنك،
- أو **جماد** ليس فيه إحساس أو شعور أصلاً،
- أو **غائب** عنك تدعوه ولا يدري عنك،
- وإما يكون **حيا وحاضرا** لكن في حقيقة الأمر حكمه حكم مَن سبق مِن جمادات وأموات؛ لأنه لا يملك لك مثقال ذرة من خير، ولا يملك مثقال ذرة من شر وضر، فيدفعها عنك.

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:62]

يقولون ﴿أَمَّنْ﴾ هنا بمعنى بل، يعني بل ﴿مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، **فالمضطر** المكروه الذي نزلت به شدة، نزلت به كربة.

﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ يعني السوء عن المضطر، أم سوء آخر؟ كأنه والله أعلم عندنا صورتين:

13 – باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- **الصورة الأولى**: واحد في ضر ودعا الله، مضطر ودعا الله، من يجيبه؟ الله.
- **الصورة الثانية**: واحد نزل به سوء سواء السوء هذا شديد فصار مثل المضطر أو دون ذلك لم يصل درجة الاضطرار وسواء دعا أو لم يدعُ، أيضا الذي يكشف عنه السوء هو الله.

فإذاً كأنه الله أعلم صورتين يعني كأن الله يقول: من الذي يُجيب دعوة المضطر، ومن الذي يكشف عنكم السوء ولو لم تدعُـه؟! والناس تمرض، أو تُؤذى وتكون غافلة ولا تدعوا الله حتى يكشف عنها الضر، وينكشف عنها أم لا؟ ينكشف عنها السوء.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عمَّنْ أصابه السوء سواء دعا أم لم يدعُ ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾ ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [الأعراف:129] بمعنى مثل ما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30] توجد كلمة تجري على كثير من الألسنة **"إن الإنسان خليفة الله في الأرض"**.

إن كان يقصد خليفة الله يعني خليفة عن الله فهذا لا يجوز؛ لأن الذي يُستخلف هو الغائب، أنت الآن مسافر تستخلف أخاك أو أباك على عائلتك وأولادك، فالغائب هو الذي يُستخلف أما الله يُستخلف ولا يَستخلف، ولهذا في حديث دعاء السفر **"أنت الخليفة في الأهل"** فالله هو الخليفة، وفي حديث أيضاً **"الله خليفتي على كل مسلم"** يعني إن خرج الدجال والرسول موجود؛ فالرسول يجادل، ويواجه الدجال بإذن الله، لكن إن جاء الدجال بعد ما مات الرسول فالرسول يقول: **"الله خليفتي على كل مسلم"**، فإذا قيل "إن الإنسان خليفة الله" بمعنى أنه يَخْلُف الله عز وجل، لا، فلا يُستخلف إلا الغائب.

إنما المقصود هنا بخليفة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني جعل البشر، جعل الناس أجيالا متعاقبة، يأتي جيل ويذهب، ثم يأتي جيل من بعده ويذهب ثم يأتي جيل من بعده وهكذا إلى الجيل الذي تقوم عليه الساعة، والله لا يجعلنا منهم؛ لأنها لا تقوم إلا على شرار الخلق، هذا معنى ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾.

المعنى الصحيح يعني إن خليفة الله في الأرض إن مُستخلَف من الله جل وعلا بعضهم على بعض، يعني يستخلف بعضهم بعضاً، يعني الله ﷻ جاعل في الأرض ناسا يخلف بعضهم بعضاً؛ فالاستخلاف هنا ليس

عائدا إلى الله يعني يخلفون الله إنما يخلف بعضهم بعضاً، ولا يخلف أحد منهم الله ﷻ، لكن هذه عبارة شائعة "أن الإنسان خليفة الله في الأرض" يقوم بعمارتها، كأنه يعمرها عوضاً عن الله ﷻ، بدلا من الله، لا.

وفيه استخلاف هو تمكين أهل التوحيد، فهذا استخلاف خاص، تمكينهم في الأرض إذا صبروا، واتقوا الله، ووحدوا الله وأعلوا كلمة الله، وجاهدوا في سبيله يمكّنهم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور:55]، وفي الآية الأخرى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:105]، فهذا استخلاف خاص.

- فيه **استخلاف عام** أجيال تأتي، وأجيال تذهب، الجيل الآتي خلف الجيل الذي قبله، هذا عام، أمم كافرة، وأمم مسلمة، كلها يحصل فيها تعاقب الأجيال.
- لكن هذا **الاستخلاف الخاص** إنما هو لأهل التوحيد جزاء لهم على إيمانهم، وصبرهم، وجهادهم في سبيل الله.

﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعني لا، هذا استفهام إنكار:

- ﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يُجيب المضطر؟!
- ﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يكشف السوء؟!
- ﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يحيي ويميت ويجعل بعضكم خلفاء بعض؟!

الجواب لا، إذاً إذا كان لا يوجد أحد يقوم بهذه الأشياء مع الله، ويفعلها مع الله؛ إذاً لم تعبدون غيره؟! الواجب عليكم أن تفردوه بالعبادة سبحانه وتعالى. ثم قال:

وروي الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ : «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله ﷻ ».

الطبراني هو صاحب المعاجم الثلاثة:

- المعجم **الكبير**،
- والمعجم **الأوسط**،
- والمعجم **الصغير**،

وله كتب أخرى عظيمة، **المعاجم ما طريقتها؟** مثل المسانيد، يعني تأتي بالصحابي ثم تُورد أحاديث ذاك الصحابي، لا يوجد فيها ترتيب فقهي، لا تقول "إني أبحث عن أحاديث الصلاة في معجم الطبراني"، الطبراني مثل المسانيد ليس فيها ترتيب على الأبواب، إنما يعطيك الاسم، مثلاً حديث أبي بكر الصديق عنده يسرد أحاديثه، حديث في الطهارة، حديث في الطلاق، حديث البعث وهكذا، ثم حديث عمر، عثمان، علي....إلى آخره.

فما الفرق بين المعجم والمسند؟

- **المعجم الكبير** يرتب أسماء الصحابة على حروف الهجاء، يعني الصحابي الذي يبدأ بحرف الألف، الصحابي الذي يبدأ اسمه بحرف الباء، الصحابي الذي يبدأ اسمه بحرف التاء، وهكذا إلى آخره.
- **المسانيد**؟، لا، الترتيب على حسب ما يروق للمؤلف، يبدأ بالخلفاء الأربعة، يبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة، ثم المهاجرين، ثم الأنصار؛ فليس في المسانيد ترتيب مميز وواضح، حتى ممكن أن تجد تكرارا أو تداخلا، لكن في المعاجم كأنها نسخة مُطورة من المسانيد، ودائماً العمل يبدأ فيه مثلاً نقص في الترتيب، والتهذيب يأتي الذي بعده يبني عليه، ويزيده ترتيبا، وتهذيبا حتى يكون أيسر وأقرب.
- **بالنسبة للمعجم الصغير**، والأوسط هذه مُرتبة على شيوخه هو، فحديث يرويه عن شيخه فلان عن فلان، تجد الكتاب مُرتبا على أسماء الشيوخ، ثم كل مسند اسم شيخ يذكر بعض الأحاديث التي يرويها من طريق هذا الشيخ.

"بإسناده" هل أسانيد الطبراني كلها صحيحة أم كلها ضعيفة؟ فيها وفيها، فيها الصحيح، وفيها الضعيف، وفيها الحسن، وهذا الإسناد فيه رجل ضعيف وهو عبد الله بن لهيعة المصري.

"أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين" النفاق هذا في القلب، كيف عرفوا أنه منافق؟ علامات دلتهم على نفاقه، ولو أظهر الإسلام ثم أظهر الردة، والكفر صار في حكم المرتد، لكن منافق يُبطن الكفر،

ويظهر الإسلام، كيف عرفوا؟ عرفوا من الدلالات، والأمارات أن هذه ليست أعمال مؤمن هذه أعمال منافق.

"فكان يؤذي المؤمنين" لم يذكر نوع الأذى هذا.

"فقال بعضهم" يعني لبعض، وفي بعض الروايات أن القائل هنا أبو بكر الصديق.

"قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق" فقاموا إلى رسول الله، وقالوا "يا رسول الله إنا نستغيث بك من هذا المنافق" سواء عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ أو غيره.

فقال النبي ﷺ: "إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله ﷻ" السؤال الآن: استغاثوا بالرسولﷺ، والرسول حي، وحاضر، وقادر:

- **حي** موجود بينهم،
- **وحاضر** موجود في المدينة،
- **وقادر** على أن يكف شر هذا المنافق عنهم بما أعطاه الله من السلطة، والحكم، يأمر بقتله يُقتل، يأمر بسجنه يُسجن، يأمر بتغريمه من المال يُغرَّم، يأمر بضربه يُضرب،

هذه الصورة نقول هل يجوز فيها الاستغاثة أم لا؟ تجوز الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه، هنا قال الرسول: **" إنه لا يستغاث بي"**، في الصورة التي قررنا في أول الدرس أنه جائز فيها الاستغاثة، كيف هذا؟ **تربية الصحابة ألا يستعملوا هذا الأسلوب** "يا رسول الله إنا نستغيث بك، يا فلان إني أستغيث بك"، كأنه يقول هذا اللفظ اجعلوا مع الله ﷻ، وإن كان القصد صحيحا، لكن تأديب اختيار اللفظ الأنسب، والأليق، وكأنه هذا اللفظ في القرآن لما أُستعمل مع الله ﷻ استعملوا مع الله جل وعلا.

فقال: **"إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله ﷻ"** يعني قالوا هذا تهذيب لهم على عدم استعمال هذا اللفظ مع المخلوق، وإن كان استعماله في مقام يجوز استعماله فيه لكن من باب الأدب في اللفظ.

13 – باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وبعضهم ذكر معنى دقيق ما هو؟ **"إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله ﷻ"** يقولون هذا النفي هنا على بابه، وأنه لا يجوز أن يستغيثوا به في هذا الحال لماذا؟ لأني لا أقدر أن أغيثكم، كيف ما تقدر أن تغيثنا؟ – هذا التفسير لبعض أهل العلم – كأنه يقول لهم أن هذا منافق، وإن كان منافقا في الباطن لكن هو في الظاهر مسلم، فأنا أعامله على حسب الظاهر؛ وبالتالي أمره إلى الله ﷻ، إذا مات فهو الذي يعذبه العذاب الشديد في الدرك الأسفل من النار.

لكن هذا التفسير لا أدري الله أعلم بصحته، لماذا؟ لأنهم لم يأتوا يقولون: "يا رسول الله عاقِبْه؛ لأنه منافق" لم يشتكوا نفاقه، بل اشتكوا أذيته، والمسلم هو المسلم البر والصالح والتقي لو آذى غيره يستحق العقوبة؛ فإذاً العقوبة على جُرم ظاهر، أذية ظاهرة، ليس على أمر خفي لا يعلمه إلا الله.

فالذي يظهر أن هذا التفسير المكتوب عندكم، والذي قرره أكثر من فسر هذا الحديث هو الصحيح أن الرسول أراد تربيتهم على استعمال اللفظ المناسب، فاللفظ الذي لا يليق إلا بالله يكون لله ﷻ، لا يكون إلا مع الله جل وعلا.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف:192-191].

هذا الباب عقده المؤلف ليُبيّن، ويقرر، ويؤكد أن كل من يُدعى من دون الله ﷻ فضلاً عن كل ما يُعبد، مَن للعاقل، وما لغير العاقل، أن كل ما يُعبد من دون الله؛ فإنه ضعيف وعاجز وفقير لا يصلح للعبادة.

وكان قد سبق هذا الباب ذكر الاستغاثة بغير الله، والاستعاذة بغير الله، فبيّن هنا أن كل ما يُدعى، وكل ما يعبد، كل ما يُستعاذ به، كل ما يُستغاث به، كل ما يُلتجأ إليه غير الله سبحانه وتعالى فإنه عاجز، وضعيف، وفقير فلا يصلح أن يكن معبوداً.

قال الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ قوله ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ هذا استفهام، لكن معنى هذا الاستفهام الاستنكار، والتوبيخ، ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ أي أيجعلون لله شريكاً، وهذا الشريك قال سبحانه عنه ﴿لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ لا يستطيع أن يخلق شيئاً، لماذا؟ لأنه عاجز، لا يستطيع أن يخلق؛ بالتالي لا يخلق ضراً ولا يخلق نفعاً، ولا يخلق ذرة.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي هؤلاء الذين يدعونهم مع الله عباد مخلوقون، ومعنى ذلك أنهم كانوا عدما، ثم وُجدوا، والمعدوم مفتقر في وجوده إلى مُوجِد، إذاً هو فقير إلى من يوجده، ثم إلى من يدبر أمره، فكيف تعبد ما هذه صفتهم؟!

﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ يعني لا يستطيعون نصر عابديهم، وذلك بدفع الضر عنهم، من عدو، من مرض، من حيوان مفترس، أو غير ذلك من الآفات، فضلاً على أن يباشروا نصرهم؛ لأن أحياناً يكون لديك القدرة على أن تنصر شخصاً، لكن لا تنصر تتركه وأنت قادر على النصر، لكن هنا قال: ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ يعني ما يملكون أصلاً النصر فضلاً على أنهم يباشروا النصر، واضح الفرق بين التعبيرين؟

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- لو قال: (لا ينصروهم) لكان المعنى يحتمل إن عندهم القدرة على النصر، عندهم القدرة على النفع، عندهم القدرة على دفع الضر لكن تركوا هذا لسبب من الأسباب،
- لكن لما قال: ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ وصفهم بالعجز كله، وبالضعف كله، أصلاً ليس لهم قدرة أن ينصروهم.

﴿وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ يعني حتى هؤلاء المعبودون لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم لو أُريد بهم شيء، والعاجز عن نصر نفسه من باب أولى أن يكون عاجزا عن نصر غيره.

كم صفة الآن عندنا وصف بها الله هؤلاء المعبودات؟ **أربع صفات:**

- هذا المعبود المشرك به **لا يخلقون شيئاً**، نفى عنهم القدرة على الخلق،
- وأنهم **هم مخلوقون** مربوبون مُدبرَون.
- **لا يستطيعون نصرهم** يعني لا يستطيعون نصر عابديهم،
- **لا يستطيعون نصر أنفسهم**.

وكل هذه الصفات تدور على العجز، والضعف، والفقر، فمن كان كذلك فلا يصلح أن يكون إلها معبوداً

ثم قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:13-14].

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ "الذين" اسم موصول، واسم الموصول يفيد العموم، فكل ما تدعونه من دون الله فيهم هذه الصفات، يعني سواء تدعون أنبياء أو أولياء، أو ملائكة أو تدعون أشجار أو أحجار أو تدعون أحياء أو تدعون موتى، أياً كان هذا المعبود من دون الله فهذه صفاتهم:

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ما معناها؟ يعني ما يملكون شيئا، هذا معنى النفي، ليس المعنى أنهم يملكون ما دون القطمير، المقصود أنهم لا يملكون شيئاً لكن عبّر بالشيء الحقير، معناه أن من لا يملك هذا الشيء الحقير فهو لا يملك شيئا لا دونه ولا أكثر منه.

س: ما هو القطمير؟

ج: القطمير: **اللفافة أو الغطاء الشفاف الذي يكون على النواة**، نواة التمر، النواة التي داخل التمر تُطلِّعها تجد عليها لفافة شفافة هذه اسمها قطمير، وفي داخل الشق هذا المستطيل في شيء اسمه **الفتيل**، وكلها جاءت في القرآن، وفي أعلى النواة رأس صغير هذا **النقير**.

فالقطمير، والنقير، والفتيل كلها أوصاف متعلقة بالنواة، والمقصود في ذلك كله أن من نُفي عنه أن يملك شيئا من هذه الثلاثة، المقصود أنه لا يملك شيئا.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ يعني لا يملكون ملكاً تاماً، لا يملكون ملكاً حقيقياً؛ ولهذا المعبود إذا كان إنسانا، فالإنسان قد يملك، لو كان المعبود هذا نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أو رجل من الناس، وأحياناً قد يكون المعبود حتى ملك من ملوك الدنيا، فرعون ما عُبِد؟! عُبد فرعون، فرعون ما كان يملك قطميرا؟ يملك قصورا ليس قطمير، ويملك أنهارا ومزارع، وأوادٍ، ودوابا وعنده من الملك الشيء العظيم ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف:51].

فكيف يقول: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ وقد بيّن أن بعض من عُبد يملك دنيا عريضة؟ وأقل هؤلاء المملوكين أقل شيء يملك الملابس التي عليه، المقصود ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ يعني ملكاً تاما، ملكا حقيقيا؛ لأن هذا الملك الذي تملكه في الدنيا مِلك ناقص، مِلك قاصر:

- أولاً: **ملكته بعد أن لم تكن تملكه**، فهو مِلك مملوك بعد عدم، ثم أيضاً **هذا الملك الذي تملكه لن يدوم سيفنى**، ويبلى إما أن تموت وتتركه وإلا هو يتلاشى ويذهب عنك. فهو مِلك قاصر من تلك الجهة، من جهة الابتداء، ومن جهة الدوام.

- **ثانياً**: أن مِلكك فيه **لا تملك فيه التصرف المطلق**، بل أنت مُستخلف فيه ومأمور أن تتصرف فيه بمقتضى الشرع، فالمال الذي لك، السيارة التي لك، أي شيء لك، أنت مأمور أن تتصرف فيه بمقتضى الشريعة، مثلاً الآن عندك سيارة، لمن هذه السيارة؟ قلت هذه السيارة لي، هل تملك شرعاً أن تجعلها وسيلة لنقل الخمور؟ لا ما يجوز، فقد تقول: هذه سيارتي وملكي وأنا حر فيها، أقول لك: أنت لست حراً فيها، إنما أنت مأمور أن تستعملها بمقتضى الشرع؛ لأن المالك الحقيقي لها، ولك هو الله سبحانه وتعالى، هو الذي يملكك حقاً، ويملك سيارتك، ويملك مالك.

- **ثالثا**: أيضاً هذا المال **لا تستطيع أن تتصرف فيه إلا بما كتبه الله**، وقدره، لو أراد له آفة لا تستطيع أن تمنعها، ليس معنى أنك مالك لهذا المال أن تستطيع أن تمنع عنه الآفات، لا، ما تقدر، عندك دواب، عندك نخل صحيح هذه ملكك، تتعهدها بما ينفعها، وتحاول جاهداً أن تصرف عنها ما يهلكها أو ينقص فائدتها، لكن لو أراد الله فيها شيئاً ما تستطيع أن ترده.

فلهذا نفى عنه الله عَزَّ وَجَلَّ المِلك بمعنى أنهم لا يملكون شيئاً ملكاً تاماً يستطيعون فيه التصرف كما يريدون، بل تصرفاتهم خاضعة لشرع الله، ولقدر الله سبحانه وتعالى.

إذاً كونه لا يملك إذن هو في غاية الفقر، من لا يملك قطميراً إذاً هو في غاية الفقر والمعبود ينبغي أن يكون غنياً، المعبود حقاً ينبغي أن يكون غنياً، أنت الآن تدعو هذا المألوه المعبود تقول له: أنا فقير فأغنيني، أنا مدين فاقضي عني ديني، أنا مكروب فرّج عني قربتي، يُفترض أن هذا الذي تدعوه غني حتى يعطيك، الناس لا تذهب إلى بيوت الفقراء يستنجدونهم، بل يذهبوا للملوك، للأمراء، للأغنياء، للتجار ويقولوا لهم أعطونا، لا أحد يذهب إلى بيت فقير ويقول له: أعطني، فالمعبود يجب أن يكون غنياً حتى يُعطيه، فإذا كان هذا المعبود من دون الله لا يملك قطمير إذاً هو بغاية الفقر، وبالتالي لا يصلح أن يكون معبوداً.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لماذا لا يسمع دعاءك؟ لأن قد يكون هذا الذي تدعوه صنما، خشبة، حجرة، شجرة فلا يسمعون، قد يكون هذا الذي تناديه ميتا، والميت لا يسمع

﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل:80]،

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

📖 ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر:22].

فالميت لا يسمع إلا الشيء الذي كتبه الله أن يسمعه، هذا الذي ورد في النصوص شيء قليل جداً.

عمر لما وقف مع النبي ﷺ على قتلى بدر جمعهم الرسول في البيت ووقف عليهم في القليب، القليب هو البئر، قال **"يا معشر قريش أو يا فلان، وفلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً"**.

فعمر كان حاضرا قال: **"يا رسول الله ما تخاطب قوما قد جيفوا"**، كيف تكلم الناس الموتى، والموتى لا يسمعون قال ﷺ: **"ما أنتم اليوم بأسمع لِما أقول منهم"** يعني الله فتح لهم أسماعهم حتى سمعوا كلامه، وهذا يدل على أن الميت لا يسمع، لو كان الموتى يسمعون ماذا كان سيقول الرسول لعمر؟ قال سيقول: "ومن قال لك أن الموتى لا يسمعون، الموتى يسمعون" لكن بيّن له أن الله فتح أسماعهم في تلك اللحظة له، فكانوا يسمعون كلامه، وأقروا على الفهم العام أن الموتى لا يسمعون، وعلى هذا جاء القرآن نفى الإسماع للموتى في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

فيقول إن كانوا شجرا أو حجرا فهي لا تسمع، وإن كانوا موتى فالميت لا يسمع، إن كان غائباً بعيداً أنت في بلد وهو في بلد، أنت في الأرض وهذا الملك في السماء لا يسمع دعاءك.

وقد يكون هذا المدعو حاضرا، وعنده قدره على السمع لكن لو سمعك يستطيع أن يُجيب؟ **﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾** يعني:

- ❖ لو كنت تدعو حياً حاضراً سميعاً فهو لا يستطيع أن يُجيبك، لماذا؟ لأنك تريد منه شيئا يتعلق بقدرة، وهو أضعف ما يكون،
- ❖ وإن كنت تطلب منه شيئا يتعلق بالغنى فهو أفقر ما يكون فهو عاجز وفقير،

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

إذن ماذا سيُعطيك؟! المعطي الحقيقي هو الله ﷻ، إذن بدل ما تدعو هذا الفقير الضعيف ادعو الله سبحانه وتعالى، ولو فُرِض أن الشجر، والحجر، والموتى، والملائكة أو الغائب البعيد سمع فهو غير قادر على إجابتك.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يعني يأتي مثلاً قوم كانوا يعبدون الملائكة في الدنيا، فيجمع الله بينهم وبين الملائكة، هل الملائكة ترضى بعبادتهم لهم؟ لا، عيسى ابن مريم عُبِد، أمه عُبدت هل يرضون بعبادتهم لهم؟ لا، وهكذا أيضاً حتى الشمس والقمر، وكل ما عُبد من دون الله لا يرضى يوم القيامة بعبادة من عبده ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

ثم قال سبحانه ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ يعني لا يأتيك بالخبر بالنبأ على حقيقته المطابقة للواقع إلا الخبير به، ولا أعلم بالخلق من الخالق سبحانه وتعالى، فهو الذي خلق هذه المعبودات، وهو الذي خلق هؤلاء العابدين ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:14] وهو العليم بأمر الشهادة وبأمر الغيب، فأعطاك الله سبحانه وتعالى هذا الواقع على حقيقته أن:

- هذه المعبودات **فقيرة**،
- هذه المعبودات **ضعيفة**،
- هذه المعبودات **عاجزة**،
- **ولا تستطيع أن تسمعك** وإن سمعت لا تستطيع أن تُجيبك،
- **ويوم القيامة تكفر بك**، وتلعنك، وتتبرأ منك،

فهذا خبر الذي لا يكذب سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:122]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء:87]؟! فلا تُجهد نفسك، وتتعب نفسك فيما يعود عليك بالوبال وبالخسارة في الدنيا وفي الآخرة.

س: كم الصفات في الآية الثانية؟

❖ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾.
- ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾.
- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

وفي (الصحيح) عن أنس قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: "كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم؟" فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾

ثم قال رحمه الله: "**في الصحيح**" يعني أنه في صحيح مسلم "**عن أنس**" يعني ابن مالك رضي الله عنه.

قال: "**شُجّ النبي ﷺ يوم أحد**" **الشجّة**: الجرح الذي يكون في الرأس، ويكون في الوجه تُسمى شجّة، يعني جاءت النبي ضربة أصابت وجنته حتى دخلت حلقات المِغفر في وجنتيه.

"**وكُسرت رباعيته**" هذه الاثنتين الأمامية تُسمى ثنايا، والتي بعدها تُسمى رباعية، والتي بعدها تُسمى الناب وهكذا، التي كُسرت الرُباعية التي بعد الاثنتين.

فقال ﷺ:"كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم؟!" هل يستفهم؟ لا، ما يستفهم لكنه يستبعد عليهم الفلاح **"كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم؟!" فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾** [آل عمران:128].

س: ما علاقة هذا الحديث بالباب؟

ج: يريد أن يُبيّن أن النبي ﷺ وخيار الخلق بعد النبيين والمرسلين لا يستطيعون أن يدفعوا الضر عن أنفسهم، فهذا رسول الله ﷺ خاتم الرسل، وسيد ولد آدم، والذي حظي، وفاز بخلة الله ﷻ، والذي أُعطي لواء الحمد، وأُعطي الشفاعة العظمى، وأعُطي المقامة المحمودة، والذي أُؤيد بالبراهين، والمعجزات التي لم يُعطَ لنبي قبله مثله، ومع ذلك:

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- ما استطاع **أن يرد عن نفسه حجر**؛ فشجّه، وكسر سنه،
- ما استطاع **أن يدفع عن أصحابه القتل**؛ فقُتل منهم **(70)** سبعون،
- ما استطاع **أن يدفع القتل** عن واحد من أحب الناس إليه في تلك المعركة **حمزة بن عبد المطلب**،
- ما استطاع **أن يدفع عنه التمثيل** بعد ما قُتل،
- **ولا الصحابة استطاعوا** أن يدفعوا عن نفسهم الضر،

ولا النبي ﷺ ولا استطاعوا أن يدفعوا الضر عن رسول الله، ولا هو استطاع أن يدفع الضر عن نفسه ﷺ، ولا استطاع أن يدفع هذا الضر عن أصحابه، **إذاً من باب أولى** غير النبي ﷺ ، ومن باب أولى أن غير الصحابة من الأولياء والصالحين ممن جاء بعدهم أن يكون أعجز عن ذلك كله.

وقصد المؤلف من هنا أن يُبيّن أن النبي ﷺ ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من دون الله **أنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً؛ وبالتالي لا يملكه لغيره وبالتالي لا يصلح أن يُعبد**، وإذا كان الرسول ﷺ لا يصلح أن يُعبد فغيره من باب أولى؛ لأن كل من دون الرسول فهو دونه في الفضل، وفي المرتبة، والمنزلة.

أيضاً فيما يتعلق بعمله أو بظنه فيهم **"كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم؟!"** يعني كأنه يقول إن هؤلاء لن يفلحوا بمعنى أن مصيرهم إلى النار خالدين مخلدين فيها، وأن هؤلاء لن يُوفقوا للهداية، لماذا؟ عقوبة لهم؛ لأنهم شجّوا نبيهم، وألحقوا به الأذى والضرر، فهؤلاء لا يوفقون للهداية، الله عَجَّلَ قال له: لا، أمر الهداية، أمر الضلال، أمر السعادة، أمر الشقاوة هذه ليس لك، هذه لمن؟ لله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ليس لك من أمر إيمانهم أو كفرهم، هدايتهم، وضلالهم، سعادتهم، وشقاوتهم، ودخولهم الجنة ودخولهم النار هذا ليس لك، هذا إلى الله.

فكيف يأتي الآن ناس ويطلبون من صاحب طريقة أو من ولي من الأولياء، ومن شخص يُعظَّم، قد يكون من أفجر الناس ويطلبون منه أن يغفر ذنوبهم؟! ويطلبون منه أن يقيهم فتنة القبر، ويطلبون منه الجنة، ويطلبون منه أن يجيرهم من النار؟! الرسول لا يملكها، تريد فلان أو علان يملكها؟! لا يمكن هذا أبداً.

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلاناً وفلاناً"، بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد" فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

ثم قال: "**وفيه عن ابن عمر**" يعني في الصحيح في مسلم أو البخاري، وقال: "**وفيه**" يعني وفي صحيح البخاري، والشيخ يقول "في الصحيح" كما أظن تقدم إن في الصحيح يعني قد يكون في الصحيحين، وقد يكون في أحدهما، وهل معناها أيضاً أنها في الحديث الصحيح؟ ما أظن هذا المعنى الثالث، لكن في الغالب إن كان في الصحيح قد يكون في البخاري ومسلم، وقد يكون في أحد هذين الكتابين.

" وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلاناً وفلاناً" جاءت مسمياتهم في الرواية الثانية قال "**يدعو على صفوان بن أُمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام**" وذلك لشدة ما نال المسلمين من عداوتهم، ومن أذاهم، فدعا عليهم الرسول.

ما معنى "**اللهم العنهم**"؟ أبعدهم عن رحمتك، وأطردهم لا يدخلون رحمتك، ولو استُجيب هذا الدعاء لكانوا من أهل النار، كانوا ماتوا على الكفر، ولكن أنزل الله عليه ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ هذه الآية هي الأولى أم غيرها التي نزلت بعد أُحد؟ هي نفس الآية:

- بعد أُحد لما قال: "**كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم؟!**" نزلت ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾،
- ولما دعا على هؤلاء أنزل الله عليه مرة ثانية ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾،

فالنزول قد يتكرر لنفس الآية، لا يوجد مانع.

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

نلاحظ هنا أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، فظن أن من أذاه وشجّه في أُحد لن يفلح، وقد دخل قوم ممن شاركوا في أُحد، دخلوا بعد ذلك في الإسلام، لما قال: "**كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم؟!**" لم يقصد الشخص الذي باشر رميه، وإصابته ولكن يقصد هذا الجيش كلهم؛ لأن كل واحد منهم كان يتمنى أن يقتل الرسول أو يقتل أكبر قدر ممكن من أصحاب الرسول ﷺ.

ومع ذلك نجد كثيرا مما شارك في أحد دخل بعد ذلك في الإسلام:

- بل **قائد المعركة** كله الذي هو من؟ **أبو سفيان**، قائد الجيش كله دخل في الإسلام، وصار من الصحابة،
- **قائد الفرقة التي ألتفت من خلف الصحابة**، وفعلت فيهم الأفاعيل هو نفسه أسلم، صار سيفا مسلولا من سيوف الله ﷻ.
- هنا لما دعا عليهم ما قُبلت الدعوة فيهم؛ لأن هؤلاء **صفوان بن الأمية، وسهيل، والحارث كلهم أسلموا**، وصاروا من الصحابة ومن خيار الصحابة. فما قُبل دعاؤه فيهم،

وإن كان النبي ﷺ قد يدعو والله ﷻ لا يستجيب دعاءه لعلة أو لشيء، فكيف يأتي هؤلاء المشركون المندِّدون ويدعون آلهتهم، ويقولون: نريد أن تدعو لنا عند الله، نريد أن تشفع لنا عند الله؟! هذا ما يصير:

- **لا يجوز أن تدعوهم مباشرة** على أنهم يملكون النفع والضر،
- **ولا يجوز أن تدعوهم على أنهم وسائط** بينك وبين الله ﷻ.

"**وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية**" أسلم بعد فتح مكة،

"**سهيل بن عمرو**" أسلم في فتح مكة، ويُروى، لكن ما أذكر صحة هذا الحديث أن عمر استأذن الرسول ﷺ في صلح الحديبية لما جاء يتفاوض مع النبي ﷺ وأصر على أن النبي يرجع ولا يعتمر؛ فعمر من الغضب قال: "**يا رسول الله ائذن لي بأن أنزع ثانيتيه، وأطلع له أسنانه**" يعني يريد أن يهجم عليه ويفتك به، فقال: "**ما يدريك يا عمر لعله يقوم مقاماً ينفع الله به الإسلام وأهله**" أو كلمة نحوها.

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

لما مات النبي ﷺ قام سهيل بن عمرو وخطب في أهل مكة خطبة قريبة من خطبة أبي بكر الصديق التي في المدينة "إن محمدا قد مات، فإن رب محمد لا يموت"، وما زال يثبتهم، ويسكنهم حتى ثبتوا ولم يرتدوا أهل مكة يعني أهل المدينة ما ارتدوا، وأهل مكة ما ارتدوا، وأهل جواثا في الأحساء ما ارتدوا، وارتدت بقية العرب، فثبت الله أهل مكة بسهيل بن عمرو، هذا الذي الرسول كان يدعو عليه، ويلعنه لكن لله عَزَّ وَجَلَّ حكمة، فما قَبِل دعاء نبيه.

"**والحارث بن هشام**" أسلم، حسن إسلامه وصار من سادات المسلمين.

هذا يدل على أن الأمر كله لمن؟ الأمر كله لله عَزَّ وَجَلَّ السعادة، والشقاوة، والنفع، والضر، والجنة، والنار، وأمر القلوب، الإيمان، والكفر كل هذا لله سبحانه وتعالى لا يملك الرسول ولا غيره منه شيئا.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: "يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً".

قال: " **وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**" هذا نسميه مرسل صحابي، كيف يعني مُرسَل صحابي؟ يعني الصحابي يكون أخذ هذا الحديث عن صحابي غيره، وما يدرينا أن هذا مرسل صحابي؟ الآية، والقصة نفسها.

أبو هريرة متى أسلم؟ السنة (7) السبعة من الهجرة، فهو ما أدرك هذا الحدث، إنما تلقاه عن صحابة آخرين، ومع ذلك، لم يعطنا الواسطة من الذي حدّثه، وما قال: حدّثني فلان، إنما روى الحديث مباشرة، كأنما هو الذي شهده، فهذا لا يضر، مراسيل الصحابة ليست كمراسيل التابعين، فمراسيل الصحابة صحيحة، حتى لو لم نعرف الواسطة؛ لأن في الغالب الصحابي يروي عن مَن؟ عن صحابي مثله.

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ العشيرة معروفة، والأقربين يعني ابدأ بالأقرب فالأقرب منهم.

فقال: "يا معشر قريش أو كلمة نحوها" هذا شك من الراوي، هل قال "يا معشر قريش أم كلمة أخرى مشابهة لها؟" يحتمل هذا وهذا، فمن باب البراءة من ذمته قال: **"أو كلمة نحوها"** وهذا يدل على ورع الراوي.

"اشتروا أنفسكم" بماذا؟ بالإيمان، يعني ادخلوا في الإيمان، ادخلوا في التوحيد، ادخلوا في الإسلام، فإذا فعلتكم ذلك فقد أنقذتم أنفسكم، وخلصتم أنفسكم من النار.

"لا أُغني عنكم من الله شيئاً" هذا محل ماذا؟ نحن قلنا أن المؤلف أراد أن يُبيّن في هذا الباب ضعف وعجز كل من يُدعى من دون الله، هذا محل الشاهد: **"لا أُغني عنكم من الله شيئاً"** ولاحظ كلمة **"شيئاً"** نكرة في سياق النفي، النكرة في سياق النفي قالوا: فتعم، يعني "لا أُغني عنكم من الله أي صورة من صور النفع:

- لا أستطيع أن أدخلكم الجنة،
- لا أستطيع أن أخلصكم من النار،
- لا أستطيع حتى أن أخفف عنكم عذاب النار،
- ما أستطيع ولا شيء،

فالذي يريد الجنة، ويريد الخلاص من النار فعليه أن يشتري نفسه بالإيمان وبالتوحيد، أنت هكذا تشتري نفسك، وتخلصها من النار، غير ذلك لا أملك شيء، لا تنفعك قرابتي.

ثم قال: **"يا عباسُ بنَ عبدُ المطلب"** يا: حرف نداء، والمنادى من أنواع المنصوبات، يأتينا إن شاء الله إذا كملنا الآجرومية أن المنصوبات من ضمنها المنادى، فالمنادى منصوب، هنا عندنا **"يا عباسُ"** ليس منصوبا، هنا مبني على الضم، لكن في محل نصب، المنادى مبني على الضم؛ "يا عباسُ، يا فاطمةُ" لأن المنادى هنا مفرد، والمنادى إذا كان مفردا أو نكرة مقصودة؛ فإنه يُبنى على الضم.

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قال: **"يا عباسُ بنَ"** و**"ابن"** صفة لعباس، والصفة تتبع الموصوف لماذا هنا منصوبة؟ بالنظر إلى محل عباس، نحن قلنا إن محلها النصب؛ ولهذا لو كان المنادى مضافا، ومضافا إليه يعني ليس مفردا نقول: يا أمير المؤمنين.

"يا عباس بن عبد المطلب" من هو عباس هذا؟ عم رسول الله ﷺ، **"وعَمَّ الرجُلِ صِنْوُ أبيه"** يعني مثل أبيه، وأبوك عزيز عندك، فالذي في درجة أبيك أيضاً يكون عزيزا، فلو كان الرسول يملك شيئا من النفع، والغنى لنفع عمه العباس.

وبالمناسبة النبي ﷺ له تسعة أعمام والذين أدركوا الإسلام أربعة اثنان أسلما، واثنان أبوا أن يسلما:

- الذين أسلما **العباس، وحمزة**
- والذين أبوا الإسلام **أبو لهب، وأبو طالب**.

"لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ" صفية بنت عبد المطلب هذه أم الزبير بن العوام، فهو ابن عمة النبي ﷺ صفية، والعوام من بني أسد من قريش يعني أسدي قرشي، لكن ليس من بني عبد المطلب.

ولهذا مرة حصل خلاف بين عبد الله بن الزبير، وبين عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان وقت زعل، فقال ابن الزبير: "تذكر إذ تلقينا رسول ﷺ أنا وأنت، وفلان"، فقال: "نعم، فأخذني وفلان وتركك"، وكان ابن عباس يمكن، هم فعلاً تلقوا الرسول ﷺ، الرسول إذا قدم من السفر يتلقونه بالأطفال من أهل بيته، فيأخذهم معهم، واحد مثلاً يضعه أمامه، والثاني خلفه حتى يدخل المدينة، فهم تلقوه، فطلع ابن الزبير، وطلع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وطلع فلان وكذا فأخذ الاثنين؛ لأنهم من بني عبد المطلب، وترك الزبير؛ لأنه ليس من بني عبد المطلب، فهذا كأنه قال له مفتخراً أو شيء منه، فقال له: أذكر حملني أنا وفلان وتركك أنت" هذه يسمونها بالأجوبة المسكتة، وفي كتب مُؤلفة في هذا، جيد إذا واحد يقرأها وهو طفشان يتسلى فيها، ويستفيد منها كتجارب.

14 – باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قال: **"ويا فاطمة بنت محمد"** هذه سيدة نساء العالمين، وسيدة من سيدات نساء الجنة، وبضعة من الرسول ﷺ يعني جزء منه ومع ذلك لا يملك لها من الله شيئا، يقول: **"سليني من مالي ما شئتِ"** عندي مال وطلبتي مني مالا أعطيك، لن أبخل عليك؛ لأن المال أقدر أعطيكِ إياه، لكن ما يتعلق مما لا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى، فأنا لا أملك لكِ شيئا، لا أملك لكِ جنة، ولا أملك لكِ ناراً فأدفعها عنكِ، خلِّصِي نفسكِ بالتوحيد والإيمان، وطاعة الله سبحانه وتعالى.

فهذا محل الشاهد، ولاحظ كيف الرسول كان يكرر **"لا أغني عنكم من الله شيئاً"** بشكل عام، ثم **"لا أغني عنكَ من الله شيئاً"**، **"لا أغني عنكِ من الله شيئاً"**، **"لا أغني عنكِ من الله شيئاً"** كل هذا لترسيخ هذا المبحث وإذا كان رسول لا يغني عن الناس شيئاً، وهم أقرب الناس إليه، فكيف زيّن الشيطان لكثير من الجُهال أن يعبدوا الرسول، ويستغيثوا بالرسول، ويدعوا الرسول ﷺ، ويطلبوا منه ما لا يُطلب إلا من الله ﷻ.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

15 – باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

15 – باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾** [سبأ:23].

قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ﴾ هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله ليبين عظمة الله سبحانه وتعالى التي تتضاءل عندها عظمة المخلوقات، الملائكة خلق عظيم:

- حتى قال النبي ﷺ: **"أذن لي أن أحدث عن ملك عاتقه تحت العرش ورجلاه مَرَقة الأرضين"** فهذا واحد من الملائكة عاتقه، منكبه تحت العرش، ورجلاه تجاوزت الأرض السابعة،
- وجبريل عليه السلام لما ظهر للنبي ﷺ في خلقته التي خلقه الله عليها غطى الأفق، سد الأفق،

فهم خلق عظيم، ومع ذلك انظر كيف حالهم وشأنهم إذا تكلم الله سبحانه وتعالى بالوحي، كيف تأخذهم الرعدة، تأخذهم الرجفة، يأخذهم الغشي، يغشى عليهم، كل ذلك خوفا من الله سبحانه وتعالى:

- فإذا كانت هذه المخلوقات **العظيمة**،
- هذه المخلوقات **المقربة** من الله سبحانه وتعالى،
- هذه المخلوقات التي **لا تعصي** الله ما أمر،
- التي **تسبح له** ليلا ونهارا لا تفتر،

ومع ذلك تخاف من الله هذا الخوف العظيم، إذًا هذا معناه أن المسلم أو أن العبد أو المكلف لا يعلق قلبه بشيء غير الله سبحانه وتعالى، لأن كل ما سوى الله فهو ضعيف إلى الله إلى جنب الله، فقير إلى الله سبحانه وتعالى، لا يملك لنفسه مع الله ضرا ولا نفعا.

15 – باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

فالقصد من هذا إذًا إخراج التعلق من القلوب بغير الله سبحانه وتعالى، وأن تكون القلوب مجموعة على الله جل وعلا، محبة، وخشية، وخوف، وتعظيم، وإجلال، وسؤال، ورغبة، ورهبة، كل ذلك يكون موجها لله سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ "فزع" أي أزيل عنها الفزع.

﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني قلوب الملائكة، وهذا دليل على أن الملائكة أجسام، ليست مجرد الأرواح، أجسام لها قلوب وهي خلق عاقل، يفهم الخطاب وينفذ الأمر، تسبح، تدخل البيت المعمور.

﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني عن قلوب الملائكة يعني زال عنها الفزع، وزال عنها الغشية،

﴿قَالُوا﴾ قالت الملائكة لجبريل كما فسرته السنة، فهذا السؤال موجه من عموم الملائكة موجه إلى جبريل عليه السلام.

﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ صفة لموصوف محذوف تقدير الكلام "قالوا قال القولَ الحقَ" ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ قال يعني "قال الله القول الحق"، فالحق صفة لموصوف محذوف معلوم من سياق الكلام، ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ ، ومعنى قولهم: ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ يعني أن الله لا يقول إلا حقا، فهي صفة كاشفة لواقع الأمر، وليس المقصود أنه في هذا المقام قال الحق، وأنه قد يقول في مقال آخر تعالى الله وتقدس أن يقول غير الحق، ولكن هذا بيان للواقع أن الله سبحانه وتعالى هو الحق ولا يقول إلا الحق جل وعلا.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي في ذاته سبحانه:

- فهو **العلي ذاتا**، ليس فوق الله شيء،
- وهو **العلي في صفاته** سبحانه، فهو الكامل من كل الوجوه،
- وهو **العلي في قهره**، الذي قهر الخلق،

15 – باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿الْكَبِير﴾ الذي لا أكبر منه سبحانه وتعالى، لا في صفاته ولا في ذاته، وهذا كما رأيت قبل قليل كيف أن الملائكة على عظم شأنها، كيف تتضاءل وتصغر عند الله جل وعلا، وهو الكبير في ذاته، هذه المخلوقات العظيمة بالنسبة للإنسان للمخلوق السماوات وما فيها والأرضين وما فيها ومع ذلك يجعل الله السماء كلها يوم القيامة على أصبع، والأرض كلها على أصبع، فهي مخلوقات حقيرة ضئيلة إلى جنب الله سبحانه وتعالى.

فإذًا يستفاد من هذه الآية عظم شأن الله سبحانه وتعالى، وأنه لا شيء أكبر ولا أعظم ولا أجل من الله، وإذا كان كذلك فيجب أن يفرد بالخشية والرغبة والرهبة والمحبة والإجلال والعبادة عموما.

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23]، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض- وصفه سفيان ابن عيينة بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيُصدّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء" يعني إذا تكلم الله عز وجل بالأمر، إذا قضى الله الأمر في السماء تكلم الله بأمر جل وعلا.

"في السماء" دليل على أن الله عز وجل بذاته في جهة العلو ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1]، الله في السماء يعني في العلو، وأمره ينزل من فوق سبحانه وتعالى، فهذا من أدلة العلو.

"ضربت الملائكة بأجنحتها" والملائكة كما تقدم أجسام لها روح، لها قلب، لها أجنحة، وهذه صفة الأجسام، **"ضربت الملائكة بأجنحتها"** لماذا؟ **"خضعانا"** يعني خضوعا لله سبحانه وتعالى، خضوعا لقوله خوفا منه جل وعلا.

15 – باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**كأنه سلسلة على صفوان**" يعني كجر السلسلة، سلسلة الحديد، تعرفون السلسلة التي لها حلقة "**على صفوان**" يعني على صخر، وهذا التشبيه كما يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ليس تشبيه بصوت الله بصوت السلسلة إذا مرت على صفوان على صخرة، لأن الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، **وإنما هذا تشبيه لفزع الملائكة كفزع أحدنا إذا سمع ربما على غفلة** أو كذا صوتا عظيما، مثل صوت السلسلة إذا ضرب به صخرة، فيصدر صوت لو صادفك على حين غفلة وعدم انتباه أن هذا الصوت سيصدر الآن حصل لك شيء من الفزع، فالإنسان بطبيعته إذا كان في غفلة عن أمر عن شيء، فصدر صوت عظيم، يحصل له يحصل له فزع، هذا أمر مألوف ومعروف، فإذًا هذا تشبيه للفزع بالفزع، وليس تشبيها لصوت الله سبحانه وتعالى بهذا الصوت المخلوق، لأن الله عز وجل ليس كمثله شيء.

"**قال ينفذهم ذلك**" يعني يبلغهم صوته سبحانه وتعالى جميعا، فكل الملائكة التي في السماء تسمع كلامه جل وعلا، لكن إذا سمعوه أغشي عليهم ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ فزع يعني أزيل الفزع عنها، ومن الذي يرفعه عنهم؟ الله جل وعلا.

فإذا أفاقوا ﴿قَالُوا﴾ يعني سألوا جبريل لأنه هو الذي يكلَّم بالوحي ويخاطب به ابتداء، ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ يعني قال جبريل "قال ربنا الحق وهو العلي الكبير"، فتردد الملائكة وتقول مثلما قال جبريل ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾ والذي يظهر من سياق الحديث أن جبريل يصرح بالأمر الذي قضاه الله وكأن هذا فيما من شأنه أن يؤذن له فيه، لأنهم لا يتكلمون ولا يتصرفون إلا بإذن الله جل وعلا.

"**قال: فيسمعها مسترق السمع**" لما يتكلم جبريل مع الملائكة ويخبرهم بما قضى الله، والملائكة تتكلم فيما بينها بما قضى الله، "**قال يسمعها مسترق السمع**" من الشياطين.

"**ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان**" يعني ابن عيينة "**بكفه فحرَفها وبدّد**" يعني فرّق "**بين أصابعه**" فالمقصود أن كل شيطان فوق الآخر لكن يظهر أن بين كل واحد وواحد مسافة.

"فيسمع الكلمة" التي قضاها الله عز وجل في السماء من خلال كلام الملائكة فيما بينهم، فالشيطان الأعلى يلقي هذه الكلمة إلى الشيطان الذي أسفل منه، يعني مثلا أنه سيموت فلان، ولا سيحصل كذا، أو سيقع كذا مما قضاه الله جل وعلا.

"فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه" بمعنى أن الله عز وجل يرسل على مسترق السمع يرسل عليهم الشهب، فهذا الشهاب يصيب من أرسلت عليه ولكن هذه الإصابة:

- إما أن تكون هذه الإصابة قبل أن يلقيها،
- وإما أن تكون بعدما ألقاها وبالتالي وصلت إلى الكلمة إلى الساحر أو الكاهن.

"فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركها" بالنسبة للساحر وللكاهن هذه الكلمة التي وصلت بالنسبة له صيد عظيم، لماذا؟ لأنه من خلال هذه الكلمة سيثِّبت ويرسِّخ في قلوب الناس من أتباعه من الجهلة والرعاع والهمج سيثبت عندهم مصداقيته، وبالتالي هذه الكلمة ستدير عليه أموال يمكن لمدة سنة سنتين، يعيش يتقوت بها، فصدق في هذه الكلمة وبالتالي تناقل الناس وأشاع الناس "أن فلانا إذا قال شيئا، لابد أن يتحقق" فيكثر رواده كما يقال زبائنه وبالتالي تكثر أرباحه وتجارته والعياذ بالله وبئست التجارة.

"فيكذب معها مائة كذبة" يعني كذب كثير، **"فيقال"** يعني إذا قيل لهم "فلان قال لنا كذا وما حصل فلان قال كذا وما حصل"، يعني بدأ الناس يتأملوا هذا الأمر، يفكروا فيه بعقولهم، فيقول بعضهم لبعض **"أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا"** ووقع، أما قالوا لنا في العام الفلاني سيموت فلان ولا سينزل المطر ولا كذا وحصل الذي أخبر به، يتعلقون بتلك الكلمة الحق التي كان مصدرها من استراق السمع من السماء، ويتغافلون ويتناسون ويضربون صفحا عن كل الكذب، وهو أكوام كالجبال فلا يؤثر هذا في قلوبهم، وهذا يدل على ميل النفوس إلى أي شيء؟ ميلها للباطل، وتعلقها بالباطل والعياذ بالله، **"فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء"**.

15 – باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾
(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله ﷻ؛ فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا، وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ".

"وعن النواس بن سِمعان" بكسر السين ويقال بفتحها، **قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السماواتِ منه رجفة"** هناك في النص الأول كان الخوف والرجف والخضعان يتعلق بمن؟ يتعلق بالملائكة، وهنا عندنا زيادة جديدة وهي أن أيضا حتى السماوات تخاف ترتجف.

"أخذت السماوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السماوات صُعقوا وخرُّوا لله سجدا" صعقوا وأغشي عليهم خوفا من الله سبحانه وتعالى، وإجلالا له جل وعلا وخروا سجدا.

"فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد" لأنه هو المخصوص بالوحي، هو الملك الموكل بالوحي، فالكلام يكون للمباشرة، وهذا من أدلة إثبات صفة الكلام لله جل وعلا، الله يقول، يتكلم بالكلام متى أراد الكلام المتعلق بمشيئته.

"ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟" هذا في توضيح أكثر مما في الحديث السابق.

"فيقول جبريل: قال: الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل" وفي الحديث السابق زيادات بما يتعلق بمسترق السمع.

ولكن كلها تتفق على ما قصده المؤلف وأراده من خلال عقده لهذا الباب وهو إثبات أن الملائكة على عظم شأنها وقربها من الله، ومع ذلك فهي ضعيفة إلى جنب الله سبحانه وتعالى، شديدة الخوف منه، لا تملك حين تسمع الوحي إلا أن تخر صَعِقَة مرتجفة، خاضعة، ساجدة لله سبحانه وتعالى.

وإذا كان الحال كذلك، فإذًا لا يجوز لأحد أن يعبد الملائكة أو يدعوهم أو يستغيث بهم أو يعلق قلبه بهم، فهم فقراء، ضعفاء، محتاجون إلى الله سبحانه وتعالى، فإذًا:

- ادعوا من هي تخاف منه،
- ادعوا من هي ترجوه،
- ادعوا من هي تسجد له،
- ادعوا من هي مدبَّرة بأمره سبحانه وتعالى،

ونحن نعلم أن من المشركين من كان يعبد الملائكة، يقول هم بنات الله، فلهذا يعبدونها مع الله سبحانه وتعالى، فالله بين أن هذه الملائكة أنها عباد لله سبحانه وتعالى مربوبون مقهورون مدبرون.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

16 – باب الشفاعة

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

16 – باب الشفاعة (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **باب الشفاعة**.

الشفاعة من الشَفع، ويقابلها الوِتر، فالاثنان شفع والواحد وتر، وذلك أن صاحب الحاجة في الأصل هو واحد، فإذا انضم إليه الطلب لتحقيق مراده معه غيره صار شفعا، صار اثنين، فأنت مثلا تريد المغفرة لنفسك أنت طالب للمغفرة، أنت الآن وتر، فإذا ضممتَ إليك من يطلبها لك صرتما شفعا، قلتَ "يا فلان ادع الله لي أن يغفر الله لي"، صار طلبك والآخر أيضا يطلب لك، هذا معنى كون شفاعة شفعا.

والشفاعة من أكبر المعاذير التي توصل بها الشيطان إلى تزيين الشرك في قلوب المشركين، شياطين الإنس والجن يفتحون للناس باب الشرك بشبكة الشفاعة، جعلوا موضوع الشفاعة صنارة يصطادون بها الناس ويوقعونهم في حبائل الشرك والعياذ بالله.

فيقولون أنتم ضعفاء في الدين، ضعفاء في الإيمان، أنتم مقصرون ومذنبون وكذا وكذا، وبالتالي حري إذا دعوتم الله ألا يستجيب لكم، لما عندكم من المعاصي، ولكن لله سبحانه وتعالى عباد مقربون فيهم ملائكة، وفيهم أنبياء، وفيهم أولياء، وفيهم صالحون، وفيهم صديقون، وفيهم شهداء، لله أولياء، هؤلاء مقربون من الله، إذًا اجعلوهم وسائط بينكم وبين الله، اطلبوا منهم الشفاعة، لأنهم إذا دعوا أجيبوا، وإذا استشفعوا شُفِّعوا، وإذا طلبوا لُبِّي ونُفِّذ طلبهم، بخلافكم أنتم.

فيقوم هؤلاء الناس ويدعون هؤلاء المخلوقين، بدعوى أنها ماذا؟ بدعوى أنها شفاعة وهي في حقيقة الأمر هي دعاء، الشفاعة ما هي؟ الشفاعة دعاء، ولهذا إذا نظرت إلى أنواع الشفاعة في موضوع الشفاعات الشفاعة العامة والخاصة، تأمل الأحاديث التي يوردونها في موضوع الشفاعة العامة والخاصة، تجد أنها دعاء، مثلا يقول لك من الشفاعات أن يشفع لقوم بأن يرفع الله درجتهم في الجنة، ثم يورد حديث **"وارفع درجته في عليين"**، إذًا ما معنى الشفاعة هنا؟ هي الطلب والدعاء، فالشفاعة دعاء، إذًا حينما تدعو شخصا ميتا أو شخصا غائبا وتطلبه الشفاعة أن يشفع لك عند الله أنت في الحقيقة الداعي، والدعاء عبادة، بل لب العبادة، لا يصرف إلا لله سبحانه وتعالى.

فالشفاعة دعاء، وبالتالي من دعا غائبا، دعا ميتا يعني من طلب منه الشفاعة، فقد دعاه ومن دعا الميت أو دعا الغائب فقد وقع في الشرك والعياذ بالله.

والشفاعة كما سيأتي على نوعين: شفاعة **مثبتة**، وشفاعة **منفية**، المثبتة لها شروط، والمنفية التي اعتقد أنها تحصل بلا قيد ولا شرط:

- **الشفاعة المثبتة** هي التي توفرت فيها الشروط،
- **الشفاعة المنفية** هي الشفاعة التي يعتقدها المشركون أنها تقع وتحصل لهم بلا قيد وبلا شرط.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:51]

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي: أنذر بالوحي الذي نزّله الله إليك،

﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ هؤلاء موحدون أو مشركون؟ موحدون، ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ﴾ الضمير يعود إلى من؟ إلى هؤلاء الموحدين ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني من دون الله ﴿وَلِيٌّ﴾ ينصرهم، ﴿وَلا شَفِيعٌ﴾ أي: ليس لهم شفيع يشفع لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعني يتقون الله جل وعلا.

إذًا هنا نفى الشفاعة عمن؟ عن الموحدين، ومن باب أولى أنها منفية عن المشركين، فهذه الآية فيها نفي الشفاعة نفي عام، ما أحد ولي عند الله وليس لأحد شفيع عند الله سبحانه وتعالى، فهذه تقطع القلوب من التعلق بالشفاعات، لكن هذه الآية جاءت مفسرة ومبينة في الأدلة والآيات الأخرى:

- فهي في حق المشركين على النفي العام،
- وفي حق المؤمنين مستثناة منها ما كان متوفرا فيه الشروط.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 44]

﴿قُل لِّلَّهِ﴾ يعني اللام هنا لام الملك، ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ يعني ملك لله، يعني أن الشفاعة جميعا ملك لله سبحانه وتعالى:

- ❖ فلا يستطيع أحد أن يشفع **حتى يأذن الله له**،
- ❖ ولا يمكن أن تَنْفُذ شفاعة **إلا فيمن أراد الله** عز وجل فقط،
- ❖ ولا تقع الشفاعة **إلا في حدود ما يأذن الله** عز وجل به،

فإذا كانت الشفاعة مِلكا له سبحانه من كل الوجوه، إذًا كيف تُطلَب من غيره، الشيء يطلب ممن؟ يطلب من مالكه، فإذا كانت شفاعة مِلكا لله، إذًا لا يتعلق قلبك بالشفعاء، بل يتعلق قلبك بمن يملك هذه الشفاعة، لأن العبد إذا تعلق قلبه بالشافع، وأراد منه أن يشفع له عند الله، فمعنى ذلك أنه سيحبه محبة تعظيم، وسيخضع له، وسيرجوه، فيقع في قلبه ما لا يجوز أن يقع إلا لله سبحانه وتعالى من المحبة والرجاء والرغبة وكذا، هذه مقدمات تسبق طلب الشفاعة منهم.

فالله يقول لك الشفاعة هذه ليست في أيدي الملائكة ولا في أيدي الأنبياء ولا في أيدي الأولياء ولا في أيدي الصالحين ولا الصديقين ولا الشهداء ولا غيرهم، الشفاعة ملك لله وحده، أنت ترغب أن الأنبياء يشفعون لك والملائكة يشفعون لك؟ تقول نعم، أنا أرغب، أقول لك "إذًا اطلبها منه قل "اللهم شفِّعْ فيّ ملائكتك، اللهم شفع في أنبيائك، اللهم شفع في عبادك الصالحين"، هنا صار القلب معلقا بمن؟ معلق بالله وحده، الدعاء هنا مصروف لله وحده، فهذا معنى قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.

- ❍ إذًا **الآية الأولى** أفادت نفي الشفاعة نفيا عاما،
- ❍ **الآية الثانية** وضحت أن الشفاعة ملك لمن؟ كلها ملك لله سبحانه وتعالى،

ثم بدأ بيان شروط الشفاعة المثبتة:

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255]،

إذًا توجد شفاعة، لكنها لا تكون إلا متى؟ إلا بعد إذنه سبحانه وتعالى، وإذن الله عز وجل يشمل الأمرين:

- **الإذن الكوني القدري** يعني الذي كتب الله له أن يشفع، أما واحد كتب الله وسبق في علمه أنه لن يشفع، فلو فرضنا أن طلبتَه، طلبته مليون سنة، هل سيشفع والله قد كتب أنه لن يشفعّ؟!
- وأيضا **الإذن الشرعي** ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي إلا من قد كتب الله له أن يشفع، ومن أذن الله له أن يشفع شرعا،

فهذه الآية تمحو وتزيل ما يقوم في تصور المشركين والخرافيين من أن المسألة عند الله عز وجل هي كما موجودة الآن في الدنيا، هم يقيسون شفاعة الملائكة والأنبياء عند الله بشفاعة الأمراء والوزراء وأقارب الملوك عند الملوك، فالواحد يكون له طلب، عنده حاجة عند الملك، لا يستطيع أن يدخله مباشرة، ماذا يفعل؟ له علاقة بوزير، بأمير، بابن الأمير أو كذا، فيذهب إليه، يقول له "كلِّم لنا أباك، كلم لنا فلان الفلاني"، فيذهب ويكلمه بحكم القرابة، بحكم المنصب، بحكم كذا، فيلبّي لهم طلبهم.

فيظنون أن الأمر عند الله هكذا، مع الفرق العظيم، وسيأتينا إن شاء الله بعد قليل زيادة توضيح لهذا، أن فيه فرق عظيم بين الله عز وجل وبين الملوك والمعظمين من الخلق.

وقوله سبحانه: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم:26]

﴿وَكَمْ﴾ هذا أسلوب تكثير ﴿وَكَمْ﴾ يعني ملائكة كثير العدد ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني كل الملائكة بدون استثناء.

﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾، لا يستطيعون أن يشفعوا لأحد كائنا من كان، وكائنا من كان ذلك الملك جبريل، ميكائيل، إسرافيل، ملك الموت، خازن الجنة، مالِك خازن النار، ملك الجبال، أي ملك كان.

﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ صار عندنا الآن الشفاعة المثبتة وهي الشفاعة المقيدة بشرطين اثنين:

- **شرط الإذن** وهذا سبق في آية الكرسي،
- وصار عندنا **شرط الرضا** ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾.

فيأذن الله عز وجل للشافع أن يشفع، وإذا لم يأذن له لم يستطع أن يشفع، لكن مثلا ابن الملك، أو وزير الملك، أو زوجة الملك، لو يريد أن يشفع منهم أحد عند هذا الملك ماذا يفعل؟ يأتي مباشرة، يدخل عليه ويحييه وبعد ذلك يفتح الموضوع مباشرة ويكلمه "فيه واحد عزيز علي يريد كذا وكذا"، لكن هذا ما يحصل عند الله عَزَّوَجَلَّ، عند الله ما يشفع حتى يستأذن، فإن أُذن له شفع.

وأقرب وأوضح مثال على هذا الشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ، هذا سيد ولد آدم، قبل أن يشفع لأهل المحشر يسجد تحت العرش، ويحمد الله بمحامد عظيمة لا يفتحها عليه إلا في ذلك اليوم، حتى يقال له: **"ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع"**، عند ذلك يشفع للبشر أو لأهل المحشر أن الله ينزل للقضاء والفصل بينهم، ثم بعد ذلك يشفع لأمته.

﴿وَيَرْضَىٰ﴾ يعني يرضى عمن؟ ممكن نقول أيضا يرضى عن الشافع لكن يكفينا أن له يأذن، ويرضى عن المشفوع له، وقد دلت النصوص أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضى أن يشفع إلا للموحد، أما من مات على الكفر مات على الشرك، فإن الله لا يرضى أن يشفع له إلا في حالة خاصة، وليست شفاعة الخروج من العذاب، وإنما التخفيف وهذا في شأن أبي طالب وحده.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ يعني للشافع أن يشفع، ﴿وَيَرْضَىٰ﴾ يعني عن المشفوع له، **ويرضى عن الموضوع** الذي فيه الشفاعة:

- هل هي **الإخراج** من النار،
- هل هي **تخفيف** العذاب،
- هل هي **رفعة** الدرجات،

حتى الموضوع لابد أن الله يأذن به ويرضى عنه، الشفاعة لها كم طرف؟ **ثلاث موضوعات**:

- **موضوع الشافع**، لابد أن يأذن الله له،
- **موضوع المشفوع له**، يرضى الله عَزَّ وَجَلَّ عنه،
- **موضوع المشفوع فيه**، هذا موضوع شفاعة أيضا.

وقول الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾
[سبأ: 22-23]

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ هل المقصود بهم الملائكة أو الأنبياء؟ عام، لأن الله ما قيدها بأحد، كل من تدعونه من دون الله، من سكان السماء، أو من سكان الأرض، من الأموات، ومن الأحياء، من الإنس، من الجن، الجماد، الحي، أي شيء.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني ادعوهم وانظروا وتأملوا في حالهم، ماذا ستكون النتيجة؟ ستجدون أن هؤلاء المدعوين جميعا دون استثناء ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، إذًا لا يملكون شيئا في الكون ملكا استقلاليا ولا مثقال ذرة.

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ولا يملكون شيئا من السماوات والأرض من باب المشاركة، إذًا نفى الملك الاستقلالي، بعد ذلك نفى مِلك المشاركة.

﴿وَمَا لَهُ﴾ يعني لله سبحانه وتعالى؛ لأنه قال هناك ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾،

﴿وَمَا لَهُ﴾ يعني ليس لله عز وجل ﴿مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يعني من مُعين، إذًا:

- لا يتصرفون في شيء من الكون **من باب الاستقلال**،
- ولا يتصرفون في الكون **من باب المشاركة في المِلك**،

- ❑ ولا يتصرفون في الكون **من باب المعاونة** والموازرة لله ﷻ،
- ❑ ولا يتصرفون في شيء من الكون **من باب الشفاعة** ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

وبعد ذلك تكملة الآية ما سبق ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إلى آخره.

إذًا المشركون قد يقذف الشيطان في قلوبهم أن الحال عند الله ﷻ كما هي الحال عند الملوك في الدنيا؛ لأنهم يطلبون من شخص الشفاعة عند الملك، عند الأمير، عند المعظم، أيا كان وضعه، بناء على أن له مِلك وتصرُّف أو مشاركة في الملك، أو معاونة للمَلِك والمِلك يحتاج إلى وزراء، يحتاج إلى قواد جيوشه، يحتاج إلى أمراء المناطق أو لا؟ لا يستطيعون أن يدبروا أمر المملكة لوحده، يحتاج أشد الحاجة إلى الوزراء، إلى الأمراء، إلى القواد، إلى المستشارين، إلى كذا، إلى كذا، حتى تقوم أمر الدولة ولهذا لو جاء هذا الوزير واستشفع عنده ورد شفاعته زعل عليه، جاء الوزير الثاني وطلب منه أن يشفع لفلان وقال له: لا، وجاء الأمير، وجاء القائد، وجاء كذا، كل ما واحد طلبه لا، لا، لا، ماذا سيحصل لهم؟ ربما ينقلبون عليه.

فهو يلبي أصلا طلباتهم وشفاعاتهم، لماذا؟ إما خوفا منهم، إما أن يكون محتاجا إليهم، هل لله ﷻ يشاركه أحد في ملكه؟ الله ﷻ محتاج إلى أحد من خلقه؟ الجواب: لا، فإذًا الله ﷻ ليس له هناك غير من يملك شيئا في السماوات ولا في الأرض، ليس لله ﷻ من يشاركه في شيء في هذا الملك، ليس لله ﷻ من يعينه ويوازره في تدبير أمر الخلق، وبالتالي هو قوي بذاته، غني بذاته ﷻ، ليس بحاجة إلى أحد من خلقه، بل هم المحتاجون إليه وبالتالي حتى الشفاعة ما أحد يستطيع أن يشفع عند الله سبحانه ابتداء إلا بشرط أن يأذن الله له وأن يرضى عن المشفوع له، وأن يرضى عن المشفوع فيه، ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

إذًا بقي عندنا الآن سؤال: إذا كان **المِلْك** منفيا عن الشركاء يعين المستشفَع بهم، المدعوون من دون الله إذا كان الملك منفيا عنهم، إذا كانت **المشاركة** في الملك منفية عنهم، إذا كانت المشاركة من باب التدبير **والإعانة** منفية عنهم، إذًا كانت حتى **الشفاعة** منفية عنهم، **إذًا ماذا بقي من أسباب التعلق بهؤلاء المدعوين مع الله؟** ما بقي شيء.

فالشرك تخيل أنه شجرة خبيثة وهذه الشجرة الخبيثة لها أربعة عروق، هي التي تغذيها وتنميها، فجئت بمقص وقطعت:

- **العرق الأول** الذي هو الملك الاستقلالي،
- **العرق الثاني** ملك المشاركة،
- **العرق الثالث** الذي هو التوقع بتصور أن الله ﷻ له أعوان،
- ثم قطعت **العرق الرابع** وهو تصورهم أن هؤلاء المدعوين أو الشفعاء أنهم قد يشفعون لنا عند الله، صحيح أنهم لا يملكون ملكا تاما، ولا يملكون استقلالا، ولا يعينون الله على تدبير خلقه، لكن بسبب منصبهم ومكانتهم عند الله يشفعون حتى شفاعة لا توجد،

ماذا صار على الشجرة هذه؟ انتهت، يقولون أن هذه الآية تقطع عروق الشرك الأربعة.

ونصيحتي لطلاب العلم جميعا وبالذات من يكونون في بلاد يكثر فيها التصوف، والخرافة والتعلق بالأولياء وكذا أن يفقهوا هذه الآية جيدا ويراجعوا كلام العلماء فيها، ينظرون شرحهم لها ويفهمونها جيدا حتى تكون هذه من أقوى الأسلحة في أيديهم، كل ما يتعلق به المشركون هذه الآية تبطله، آية قصيرة وكلمات معدودة، ومع ذلك تقطع الشرك من أصوله، لكن يحتاج إلى فهم، يحتاج إلى حسن تعبير، يحتاج إلى أسلوب في إيضاح وإيصال هذه المعلومة حتى تُقام عليهم الحجة.

مثلا أنت سمعت واحدا يدعو النبي ﷺ "يا رسول الله يا رسول الله"، تقول له: "لماذا تدعو الرسول؟" قال لك "يا أخي النبي ﷺ يستطيع أن يغفر ذنوبي"، معناه أنه يملك شيئا اسمه المغفرة، قل له الله ﷻ يقول: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾** [سبأ:22] فالجنة، النار، المغفرة، كل شيء الذي هو ملك لله ﷻ ما يملك منه مثقال ذرة.

قال لك "أنا أعرف أنه لا يملك بنفسه لكن يملك بإذن الله ﷻ، الله ﷻ ملّكه، أعطاه بعض الصلاحيات"، تقول له الله ﷻ يقول: **﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾** حتى المشاركة لا توجد.

ثم يقول: هؤلاء عندهم قوة تدبير، الله ﷻ أعطاهم، مثل ما يقولون الاثنا العشرية "أن لأئمتنا سلطة تكوينية لا يخرج عنها ذرة من ذرات هذا الكون، الله ﷻ أعطاهم سلطة"، مثل ما تسمعون أنتم الصوفية:

"يا عبدي كن لي على ما أحب أكون لك على ما تحب حتى أجعلك تقول للشيء كن فيكون" والعياذ بالله، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

هذه الملائكة التي قد تدبر ما يتعلق بالأمطار والأشجار والروح ولا كذا ولا كذا ولا كذا، ما هو من باب الإعانة لله سبحانه وتعالى، لكن من باب تنفيذ ما أمرت به، أليس فيه ملك موكل بالرحم، ملك موكل بالروح، ملك موكل بكذا، هذا كله ليس من باب أنهم يدبرون أمر الكون، إنما من باب التسخير، مسخرون، لا يستطيع أن يعصي الله ﷻ ما أمره.

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ قال لك "والله له جاه عند الله، وله مكانة عند الله سبحانه وتعالى، فأنا أدعوه من هذا الباب فقط، أنا أعرف أنه لا يملك ولا كذا ولا كذا، لكن من باب أنه يشفع لي عند الله لعظم مكانته عند الله"، تقول: "حتى الشفاعة هذه ما يملكها فضلا عن غيره".

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله. ولم يبق إلا الشفاعة. فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ: أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده "لا يبدأ بالشفاعة أولا". ثم يقال له: ارفع رأسك وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه له ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: "من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه"، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع. وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص". اهـ كلامه.

"قال أبو العباس" هو ابن تيمية، اسمه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام توفي **728** من الهجرة، في دمشق في سجن القلعة.

"قال أبو العباس رحمه الله: "نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مِلْك" يعني استقلالا **"أو قسط منه"** يعني مشاركة، الله يملك شيئا وهم يملكون شيئا، **"أو يكون عونا لله"** يحتاجهم، في تدبير ملكه.

"نفى الله ذلك، ولم يبق إلا الشفاعة" يقولون نحن نعلم أن هؤلاء المعبودين الذين نعبدهم أنهم لا يملكون ولا كذا ولا كذا لكن لهم شفاعة ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: 3]، **"ولم يبق إلا الشفاعة فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون"** أنها تحصل لهم بلا قيد ولا شرط **"هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه "يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا، ثم يقال له "ارفع رأسك وقُلْ يُسمَعْ وسَلْ تُعْطَ، واشفع تشفع"**.

"وقال له أبو هريرة" والكلام لا زال لابن تيمية رحمه الله **"من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه"** يعني ما قالها رياء، وقالها معتقدا معناها أنه لا معبود حق إلا الله، وعمل بمقتضاها بمعنى أنه لم يشرك مع الله آلهة أخرى.

"قال: فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله" الإخلاص في العبادة، **"ولا تكون لمن أشرك بالله"** فأنت يا من تطلب الشفاعة من غير الله، أنت الآن صرفت نوعا من أنواع العبادة لغير الله الذي هو الدعاء، إذًا حققت التوحيد أو وقعت في الشرك؟ وقعت في الشرك، وبالتالي وقوعك في الشرك هذا يحول بينك وبين أن يشفع لك الشفعاء عند الله، **"فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله"** لا تكون إلا للموحد **"وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود"**.

ما هو موضوع الشفاعة؟ موضوع الشفاعة المغفرة عن الذنب والتجاوز عنه، فلا يؤاخذ به العبد، المغفرة هي بيد من، من الذي يغفر الذنوب؟ الله عز وجل، إذًا لماذا الله عز وجل يغفر لفلان هذا بعد الشفاعة، لماذا لا يغفر

له ابتداء؟ الجواب: إكراما للشافع حتى يظهر في ذلك اليوم كرامة هذا الشافع، يظهر منزلته، وكرامته عند الله ﷻ.

"فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه" فهي إكرام للشافع ورحمة للمشفوع، **"وينال المقام المحمود"** وهذا في حق الرسول ﷺ، **"الشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك"** وهي دعاء المخلوق، سواء كان ميتا أو كان حيا غائبا، أما تأتي إلى شخص حي، حاضر تقول له "يا فلان ادع الله لي، يا أمي أنا عندي اختبار ادعي الله لي أن ينجحني ويوفقني في الاختبار" بغض النظر هل هذا مستحب أو غير مستحب، لكن هل هو جائز ولا شرك هذا؟ هذا جائز، ليست شركا، لماذا؟ لأنه حي وحاضر وقادر أن يدعو الله ﷻ لك، شيء يملكه، لكن لو تقول "يا رسول الله ادع الله لي أن الله ينجحني في الاختبار"، أنت تقول أنا ما طلبت أن الرسول هو الذي ينجحني، أنا طلبت منه يطلب من الله ﷻ، أنت الآن دعوت الرسول "يا رسول الله ادع الله، يا رسول الله" دعوت حيا أم ميتا؟ دعوت ميتا، فدعاء الأموات، دعاء الأحياء الغائبين هذه عبادة، بالتالي لا تجوز.

"الشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك" كطلب الشفاعة من الأموات وطلب الشفاعة من الغائبين وطلب الشفاعة من الأولياء.

"ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع" يعني أنه نفاها في مواضع وأثبتها في مواضع، نفى الشفاعة التي يظنها المشركون أن تقع لهم بدون قيد ولا شرط وأثبت الشفاعة التي لها شرطان اثنان.

"وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص" اللهم إلا شفاعة خاصة بأبي طالب وهي شفاعة تخفيف من العذاب، وليست المغفرة التامة، فالذي يموت على الشرك والعياذ بالله مخلد في نار جهنم.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

17 – باب قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

17 – باب قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **باب قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾**.

هذا الباب عقده المؤلف ليبين أن المخلوق مهما كان نبيا أو وليا، كما أنه لا يقدر على أن يخلق ويحيي ويميت ما يتعلق بأمر الأجسام لا يملك من ذلك شيئا، كذلك لا يملك شيئا من أمر القلوب، فلا يملك هداية ولا ضلالا، فالله ﷻ هو الذي يهدي من يشاء، وهو الذي يضل من يشاء، فإذًا:

- **الرزق** سواء كان حسيا أو معنويا،
- **التصرف** سواء في الأمور الحسية، أو التصرف في الأمور المعنوية،

كل ذلك أمره إلى الله ﷻ، فكما أن النبي لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت كذلك أيضا لا يملك أمر القلوب هداية، وضلالا، وحبا، وبغضا، إنما ذلك إلى الله سبحانه وتعالى.

فإذًا يجب التعلق بالله سبحانه والتوكل عليه والإنابة إليه والرغبة إليه في كل ما يتعلق في أمور التصرف في هذا الكون؛ لأن الله سبحانه هو الذي يدبر الأمر، ويدخل في الأمر هنا، والتدبير هنا ما يتعلق بالقلوب صلاح وضلال وسعادة وشقاء وإيمان وكفر إلى غير ذلك.

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:56]

﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قدرت بتقديرين:

- **من أحببت هدايتَه**، فإن هنا فعل يحتاج إلى مفعول، أنا أحب، طيب أحب ماذا؟ فهذا الفعل يحتاج إلى مفعول، المفعول هنا قيل من أحببت هدايته، فالمفعول به "الهداية"،
- وقيل "**إنك لا تهدي من أحببتَه**"،

فالتقدير مرة أخرى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ يعني من أحببت هدايته، أو إنك لا تهدي من أحببته، **يوجد فرق بين المعنيين**:

- فإذا قلنا "**إنك لا تهدي من أحببته**" صار هذا من جملة الأدلة على جواز محبة الكافر محبة طبيعية:
  - **بحكم القرابة**، لكونه أبا، أما، أخا، أختا، زوجة،
  - **أو بسبب الإحسان** يكون هذا الكافر وإن لم يكن بينه وبينه قرابة لكنه أحسن إليك، والإحسان يولِّد المحبة، واحد أنقذك من حريق، أنقذك من غرق، خدمك خدمة في أمر كنت قد عجزت وتعبت في الحصول عليه، فحصل في قلبك شيء من المحبة له محبة طبيعية بسبب هذا الإحسان.
- وأما إذا قلنا بتقدير "**أحببت هدايته**" فلا تكون دليلا على هذه المسألة، لكن يستدل بها أو عليها بأدلة أخرى، لكن بهذه الآية لا، فإذًا لو واحد قال لنا: أنه يجوز محبة الكافر محبة طبيعية والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ يعني هدايته، نقول له: بهذا التقدير لا تدل على هذه المسألة إلا بتكلف يعني أن محبة الهداية له ناتجة أو فرع عن محبته، لكن هذا فيها تكلف.

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني بفضله، تفضلا منه، وليس من باب الوجوب عليه سبحانه وتعالى:

فمَنْ يَشَأْ وفَّقه بفَضلِهِ * ومَن يَشأْ أضلَّه بعَدْلِهِ**

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يعني بمن يستحق الهداية، ولله في ذلك الحكمة البالغة.

لماذا المؤلف رحمه الله عقد هذا الباب في كتاب التوحيد، ما علاقته بكتاب التوحيد؟ هذا الكتاب يقرر التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، ويذكر في هذا الكتاب ما يضاد التوحيد، فمن التوحيد أن تعتقد أن الله ﷻ هو النافع الضار وهذا يتعلق بأي شيء؟ بالربوبية، فمن إيمانك بتوحيد الربوبية أن تؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده النفع والضر، بما في ذلك ما يتعلق بالهداية والضلال، هذا من ربوبية الله.

17 – باب قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

إذا علمت ذلك وعرفت ذلك واعتقدت ذلك إذًا يترتب عليه توحيد الألوهية في هذا الباب، وهو ألا تطلب هداية التوفيق من مخلوق، لا تستعيذ بمخلوق من ضلال القلوب، إنما تطلب ذلك من الله سبحانه وتعالى، كما كان الرسول يفعل ﷺ:

- يقرأ في صلاته ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] يطلب الهداية ممن؟ من الله ﷻ،
- يدعو الله سبحانه وتعالى: "يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على طاعَتِكَ" يطلب من ربه سبحانه وتعالى الثبات،

إذًا هذا الباب له علاقة قوية بكتاب التوحيد، وهي أن فيه تقرير وجوب التعلق بالله سبحانه وتعالى في طلبه الهداية والاستعاذة به من الضلال، وأن المخلوق لا يملك من ذلك شيئا.

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا. فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك. فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي﴾ [التوبة: 113].

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56].

أما سبب نزول هذه الآية ذكر المؤلف رحمه الله أن "**في الصحيح**" يعني في صحيح البخاري.

"**عن سعيد بن المسيب**" بن حزم المخزومي، هذا سيد من سادات التابعين، حتى قال أحمد فيما أظن يقول: "**لا يتقدمه أحد من التابعين في قلبي**" يعني يرى أنه أفضل التابعين، وكان عالما كبيرا جدا، ومن تخصصه أو ما تميز به عِلمُه لفقه عمر رضي الله عنه وأرضاه، كان من أعلم الناس لقضايا عمر بن الخطاب،

وهو لما مات عمر كان صغيرا أدرك من عهد عمر يمكن سنتين فقط، لكن المقصود أنه اعتنى بما أُثِر وما روي عن عمر رضي الله عنه وأرضاه.

"وفي الصحيح عن سعيد بن المسيب" يقال المسيَّب ويقال المسيِّب كلها صحيحة.

"عن أبيه" يعني المسيب بن حزم.

"قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة" عم النبي ﷺ الذي كفله ورعاه وحماه ورباه، كان على الشرك، أبى أن يسلم مع محبته للرسول ﷺ، ومع اعترافه علانية بأن الرسول على حق، وأن دينه دين صحيح، لكن ما قبل الدين، وما دخل فيه، يعني كونه يحب الرسول، كونه يقول في شعره ونثره إن دين محمد هو الدين الحق هذا كله ما يدخله في الإسلام، لأنه ما حصل منه القبول له.

فكان النبي ﷺ حريصا على أن يدخل عمه أبو طالب في الإسلام، واستمر يدعوه ولم ييأس، حتى آخر لحظات حياة أبي طالب، فجاءه النبي ﷺ وقد ظهرت عليه علامات الموت، فوجد عنده رجلين:

- وجد عنده **عبد الله بن أبي أُمية**، ليس بأمية، عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي،
- ووجد عنده أيضا **أبا جهل** عمرو بن هشام المخزومي.

عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة هذا أخ لمن؟ أخ لأم سلمة، زوجة النبي ﷺ، أم المؤمنين، وأم عبد الله بن أبي أمية أمه عاتكة بنت عبد المطلب، يعني ماذا يصير أبو طالب بالنسبة لعبد الله بن أبي أمية؟ خاله، أخو أمه، يعني بحكم هذه الصلة وهذه القرابة حضر عنده عند الموت، وسبحان الله سننظر بعد قليل، لا نستعجل.

إذن عنده عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وأبو جهل عمرو بن هشام، **"فقال له النبي ﷺ: يا عم"** تلطف معه في النداء، مثل ما تلطف إبراهيم عليه السلام مع أبيه:

📖 ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم:42]

📖 ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم:43]

فالخطاب فيه تلطف، فيه تودد حتى يكون هذا أقرب للإجابة، والرسول يقول له **"يا عم قل لا إله إلا الله"** مجرد القول باللسان دون اعتقاد؟ لا، هذا ما ينفع، لكن قلها معتقدا معناها، عالما بمعناها، راضيا بها، قاضيا لها، هذا المقصود.

"قل لا إله إلا الله، كلمة" هذه بدل من "لا إله إلا الله"، **"قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله"** فكلمة منصوب، منصوب على ماذا؟ على البدل، بدل من لا إله إلا الله، **"كلمة"** يعني جملة ليست كلمة بمعنى الذي حرف للكلمة.

"كلمة أحاج لك بها عند الله" يعني أشهد لك بها عند الله، فتنفعك شهادتي عند الله إن شاء الله، هذا معنى **"أحاج"** يعني أشهد لك بها عند الله أنك قلتها قبل أن تموت، ومعنى ذلك أنه لو قاله في تلك الحالة نفعته، ولو كانت لا تنفعه كانت دعوته والحرص عليه في هذا المقام من باب العبث.

وهذا لا يعارض قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء:18]، لأن هناك فيمن عاين ملك الموت وعاين الآخرة هذا لا ينفعه، أما من ظهرت عليه علامات الموت، دنو الأجل لكن ما وصل إلى هذه الدرجة، فإنها تنفعه.

"كلمة أحاج لك بها عند الله" تنفعه ولو لم يكن له من الدين إلا هذه الكلمة فقط، لو كان كل تاريخه من أوله حرب لله ولرسوله، ثم قالها صادقا مؤمنا ومات بعدما قالها دخل الجنة، وهذه يفسر لك ويبين لك قول النبي ﷺ: **"إنما الأعمال بالخواتيم"**.

"فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية قال له أترغب عن ملة عبد المطلب" هذا استفهام إنكار، استفهام توبيخ **"أترغب عن ملة عبد المطلب"**، طبعا رغب فيه غير رغب عنه:

- إذا قلنا **رغب في** كذا يعني أحب كذا،
- وإذا **رغب عنه** يعني زهد فيه، ولم يرده.

"أترغب عن ملة عبد المطلب" تترك دين عبد المطلب، دين أبيك، فخرك وعزك ومجدك عبد المطلب تترك دينه، وإذا أنت تركت دين عبد المطلب معنى هذا أن عبد المطلب كان رجلا سفيها لما عبد الأصنام

والأوثان، فكأنك أنت الآن بهذا تسب، تتنقص، وتحتقر آباءك وأسلافك وأجدادك"، أتوه من باب تعظيم الآباء والأسلاف.

وما هي ملة عبد المطلب، هل هي إفراد الله بالعبادة أم عبادة الأصنام مع الله؟ عبادة الأصنام مع الله، والرسول لما قال له **"قل لا إله إلا الله"** ماذا يطلب منه؟ أن يوحد الله بالعبادة، فهم فهموا هذا المعنى، لو كان معناها تقول هذه الكلمة مع بقائك على عبادة غير الله مع الله، ما كان شق عليه، بل قالها، فهذا يدل على أنهم كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة، معنى لا إله إلا الله، ما عندهم مشكلة في أن الله هو الخالق الرازق، فقط المشكلة عندهم في أن الله سبحانه هو المستحق وحده للعبادة، وحده هذه مشكلة. ولهذا:

- **أبو جهل** يعرف معنى لا إله إلا الله،
- **عبد الله بن أبي أمية** يعرف معنى لا إله إلا الله،
- **أبو طالب** يعرف معنى لا إله إلا الله،

وهم على الشرك، ثم يجيء في الإسلام من ينتسب للعلم والدعوة ويحمل الشهادات العالية وهو لا يفهم معنى لا إله إلا الله، ولهذا يقول المؤلف **"قبح الله مَن أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، وأبو طالب أعلم منه بلا إله إلا الله"**، كيف يأتي مشرك يعرف معنى لا إله إلا الله أحسن منك يا من تدعي العلم وتلبس على الناس، تقول معناها "لا خالق إلا الله، ولا صانع إلا الله ولا رازق إلا الله"، لو كان هذا معناها لقالوها ولا ضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل عدم قولهم.

"فأعاد عليه النبي ﷺ" يعني **"يا عم قل لا إله إلا الله"** حريص ﷺ؛ لأن بقي لحظات له في هذه الدنيا.

"فأعادا" أيضا هم حريصون على أن يبقى على دينه حتى يموت.

"فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب" أصلا هو ماذا قال؟ قال بضمير المتكلم يعني أنا، لكن حتى لو كان من باب الحكاية لما تقول "أنا على ملة عبد المطلب" فيه قبح، كلمة شنيعة، ولهذا من باب الأدب لا تأتي بضمير المتكلم بل تأتي بضمير الغائب، وإلا لو قلت بضمير المتكلم لا يوجد حرج، لكن استقباحا لظاهر العبارة فقط، لأنك تقوله من باب الحكاية، ونحن نقرأ في القرآن قال أنا، ماذا قال فرعون

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:24]، أز نبدلها نقول: هو ربكم الأعلى، لا، ما نبدل، فهو من حيث الجواز جائز، لكن أنت تقولها حكاية عن غيرك، لكن استقباحا لظاهر العبارة، والحديث يمكن يروى بالمعنى لكن القرآن يلتزم فيه بلفظه.

"**هو على ملة عبد المطلب**" يعني في عدم إفراد الله بالعبادة وعبادة الله وعبادة غيره معه،

"**وأبى أن يقول لا إله إلا الله**" يعني أبى حتى مات،

"**فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**" الاستغفار شفاعة يشفع له عند الله أن الله يغفر له، فهذا داخل في الباب السابق في موضوع الشفاعة "**لأستغفرن لك**"؛ لأنه لا تنسوا أن الشفاعة هي دعاء،

"**فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى﴾ [التوبة:113]**"

فلا يجوز الاستغفار لمن عُرف أنه مات على الكفر الأكبر، على الشرك الأكبر، على النفاق الأكبر لا يجوز الاستغفار له ولو كان أقرب قريب، وهذا حكم محكم في القرآن الكريم بعبارة صريحة ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى**﴾.

واليوم للأسف نجد هذا الحكم غائبا عن كثير من المسلمين، أحيانا لما تعلن وفاة واحد من المشاهير، من اليهود، من النصارى، من الملاحدة ويكون فيه إمكانية التعليق على الخبر، فتعال اقرأ مثلا أي موقع من مواقع الإعلام والصحف الالكترونية هذه، للأسف تجد عشرات يترحمون عليه ويستغفرون له، وإذا أنكر عليه المنكر في التعليقات، قال "أنتم ما تملكون الجنة ولا النار، أنتم ما تملكون رحمة الله"، يردون عليه بمثل هذا الرد.

وهذا شيء عجيب وغريب أن يصدر من عوام المسلمين؛ لأنه آية يسمعون وتردد وأمر من مسلمات الدين، لكن الأعجب والأمر والأدهى أن يصدر هذا من شخص يسمونه أنه رئيس اتحاد عالمي علماء المسلمين، رئيسهم يترحم على بابا النصارى، ويسأل الله له الجنة، باللفظ الصريح وليس بمجلس خاص، بل على قناة فضائية، يسمعها أهل المشرق والمغرب، نسأل الله العافية والسلامة.

فهذا ينطلق من منطلق خبيث الذي هو منطلق وحدة الأديان، أن هذه الأديان أديان مقدسة وكلها أديان سماوية وكلها على ملة إبراهيم، يهودية ونصرانية ودين الإسلام كلها تنطلق من منطلق واحد، نعوذ بالله من هذا الانحراف.

"وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56]"

فيه تنبيه على قضية **"فأنزل الله، فنزلت"** أحيانا لا يريد الراوي حقيقة أنها نزلت في هذه القضية، وإنما أن هذه القضية تفسرها أو تُبين حكمها الآية الفلانية، أن تكون القصة وقعت قبل والآية تأخرت في النزول، ومع ذلك تجد الراوي يقول: فنزلت، مع أن القصة وقعت قبل الآية بزمن طويل، فمثلا القصة وقعت في مكة، والآية ما نزلت إلا في المدينة، فيقول لك "أنها نزلت" يعني نزلت في قصة مشابهة، في حكم يدل عليها، ليس المقصود أنها كانت تلك الواقعة هي سبب النزول، والأمر في هذا سهل.

أبو جهل مات على الشرك، قتل في بدر كافرا، لكن عبد الله بن أبي أمية الذي بذل هذه الجهود أن أبا طالب يموت على الشرك، ومات أبو طالب على الشرك، عبد الله بن أبي أمية أسلم، وصار من الصحابة، والله ﷻ يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لما فتح الرسول مكة شفعت له أخته أم سلمة حتى لا يقتل، أجارته وأسلم والحمد لله.

وهذا بالنسبة لباب **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾**، وهو واضح في كون النبي ﷺ لا يملك من أمر القلوب شيئا، لو يستطيع أن ينفع أحدا نفع عمه، رجل كفله تقريبا خمسين (**50**) سنة وأبو طالب يرعاه ما تخلى عنه، من يوم صار عمره ثمانية (**8**) سنوات ما تخلى عنه إلى أن صار النبي ﷺ عمره قرابة اثنين وخمسين (**52**) سنة أو ثلاثة وخمسين (**53**) سنة:

- ❖ رعاه طفلا، رعاه شابا، ينفق عليه، يحسن إليه،
- ❖ ولما بعث النبي ﷺ ما تخلى عنه، بل كان يدافع عنه،
- ❖ ويصد عنه أذى قريش، ما يجعله يمسونه بسوء،

ولهذا تلاحظون أنهم كانوا يعذبون كثيرا من الصحابة في مكة، لكن ما عذبوا الرسول مثل عذبوا أولئك، السبب؟ أن أبا طالب كان حصنا منيعا بينهم وبينه ﷺ، لكن فعل ذلك من باب الحمية، ليس يريد ما عند الله في الآخرة، لا، فعل ذلك حمية لابن أخيه ومحبة لابن أخيه.

فوائد هذا الخبر:

- منها: **جواز عيادة المريض المشرك**، ليس فيه حرج، تزور كافرا في مرض موته، في مرضه ولا سيما إذا رجوت أن يكون في هذه العيادة تأليف لقلبه ودعوة له إلى الخير، التأليف أوسع من قضية دعوته للإسلام، يعني:
  - التأليف قد يكون **من باب الترغيب** في الإسلام،
  - والتأليف قد يكون **من باب كف شره** أو تقليل شره،

هذه مصلحة وهذه مصلحة، يعني واحد شديد الأذى على المسلمين، مرض تزوره، قضية أنه يسلم أو تدعوه إلى الإسلام ممكن صعب جدا أنك حتى تفتح له الموضوع هذا، لكن تقول يزوره لعل وعسى أن هذا ينفع، إذا شفي من مرضه أنه لا يعود إلى أذية المسلمين كما كان، فهذه أيضا مصلحة، التأليف أوسع دائرة من قضية دعوته للإسلام.

- منها: أيضا لاحظ **مضرة قرناء السوء**، ما دام أنه مات أبو طالب على الكفر انتهينا، لكن يقال كافتراض عقلي لو أن الرسول عاد أبو طالب لوحده، ما كان عنده أحد من المشركين وقام يترجاه "يا عم، يا عم" يعني يغلب على ظنه أنه يستجيب في تلك اللحظة، لكن جاء قرناء السوء وشجعوه على الكفر والعياذ بالله.

- أيضا في هذه القصة بيان الصارف من الصوارف عن الحق **وهو التعصب للآباء والأسلاف** ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:22]، هذه من أعظم ما صرف المشركين عن قبول دعوة الرسل التعصب للآباء، للأسلاف، للأجداد، وهكذا أيضا التعصب للشيوخ هذا من أعظم ما يصرف الإنسان عن الحق والعياذ بالله، فيجب على المسلم أن يتجرد للحق، متى ما تبين له خضع له.

كون أبيك وجدك وكل أجدادك على هذه الطريقة، هل هذا معناه أنهم على الحق؟ لا، ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170]، ما هو شرط يكون أبوك، يكون جدك على الحق، فأنت عليك بالحجة والبيان والدليل والبرهان، وهكذا في المسائل في العادات الآن، يعني يألف الإنسان عادات محرمة، قد لا تكون شركا لكن عادات محرمة، فيأتي الناصح ينصح، المعلم يعلم يأبون الخضوع، لماذا؟ قال لك "والله أخي كل أهل بلدنا، كل أهل قريتنا، كل جماعتنا يعملون هذا العمل"، فهذه العادات عادات تعصب من أعظم ما يمنع الناس من قبول الحق.

وهكذا أيضا **بين طلبة العلم التعصب للمشايخ**، طالب العلم يدرس عند الشيخ يحبه ويقدره ويجله ولكن يغلو إلى أن وصل التعصب له، فهذا الشيخ يقرر له عقيدة سيئة، درّسوا إياها وعلّموا إياها عقيدة أشعرية، عقيدة صوفية، عقيدة خارجية، ثم بعد ذلك هذا الطالب يسمع من يحدّثه من يناقشه من يجادله أن هذا التقرير باطل، هذه عقيدة خارجية، هذه عقيدة أشعرية، هذه عقيدة إرجائية، هذه عقيدة صوفية، فيبدأ يتصارع عنه:

- "أقبل الحجة أو أبقى على متابعة شيخي،
- معقول شيخي يكون على باطل،
- معقول شيخي ما يعرف هذا،
- معقول شيخي بعد هذا العمر كله أنه جاهل، أو أنه ظالم،

فيأتي الشيطان ينفخ فيه، حتى يتعاظم عليه أن يقبل الحق ويبدأ يبحث عن معاذير وعن شبه يتملص بها عن قبول الحق، كل محافظة على هيبة شيخه وجلالة شيخه والادعاء بأن شيخه على الحق،

شيخك لم ينفعك، أبوك وجدك لن ينفعوك، عادات بلدك وجماعتك لم تنفع عند الله، ينفعونك بعد فضل الله استقامتك، فلا تُعرِّض نفسك للعذاب لخاطِر أحد.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

18 – باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

18 – باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.**

"**أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم**" يعني وسبب تركهم دينهم "**هو الغلو في الصالحين**"،

ما معنى الغلو؟ هو مجاوزة الحد:

- "**غلا القِدر**" يعني يتجاوز حد القدر غلا الماء، غلا الماء، غلا الماء إلى أن طلع الماء من القدر، مجاوزة الحد،
- "**غلا السعر**" ارتفع، ارتفع حتى جاوز الحد الذي كان معروفا ومعقودا.

والغلو في الصالحين إذًا مجاوزة الحد الشرعي وإعطاءهم حقا من حقوق الله ﷻ الخاص به، هذا من أعظم أسباب الكفر، من أعظم تحول الناس من التوحيد إلى الشرك، والشيطان يتدرج بالناس، يزين لهم هذه البدعة الصغيرة وهو لا يخطط على هذه، بل يخطط ما على انحراف أكبر، إبليس عارف أنه لو دعاهم إلى الشرك الأكبر مباشرة لا يقبلون، فيقوم يتدرج معهم، يزين لهم الشيء الصغير حتى يوقعهم بعد ذلك في الشيء الكبير.

"**باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم**" يعني سبب أول لكفر وقع في بني آدم "**هو الغلو في الصالحين**"

هذا معنى الترجمة.

وقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: 171]

﴿**أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾ اليهود والنصارى:

18 – باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- **اليهود** غلت في أشخاص، منهم عزير ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]،
- **والنصارى** غلت في ابن مريم وأمه عليهما السلام.

فهذا نهي لأهل الكتاب عن الغلو في الدين وهذا النهي أيضا هو موجه لمن؟ لهذه الأمة أيضا ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ كما غلت اليهود والنصارى، فهو وإن كان ظاهره النهي لأهل الكتاب لكن هو في الحقيقة النهي لنا، نحن المخاطبون أصلا بهذا القرآن الكريم.

النصارى كيف غلت في عيسى بن مريم؟ جعلته إلها يعبد ويدعى مع الله سبحانه وتعالى:

- ما دام أنه ابن الله إذًا يعطى خصائص الله،
- ما دام عزير ابن الله إذًا يعطى ما لله،
- ما دام الملائكة بنات الله إذًا تعطى الملائكة ما يعطى الله سبحانه وتعالى، فعبدوا من دون الله سبحانه.

فهذه الآية فيها النهي عن الغلو في الأولياء والصالحين، وذلك برفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها.

وهنا لابد ننتبه أن دين الله سبحانه وتعالى موضوع في المكان الوسط، عندنا ثلاث درجات:

- عندنا **مجاوزة للحد**،
- وعندنا **تفريط**،
- وعندنا **وسط**.

يعني تخيل أمامك ثلاثة أدراج، الدرج العلوي هذا غلو، الدرج الأسفل هذا تفريط، وهذا هنا الوسط، الدين موضوع في أي درج؟ في الدرج الوسطاني، ليس فيه تفريط، تضييع وليس فيه تجاوز:

- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]،

18 – باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

❍والرسول ﷺ يقول: "**بُعِثتُ بالحنيفيةِ السمحةِ**"،

فهذا الدين هو الحسنة بين سيئتين: بين سيئة الغلو، وبين سيئة التفريط، فديننا دين الاعتدال،

تذكرون قصة سلمان وأبي الدرداء لما كان أبو الدرداء يصوم النهار ويقوم الليل، لا يلتفت إلى أهله، لا يهتم بضيوفه، كله عبادة، فسلمان زار أبا الدرداء في بيته، وقرّب له الطعام وقال له أبو الدرداء "**كل، فإني صائم**" قال له: "**أنا لا آكل حتى تأكل**" وفطّر أبا الدرداء فأكل معه.

وبعد ذلك جاء أبو الدرداء بإناء يريد أن يصلي في الليل، قال له سلمان "**ارقد**"، رقد قليلا، ثم قام يريد أن يصلي قال له "**نم**" يبغى يقوم يصلي قال له "**نم**" حتى انتصف الليل قال له: "الآن صلِّ"

بعد ذلك رأى زوجة أبي الدرداء وهي الذي مُتَبَذِّلَةً، ما عليها آثار التزين لزوجها، وربما هذا كان قبل الحجاب، وربما كانت نظرة من غير قصد، بحكم أنه في البيت. الشاهد "**ما لك يا أم الدرداء أن مُتَبَذِّلَةً؟**"، قالت "**أخوك أبو الدرداء ما له حاجة في النساء**"، فنصح سلمان أبا الدرداء قال:

"**لنفسك عليك حق**" تأكل، تنام، تشرب،

"**كما أن لربك عليك حق**" تصوم له، تصلي له، تقوم له، لازم تُوازن بين هذا وبين هذا،

"**لزوجك عليك حق، ولضيفك عليك حق**" الضيف يأتيك، يدخل عندك يزورك، أول ما تُدخِّله تقول له: "تفضل إلى المجلس، الله يحييك"، واستقبلت القبلة وقمت تُكبِّر وتصلي وهو في المجلس أو تمسك المصحف وتقرأ، هل يصلح هذا؟ لا يصلح، فكما تتعبد لله بتلاوة القرآن، تتعبد لله بالصلاة النافلة، أيضا تعبد له بإكرامك للضيف، هذا محل هذه العبادة الآن، العبادة المشروعة لك التي تتعبد الله بها في هذه اللحظة هي إكرام الضيف، أفضل من انشغالك بشيء آخر.

فأنت في كل لحظة لك عبودية، الآن قراءة القرآن ليست هي من أفضل الأعمال أو لا؟ من أفضل أنواع الذكر قراءة القرآن، لكن لما تكون ساجدا أو راكعا هل يشرع لك أن تتعبد لله في حال الركوع والسجود

بتلاوة القرآن؟ لا، **"إني نُهيتُ أن أقرأ القُرْآنَ راكعًا أو ساجدًا"**، فإذًا أنت عبد لله وبحيث ما أمرك تفعل وتقوم:

- ❖ فلك عبودية **مع زوجك**،
- ❖ لك عبودية **مع طفلك**،
- ❖ لك عبودية **مع أهلك**،
- ❖ لك عبودية **مع ضيفك**،

وانشغالك بهذه العبودية في هذا الوقت أفضل من انشغالك بعبودية أخرى ليس هذا وقتها.

فأبو الدرداء انتظر حتى جاء اليوم الثاني وذهب إلى النبي ﷺ، وأخبره بما قال، وبما حصل من سلمان، يعني جئت أريد أن أصلي بالليل رفض، جئت أريد أن أصوم رفض، جئت كذا رفض، وقال لي كذا وكذا وكذا، فقال النبي ﷺ **"صدق سلمان، لنفسك عليك حق، ولأهلك عليك حق، ولزورك وضيفك عليك حق، ولربك عليك حق، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه"** لا تضيع وتفرط ولا تغلو وتتجاوز الحد، وهكذا ينبغي أن نكون في أحوالنا كلها، نكون على الاعتدال قدر الإمكان.

لأن المجاوزة هي مخالفة لهذا الدين، كما أنها مخالفة لطبيعة النفس البشرية، الدين طبيعته أنه دين متين، لا تقدر تغلب الدين، فإذا جئت تُشدِّد على نفسك في الدين ما الذي سيغلب؟ سيغلبك الدين، لن تغلب أنت الدين، بمعنى أنك أنت ستخرج عن حدود هذا الدين:

- ❑ إما إلى **جانب المجاوزة** والإفراط،
- ❑ وإما يكون كما يقال **الرَّدة العكسية**، وبالتالي تمل العبادة، تمل الدين، وربما تترك الواجبات وربما تترك الدين كله، فترتد على عاقبيك والعياذ بالله.

فمجاوزة الحد، مشادة الدين، مغالبة الدين هذه عواقبها خطيرة وسيئة والعياذ بالله.

18 – باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23] قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت".

"**وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾**" يعني يشرح الآية التي في سورة نوح.

﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ يتواصون، يوصي بعضهم بعضا "لا تسمعوا لنوح واثبتوا على ما أنتم عليه من عبادة هذه الأصنام الخمسة.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ فهذه أسماء كما يقول ابن عباس: **"هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح"**.

"فلما هلكوا" كان هلاكهم في وقت قريب بعد، بعضهم يقول هلكوا في شهر واحد كلهم الخمسة، وكانوا معظمين في قومهم، محبوبين في قومهم، لعلهم، وصلاحهم، كرم أخلاقهم فأسفوا وحزنوا عليهم جدا، فاستغل الشيطان الفرصة.

قال: **"فأوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا"** كل واحد يحط في مكانه، مكان درسه أو مكان مجلسه يحطوا فيه نصبا، هذا نصب يغوث، هذا نصب ود، سواع، إلى آخره.

ولماذا؟ قال "حتى إذا رأيتم هذه الأنصاب تتذكرون أولئك القوم الصالحين"،

إذا تذكرناهم؟ قال "تعملون بمثل عملهم"،

هذه كانت الفكرة الأولى "أن يتذكروهم، فيعملوا بمثل عملهم، القصد طيب أو ما هو طيب القصد؟ القصد طيب، **ولكن مصدر هذا القصد من أين جاء؟** من الشيطان والشيطان يدلك على شيء طيب؟

لا، إنما الشيطان يسوي مثل ما يسوي الصيَّاد للطير، الصياد يجيب الحَب، يجيب الماء، ليس حُبا في الطير وإنما استدراجا للطير، الطير رأى الحب، رأى الماء وقع، وهم مجهزون له الحبال، مجهزون له المصيدة، ليس حبا فيهم لما طرح له الحب والماء.

وهكذا إبليس لما قال لهم حطوا الأنصاب هذه حتى تتذكروه وتعملوا مثل عملهم ليس حُبا منه في الطاعة، لكن هو يستدرجهم لشيء يخطط عليه وهو إيقاعهم في الشرك الأكبر.

قال: **"ففعلوا ولن تعبد"** لأنه ما كان قصد عبادتها أصلا، القصد تذكر الحماس للطاعة.

"حتى إذا هلك أولئك" هلك الجيل الأول الذي كانوا عارفين لماذا وضعت هذه النصب، حتى يظهر للناس أنها وضعت من أجل التحمس والتنشط للعبادة

هلك ذاك الجليل **"ونسي العلم"** بحقيقة هذه الأنصاب، جاء جيل جديد جاهل لا يدري ما فكرة الأنصاب هذه، فأخذوا يتساءلون "آباءنا الآن لماذا سووا هذه الأنصاب؟".

"فأوحى إليهم الشيطان" استغل الفرصة، الآن جاء الوقت قال "آباؤكم كانوا يستشفعون بها إلى الله، قحطوا توسلوا بها، مرضوا توسلوا بها، نزلت بهم ضراء توسلوا بها"، فجربوا مرة، مرتين، ثلاثة، أربعة .... عشرة، مرة تصيب، مرة تخطأ، مرة تصيب، لكن الشيطان يعلقهم بالمرات التي صادف فيها أنهم دعوا واستجيب لهم.

مثل كلمة الشيطان هذا، ألقيت على كاهن وساحر كلمة حق يسمعها من؟ الشيطان الذي يسترق السمع وتوافق الواقع يتذكرها الناس وينسون، يتغفلون عن مائة كذبة، يقولون "قال لنا اليوم الفلاني كذا وكذا وطلع صح"، وهكذا عباد الأصنام والقبور والأضرحة، يجيء عشرات المرضى يستشفون بها ما يشفون يموتون، ويجيء واحد يستشفي بها من المرض وعوفي، قال" والله فلان ذهب إلى القبر وهذا وسبحان الله عجز الأطباء

كلهم عن علاجه، يوم ذهب إلى ضريح سيد فلان وتعافى من مرضه" طيب أنتم لا تنظرون مئات يذهبون ولا يشفون، عشرات النسوة ذهبن إليه وما حملن، ما تتذكرون هذه الواحدة.

الشاهد أنه قد يقع من ذلك استدراجا يعني تصادف إجابة لهم استدراجا من الله سبحانه وتعالى، فتعلقوا بها، وعبدوها من دون الله، والعياذ بالله.

قال: **"حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت"** ويستفاد منه أنه العلم أمان مما من الفتن، وجود العلماء أمان من الفتن، فإذا ذهب العلماء كثرت الفتن؛ لأنه لا يوجد من ينكرها ويزيفها ويبطلها.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال غير واحد من السلف: "لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم".

"قال ابن القيم" محمد بن أبي بكر رحمه الله.

قال: **"غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم"** الآن عندنا زيادة على كلام ابن عباس، هذا النص عند ابن القيم فيه زيادة، وهو مسألة العكوف، كأنه في البداية بعد ما دفنوهم كانوا يقصدون قبورهم، ويمكن المشوار إلى القبر فيه كلفة بعيد قليلا، فكأن الشيطان قال لهم "فيه فكرة أحسن، ما هي؟ بدل ما تذهبون إلى قبورهم، حطوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا من قريب وهذا النصب يمثل لكم أن هذا هو فلان الفلاني" هذه الزيادة الذي عند ابن القيم.

"لما ماتوا عكفوا على قبورهم" وطال المكث عندهم، **"ثم تصوروا تماثيلهم، ثم طال الأمد فعبدوه"** والشيطان لما زين لهم العكوف، لما زين لهم التصوير هو يريد أن ينقلهم إلى الجملة الأخيرة **"فعبدوهم"** يريد أن ينقلهم من الجملة التي جاءت في حديث ابن عباس: **"فعبدت"**، هذا الذي يريد فقط، مثل ما نقول نحن "طويل النفس" هو غير مستعجل، يدرِّجهم شيئا فشيئا حتى يوصلهم إلى الشرك الأكبر.

وهذا الآن بعض الناس يقول "يا أخي أنتم لماذا تخطبون عن الشرك الأكبر، لماذا تخطبون عن الشرك الأكبر، لماذا تتكلمون، وتحذرون منه؟ قرأت مجموعة كثيرة للأسف في خطبة عرفة الماضية هذه، وكل سنة يكررون الكلام، فقط أضرب لكم مثلا بالخطبة الأخيرة.

وكان فيها كلام عن الشرك الأكبر، فكان في عدة حسابات لأناس منسوبين للعلم، فيسخرون من هذه الخطبة، يقول "من يسمع الخطبة يظن أن الخطيب كان يخطب على أبي جهل، وأبي لهب، ومشركي قريش، ما الداعي للتحذير من الشرك وأنت تخاطب قوما مسلمين"، بين قوسين يقول لك "أن هذا تكفير مبطَّن" يعني أنت لما الآن تتكلم وتحذر من الشرك في قوم مسلمين معناه أنك قاعد تتهم بأنهم أصلا قوم مشركون.

النبي ﷺ في سياق الموت عنده عائشة، وعنده أم سلمة، وعنده كذا، والنبي ﷺ يقول: "**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنو على قبره مسجدا**" الآن يتهمهم بالشرك؟ لا، إنما هذا تحذير.

الرسول يصلي بالصحابة وراءه صحابة وهو يتلو الآيات ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:21] ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:36]، وأمثال هذه الآيات التي تنهى عن الشرك، هل معناه أن الذي وراءه كفار يعني تكفير مبطن لهم؟ لا، بل بالعكس، هذا وقاية للناس حتى تكون هذه المعلومات حية، حاضرة في أذهانهم.

فترك التحذير من الشرك وترك تدريس التوحيد اعتمادا على أن الناس موحدون هذا من أعظم المداخل لتغلغل الشرك في الناس، لأنه إذا تُرك تدريس التوحيد وترك تبيين الشرك الأكبر والأصغر دخلت على الناس هذه الأهواء؛ لأنها تصادف، ما عندهم أي حصانة، ما يفرقون بين توحيد وشرك، بين سنة وبدعة، بين حق وباطل، فيسهل غزو المشركين لهم والعياذ بالله.

وعن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله" أخرجاه.

18 – باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ" عمر هذا علامة إعرابه أصلية أو فرعية؟ فرعية.

"أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني" يعني لا تبالغوا في مدحي.

"كما أطرت النصارى ابن مريم" كما بالغت النصارى في مدح ابن مريم، فقالت: هو ابن الله، قالت: هو ثالث ثلاثة.

"إنما أنا عبد" يعني كما وصفني ربي ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ على من؟ ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان:1]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:1]،

"إنما أنا عبد" يعني "وأنا رسول" يعني تقدير الكلام كما وصفني ربي ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:671].

"فقولوا عبد الله ورسوله" صفوني بما وصفني به الله، عبد ورسول:

- **عبد رد على من يغلو فيه** ويجعله إلها، يجعله ربا، يصرف له ما ليس إلا لله سبحانه وتعالى من الربوبية، أو يصرف له ما لا يصرف إلا لله من الألوهية.
- **ورسول رد على من يفرط في قدره** ومقامه ﷺ فلا يشهد له بالرسالة فيكفر به، أو يسخر به، أو يسبه والعياذ بالله.

فهذا الوصف فيه رد على الطائفتين جميعا في المفرِطين، وفي المفرِّطين، ومع هذه الوصية من النبي ﷺ وهذا النهي، إلا أننا نجد الغلو العظيم في رسول الله ﷺ ولا سيما عند الصوفية.

وقال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو".

هذا الحديث له سبب، وهو أن الرسول ﷺ طلب أن يؤتى له بجمار، حجار لرمي الجمرات، فجاءوا بحجار كبار والمشروع أنها تكون صغيرة مثل حبة، يقولون أكبر من حبة حِمَّص قليلا.

لماذا؟ قالوا كانت صغيرة جدا إذا رميتها الهوى يلعب بها ما تصل للمرمى، وإذا كانت كبيرة ربما لا تجيء الجمرة بل تجيء في رأس واحد من الحجاج فتشج رأسه، تفقأ عينه، تكسر سنه، تؤذيه، وليس المقصود هو أذية شيء، المقصود التعبد لله سبحانه وتعالى بهذا العمل.

النبي ﷺ عرف أنه لما جابوا له الحجار الكبار، أرادوا المبالغة في الامتثال، وأرادوا أن يكون الأجر أكبر، هكذا ظن من أحضر الجمار، يعني المبالغة في التعبد، الناس تجيء بحجار صغار، لا، أنا أجيب لك حجارا كبارا؛ لأن يكون أكثر في الأجر، لا، فقال النبي ﷺ: **"بأمثال هذه فارموا"** يعني يأخذ حجرات، حصيات صغار على المقاس الشرعي، وقال **"بأمثال هذه فارموا"**.

"وإياكم والغلو" السياق في موضوع الجمرات والحجار لكن المعنى عام، يعم كل شيء في الدين.

"إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو" الذي أهلك قوم نوح الغلو في الصالحين، واليوم الذي يهلك طرق الصوفية وغيرها هو الغلو في شيوخهم.

ولمسلم عن ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: "هلك المتنطعون قالها ثلاثا".

ثم ذكر حديث ابن مسعود عند مسلم، ذكر حديث ابن عباس عند الإمام أحمد رحمه الله.

قال لمسلم عن ابن مسعود قال ﷺ: "هلك المتنطعون"يعني المتعمقون، المتنطع هو المتعمق، وهذا التعمق يدخل في أشياء كثيرة ومنها التعمق في الأولياء والصالحين، بمعنى التنطع في مدحهم وثناءهم وفي أوصافهم حتى يصرف لهم ما لا يصرف إلا لله سبحانه وتعالى.

"هلك المتنطعون" المؤلف ساقها للاستدلال بعموم التنطع هنا، للتنطع في باب العبادة، بمعنى الغلو في العبد الصالح حتى يعبد من دون الله جل وعلا.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

18 – باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ
مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ
1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده**".

"**ما جاء في التغليظ**" أي في الوعيد، وهذا يفيدنا شيئا إن المنهيات ليست على درجة واحدة، المنهيات بعضها أشد من بعض، ولهذا عندنا الذنوب فيها صغائر وفيها كبائر، وفيها موبقات يعني الموبقات ممكن هي الكبائر، لكن أقصد مثلا فيها شركيات، فبعضها أشد من بعض، فيه ذنب فيما بينك وبين الله، فيه ذنب فيه عدوان على حق المخلوق، فالمناهي ليست على درجة واحدة، وبالتالي تبعاتها وآثارها على درجة واحدة أو تتفاوت؟ تتفاوت، الآن الواحد إذا عمل معصية:

- **هل الله يحب منه هذه المعصية أو يكرهها منه؟** يكرهها منه،
- **ويرضى عليه بها أو يغضب عليه بها؟** يغضب عليه بها،

واحد آخر عمل كبيرة الله يغضب عليه من أجل هذه الكبيرة، لكن غضبه ليس كغضبه على فعل الصغيرة، واحد عمل شركا أكبر غضب الله عليه أشد،

- **فالمحبة** تتفاوت،
- **البغض** يتفاوت،
- **الرضا** يتفاوت
- **والغضب** أيضا يتفاوت،

فهذا المنهي عنه النهي على وجه التشديد، على وجه التغليظ.

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

يقول: **"باب من جاء في التغليظ فيمن عبد الله"** لاحظ **"عبد الله"** ما عبد غير الله بل عبد الله.

"فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح" يعني هو قاصد، يقصد الصلاة عند قبر هذا الرجل الصالح، لو واحد مثلا في المسجد النبوي، صلى قريب من الحجرة التي فيها قبر النبي ﷺ:

- فصلى فيها بقصد أنها الروضة عمله صالح،
- صلى لأن الصفوف وصلت به عند هذا الحد، قريب من جدار الحجرة له فيه مشكلة؟ لا،
- واحد خلى المسجد كله أو يترك الصف الأول ويجيء قريب من الحجرة، يصلي يقول حتى أكون قريب من قبر النبي ﷺ، يدخل في الوعيد أو لا يدخل؟ يدخل.

إذًا **"فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح"** بقصد هذا القرب.

"فكيف إذا عبده" إذا كانت هذه الوسيلة مغضوب على صاحبها، وملعون صاحبها، إذًا ما ظنك بمن وصل إلى الغاية والقصد وهي عبادة غير الله، إذًا وعيده أغلظ، وعيده أشد والعياذ بالله.

فهذا الباب عقده المؤلف لبيان وسيلة من وسائل الشرك الأكبر، فالمؤلف رحمه الله ذكر في هذا الباب الشرك الأكبر وذكر فيه الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر.

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: "أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله".

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

"في الصحيح" يعني في الصحيحين، في البخاري ومسلم.

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"عن عائشة رضي الله عنها" أم المؤمنين.

"أن أم سلمة أم سلمة" هند بنت أبي أمية، إذا كان عندكم في الكتاب الذي هو الملخص إذا كانت هند بنت أمية عدلها، هند بنت أبي أمية بن المغيرة، أبوها مختلف في اسمه قيل سهل وقيل حذيفة.

"أن أم سلمة رضي الله عنها" وهذه آخر من ماتت من زوجات النبي ﷺ، عمرت ما شاء الله قرابة تسعين **(90)** سنة.

"أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة، رأتها بأرض الحبشة" لأنها هاجرت مع زوجها أبي سلمة رضي الله عنه، وأبو سلمة هذا أخو النبي ﷺ من الرضاعة.

"ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال ﷺ: أولئكَ" أو أولئكِ يجوز **"إذا مات فيهم الرجل الصالح"** سواء نبي ولا رجل صالح، ليس بنبي،

"أو العبد الصالح" شك من الراوي **"بنوا على قبره مسجدا"** يعني كنيسة، معبد.

"وصوروا فيه تلك الصور" يصوروا صورة عيسى بن مريم وصورة عيسى، يصوروا صورة ربما هذا الرجل الصالح الذي بنوا على قبره ذلك المسجد، تلك الكنيسة.

"أولئكَ شرار الخلق عند الله" يعني أشر الخلق، والعياذ بالله، لماذا؟ نحن نتصور أنه عملهم هذا ناتج عن محبتهم لله، لما أحبوا الله أحبوا هذا العبد الصالح الذي يعتقدون فيه أنه ولي من أولياء الله، فهذا تعظيم لله سبحانه وتعالى، عظّم الله أو أحب الله، أحبوا هذا العبد؛ لأنه قائم بطاعة الله عز وجل، بنوا على قبره هذا المسجد توقيرا وتعظيما وليس من باب الإهانة له، يصلون في هذا المسجد الذي فيه هذا القبر يعكفون فيه من باب أن يكون أجرهم أعظم، فالنية نفترض أنها نية صالحة، نية طيبة، لكن لاحظ مع افتراض أن النية الصالحة وهذا الذي يظهر أنهم ما يريدون إلا الخير بهذا العمل **"فهم شرار الخلق عند الله"**، فما ظنك لو كانت النية فاسدة، يعني واحد سوى هذا العمل وهو يعرف أنه حرام لكن من أجل أن يضل الناس، لا شك أن إثمه أعظم وأعظم، فهذا في حق من عمل هذا العمل ولو كانت نيته طيبة، وهذا أمر قد يغفل عنه

كثير من الناس، يعني وهو يقرأ الأحاديث، ربما لا يستحضر أن هؤلاء قوم لعنهم الرسول، ووصفهم بأنهم شرار الخلق، مع أنهم قد يريدون بهذا العمل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

تذكروا في الدرس الماضي قوم نوح لماذا سووا التماثيل لأولئك؟ ليس بقصد سيء، إنما كان بقصد طيب، تذكر الصالحين والعمل بمثل أعمالهم، فإذًا هؤلاء متوعدون بهذا الوعيد ولو كانت نيتهم يريدون بها الخير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: **"فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين"** بين السيئتين **"فتنة القبور"**، يعني غلو في القبور **"وفتنة التماثيل"** تعلقوا بها، وكلما ضعف سلطان التوحيد على القلوب كلما تعلق القلب بالتماثيل، **"فهؤلاء جمعوا بين فتنتين:**

- **"فتنة القبور"** بمعنى غلوا فيها، فعبدوا الله عندها،
- **"وفتنة التماثيل"** حيث جعلوها في بيوت العبادة.

ولهما، عنها، قالت: "لما نُزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال: -وهو كذلك- لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا" أخرجاه.

"ولهما" يعني للبخاري ومسلم،

"عنها" عن عائشة رضي الله عنها،

"قالت: لما نزل برسول الله ﷺ" يعني لما نزل به ملك الموت، فالرسول ﷺ بشر يموت كما يموت البشر ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]

"لما نزل برسول الله ﷺ طفق" يعني أخذ، وجعل.

"يطرح خميصة له على وجهه" خميصة نوع من أنواع الأكسية له أعلام، أعلام يعني خطوط:

- إذا قال لك كساء له **أعلام** يعني فيه خطوط،
- لما يجيء ويقول لك مثلا كساء **مُرحَّل** يعني عليه صور الجمال، صور الإبل.

"يطرح خميصة له على وجهه" كأنه يخفف عنه ما يجد، يأخذ الخميصة ويغطي على وجهه من شدة ما يجد من آلام النزع، فإذا خنقته ومنعته من التنفس يرفعه عن وجهه ﷺ.

"فإذا اغتم بها" يعني خنقته، ثقَّلت عليه النفس أخَّر عن وجهه الشريف ﷺ،

"فإذا اغتم بها كشفها" فهي الآن تصور لك الحالة التي كان عليها الرسول عند حالة الاحتضار، فقد وجد عناء عظيما ﷺ، وذلك حتى يكون أرفع لدرجته وأكثر لأجره ﷺ.

"فقال وهو كذلك" في تلك الحال الشديد: **"لعنة الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** تلك الحالة الصعبة ما نسي فيها نصيحة الأمة ﷺ بتحذيرهم مما يضرهم في دينهم ولا سيما في باب العقيدة، باب التوحيد، فحذرهم من وسيلة من وسائل الشرك.

"لعنة الله على اليهود والنصارى" يدعو عليهم باللعن، بالطرد من رحمة الله، والمقصود من هذا اللعن تحذير الأمة، هو دعاء عليهم:

- من جهة أنهم **ارتكبوا هذا المنكر** العظيم،
- ومن جهة أخرى **تحذير غيرهم** أن يقعوا فيما وقعوا فيه.

"اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" مساجد يعبدون الأنبياء أو يعبدون الله فيها؟ الأصل يعبدون الله فيها ولهذا المؤلف أورد هذا الحديث في هذا الباب **"باب من جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح"**، فهم أول الأمر اتخذوا هذه المساجد من أجل عبادة الله سبحانه وتعالى فيها عند قبور أولئك الصالحين.

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"قالت عائشة: يحذر ما صنعوا" يعني بحكم أنه الآن في السياق وفي النزع حضره الأجل، فخاف النبي ﷺ أن يُتخذ قبره مسجدا تأسياً باليهود والنصارى، وليس شرط أن يكون الصحابة، الصحابة الله عز وجل يعصمهم بالعلم والإيمان الذي عندهم، لكن ممكن هذا يخاف على من بعده إذا تطاول الزمان ونسي العلم.

لعنة الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالت عائشة: يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا " أخرجاه".

"ولولا ذلك أبرز قبره" يعني الأصل أن الرسول يعامل كما يعامل غيره من الأمة، الواحد من أفراد أمته إذا مات أين يدفن؟ يدفن في المقبرة مع المسلمين وهذا الأصل أن الرسول ﷺ مثل سائر أمته، لكن لما قال هذا الكلام عند موته حذر الأمة أن تتخذ قبره مسجد.

"قالت: يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره" لولا هذا النهي وهذا التشديد وهذا التغليظ،

- **الضبط الأول "غير أنه خَشِيَ"** يعني يكون الآمر بدفنه في بيت عائشة هو نفسه ﷺ، لأنه إذا صار في العراء في المقابر العامة لم تمكن حمايته، وقد يأتي بعض الجهال وبعض الناس فيصلي عند القبر فيتخذه مسجدا.
- **والضبط الثاني** لهذه الكلمة: **"غير أنه خُشِيَ"** ضبط آخر، فيكون الخاشي الصحابة، لما نظروا في هذا النهي وتأملوا حال الناس، حال الأمم السابقة، قالوا "لو دُفِن في المقابر المكشوفة، المقابر العامة ربما اتخذه أحد من الناس مسجدا، فالمصلحة أن ندفنه في بيت عائشة"، ويروى عن أبي بكر أيضا أنه روى عن النبي ﷺ **"أنه ما في نبي يموت إلا يدفن حيث مات"**.

"ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا" وطبعا النبي ﷺ خشي أن يتخذ قبره مسجدا والصحابة من بعد موته خشوا أن يتخذ قبره مسجدا، فكانت المصلحة أن يدفن في بيت عائشة، في المكان الذي مات فيه ﷺ.

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وفيه مسألة كررناها كثيرا في خطب الجمعة، وفي بعض الدروس، وفي بعض الكلمات وهو أنه يأتي واحد يقول "الآن قبر الرسول في المسجد، معنى ذلك أن الشيء الذي ينهى عنه الرسول ما نفذ؟ بلى نُفِّذ، فلما مات دفن في بيت عائشة، ما دفن في المسجد، ومن أشكل عليه هذه المسألة قل له "**إن المسجد لم يُبْنَ على القبر ولا القبر دفن في المسجد**"، المسجد كان موجود قبل في حياة الرسول أو لا؟ المسجد كان موجودا، فما بني المسجد على قبر رسول الله.

لما مات الرسول أين دفن؟ في بيت عائشة، هذا المسجد مستقل، وهذا بيت عائشة، فهو دفن في البيت ولم يدفن في المسجد، فلا المسجد بني على القبر ولا القبر دفن في داخل المسجد،

بينما القبور الآن الموجود في المساجد واحدة من اثنتين:

- واحد مات ودفنوه في داخل المسجد،
- أو واحد مات دفنوه وبنوا على قبره مسجدا،

الذي حصل أنه بعد عام ثمانين (**80**) للهجرة وقد انقرض أكثر الصحابة، ضاق المسجد في عهد **الوليد بن عبد الملك**، واحد من ملوك من خلفاء بني أمية، ضاق المسجد فأراد يوسع المسجد، فوسع المسجد من كل الجهات فاحتاجوا أن تَدخُل الحُجَر في داخل هذه التوسعة الجديدة، مع أنه يبقى في مكانه ومحوط بجدران بيوته ﷺ، فهذا الذي حصل؛ لأنه لما وسع المسجد وضاق بالناس وكانت الحجرات ملاصقة للمسجد داخلت في داخل التوسعة.

وما نتكلم عن صحة فعله، فعله صحيح ولا غير صحيح، هو واحد من ملوك المسلمين عمله غير معصوم ولا كان هذا بفتوى من الصحابة ولا بإجماع ذلك الزمان، بل نقل عن بعض الفقهاء في ذلك الزمان أن الذين أدركوه أنهم كرهوا هذا الأمر، لكن القصد أنه ليس فيه حجة.

لو قيل للناس: لا تبنوا على القبور، لا تدفنوا القبور في المساجد، جاء واحد يحتج بأن النبي ﷺ قبره في المسجد؟ فنقول: "لا حجة لك فيه"،

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- أول شيء المسجد لم يبن على القبر،
- القبر لم يدفن في المسجد،
- الشيء الثالث بعد التوسعة وإدخال الحجر في المسجد، هذا لم يفعله خليفة راشد ولم يكن بإجماع من أهل العلم، والحجة قال الله وقال الرسول ﷺ،
- وهذا الرسول يحذر الأمة من اتخاذ القبور مساجد.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك.

قال: "**ولمسلم، عن جندب**" يعني ابن عبد الله بن سفيان البجلي رضي الله عنه،

"**قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس**" يعني خمس ليالي هذا الأقرب، وقيل خمسة أعوام لكن هذا بعيد والله أعلم، ما عهد من الصحابة أنهم يؤرخون السنوات التي سمعوا فيها الحديث، لكن قبل أن يموت بشهر، قبل أن يموت بخمس، قبل أن يموت بليالي هذا وارد.

"**سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**" الخلة أعلى درجات المحبة، قالوا تتخلل القلب كله، فما يبقى فيه متسع لغيره.

"**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**" له أحبة، يحب أصحابه ﷺ، يحب من آمن من أمته لكن هذه المحبة لا تصل إلى درجة الخلة.

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"فإن الله قد اتخذني خليلا" إذًا الخلة من جهتين الله ﷻ يحبه ﷺ حتى اتخذه خليلا، فنال أعلى المحبة من جهة الله من قبل الله ﷻ كما نالها أبوه إبراهيم عليه السلام:

- فخلة إبراهيم ثبتت بالقرآن ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:125]
- وخلة الله ﷻ لنبيه ﷺ ثبتت بالسنة الصحيحة.

"فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليل" فالآن بعض الناس يتكلم عن الرسول ﷺ "حبيب الله"، بعضهم يؤلف كتاب هذا الحبيب يا محب، اللهم صلي على الحبيب" صحيح هو حبيب الله، لكن هذا هضم لحقه ﷺ، فهو في الحقيقة درجته أعلى من درجة الحبيب وهو الخليل.

"فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا" هذا تأكيد لقوله: **"إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلا"** ثم أكد **"ولو كنت متخذا خليلا"** يعني ليس لي خليل منكم **"لاتخذت أبا بكر خليل"** لو كنت متخذا أحدا خليل يستحق هذه الرتبة وهذه الدرجة ما نالها إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، والشهادة له بهذه الشهادة العظيمة قبل موته بليالي معدودة تنبيه وإشارة إلى أنه هو أولى الناس بخلافته ﷺ.

"ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" مثل اليهود والنصارى،

"ألا فلا تتخذوا القبور المساجد فإني أنهاكم عن ذلك" ما معنى مساجد؟ المساجد تطلق على المسجد المبني المعروف، وتطلق على الصلاة عنده، من صلى عنده بقصد فقد اتخذه مسجدا، فالمكان الذي تصلي فيه يسمى مسجدا والدليل عليه:

- 🕮 حديث جابر وهو قوله ﷺ: **"وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"**
- 🕮 وفي حديث حذيفة: **"فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل فعنده مسجده وطهوره"،**

هذه الأرض مسجد، ما معنى مسجد؟ يعني موضع للسجود، موضع للصلاة، يقال مسجد مأخوذ من السجود؛ لأن أشرف هيئات الصلاة حالة السجود والمقصود بها الصلاة الكاملة.

"ألا فلا تتخذوا القبور مساجد" يعني لا بالبناء عليها ولا بقصد الصلاة عندها،

"فإني أنهاكم عن ذلك" وما نهى عنه الرسول فهو كما نهى الله عنه.

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قوله: "خشي أن يتخذ مسجدا"، فإن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

"فقد نهى عنه في آخر حياته" هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية،

"فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله"

- 📖 نهى عنه مثل قوله في حديث جندب بن عبد الله بن سفيان: **"ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"**، هذا نهي،
- 📖 ولعنه في السياق من فعله **"لعنة الله على اليهود والنصارى"** في حديث عائشة،

"ثم أنه لعنه في السياق من فعله والصلاة عندها من ذلك" يعني من اتخاذها مساجد،

"وإن لم يبن مسجد" وهو يقول لك أن معنى قوله **"لا تتخذوا القبور مساجد"** يعني سواء مسجد مبني أو مجرد الصلاة عندها لأن الأمرين كله يطلق عليه اتخاذه مسجدا.

"وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبري مسجدا" لكن ممكن يجيء واحد من أفراد الناس، ممن يجهل الحكم الشرعي فيصلي عند القبر.

"وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا: "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد" ورواه أبو حاتم في صحيحه.

"**تدركهم الساعة**" يعني تدركهم علامات الساعة، هكذا ذكر بعض الشراح لكن الآن خطر في بالي كأن "**تدركهم الساعة**" علامات الساعة ليست شرحا جيدا، لماذا؟ لأن علامات الساعة تدرك قوما صالحين جدا، خروج الدجال علامة من علامات الساعة، والدجال يدركه عيسى بن مريم، ويدركه المهدي، والمجاهدون الصالحون الذين معهم، فالآن أسحب كلمتي هذا، هذا وجدته عند بعض الشراح لكن الآن ما فكرت فيه في البداية.

لكن الآن فالذي يظهر " **إن من شرار الناس من تدركهم الساعة**" هم الذين يكونون أحياء من بعد الريح الطيبة، حتى تقوم الساعة فعلا، لأن الريح الطيبة تقبض أرواح المؤمنين، فلا يقبل بعدهم إلا شرار الخلق، يبقون ما كتب الله لهم وعلى شرار الخلق تقوم الساعة، ولا تقوم الساعة على أحد يقول لا إله إلا الله.

"**والذين يتخذون القبور مساجد" ورواه أبو حاتم في صحيحه**" أبو حاتم بن حبان.

إذًا "**شرار الناس**" صنفان يعني شرار الناس الذي يشتمل عليهم هذا الحديث، "**الذين يتخذون القبور مساجد والذين تدركهم الساعة وهم أحياء**":

- **الذين يتخذون القبور مساجد**" فعلوا وسيلة من وسائل الشرك،
- "**والذين تدركهم الساعة وهم أحياء**" أصلا غير موحدين والعياذ بالله.

هل يوجد شرار الخلق غيرهم؟ يوجد، ليس القصد الحصر، ولهذا الرسول يقول في الخوارج: "**شر الخلق والخليقة**، وفي قتلاهم "**شر قتلى تحت أديم السماء**"، فما يمنع أنه يصل إلى المستوى الأعلى إذا قيل الأعلى

19 – باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

إذا صح التعبير المستوى الأعلى من الشر لا يمنع أن يصله أكثر من صنف، هذا بلغ الغاية في الشر، وهذا بلغ الغاية في الشر، وهذا بلغ الغاية في الشر.

"ورواه أبو حاتم في صحيحه" هذا يكون من المرتبة السابعة من مراتب التصحيح، المراتب مراتب الحديث الصحيح سبعة مراتب:

1. أعلاها متفق عليه،
2. ثم البخاري،
3. ثم مسلم،
4. ما كان على شرط البخاري ومسلم،
5. ما كان على شرط البخاري،
6. ما كان على شرط مسلم،
7. ما كان صحيحا على شرط غيرهما، مثل ابن حبان وابن خزيمة، والضياء القدسي في المختارة، وممن اشترط الصحة.

هذا بالنسبة لهذا الباب.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

20 – باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ
مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ
1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

20 – باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **"باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله"**.

هذا الباب قريب من الباب السابق، الأول فيه تغليظ، وعيد من عبد الله عند قبر، الوعيد الذي ورد فيه هو الآن وضح لك، علَّل لك لماذا الله غلظ على من عبد الله عند رجل قبر صالح؟ هنا التعليل أن تلك عبادة الله عند قبر رجل صالح ينقل الناس بعد ذلك إلى عبادتها من دون الله سبحانه وتعالى.

روى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

"**روى مالك في الموطأ**" يعني عن عطاء بن يسار، عن رسول الله ﷺ، وهذا مرسل، يرويه زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن رسول الله ﷺ.

لكن وصله البزار في مسنده عن **عمر بن محمد**، عن **زيد بن أسلم**، عن **عطاء بن يسار**، عن **أبي سعيد الخدري**، عن رسول الله ﷺ، وعمر بن محمد هذا اختلفوا فيه، ابن عبد البر يقول **"عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو من الثقات"**، ولكن الذي في النسخة الموجودة في مسند البزار **عمر بن محمد بن صُهبان** وهو ضعيف جدا، ولكن هذا المتن جاء مثله في عدد من الأحاديث، فسواء هذا المرسل صح بنفسه أو لم يصح، فالمعنى الذي اشتمل عليه ثابت من أحاديث أخر.

قال: **"اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد"**

الوثن كل ما عبد من دون الله يسمى وثنا، **الصنم** كل ما عبد مما كان على صورة، فالقبر نسميه وثنا، التمثال نسميه وثنا أيضا، الصنم منحوت على شكل صورة، فمثلا هذا الصنم منحوت على صورة عيسى

نسميه وثنا؛ لأنه عبد من دون الله، ونسميه صنما؛ لأنه منحوت على صورة، هذه شجرة تعبد من دون الله هذه وثن، لا نسميها صنما، لماذا؟ لأنها ليست منحوتة على صورة.

"اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد" دعا الله ﷻ واستجاب الله دعاءه، فالآن ما أحد يستطيع أن يصل إلى القبر ويعبده الله ويعبد الله عنده؛ لأن القبر محاط بخمسة جدران، مستحيل تصل إليها، وإن شاء الله يبقى كذلك، فهذا من استجابة الله لدعاء نبيه ﷺ.

يوجد مركز في المسجد النبوي مقابل المحراب، زرناه مرة من المرات وفيه شخص مختص بتاريخ المسجد النبوي، الحجرة النبوية، ويشرح لك ويوريك صورا كثيرة كيف وضع القبر والجدران التي عليه والعناية التي اعتنى بها الخلفاء على تعاقب الأزمان، بحيث أنه لا يصل أحد إلى قبر النبي ﷺ، ويسمونه لا أدري هو متحف المدينة أو هو معهد تاريخ المسجد الحرام.

قال ﷺ: "اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" فلاحظ قوله: **"اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد"** ما قال "يُعبد الله عنده"، قال "يُعبد"، بعد ذلك قال **"اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**، صِلْ بين الجملتين وماذا تصير النتيجة؟ أن اتخاذ القبر مسجدا يصيره وثنا يعبد مع الله.

في البداية الواحد اتخذ القبر مسجدا، يصلي لله فيه عند القبر هذا، بعد ذلك يترقى الأمر والعياذ بالله حتى يصل إلى عبادة القبر نفسه، فهمت الآن، انظر دقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم:19] قال: "كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره".

"ولابن جرير" محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المشهور بكنيته أبو جعفر.

"عن سفيان" قالوا إنه سفيان الثوري هنا،

"عن منصور" يعني ابن المعتمر،

20 – باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**عن مجاهد**" يعني ابن جبر،

في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ تقدمت معنا هذه في نفس هذا الكتاب.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ قال يعني مجاهد وهو من أعلم الأمة بالتفسير رحمه الله.

"**قال: كان يلت لهم السويق**" رجل صالح كان يلت السويق قالوا هو من سكان الطائف، السويق هي الحنطة، الشعير هذه الحبوب، هذه القوت ماذا يفعلون بها؟ يطحنونها، يطحنونها، يطحنونها حتى تكون ناعمة دقيقة، تكون ناعمة جدا، بعد ذلك يخلطوا معها سمنا وكذا حتى تكون أكل رطب جدا، فإذا أُكل ينساق بسرعة في داخل الجوف، ما يحتاج إلى مضغ ولا شيء بسرعة يُبلى، فلهذا سموه سويقا لسرعة انسياقه من الفم إلى الجوف.

"**كان يلت لهم السويق**" قالوا كان يعتني بالحجاج، الناس الذين قاصدون الحج يمرون بالطائف يضع لهم هذه المائدة لله سبحانه وتعالى مجانية، يأكلون منها.

"**فمات، فعكفوا على قبره**" يعني يعبدون الله عند قبره، وبعد ذلك تطور بهم الأمر إلى عبادته نفسه.

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان يلتُّ السويق للحاج".

"**وكذا قال أبو الجوزاء**" أوس بن عبد الله الرَّبَعي، الباء مفتوحة، الراء مفتوحة الرَّبَعي، ثقة، من التابعين مات بعد الثمانين (**80**).

"**قال أبو الجوزاء: عن ابن عباس، كان يلت السويق للحاج**" يصنع السويق ويُطعم الناس بالمجان لله سبحانه وتعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرج" رواه أهل السنن.

يقول: **"رواه أهل السنن"** في الملخص في النسخة الالكترونية وجدتُ أنه مكتوب إلا النسائي، أنا أقول لك أن هذا وهم والصواب أنه أخرجه النسائي أيضا، هذا من باب الوهم، فهو موجود عند أصحاب السنن الأربعة كلهم.

وإذا أشكل عليك حديث هل أخرجها أصحاب الكتب الستة أو بعضهم؟ ففيه مرجع مهم، وهو كتاب اسمه **"تحفة الأشراف"** للمزي، فترجع لهذا الكتاب وتتأكد منه، فأنا لما وجدت هذه الكلمة رجعت لتحفة الأشراف مباشرة ووجدت أنه عزاه لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ويسوق أسانيدهم كلهم، ثم رجعت لنسخ النسائي موجود فيه أيضا، فهذا من باب الوهم والله أعلم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لعن الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرُج" رواه أهل السنن.

منهم من يضعف هذا الحديث؛ لأن الراوي عن ابن عباس يقال له: باذام أبو صالح، باذام أو باذان بالميم أو بالنون وهو ضعيف، ولكن هذا الحديث أيضا له شواهد من حديث أبي هريرة، ومن حديث حسان بن ثابت، وغيرهما.

ومنهم من يضعف هذه اللفظة: **"زائرات"** ويصححها بلفظ زُوِّارات أو زَوَّارات بفتح الزاي أو ضم الزاي،

- **الزَّوَّارات** بفتح الزاي يعني المكثرات من الزيارة،
- **الزُّوَّارات** بالضم جمع زائرة،

والشيخ حماد الأنصاري رحمه الله له رسالة جيدة في هذا الحديث.

فالصواب أن هذا الحديث صحيح وإن المرأة ممنوعة من زيارة القبور سواء تكررت أو كانت مرة واحدة، والحكمة من منع المرأة من زيارة القبور:

- **أن المرأة ضعيفة عند المصيبة**، فما يؤمن أن تتكشف، يعني تخرج عن شعورها وعن طورها ربما تشق ثيابها، من باب أولى ربما ترمي حجابها، هذا من جهة إذا كانت المصيبة فيها جديدة قد يحصل منها هذا الشيء، والمرأة فتنة لغيرها وقد هي أيضا تفتتن.
- الأمر الثاني: لو قلنا المصيبة قديمة والمرأة لن يحصل منها هذا الأمر، ولكن كما تشاهدون أنتم حال **المقابر الغالب عليها أنها معمورة أو مهجورة**؟ مهجورة، فتروح المرأة لوحدها للمقبرة قد يطمع فيها أصحاب السوء، قد يكون هذا من أسباب الفتنة.
- **فالمرأة النائحة متوعدة بالوعيد الشديد**، فرؤيتها للقبور قبر زوجها، قبر ابنها، قبر أبيها، قبر أمها قد هذا يوقعها في النياحة.

"والمتخذين عليها المساجد" إما البناء وهذا الذي يظهر من قوله: **"متخذين عليها"** يعني بنوا عليها مسجدا وبنوا عليها قبة، ويصدق الوعيد بمجرد قصدها للصلاة عندها،

"والسرج" جمع سراج وهو الضياء، الضياء الذي يوقد كان في الأول فتيلة وفيها زيت، والآن ممكن باللمبات وغيرها، فلا يجوز إضاءة القبور، لا يجوز وضع الإنارة على القبور لا سراج ولا كَشَّاف ولا غيره؛ لأنه لما تجيء عند مقبرة فيها مثلا مائة قبر، وكلها قبور عادية ليس عليها شيء إلا هذا القبر موضوع عليه سراج، وما ينطفئ هذا السراج، كل ليلة تجيء وهذا السراج والع، معناه أنه يجعل في قلوب الناس أن هذا القبر له خاصية وله شأن، ولو لم يكن له شأن ما تُكلِّف وأُسرِج عليه هذا السراج، فيكون مدعاه إلى عبادته بتدرج، أول شيء: العكوف عنده، الصلاة عنده، العكوف عنده التمسح به ثم يصير الأمر إلى عبادته مع الله ﷻ.

وهكذا لما تدخل مقبرة كلها قبور عادية إلا هذا القبر عليه قبة، معناه أن هذا القبر له ميزة عن بقية القبور، فالبناء عليها، الإيقاد عليها، كل هذا ممنوع منه.

20 – باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

أما مسألة مثلا الناس دفنوا ميتهم بالليل وجاءوا معهم اللمبات والكشافات فشغلوها، أوقدوها من أجل الاستعانة بها على دفن ميتهم، هذا ما فيه حرج، هذا لا يدخل في النهي؛ لأنه ما وقدت اللمبة هنا، شغل النور هذا من أجل تعظيم القبر، إنما من أجل الاستعانة به على الدفن.

وهكذا إذا كان مثلا الإضاءة على سور المقبرة أو على الرصيف يضيء على الشارع ويضيء على المقبرة ما في حرج، لأن هذه اللمبات ما جعلت من أجل القبور.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

21 – باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

21 – باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك**".

جناب الشيء جانبه، يقال جانب وجناب، وجانب الشيء وجنابه جزء منه، فالنبي ﷺ حمى كل أجزاء التوحيد أن يدخلها شيء من الشرك، وكذلك أيضا حمى ما كان زائدا على الجانب أو الجزء، فعندنا الحِمى وهو ما زاد على الشيء، مثلا:

- **عندنا البئر** وعندنا حمى البئر، ما كان حول البئر هذا يسمى حمى البئر،
- **عندنا طريق** وعندنا حمى طريق، فمثلا: يقال لا أحد يجلس على الطريق ولا يجلس في حمى الطريق يعني ما كان في جانب الطريق يمينا أو شمالا حتى لا يضيق الطريق أو لا يعتدي على الطريق،
- **عندنا مرعى**، وعندنا حمى مرعى مثلا، فيمنع من الدخول للمرعى، ويمنع من الدخول للحمى، لماذا؟ لأنه لو دخل المرعى لأفسده ولو دخل الحمى سيتجرأ ويدخل في نفس المرعى،

فالنبي ﷺ من حرصه سد كل الطرق الموصلة إلى الشرك، فنهى عن الشرك، ونهى عن الأسباب التي تؤدي إلى الشرك، ولو لم تصل هذه الأسباب إلى الشرك.

"**ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك**" إذًا معنى الباب أن النبي ﷺ نهى عن الشرك ونهى عن الأسباب المفضية والمؤدية إلى الشرك.

21 – باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:128]

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ "جاءكم" الخطاب هنا لمن؟ الخطاب ابتداء لقريش خاصة، ثم للعرب عامة، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فالنبي ﷺ من العرب بشكل عام ثم من قريش بشكل خاص، فهو عربي قرشي.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ يعني جاءكم يا معشر العرب، أو يا معشر قريش.

﴿رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من نفس جنسكم، من نفس قبيلتكم، وإذا كان هو منكم ومن أنفسكم كان الأولى أن تبادروا وتسارعوا إلى الإيمان به ومتابعته؛ لأن هذا خير لكم من جهة، وشرف لكم أن يبعث منكم رسول، لكن الذي حصل العكس، فكفروا به، عادوه، حاربوه إلا من رحم الله.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ في قراءة شاذة: "من أَنْفَسِكم" يعني من أشرفكم نسبا من النفاسة.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني يشق عليه عنتكم، فما وما بعدها مؤولة بمصدر، ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني عنتكم، ﴿عَزِيزٌ﴾ يعني شاق مؤلم نفس يشق عليه، ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ الشيء الذي يعنتكم، ويوقعكم في الحرج، في التعب، في الألم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ ومن حرصه عليكم أن يبين لكم ما ينفعكم ويحذركم مما يضركم.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ معنى الكلمتان متقاربتان في المعنى الرأفة والرحمة، ومفهومها أنه ليس كذلك بالمشركين، فهو بالمؤمنين رءوف رحيم، لكنه على غير المؤمنين من الكفار والمشركين بأنواعهم غليظ وشديد في ذات الله بلا ظلم ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:29]، فهم على الكفار فيهم شدة وفيهم غلظة، لكنها ليست لحظ نفسه، إنما في ذات الله سبحانه وتعالى، وهذه الغلظة

21 – باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وهذه الشدة مضبوطة بضوابط الشرع، فلا ظلم ولا عدوان، إنما فيه بغض في الله، فيه براءة منهم، بعدم محبتهم، عدم ابتداءهم بالسلام، وهكذا.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:128]

السؤال: هل يوجد تصريح في الآية بموضوع الباب؟ لا يوجد تصريح بموضوع الباب،

ما العلاقة بين الآية وبين الباب؟ الباب ما جاء في حماية المصطفى لجناب التوحيد، والآية سمعناها ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:128] أين في الآية ذكر حماية الرسول لجناب التوحيد؟

- ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ لا يوجد عَنَتٌ أكبر من الشرك، أكبر مؤذي الشرك، فهو موجب للخلود في النار، فإذا كان يشق عليه الشيء الذي يعنتكم فلا يريدكم أن تقعوا فيه والشرك هو أعظم العنت، إذًا فكان يشق عليه أن تقعوا في الشرك، وبالتالي يحذركم منه، هذا جواب.
- الجواب الثاني ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني يلزم من حرصه أن يبين لهم التوحيد، إذًا قوله سبحانه وتعالى في وصف النبي ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ مقتضى هذا الحرص أنه يحرص على بيان التوحيد ويحرص على بيان الشرك، يحرص على حماية التوحيد وعلى تحذيرنا من الشرك أبلغ تحذير؛ لأن التوحيد أعظم ما أمر الله به، والشرك أعظم ما نهى الله عنه، والحريص عليك يهتم بأهم أمر يصلحك، ويهتم بأعظم أمر يضرك.
- ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الرأفة والرحمة يلزم منها أنه يبين لهم التوحيد ويبين لهم الشرك بيانا لا مزيد عليه.

إذًا الآية بشكل عام كلها تدل على ما عنون له المؤلف، وهو أن هذه الصفات التي وصف الله بها نبيه ﷺ يلزم منها أن يكون قد بلغ الجهد في بيان التوحيد والتحذير من الشرك وأسبابه وطرقه المفضية إليه.

21 – باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

ثم قال: **وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا"** يعني لا تدفنوا فيها الموتى، هل هذا القصد؟ لا، ليس هذا المقصود، **"لا تجعلوا بيوتكم قبورا"** يعني لا تجعلوا بيوتكم بمثابة ومنزلة القبور فتعطلوها عن العبادات:

- تعطلوها عن **الصلاة**،
- تعطلوها عن **قراءة القرآن**،
- تعطلوها عن **الدعاء**، ونحو هذا.

وهذا معناه أنه كان قد تقرر عندهم أن القبور ليست محلا للعبادات، ولهذا صح هذا التشبيه، أنت تخاطب الشخص فتشبه له الشيء بالشيء، لا يستفيد من هذا التشبيه إلا إذا كان المشبَّه به معروفا عند المخاطَب، تأتي لشخص تقول له مثلا: "هذا الطعام مثل العسل"، وهو لا يعرف العسل، هل يفهم شيئا؟ لا يفهم، فأنت لا تورد التشبيه، تخاطب بالتشبيه أحدا إلا وهو يعرف معنى المشبَّه به حتى يفهم، فهنا النبي ﷺ لما قال: **"لا تجعلوا بيوتكم قبورا"** هذا معناه أنه كان قد تقرّر عندهم، قد حذّرهم، قد نبّههم على وجوب البعد عن اتّخاذ القبور مصلّى، مساجد، محل قراءة القرآن، محل قصد الدعاء، محل العكوف عندها.

"لا تجعلوا بيوتكم قبورا" يعني لا تصلوا فيها، يقصد هنا أي صلاة؟ أنتم في القبور لا تصلون، أما في البيوت تصلون، ماذا تصلون في البيوت؟ النوافل، وأما الفرائض؟ الفرائض تصلى في المساجد، لو جاء واحد قال: أنا أصلي الفريضة في بيتي حتى لا أجعل بيتي كالمقبرة، فهل هذا استدلال صحيح؟ لا، إذًا نقول بالنسبة

للبيوت لا ينبغي أن تُعطَّل من صلاة النافلة، وأما الفريضة فتصلى في المساجد، أما المرأة والمريض والعاجز فهؤلاء يصلون في البيوت الفرائض والنوافل.

"لا تجعلوا بيوتكم قبورا" يعني بمثابة بمنزلة القبور فتعطلوها عن العبادة، إذًا هذه الجملة الأولى في الحديث نستفيد منها فائدتين:

- **الأول**: النهي عن قصد القبور للعبادة.
- **والثاني**: استحباب عمارة البيوت بذكر الله والصلاة فيها.

الجملة الثانية: قال ﷺ: **"ولا تجعلوا قبري عيدا"**

العيد اسم لما يعود ويتكرر على صفة معينة، ولهذا سمي:

- عيد الفطر عيدا،
- وعيد الأضحى عيدا،
- وعيد الجمعة العيد الأسبوعي؛ لكونه يعود ويتكرر،

فلا تجعلوا لقبري اجتماعا خاصا تعتادونه ويتكرر عليكم بترتيب معين، هذا لا يجوز.

هل اتخاذ قبره عيدا شرك أو وسيلة إلى الشرك؟ وسيلة إلى الشرك، هذه من باب حماية الجناب.

"وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" صلوا وسلموا معناها أيضا، صلوا وسلموا علي حيث كنتم في مشارق الأرض أو في مغاربها، فأنت ومن بالصين سواء يعني الذي عند قبر النبي ﷺ يسلم عليه ومن أقصى في الدنيا سواء، كما يبلغه سلامك يبلغ ذلك البعيد أيضا سلامه للنبي ﷺ.

"وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" إذًا لا يوجد داعي اتخاذ القبر عيدا أو محل العكوف عنده، أو الصلاة عنده، أو الدعاء عنده؛ لأن المشروع عند القبر هو التسليم والدعاء، وهذا التسليم والدعاء يحصل ولو كنت في أبعد نقطة في الأرض عن قبر النبي ﷺ.

21 – باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**" فهذا فيه سد لباب الغلو في قبر النبي ﷺ، سد لباب الشرك بعبادة النبي ﷺ وذلك بعبادة قبره، أو التبرك به، أو التمسح به، أو العكوف عنده.

هل قوله: "**لا تجعلوا قبري عيدا**" معناه يعني لا تزوروا قبري هل هذا معناه؟ الجواب: لا، فالزيارة شيء والعيد شيء، الزيارة التي بدون ترتيب ما فيها حرج، زيارة مشروعة لكن أن يجعل للناس أن يقال "هذا اليوم يستحب فيه زيارة قبر النبي ﷺ، أو مثال في اليوم الفلاني من كل سنة نجتمع لزيارة قبر النبي ﷺ" هذا ما يجوز، حرام، هذا هو العيد، لكن واحد دخل المسجد النبوي وأراد أن يسلم على قبر النبي يسلم عليه، مثله مثل بقية القبور لقول النبي ﷺ: "**زوروا القبور**" فإن عرض هذا الأمر ما في حرج، وما كان الصحابة يقصدون قبر النبي ﷺ مثلا للسلام عليه والدعاء وإنما كان الواحد يذكر أو يروى عن ابن عمر أنه إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، وجاء القبر فسلم على النبي ﷺ، وعلى صاحبيه، أما أنهم كانوا كل ما دخلوا المسجد يقصدون قبر النبي ﷺ ويسلمون عليه وعلى صاحبيه، ما كان هذا موجودا عندهم، فإذًا الممنوع في قبر النبي ﷺ اتخاذه عيدا، والممنوع أيضا شد الرحال إليه، أما كونك تدخل المسجد وتسلم عليه وعلى صاحبيه فهذا لا حرج فيه.

وعن علي بن الحسين: "أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعوه، فنهاه، وقال: ألا أحدثك حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم رواه في المختارة.

ثم قال: "**عن علي بن الحسين**" يعني ابن علي بن أبي طالب، المشهور بزين العابدين، توفي سنة اثنين وتسعين (**92**) أو ثلاثة وتسعين (**93**) للهجرة، كان من أفضل أهل زمانه.

"**أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة**" فتحة في الجدار،

21 – باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ويدخل فيها فيدعوا**" لماذا الرجل لما رأى الفرجة هذه دخل فيها ودعا؟ يظن أن كل ما اقترب من قبر النبي ﷺ كان دعاؤه أفضل، وإلا لو كان يعتقد أن المسجد كله سواء، أو الأماكن كلها سواء ما تحرى تلك الفرجة واغتنم الفرصة في نظره، فهو ما دخل تلك الفجرة ودعا فيها إلا لظنه واعتقاده أن الدعاء فيها أفضل.

فماذا فعل علي بن الحسين أقره؟ لا، نهاه قال "**فنهاه، وقال "ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي**" هذا من أحسن الأسانيد من جهة الرد على الغلاة؛ لأن هذه سنة عن النبي ﷺ خرجت من أهل بيته، علي بن الحسين عن أبيه، عن جده، حديث يرويه علي بن الحسين عن أبيه الحسين، عن علي بن أبي طالب، آل بيت النبوة، يروون هذا الحديث في النهي عن الغلو في القبور، ونجد الشيعة والرافضة من أعظم الناس شركا في باب القبور، وفي قبور أهل البيت، ويزعمون بذلك أنهم يتقربون إلى الله وأن هذا هو الدين الحق، وهذه سنة أهل البيت ترد عليهم.

قال: "**ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ، قال: "لا تتخذوا قبري عيدا**" لا في المولد ولا غير المولد.

"**لا تتخذوا قبري عيدا**" مثل ما تقدم في حديث أبي هريرة.

"**ولا بيوتكم قبورا**" مثل حديث أبي هريرة أيضا، فالقبر ليس محل العبادة، والبيوت لا ينبغي أن تعطل عن العبادة، وهؤلاء تجد أحوالهم بالعكس، يجعلون العبادة عند القبور وللقبور وربما تجد بيوتهم معطلة عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

"**لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغني أين ما كنتم**" أو قال: "**حيث ما كنتم**".

هناك قال "**صلوا**" وهنا "**تسليمكم**" والصلاة والسلام كلها تضم بعضها إلى بعض تصلي وتسلم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56]

21 – باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**رواه في المختار**" يعني الضياء المقدسي، هذا الكتاب مشهور ومطبوع وموجود، "**المختارة**" أخرج فيه جملة كبيرة من الأحاديث، واشترط فيه أنه ما يخرج حديث إلا وهو صحيح عنده، فالحديث في المختارة يستفاد منه وأن هذا الحديث صحيح عند مؤلفه، أو أنه حديث جيد عند مؤلفه، هذا فيما يتعلق بهذا الباب.

إذًا خلاصته أن النبي ﷺ حذر من الأسباب المفضية إلى الشرك، وإذا كان قد بالغ في التحذير من أسباب الشرك، فذلك يدل من باب أولى أنه قد بالغ أيضا في تحذير أمته من الشرك نفسه.

نعود بسرعة ما هي الأشياء التي منع منها النبي ﷺ، الأسباب المفضية للشرك ونهى عنها في هذا الحديث في هذا الباب النهي عن اتخاذ قبره عيدا، إذا صار القبر عيدا يكون:

- المحل للاستغاثة به،
- محل التبرك به،
- محل العكوف عنده،

فهذا يؤدي إلى أنواع من الغلو في قبر النبي ﷺ، كلها في النهاية تؤدي إلى عبادته من دون الله عز وجل.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

22 – باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

22 – باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان**".

هذه الأمة أمة من؟ أمة محمد ﷺ.

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:51]

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ**﴾، من هم هذه الأمة أو الأمم السابقة؟ الأمم السابقة اليهود والنصارى.

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**﴾ [النساء:51] نزلت في **كعب بن الأشرف**، لما شهد لقريش أنهم أهدى سبيل من محمد ﷺ.

﴿**أُوتُوا**﴾ يعني أعطوا، ﴿**نَصِيبًا**﴾ حظا، ﴿**مِنَ الْكِتَابِ**﴾ من التوراة والإنجيل، ماذا فعلوا بعد ما أعطوا هذا النصيب؟ آمنوا ﴿**بِالْجِبْتِ**﴾ السحر، ﴿**وَالطَّاغُوتِ**﴾ الشيطان وهذا من التوحيد أو من الشرك؟ من الشرك السحر شرك وعبادة الشيطان شرك أيضا.

متى آمنوا بالجبت والطاغوت قبل ما أعطوا الكتاب أو بعد ما أعطوا الكتاب؟ بعد ما أعطوا الكتاب آمنوا بالجبت وآمنوا بالطاغوت والعياذ بالله، معنى ذلك أنهم كفروا بعد إيمانهم.

أنا سألتكم سؤالا، قلت: من هم هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب؟ قلتم أنتم الأمم السابقة اليهود والنصارى، والباب يتعلق بأي أمة؟ هذه الأمة، فكيف صح الاستدلال بهذه الآية على هذا الباب؟

هذا استدلال مركب من دليلين، يأتينا إن شاء الله.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:60]

ثم ذكروا بعدها الآيات الأخرى يقول: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:60] يعني وجعل منهم من عبد الطاغوت.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ مثوبة يعني جزاء في الآخرة.

﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ لكفره وعناده.

﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ لما فعل أيضا من اتخاذ العجل إلها.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ الذين استحلوا السبت بالحيلة على الله جل وعلا فنسخهم قردة وخنازير،

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ وجعل منهم من عبد الطاغوت بعد ما آمنوا وأسلموا.

هذه أيضا تتعلق بهذه الأمة أو الأمم السابقة؟ بالأمم السابقة، إذًا عندنا آيتين كلها دلت على أن اليهود والنصارى أن منهم من كفر بعد إيمانه.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: 21].

ثم قال في سورة الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ يعني أولي الأمر، أصحاب الأمر إما حكم وإما علم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على الفتية.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ لماذا نتخذ عليهم مسجدا؟ للتبرك بهم، لعبادتهم، للعكوف عندهم، إلى آخره.

فإذًا هذه الآية: دلت على أن تلك الأمة اتخذت قبور صالحيها مساجد.

كل الآيات السابقة الثلاث تتحدث عن وقوع الشرك في الأمم السابقة، والمؤلف يريد أن يستدل بها على وقوع الشرك في هذه الأمة، كيف يتم الاستدلال؟ يتم الاستدلال بأن نضم حديث أبي سعيد إلى تلك الآيات، ماذا في حديث أبي سعيد؟

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لتتبعن سَنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن"؟ أخرجاه.

في حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: "**لتتبعن سنن**" يعني الطريق.

"**من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**" القذة ريشة السهم، هذا سهم لكي يمشي مستقيما يضعون نصل الحديدة الذي تخرق الجسد، وفي الأخير يضعون الريش، يأتي بريشة ثم يأتي بريشة مساوية لها، لا توجد ريشة طويلة وريشة قصيرة كل ريشة تشبه الأخرى حتى يعتدل السهم إذا انطلق، فهم يحرصون على التشابه في الريش، كل ريش مساوية للأخرى، فتتبعه مباشرة حتى تتم كل القذة.

"**حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قال يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن" أخرجاه**" يعني متفق عليه.

هذا الحديث ماذا فيه؟ فيه أن هذه الأمة ستتبع الأمم السابقة، هل فيه نص على أن هذه الأمة سيكون فيها من يكفر بالله بعد إيمانه، هل فيها نص على هذه القضية؟ لا يوجد شيء صريح، لكن ضم هذا الحديث إلى الآيات السابقة نجد النتيجة ما هي؟ أنه:

- كما وقع الشرك في تلك الأمم سيقع الشرك في هذه الأمم،
- كما وقع في تلك الأمم من كفر بعد إسلامه سيقع في هذه الأمة من يكفر بعد إسلامه.

وهذا الاستدلال مركب من الدليلين، جاء مصرح به في حديث ثوبان الآتي.

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنْزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا".

قال: **ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله زوى لي الأرض"** زوى يعني ضم أطرافها.

"فرأيت مشارقها ومغاربها" هذه من آيات الله الباهرة أن هذه الأرض على اتساعها وتباعد أطرافها جمعها الله لرسوله حتى رآها بعينيه:

- مثل ما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أراه ما في السماء وأراه ما في أطباق الأرض ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:75]
- في قصة الإسراء لما رجع النبي ﷺ من الإسراء والمعراج قالت قريش: **"يا محمد نحن نأتي بيت المقدس ونعرفه، فإذا كنت فعلا ذهبت إلى بيت المقدس صفه لنا، إذا أنت صادق أنك ذهبت"**، وكان النبي ﷺ لم يثبته جيدا؛ لأنها وقت في الليل، وقت قصير، فرفع الله له بيت المقدس حتى صار يراه بعينه ويصفه لهم، فالله عز وجل على كل شيء قدير.

"إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها" لاحظ التعبير رأى هذه الأرض، الأرض هو مثلا في النقطة هذه في المدينة رأى الشرق ورأى الغرب، وبعد ذلك قال **"وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها"** يعني سيكون امتداد ملك أمته كيف؟ شرقا وغربا وهذا الذي وقع، فالإسلام وصل إلى ملك المسلمين كمُلك وحُكم، وصل إلى الصين شرقا ووصل إلى المغرب غربا، المغرب نقصد بلاد المغرب، لكن امتداد الإسلام في

الشمال والجنوب هذا أقل منه في الشرق والغرب، فهذا من علامات النبوة؛ لأنه أخبر ووقع ما أخبر به مطابق.

"وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض" يعني أعطيت كنز كسرى وقيصر:

- ∇ **كنز قيصر** الأحمر،
- ∇ **وكنز كسرى** الأبيض،

"وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض" بشره الله بفتح فارس والروم له، وهذه الكنوز أنفقت في سبيل الله، **"ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله"** كما قال ﷺ، ففتح الله على عمر ثم على عثمان تلك الديار والبلاد، وأنفقت كنوزها في سبيل الله، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

"وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة" وفي بعض النسخ **"عامة"** كلها صحيحة **"بسنة بعامة أو بسنة عامة"** يعني بقحط، السَّنَة القحط والسنة هي العام، والذي يفرق بينها السياق:

- ❍ **تطلق السنة** ويراد بها القحط والجدب،
- ❍ **وتطلق السنة** ويراد بها العام يعني اثنا عشر شهر، وما معنى السِّنَة؟ النعاس،

"وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة" يعني ألا يقضي على هذه الأمة بالجدب، بالقحط،

"وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم" من اليهود أو من النصارى أو من الوثنيين،

"فيستبيح بيضتهم" يعني يقضي عليهم، البيضة:

- ▪ تعرفون **البيضة الصغيرة** هذه،
- ▪ والبيضة التي **هي الخوذة** التي تكون على الرأس،
- ▪ ويقال بيضة المسلمين يعني **رمز لقوتهم**،

ليس المقصود المعنى الحرفي للبيضة "**إنما استباح بيضتهم**" يعني استباح أعراضهم ونساءهم ودماءهم وقضى عليهم هذا المقصود.

"**وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد**" لأن الله يقول: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:39] فأم الكتاب لا يدخل فيه تبديل ولا تفريط.

"**وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة**" يعني الدعوة الأولى استجاب الله له فيها، وهي ألا يسلط على هذه الأمة جدبا وقحطا فيهلكهم جوعا.

هل يمكن ينزل جدب وقحط في بعض المسلمين؟ ممكن، لكن قحط وجدب سنة عامة على كل المسلمين؟ لا.

"**وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم**" لا يسلط الله على المسلمين عدوا يقضي على هذه الأمة كلها، لا يمكن هذا.

"**قال: ولو اجتمع عليهم من بأقطارها**" لا يستطيع بإذن الله، لكن ما الذي يضر المسلمين؟

قال: "**حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا**" فالعداوة فيما بينهم وإهلاك بعضهم لبعض هذه لم يعطها النبي ﷺ، "**فبعضهم يهلك بعضا**" يبغي على بعض يُسلَّط بعضهم على بعض، وهذا الذي حصل، أنه أكثر ما يصيب المسلمين بسبب أنفسهم واختلافهم فيما بينهم وحروبهم فيما بينهم، فهنا يقضي بعضهم على بعض وإذا قضى بعضهم على بعض ضعفوا وبالتالي تَسلَّط عليهم العدو، فقد يُسلَّط على المسلمين العدو الخارجي لكن بسبب تَسلُّط بعضهم على بعض وهذا الذي حصل، كل ما اشتدت الفتن الداخلية بين المسلمين كل ما اغتنم اليهود، النصارى، الوثنيون فرصة فانقضوا على المسلمين، يسلبون ديارهم، يأخذون أموالهم، يهتكون أعراضهم إلى آخره، يفسدون أديانهم وأخلاقهم، "**حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا**".

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من

أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى.

قال: "**ورواه البرقاني في صحيحه**" قال البَرقاني، البُرقاني، البِرقاني الباء مثلثة، وبعضهم يقول بالكسر وبالفتح بدون ضمة

وزاد "**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**" يعني الحكام والعلماء، فهؤلاء إذا ضلوا صار شرهم عظيم، لأن الناس تبعا لهم:

- ❑ تبعا لسلاطينهم،
- ❑ وتبعا لعلمائهم،

فإذا أضلوا الناس اتبعهم في الضلال عدد وخلق عظيم إلا من رحم الله.

"**وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة**" يعني السيف فيما بينهم.

يروى عن عثمان رضي الله عنه وأرضاه أنه نصح الذين حاصروه قال: "إذا قتلتموني لن تجتمعوا على راية بعدي أبدا"، أو كلمة نحوها، فلما قتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه حصل شر عظيم، فرقة عظيمة واختلاف كبير وهذه الفرق التي حصلت ونشأت خوارج وشيعة وكذا، وكذا، كلها ما جاءت وظهرت إلا بعد قتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه، فتفرقت القلوب واختلفت الكلمة.

"**ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**" هذا محل الشاهد، "**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي**" يعني قبيلة، "**من أمتي**" يعني بعدما كانوا مسلمين كفروا ولحقوا بالمشركين والعياذ بالله،

"**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**" "فئام" أعداد، الله أعلم بها كم،

- ❍ "**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**" كما قال النبي ﷺ: "**لا تذهب الأيام والليلي حتى تعبد اللات والعزى**".

22 – باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

❍ قال هنا: "**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**"، بل فيه صنم ثالث نص عليه الرسول أنه سيعبد وهو ذو الخلصة: "**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِساءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الخَلَصَةِ**".

فنص النبي ﷺ على جملة من الأصنام التي كانت تعبد في الجاهلية، وقضى عليها الرسول أنها ستعبد مرة أخرى.

"**وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي**" مدعو النبوة كثير، أكثر من ثلاثين لكن نصوا على ثلاثين قالوا المقصود به والله أعلم: الذين لهم قوة وشوكة.

- ❑ أول المتنبئين في هذا الأمة كان **مسيلمة الكذاب** قتله الصحابة بعد النبي ﷺ،
- ❑ **والأسود العنسي** في اليمن وقتله فيروز الديلمي في حياة النبي ﷺ قبل موته بأيام،
- ❑ وادعت النبوة **سَجَاح التميمية** ثم تابت،
- ❑ وادعى النبوة **طُليحة الأَسَدي** ثم تاب الحمد لله،
- ❑ وآخرهم **المسيح الدجال**، كان يزعم الأول أنه نبي ثم يدعي أنه رب العالمين،

وكثير من الناس تدعي النبوة لكن بحكم بالهَلْوسة وخلل في عقولهم، أو باستعمال المخدرات، وهذا كثير، في هذا المسجد قد جاءني ثلاثة كلهم يدعون أنهم أنبياء، لكن كلها أمراض نفسية أو مخدرات أو كذا.

قال: "**وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**" ﷺ، واحد يقول: أنا رسول وأنا لست نبيا، لو قيل له الله يقول: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:40]، قال: قال خاتم النبيين ما قال خاتم الرسل، وأنا ما قلت لكم إني أنا نبي، أنا رسول، الشبهة كيف يضحك بها.

والرد؟ أنه ما يكون رسول حتى يكون نبيا، ينبأ أولا ثم يرسل، يعني يأتيه الوحي أولا صار نبيا، إذا أمر بالبلاغ صار رسولا، فنفي النبوة من باب أولى تكون نفي للرسالة.

22 – باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي" واحد ادعى النبوة وسمى نفسه "لا" ويقول "أنا لا رسول بشَّر بي، الرسول يقول: لا نبيٌّ بعدي"، كذا ينطقها "لا" صار مبتدأ هذا الآن اسم شخص اسمه لا، والخبر نبيٌّ بعدي، هذا من طرائف هؤلاء المدعين للنبوة نسأل الله العافية.

"لا نبي بعدي" واحد سمى نفسه بيانا قال أنه رسول، وأن الله بشَّر به، لأن الله يقول: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:138] تجد في أخبارهم عجائب.

واحد ادعى النبوة في زمن أحد خلفاء بني العباس، يقال له الخليفة "كل نبي له آية وعلامة أنه رسول، فما هي علامتك؟ قال: "علامة نبوتي أن أضرب عنقك بالسيف ثم أحييك مرة أخرى"، عرفتم العلامة هذه كيف.

قال: **"كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي"** فهذا تأكيد لقوله **"خاتم النبيين"** أكدها بقوله **"لا"** لا نافية للجنس، و**"نبيَّ"** منصوبة، لا نقول "لا نبيٌّ"، بل مثل ما نقول لا إلهَ، "لا نبيَّ" اسم لا وخبرها محذوف تقديره كائن "لا نبيَّ كائن بعدي"، أو "لا نبيَّ موجود بعدي" هذا تقدير الكلام.

"ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة" بشارة أن الحق وإن ضعف وإن قل أهله لكن لا يموت لا يفنى، سيبقى موجودا، تقوم طائفة من هذه الأمة، ولو لم يبق إلا واحد، فهو طائفة.

"ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة" بشارة أخرى فهذه الطائفة ستبقى وستبقى أيضا منصورة، منصورة بماذا؟

- **إما بقوة السيف** وهذا أحيانا وأحيانا،
- **وإما بقوة الحجة** وهذا دائما وأبدا ولله الحمد، فهم منصورون بالحجة والبيان دائما وأبدا، وقد يضم الله إلى ذلك نصرهم بقوة السلطان.

"لا يضرهم من خذلهم" يعني سيجد الداعي إلى الله مخذِّلا، المخذِّل ممن ينتسب إليك هذا مخذل:

- تريد تدعوا **يثبِّطك**،

- تريد تدعوا **يخذِّلك**،
- تريد نصرته **يخذِّلك**،

فلا تلتفت لهؤلاء المخذِّلين، إذا عرفت أنك على الحق فاثبت عليه واعمل به وادعوا إليه، ولا تلتفت إلى المثبطين.

"ولا من خالفهم" هذا من غيرهم،

- **فالمخذِّل** قد يكون صاحب سنة معه،
- **والمخالِف** من غير أهل السنة.

"لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله" يعني حتى تأتي الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان.

هنا مسألة وهي أن النبي ﷺ ثبت عنه أنه قال: **"إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ"**.

فهذا الحديث: **"إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ"** قالوا دليل على أنه لن يقع الشرك في هذه الأمة، أيس الشيطان أن يعبده المصلون، الجواب من عدة وجوه:

- **الجواب الأول**: أن يقال: أن قوله **"أيس"** هذا شيء من عند نفسه هو، لما رأى دخول الناس في دين الله أفواجا، ورأى ظهور الإسلام وفتح مكة وما حصل بعدها من الخير وقع في نفسه أن هذه الأمة لن تقع في الشرك مرة أخرى، والشيطان قد يظن شيئا ولا يصيب، هل ظن الشيطان معصوم؟ ليس معصوما، فالأصل هذا مبني على ظن منه، ما قال الرسول "إن الله قد أيَّس الشيطان أن يعبده المصلون" لو قال هكذا كان ثبت الاستدلال به، لكن ما قال الرسول "إن الله قد أيَّس الشيطان" قال: **"إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ"** فأضاف اليأس إليه هو، فهو ليس بمعصوم يظن ويخطأ في ظنه، هذا واحد.

- **الجواب الثاني**: أن يقال "إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ" يعني الصحابة، لأنه متى وقع في قلبه اليأس؟ لما فتحت مكة ورأى الناس دخلوا في دين الله أفواجا، فأيس أن يعود هؤلاء الصحابة إلى الكفر مرة أخرى.
- **الجواب الثالث**: أن الشيطان قد أيس أن تعود هذه الأمة بكمالها إلى ما كانت عليه قبل عهد النبي ﷺ.

هذه ثلاثة أجوبة وكلها أجوبة صحيحة مستقيمة، ويتمشى معها الحديث مع هذه الأحاديث التي فيها الإخبار أن بعض هذه الأمة سيكفر وسيرتد والعياذ بالله على عقبيه فيلحق بالمشركين.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

23 – باب ما جاء في السحر

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

23 – باب ما جاء في السحر (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب ما جاء في السحر**" يعني من الوعيد، والعقوبة في الدنيا والآخرة.

ووجه إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد: أن السحر ينافي التوحيد؛ لأن الله سبحانه وتعالى كفّر السحرة وجعل السحر كفرا:

- وذلك أن السحر لا يتوصل إليه إلا بالشرك بالله سبحانه وتعالى، فلهذا أدخله في كتاب التوحيد،
- وإذا كان السحر مما لا إشراك فيه، كما يقول بعض أهل العلم، فيكون إدخاله من باب بيان صورة من صور ما ينافي كمال التوحيد الواجب.

والسحر في اللغة مأخوذ من السَحَر، وذلك آخر الليل، حينما يبدأ الضوء خفيا، غامضا فسمي السحر بذلك لخفائه وغموضه.

والسحر أدوية وعُقَد يُنفث فيها وكلام يتكلم به يتوصل به الساحر إلى التأثير في المسحور:

- **التأثير في قلبه**، فيحب ما كان يبغض أو يبغض ما كان يحب،
- **والتأثير في عقله** بإصابته بالعَتَه أو الجُنون،
- **والتأثير في بدن** المسحور، إما بالمرض وإما بالقتل والموت.

وقد دل القرآن الكريم على كفر الساحر، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ لماذا كفروا؟ قال: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فكفرهم بتعليم السحر، فمُعلِّم السحر كافر.

﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ﴾ يعني يعلمانهم ما أخذه السحرة عن هاروت وماروت، وبابل مدينة من مدن العراق ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾، أنزلهما الله بالسحر اختبارا وابتلاء، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:102] يعني بتعلم السحر، فدل

هذا الجزء من الآية على أن من تعلم السحر فقد كفر، وفي أول الآية من علَّم السحر فقد كفر، وذلك يدل على أن **السحر** كفر، **وتعلُّمه** كفر، **وتعليمُه** كفر.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة:102]

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ يعني اليهود الذين اشتروا السحر، وكان ثمنه الدين والإيمان والتوحيد، أنت لما تشتري سلعة تدفع ثمنها، ما هو الثمن الذي تدفعه حتى تكون ساحرا؟ دينك، توحيدك، هذا الثمن تدفعه، وتبذله لكي تنال هذه السلعة، فحتى تنال السحر والعياذ بالله لابد أن تبذل دينك، تبذل توحيدك، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾، يعني علم اليهود الذين اشتروا السحر واستعاضوا به عن التوحيد والإيمان.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ يعني من نصيب، ليس لهم حظ في الآخرة من رحمة الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:102]

ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [البقرة:103] يعني بترك وباجتناب السحر لله ﷻ، فدل على أن السحر ينافي الإيمان وينافي التقوى، فهذه الآية تدل من وجوه عديدة على أن:

- ∇ **السحر** كفر،
- ∇ **وتعلمه** كفر،
- ∇ **وتعليمه** كفر،

والسحرة يقرون بأنه لا يمكن أن تنال السحر وتصل إلى السحر حتى تعبد الشياطين، حتى تكفر بالله، فيشترط عليهم أولياؤهم من الشياطين السجود لهم، وتقريب القرابين لهم، والكفر بآيات الله وتلويث المصحف وتنجيس المصحف، والعياذ بالله، حتى يخدموهم بتنفيذ ما يطلب منهم في باب السحر.

والشافعي رحمه الله يقول "إن السحر على ضربين" على نوعين:

- سحر يكون عن **طريق الشياطين** فهذا شرك،
- وسحر يكون عن طريق **تعاطي بعض الأدوية والعقاقير**، يخلط بعض الأخلاط، بعض الأدوية، بعض الأعشاب وغيرها فتؤثر في المسحور.

ولهذا نقول للساحر "بيّنْ لنا سحرك، اشرح لنا سحرك، ما هو؟"، وعلى ضوء شرحه يكون الحكم عليه هل هو كفر أو ليس بكفر، وليس معنى ذلك أن النوع الثاني عند الشافعي جائز:

- لكن **هذا كفر**،
- وهذا **يكون كبيرة** من الكبائر،

هذا كفر وهذا يكون ظلم وعدوان، فيعاقب بالعقوبة المناسبة، ليس المقصود أن النوع الثاني من السحر عند الشافعي أنه جائز.

ومن العلماء يقولون السحر ما دام أنه صار سحرا فهو كفر، وعموما إذا رفع أمر الساحر للقاضي ينبغي أن ينظر في الأصلح، إذا رأى التهاون عند الناس في موضوع السحر أو في موضوع الحيل التي يسموها ألعاب سحرية وكذا، وصار عندهم تساهل؛ فيغلظ العقوبة ولو لم ير أنها تصل إلى حد الشرك الأكبر؛ لأن هذا يجر إلى السحر الآخر، فالنظر في هذا للقاضي ينظر ما هو الأصلح، وأما ما ورد في النصوص، فعامة النصوص على تكفير الساحر بإطلاق.

قال: **"باب ما جاء في السحر" وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾** الضمير يعود إلى اليهود الذين اتخذوا السحر.

﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ يعني من حظ ونصيب من رحمة الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:51].

23 – باب ما جاء في السحر (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾، أيضا هذا من حال كفرة أهل الكتاب، أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت.

ما هو الجبت؟ الجبت تطلق على أشياء كثيرة، مما يكرهها الله ﷻ ويبغضها:

- فتطلق على **السحر**،
- تطلق على **الكهانة**،
- وتطلق على **الكهان**،
- وتطلق على **الشياطين**.

قال عمر: "الجبت السحر، والطاغوت الشيطان"

وهنا عمر رضي الله عنه فسرها ببعض أفرادها، فقال **"الجبت السحر"** يعني فكأنه يقول مِن الجبت السحر.

والطاغوت مشتق من الطغيان، مِنْ "طغى يطغى فهو طاغٍ وهو طاغوت، وهو مجاوزة الحد، **"وكل ما تجاوز به العبد حده فهو طاغوت"**، كما يقول ابن القيم **"من معبود أو متبوع أو مطاع"**، المعبود يكون طاغوت إذا هو دعا الناس إلى عبادة نفسه، أو إذا عبد ورضي بعبادة الناس له وكان طاغوت، أما من عبد وهو غير راضٍ، فهذا لا يدخل في الطاغوت:

- عيسى عليه السلام عُبِد،
- محمد ﷺ عُبِد،
- كثير من الصالحين عبدوا،
- الملائكة عبدت،

لا تسمى طواغيت؛ لأنها لم تأمر ولم ترض، إنما المقصود من دعا الناس إلى عبادة نفسه، أو عبد بدون ما دعا الناس بلسان مقاله ولكن سكت ورضي، فهو أيضا طاغوت.

وهنا عمر رضي الله عنه وأرضاه أيضا فسر الطاغوت ببعض أفراده وهو الشيطان:

- **وإيمانهم بالجبت** يعني عملهم بالسحر،
- **وإيمانهم بالطاغوت** يعني اتباعهم سبيل الشيطان وتركهم ما أنزله الله ﷻ على أنبيائه ورسله.

وقال جابر: "الطواغيت كهان كان ينْزِل عليهم الشيطان، في كل حي واحد".

"**وقال جابر**" يعني ابن عبد الله الصحابي الشهير المعروف.

"**الطواغيت كهان**" جمع كاهن، وهو الذي يدعي علم الغيب، عندنا عراف وعندنا كاهن، معانيهم متقاربة، الكاهن يدعي علم الغيب، العراف يدعي علم الغيب.

"**كهان كان ينزل عليهم الشيطان**" ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء:221] فكانت الشياطين تتنزل على أوليائها، ومر معنا قول سفيان "**ومسترق السمع هكذا**"، فالشيطان يسمع الكلمة من السماء، ويبلغها لمن تحته، ومن تحته يبلغها لمن تحته حتى تصل إلى الكاهن.

قال: "**كهان كان ينزل عليهم الشيطان**" الشيطان هنا في اللفظ مفرد، لكن في المعنى الجمع، تتنزل عليهم الشياطين يعني "**كان ينزل عليهم الشيطان**" يعني جنس، الألف واللام هنا للجنس، يعني كانت تنزل عليهم الشياطين، لأن الذي تنزل على هؤلاء الكهان شياطين كثيرة ليست شيطان واحد،

"**في كل الحي واحد**" الحي هنا بمعنى القبيلة يعني في كل قبيلة واحد، ليس شرطا في كل قبيلة لكن بالمعنى الأعم، الأغلب؛ لأنه في الغالب أن المناطق الواسعة لا تكاد تخلو من وجود كاهن، ومن أشهرهم في التراث العربي واحد يقال له **سَطِيح**، كان موجودا عند بعثة النبي ﷺ.

فالمهم أن الكهان كانوا منتشرين في جزيرة العرب، يزعمون معرفة الغيب، ويتحاكم إليهم الناس ويقضون بينهم، ولا يزال الكهان موجودين إلى هذه اللحظة وللأسف كلما قل العلم وقلت البصيرة وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلما راج سوق الكهانة، وليس كما يقال فقط في البيئات العربية، غير متحضرة وغير متعلمة، الآن نشوف الكهانة على كما قال في الدول المتحضرة قنوات، وبرامج فضائية، ولها ربما مائة الألوف من المتابعين، يتابعون هؤلاء الكهان والعرافين، وبرامج السحر والسحرة.

فالعبرة ليست قضية أنه والله حضارة وبداوة، المسألة علم توحيد وشرك، فإذا قوي نور التوحيد ذهبت واضمحلت هذه المظاهر الشركية، والعكس أيضا بالعكس متى ما ضعفت العناية بالتوحيد والدعوة إليه والتحذير مما يضاده، وتكاسل ولاة الأمور عن تطبيق شرع الله سبحانه وتعالى كلما ظهر السحر والسحرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" يعني التي تكون هي في جانب وأنتم في جانب، ابتعدوا عنها بُعدا تامًّا، هذا معنى **"اجتنبوا"** مأخوذة من الجانب، لتكن هذا في هذا الجانب مثلا وأنتم في الجانب البعيد عنها، لا تفعلوها ولا حتى تقتربوا منها.

"اجتنبوا السبع الموبقات" هل المقصود بالسبع هنا الحصر أن الموبقات هي السبع فقط؟ الجواب: لا، ولهذا قال ابن عباس **"سبع في العدد، وهي إلى السبعين أقرب"**، وبعضهم يقول **"إلى السبعمائة أقرب"**، فليس المقصود بالعدد هنا الحصر، إنما المقصود بالعدد هنا التي سيذكرها النبي ﷺ في هذا السياق، وليس المقصود حصر الكبائر فيها.

والعلماء اعتنوا بالكبائر من باب تحذير الناس وتنبيه الناس، ومن أشهر المؤلفات فيها:

- "**كتاب الكبائر**" للذهبي رحمه الله،

- وكتاب "**الزواجر عن اقتراب الكبائر**" لابن حجر الهيتمي المتأخر فقيه الشافعي الأشعري،
- ومن أشهرها "**كتاب الكبائر**" للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، هو مطبوع، ومطبوع أيضا شرحه للشيخ صالح الفوزان حفظه الله.

فهذه من الكتب الجيدة التي يراجعها طالب العلم، يقرأها مع نفسه، مع أهله، مع زملائه؛ لأن هذه الكبائر ربما إذا غُفِل عن تدارسها، ربما تهاون بها الإنسان ووقع فيها، أيضا في بعضها خفاء؛ لأنه:

- كبائر تكون **بالقلب**،
- كبائر تكون **باللسان**،
- كبائر تكون **بالجوارح**،

ما هي على نوع واحد.

"قال: اجتنبوا السبع الموبقات" يعني المهلكات، تُهلِك صاحبها في نار جهنم،

"قالوا يا رسول الله: وما هن؟" هذه الحكمة من إيراد السؤال حتى يجذب اهتمام السامع المتلقي، ما قال اجتنبوا الشرك والسحر وكذا إلى آخره، إنما مهَّد لهذه المعلومة بالجملة الأولى **"اجتنبوا السبع الموبقات"** حتى يتساءل السامع ما هي؟ ليتهيأ له حفظها، وإتقانها.

"قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله" يعني أن تجعل لله ندا، هذا هو الشرك دعوة غيره معه، تجعل له ندا، تدعوه، ترجوه، تخافه، تستغيث به، ولو لم يخطر في بالك أن هذا الند مساويا لله من كل وجه، يكفي أن تصرف له شيئا من أنواع العبادة حتى يكون ندا.

وهذا قد تقدم مرارا لكن أعيده من باب التأكيد والتنبيه، فالمشركون ما كانوا يزعمون أن آلهتهم في درجة مساوية لله في كل شيء، ولهذا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ فمعنى ذلك أن الله ﷻ عندهم أعلى درجة من أصنامهم.

أيضا مثال أوضح: وقت الشدة يدعون من؟ يدعون الله وحده مخلصين له الدين، أين ذهبت الآلهة الأخرى؟ تركوها؛ لأنهم يعرفون أن الله ﷻ أعلى درجة منها، وما ينفع في هذه اللحظة إلا هو سبحانه وتعالى، فإذًا التسوية ليست من كل وجه، ومع ذلك سُمُّوا الأنداد، والند هو المساوي يعني يكفي تسوية هذه المخلوقات بالله ﷻ في صرف شيء من أنواع العبادة، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:97-98] فجعلوا صرف العبادة لها مع عدم تسويتها بالله في كل شيء جعلوا هذا تسوية،

📖 والله ﷻ يقول: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:22]،

📖 وابن مسعود لما سأل الرسول عن أي الذنب الأعظم؟ قال: **"أن تجعل لله ندا وهو خلقك"**

"والسحر" هذه الكبيرة الثانية وجاء بها بعد الشرك مباشرة؛ لأن السحر أكثره شرك وعلى قول بعض أهل العلم: السحر كله شرك.

قال: **"وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق"** ما هي النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق؟ النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق عندنا نفس المسلم، عندنا استثناء هذا **"إلا بالحق"** هذا في الجميع وهكذا الكافر الذي له عهد، النفس المعصومة نفس المسلم، ونفس الكافر الذي له عَهْدٌ، هذا العهد يختلف يكون عهد ذمة، عهد أمان، مُعاهَد له اصطلاح خاص بمعاهد، بقي عندنا إذًا نفس واحدة غير معصومة وهي نفس من؟ نفس الكافر المحارب فقط.

مرة أخرى النفس التي المعصومة نفس المسلم، نفس الكافر الذي له عهد، يعني الكافر المعاهد، الكافر الذمي، الكافر المستأمَن، هذه صارت عندنا بالتفصيل أربعة أنفس:

- المسلم،
- الذمي،
- المعاهد،
- المستأمن.

يبقى عندنا نفس غير معصومة وهي نفس الكافر المحارِب.

"**قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق**" فكما لا يجوز قتل المسلم بغير حق أيضا لا يجوز قتل الكافر بغير حق.

"**وأكل الربا**" معروف الربا سواء ربا فضل أو ربا نسيئة.

"**وأكل مال اليتيم**" اليتيم في الإنسان من فقد أباه قبل البلوغ، يقول ﷺ: "**لا يُتْمَ بعدَ احتلامٍ**". فإذا بلغ ارتفع عنه وصف اليتم، ونص عليه؛ لأن اليتيم يتجرأ على أكل ماله لضعفه، أبوه مات، فقد يتجرأ عليه متجرأ، يتجرأ عليه أخوه الكبير، يتجرأ عليه عمه، يتجرأ عليه وصيه، يستغل ضعفه وصغره فيستولي على ماله، ومال اليتيم لا يُقرَب إلا بالتي هي أحسن، فيرجع فيها إلى الجهة المختصة بالوصايا على الأيتام وهم يوجهون ماذا يفعل في مال اليتيم، إن كان يتاجر فيه فله كذا وكذا، وإن كان لا يتاجر فيه فينظر في حال غناءه وفقره، المهم الجهة المختصة هي التي تحدد له النسبة التي يأكلها من مال اليتيم.

"**والتولي يوم الزحف**" يعني حينما يلتقي الصفَّان، ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال:45] يجب الثبات عند التقاء الصفين ولا يجوز الفرار؛ لأنه لو فر واحد، لو أبيح الفرار وفر واحد أو اثنان من الجيش، ما الذي سيحصل؟ سيفر الجميع، لأنه كون التفكير هكذا، كأنه تفكير جماعي، الواحد لا يفكر فقط، فإذا فر واحد، اثنان، ثلاثة حتى الشجاع الذي كان في قلبه شجاعة إذا رأى الناس هاربين ماذا سيفعل؟ سيهرب معهم.

فالله عز وجل حرَّم الفرار عند التقاء الصفين حتى لا يتسلط الكفار على المسلمين، وهناك حالة يجوز فيها الفرار وهي إذا كان الكفار أكثر من ضعفي المسلمين، إذا التقى الصفان وتبين أن العدو أكثر من ضعفي المسلمين فيحل لهم الفرار، فإذا كان:

- عدد المسلمين مثلا مائة، وعدد الكفار مائة، هل يجوز الفرار أو لا يجوز؟ لا يجوز،
- عدد المسلمين مائة وعدد الكفار مائتان، هل يجوز الفرار أو لا يجوز؟ لا يجوز،
- عدد المسلمين مائة وعدد الكفار ثلاثمائة، يجوز.

قال ﷺ: "**والتولي يوم الزحف**" فهذا من الكبائر، بل يجب الثبات.

"**وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**" يعني رميها بالزنا هذا معنى القذف، أما الرمي بغير الزنا مثل الرمي بشرب الخمر، أو الرمي بالمباشرة بغير زنا ونحو ذلك فهذه وإن كانت إثما وحراما لكن ليست قذفا شرعيا فيه حد، أما القذف فهو رمي المحصنة وأيضا المسلم العفيف أو المسلمة العفيفة رميهم بالزنا هذا هو القذف، ومن قذف فالحق للمقذوف إن اشتكاه وطلب الحد يجلد المقذوف إن لم يحضر أربعة شهود، فإن لم يحضر أربعة شهود جلد القاذف ثمانين (**80**) جلدة، ثم لا تقبل له شهادة أبدا حتى يموت، ولو تاب وأناب إلى آخره.

لأنهم قالوا: عدم قبول شهادته جزء من الحد، يعني الحد مركب من عقوبتين:

- جلده ثمانين جلدة،
- وألا تقبل شهادته أبدا، هذا قول.

والقول الآخر: أن العقوبة هي الجلد فقط، وأما قبول شهادته في المستقبل فهذا راجع إلى توبته إن تاب وأناب قبلت شهادته في المستقبل، وإذا أبى أن يتوب لم تقبل شهادته.

وقذف الكافر هل فيه حد أو لا؟ لا يوجد الحد، قذف الكافرة؟ لا يوجد الحد، قذف المجاهر بالزنا؟ لا يوجد الحد.

وعن جندب رضي الله عنه مرفوعا: "حد الساحر ضربة بالسيف رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

"**وعن جندب**" جندب هذا جندب بن كعب، وهو مشهور بجندب الخير، وهو غير جندب بن عبد الله البجلي، ولهذا غلطه الطبراني لما أخرج هذا الحديث في مسند جندب بن عبد الله البجلي قالوا "هذا وهم من الطبراني والصواب أنه جندب بن كعب المعروف بجندب الخير".

"**قال: حد الساحر ضربة بالسيف، أو ضربه بالسيف**" ضربة يعني ضربة واحدة أو ضربه بالسيف بالهاء كله الاثنتين صحيحة إن قرأتها ضربه صحيحة، قرأتها ضربة صحيحة، والمقصود قتله بالسيف.

والشارع اختار السيف – والله أعلم – من أجل أنه أسرع في إزهاق الروح، فلا يكون فيه تعذيب لمن يقام عليه الحد، أو يقام عليه القصاص، فهو من باب إحسان القتل حتى يكون أسرع إجهازا على روحه.

"حد السارح ضربه أو ضربة بالسيف" رواه الترمذي، وقال الصحيح أنه موقوف" يعني من كلام جندب، وهذا هو الصحيح الذي رجحه أكثر أهل العلم، أنه موقوف على جندب رضي الله عنه وأرضاه.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبَدة قال: "كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر".

يعني كتب إلى أمراء جنوده في الشام هذا الكتاب، لما فتحوا بلاد الشام، كأنهم وجدوا هناك كثرة السحر والسحرة لما فتحوها، فأرسل عمر يسألونه ربما أرسلوا له، أو ربما عمر ابتدأهم فأمرهم بقتل كل ساحر وساحرة.

وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت

هل في هذه النصوص استتابة أو لا توجد استتابة؟ لا توجد استتابة، **"حد الساحر ضربة بالسيف"** بدون استتابة، عمر كتب: **"اقتلوا كل ساحر وساحرة"** ولم يقل: استتيبوهم، ومن هنا اختلف العلماء هل الساحر يستتاب أو لا يستتاب؟

- ❑ **القول الأول**: فمنهم من قال: **لا يستتاب، بل يقتل مطلقا**؛ لأن المقصود كف شره عن الناس، ولأنه لا يُؤمَن أن يكذب في ادعاء توبته ويعود مرة أخرى إلى الإضرار بالناس، فكان قتله حسما للمادة، وليس معنى قول هؤلاء أنه لو تاب لا تنفعه توبته عند الله، هذا الساحر لو تاب قبل أن يقتل توبة صادقة وتوبة نصوح تنفعه التوبة عند الله ﷻ، لكن هذه التوبة عندهم لا تمنع إقامة الحد عليه، فيقتل.
- ❑ **القول الثاني**: قالوا **تعرض عليه التوبة، فإن تاب ترك**، يعني يعاقب بعقوبة أخرى غير القتل إن رأى ولي الأمر ذلك.

لكن القول الأول – والله أعلم – هو الأنفع للأمة، الأنفع للناس، وهو الذي يتمشى مع ظاهر هذه الأدلة أنه يقتل بكل حال، فإن تاب نفعته توبته عند الله، وإن قتل وهو مصر على ما هو عليه والعياذ بالله كان قتله وهو كافر بالله ﷻ.

كتب عمر بن الخطاب "أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر" يعني نساء.

"وصح عن حفصة رضي الله عنها" بنت عمر أنها كان لها جارية، ماذا فعلت هذه الجارية؟ سحرتها، قال: **"فأمرت بها فقتلت"**، هذا كان في زمن عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

هل لأحد أفراد الرعية أن يقيم الحد؟ الجواب: لا، أمر الحدود إلى ولاة الأمور، كيف حفصة قتلت هذه الجارية وحفصة فرد من أفراد الرعية، لأن ولي الأمر عثمان، فهل يصح هذا أن يجيء واحد يرى ساحرا ويقتله، أو يرى زاني محصن ويقتله، أو كذا لما في هذا الدليل؟ من أحسن الأجوبة: أن هذه الجارية كانت ملكا لحفصة، والنبي ﷺ يقول: **"أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم"**.

فإذًا الحدود إلى ولي الأمر وإذا وقعت الجريمة من مملوكك الذي تملكه ملك يمينك فلك أن تقيم عليه الحد، لأن النبي ﷺ يقول: **"أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم"**، فهذا خاص، هذا استثناء من القاعدة العامة؛ لأن القاعدة العامة أن الحدود إلى السلطان **"فإذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمُشفِّع"** فدل هذا على أن الحدود إلى السلطان هو المسؤول عنها، لكن إذا وقعت الجناية، ووقعت الجريمة من أمتك، من عبدك، من مملوكك فلك أن تقيم عليه الحد.

وحتى هذه المسألة أيضا فيها خلاف هل هي بشكل عام؟

- منهم من يقول: نعم بشكل عام؛ لأن الرسول يقول: **"أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم"** وهذا يشمل كل الحدود،
- ومنهم من يقول: لا، المقصود بالحدود التي ليس فيها إتلاف، ليس فيها قطع مثلا كالسرقة، وليس فيها إزهاق روح مثل السحر أو غيره من الجنايات التي فيها إزهاق للروح.

فالمقصود أن هذا مما يجاب به عن هذه الشبهة، أو يقال أنه مثلا هذا الفرد وإن كانت حفصة من سائر أفراد الرعية لكن مقامها ومكانتها يقطع بأنه مثل هذا العمل لا يترتب عليه شر وفساد؛ لأن الحدود جعلت للسلطان حتى لا يكون فيه ظلم وحيف وتعدٍ، أو يكون فيه نزاعات وشقاق بين أفراد الرعية، يعني مكانة حفصة وكونها أم المؤمنين وعلمها وتقواها وورعها الكل يجزم بأنها لن تقيم هذا الحكم إلا في موضعه الصحيح، وأنه لا يترتب على تنفيذها له ضرر وخطر، أو قد يكون عثمان له أدلة لكن الذي يروى أنه غضب، الشاهد من هذا: أنه ليس فيه حجة على أن أفراد الرعية لهم إقامة الحدود، فحفصة أقامت الحد على ملك يمينها والنبي ﷺ يقول **"أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم"** والحديث في صحيح مسلم.

وكذلك صح عن جندب

"وكذلك صح عن جندب" جندب بن كعب هو نفسه هذا جنب الخير، فقد حضر في مجلس أحد الأمراء، وعند هذا الأمير ساحر ويلبِّس على الناس، أنه يضرب عنق واحد يقول له "قم" فيقوم حيا كأنه يحيي الموتى، فجاء اليوم الثاني جندب هذا ومعه سيف مخبيه وذاك قام الساحر وقتل واحدا وقال "قم فقام" قام كعب وقتله قطع رأسه قال له "قم إن كنت صادقا الآن، إن كنت صادقا أَحْيِ نفسك".

وأخبر عن النبي ﷺ أنه قال: **"حد الساحر ضربة بالسيف"**.

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

"قال أحمد "عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ" عمر، وبنته حفصة، وجندب كلهم أفتوا بقتل الساحر، ونلاحظ أن السحر والسحرة كانوا موجودين في الأزمان الفاضلة:

- وفي زمن سليمان وجد السحر،
- في وجد النبي ﷺ وجد السحر،
- في زمن عمر من الخلفاء الراشدين وجد السحر،

فما الظن بالسحر في هذا الزمان؟ لا شك في وجوده وفي كثرته وانتشاره فالواجب الحذر.

وبعد ذلك من باب التنبيه الآن في مواقع في النت تعلِّم السحر وتبيع كتب السحر وتقدر أن تحمل منها كتب السحر بالمجان، فبعض الشباب المراهق ربما يحب أن يطلع على هذا من باب حب الاطلاع، فيدخل في هذه المواقع ثم ربما والعياذ بالله لا يخرج منها إلا ساحرا مشعوذا.

فأقصد من هذا التنبيه على أبنائنا، على بناتنا، على إخواننا، على أخواتنا بالحذر من السحر، ومن كتب السحر، ومن مواقع السحر، ومن النظر في المقاطع التي تعرض أعمال السحرة، ولو تحت مسمى خفة اليد والألعاب السحرية ونحو ذلك؛ لأن هذا يجرهم إلى شر كبير، الآن تباع في الأسواق تعلم الأطفال الأبناء والبنات يعلمونهم كيف يعملوا الحركات الخداعية هذه التي يسمونها خفة اليد، وهذه تدريب، فيجب مواجهة هذه الأمور، وإنكارها، وتحذير الناس منها.

نختم بمسألة وهي قضية سحر النبي ﷺ، **هل النبي سحر أو ما سحر؟** أهل السنة والجماعة يقرون بأن النبي ﷺ سُحر، والمعتزلة وأصحاب المدارس العقلية ينكرون السحر، ينكرون أن النبي ﷺ سُحر، والأحاديث الصحيحة في أنه سحر.

يقولون أنه لو كان سُحر فهذا يقدح في عصمة الرسول، ويشكِّك في التشريع، ممكن أنه أثناء السحر تلا علينا آيات ليست من القرآن، حلَّل شيئا وليس من الله، حرم شيئا وليس من الله، فهذا يسبب يقول لك للتشكيك في التشريع وفي الدين كله، وهذه شبهة واهية:

- **أولا: النبي ﷺ بَشر** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف:110] فهو بشر يجوع كما يجوع الناس، ويمرض كما يمرض الناس، وينسى كما ينسى الناس، ومات كما مات الناس ﷺ، فما يعرض للبشر يعرض له ﷺ إلا ما استثني.
- **ثانيا: أن هذا السحر قد بيَّن سبحانه وتعالى أنه قد وقع لموسى،** السحرة لما سحروا أعين الناس هل سحروا عين موسى؟ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾، إلى من؟ إلى موسى ﴿مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:66] يعني سِحرهم أثَّر في بصر موسى أو ما أثر؟ أثر، وهذا بنص قرآني، فما المانع أن الرسول يكون سُحر أيضا وموسى نبي، ومحمد نبي ﷺ.

- **ثالثا: أن هذا السحر بُيّنَ نوعه في نفس الحديث،** الحديث الذي أثبت سحر النبي ﷺ بيَّن ما هو ذلك السحر، وهو أنه يخيَّل إليه أنه يأتي أهله ولم يأت أهله، هذا السحر الذي أصيب به النبي ﷺ، فمكث على هذا شهر حتى شفاه الله سبحانه وتعالى بلطف من عنده، فأتاه ملكان وأخبراه بمحل السحر وقرأ عليه جبريل والحمد لله شفاه الله، وأخرجت عقد السحر شيء من شعر النبي ﷺ الذي يسقط منه بعد التمشيط والترجيل، أخذ شيئا من شعراته وربطت في مِشط ونُفث فيها وعُقد فيها عقد سحرية، وخُبّئ في مكان في بئر من آبار المدينة، وأُخرج السحر والحمد لله شفي النبي ﷺ.

- **رابعا:** على فرض تنزلا مع الخصم أن الرسول في أثناء السحر نسب إلى الله شيئا لم يقله الله سبحانه وتعالى، هل هذا نعتبر أنه فسد الدين وانتهى الدين؟ الجواب: لا، لماذا؟ لأنه بعد السحر بعدما شفي عاش مدة ﷺ، فلو فرض أنه أثناء الشهر هذا، أثناء السحر أنه مثلا أدخل في الدين ما ليس منه، ما كان فيه مجال للتصحيح أو لا؟ فيه مجال للتصحيح، النبي ﷺ وهو في كامل وعيه وصحته وعافيته ربما اجتهد في حكم، ويكون هذا الاجتهاد لا يوافق التشريع، فينزل التصحيح من الله سبحانه وتعالى، يأتيه الرجل قال له: **"الشهيد يغفر له كل شيء؟ قال: يغفر له كل شيء، بعد قليل قال له: "إلا الدين حدثني به جبريل آنفا"،** ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة:43] وهكذا.

فالشاهد إذًا أن هذه الشبهة لا تثبت أمام الحجج والبراهين، وقضية أن النبي ﷺ سحر ثابتة في الصحيحين، قضية أن هذا السحر أثَّر على التشريع هذا غير صحيح، فإن السحر إنما كان في موضوع ما يتعلق بإتيانه بأهله، وأيضا قد شفاه الله وعافاه وعاش بعد هذا الشفاء مدة، فلو من باب التنزل أقول لو قُدِّر أنه حصل منه شيء لكان فيه مجال للتصحيح، والتعديل.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

24 – باب بيان شيء من أنواع السحر

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

24 – باب بيان شيء من أنواع السحر (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **"باب بيان شيء من أنواع السحر"**.

تقدم في الدرس الماضي حكم السحر، وما جاء فيه من الوعيد والعقوبات الدنيوية والأخروية، وأن السحر كان موجودا في عهد النبي ﷺ، وفي عهد خلفائه الراشدين، فوجوده في هذا العصر لا يُستنكر، فالواجب على أهل العلم وطلبة العلم أن يجدُّوا ويجتهدوا في تحذير الناس منه، وتنفيرهم عنه، وبيان خطره، وخطر الذهاب إلى أهله حتى يحذروا.

ثم عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب هو **"باب بيان شيء من أنواع السحر"**.

يذكر المؤلف رحمه الله في هذا الباب بعض الصور التي يطلق عليها وتُسمَّى سحرا، وهي تختلف من حيث الحكم:

- فقد يطلق السحر على **السحر المعروف** الكفر الذي فيه استعمال الشياطين، ولا يتوصل إليه إلا بالشرك،
- ويطلق السحر على **أمور محرمة**، كالذي يسحر ببعض الأدوية والعقاقير ونحوها وهذا كما يقول الشافعي رحمه الله: أن هذا النوع من السحر الذي ليس فيه شرك وليس فيه استعانة بالشياطين ولا صرف العبادة لغير الله أن هذا لا يعد كفرا، ولكنه من أنواع الفسوق والكبائر.
- ويطلق السحر على **بعض كبائر الذنوب** كالنميمة وكالطيرة والتشاؤم ونحو ذلك،
- وقد يطلق السحر على **شيء مباح**، حلال،

فهذا الباب مفيد لطالب العلم حتى لا يظن أن كل ما أطلق عليه الشارع سحرا أنه ذلك السحر الذي فيه استعمال الشياطين، أو ذلك السحر المخرج من الملة الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:102].

24 – باب بيان شيء من أنواع السحر (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

ثم قال: "**قال أحمد**" يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

"**حدثنا محمد بن جعفر**" هذا له لقب مشهور به وهو غُنْدر، وغندر هذا في الغالب يروي عن شعبة، فهو من ألزم الناس وألصق الناس بشعبة، وذلك أن شعبة كان زوج أمه، فلازمه عشرين (**20**) سنة.

"**حدثنا عوف**" يعني الأعرابي، معروف من علماء اللغة.

"**حدثنا حيان بن العلاء**" ويقال حيان أبو العلاء.

"**حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه**" يعني قبيصة بن مخارق، **أنه سمع النبي ﷺ يقول**: "**إنّ العيافة، والطَرْق، والطِيَرَة من الجِبت**"

"**إن العيافة**" المقصود بها هنا عيافة الطير، ما معنى عيافة الطير؟

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض.

"**قال عوف**: **العيافة**: **زجر الطير**" يعني واحد مثلا يريد أن يخرج إلى تجارة، يريد أن ينكح امرأة، يريد أن يعمل عملا، فيأتي إلى طير على شجرة، على جدار ثم يزجر هذا الطير بمعنى يثيره ويحركه، يرميه بحصاة أو يصفِّق بيديه أو كذا، فينظر:

- إن طار الطائر **جهة اليمين**، فمعناه أن هذا المشروع مشروع يُمْن وخير وبركة، فيذهب إليه،
- وإن ينطلق هذا الطير إلى **جهة الشمال**، إذاً هذا مبعث للتشاؤم، وأن هذا المشروع مشروع سيء ولا يصلح،
- وإن ذهب **أمام أو خلف** فربما يظهر أنه يعيد الكرة مرة أخرى،

هذا معنى زجر الطير يعني تحريكها بهذا القصد، وهي التي أبدلنا الله ﷻ عنها بالاستخارة والحمد لله.

هذا كما نلاحظ تعلق بالوهم، الطائر لماذا ذهب يمينا؟ لماذا ذهب يسارا؟ هذا مزاجه، الله أعلم لماذا ذهب يمينا أو ذهب شمالا؟ ليس هو الداري عنك ولا عن مشروعك ولا يعرف خطيبتك ولا يعرف ولا شيء مما أنت تتخيل وتظن أنه ذهب يمينا من أجله أو ذهب يسارا من أجله، فهو طير من الطيور، **فالمقصود أن هذا** الزجر من باب التعلق بالوهم، التعلق بالخيال، لا علاقة لا عقلية ولا حسية ولا شرعية بين اتجاه هذا الطير وبين نتيجة العمل الذي ستقوم به.

ولهذا تسمعون كثيرا من العلماء لما يحذر من مظاهر الشرك وكذا، في الغالب يضيفون كلمة الخرافة، الشركيات والخرافيات؛ لأنها أوهام، وكلام باطل، لا حقيقة له:

- لا من جهة **الشرع**،
- ولا من جهة **العقل**،
- ولا من جهة **الحس**،

وهكذا الشيطان يلعب بأوليائه.

"**والطرق: الخط يخط بالأرض**" لأنه الواحد لما يجيء يخط في الأرض كأنه يطرق الأرض.

قال: "**الخط يخط بالأرض**" يعني كان عند الكهان، عند العرافين طريقة يدعون من خلالها معرفة الأمر الغيبي، فذكر بعض أهل العلم أنه يخط خطوطا عشوائية في الأرض بدون عدد معين، ثم يبدأ يمسح اثنين، اثنين، اثنين، اثنين سواء، فمثلا:

- إن بقي خط فردي فهذا العمل جيد، أو أنه سيحصل لك خير،
- وإن بقي مثلا عدد زوجي، شفع، اثنين فهذا العمل ليس بجيد، وهكذا،

هكذا ذكر بعضهم والله أعلم.

وهذا أيضا من التعلق بالأوهام، فإذا كان هذا الكاهن يخبر ببعض المغيبات وتقع، فهو يتلقى عن طريق الشياطين، لكن يجعل هذه الخطوط من باب التمويه؛ لأنه يقول لو الناس عرفوا أنني أتعامل مع الشياطين فلن يأتوا إلي، فهو يوهمهم أنه إنما يطلع على هذه الأشياء عن طريق هذا الخط، وهكذا القراءة في الكف والنظر في الفنجان، ونحوها كل هذا من باب التمويه، فهؤلاء الكهنة إنما يتلقون عن إخوانهم من الشياطين، لكن يوهم أنه يطلع على هذه الأمور من طريق القراءة في الكف، أو الخط في الأرض، أو نحو ذلك.

"والطيرة" الطيرة مصدر على وزن فعلة: تطيَّر طِيَرَةً، تطير تطيرا، فكأنه يقول "والتطير".

التطير التشاؤم بالطير وهذا والله أعلم أعم من العيافة، **العيافة** أن يقصد إلى الطير فيزجرها، يحركها، أما الطيرة فيتشاءم مما يراه أو مما يسمع، فمثلا يمشي وإذا بالطير متجه إلى جهة اليسار، هو ما حرك الطير لكن هو يمشي وإذا الطير متجه إلى جهة اليسار، فإذًا تشاءم، وأعم من ذلك التشاؤم أيضا بغير الطيور تسمى طيرة، تسمى تشاؤم، فصار التطير أعم من جهة أنه يطلق على:

- **التشاؤم بالطيور** سواء زجرها أو لم يزجرها،
- أو **التشاؤم بشكل عام**، وإن لم يكن تشاءم بطير،

مثلا أراد أن يذهب إلى تجارة، يخرج لتجارة، وإذا يسمع واحدا يكلم صديقه، اثنان يتكلمان، يقول "سمعتَ عن فلان، والله غرقت سفينة البضاعة حقه الذي في البحر، سمعتَ فلان مخزنه كله انحرق"، فهذا تطير بهذه الكلمة، ما معنى تطير هنا؟ لا توجد طيور لكن المقصود به تشاءم قال: "أعوذ بالله إذن اليوم لن أعقد الصفقة، ما دام هذه سفينته غرقت، وهذا مخزنه انحرق، وذاك أسهمه خسرت، إذن أعوذ بالله هذا يوم شؤم، لا نعقد ولا صفقة"، فهكذا.

هذا كله **"من الجبت"** يعني من السحر، فهي من أنواع السحر؛ **لأنها تعلق بأشياء خفية**، والسحر الشيء الخفي، فلا علاقة بين العيافة وبين الطرق وبين الطيرة وبين نتائج ما تؤمِّله من هذا العمل الذي ستقدم عليه، لكن الشخص يتوقع أن هناك علاقة خفية:

- **بين هذا الطير** وبين عمله الذي يريد،

- **بين هذه الخطوط** وبين الشيء الذي يريد،
- **بين حركة الطيور**، أو هذا الكلام الذي سمعه وبين نتيجة عمله،

يرى أن فيها علاقة لكن هذه العلاقة خفية؛ فلهذا سميت سحرا.

وهذه الأنواع من أنواع الشرك الأكبر أو الأصغر؟ من أنواع الشرك الأصغر، اللهم إلا في حالة وهي إذا اعتقد أن هذه الأشياء مؤثرة بنفسها، هي تملك التأثير في النفع والضر، فهنا تكون شركا أكبر لكن الغالب عليها أنها من صور الشرك الأصغر.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه سئل عن الخط أنه قيل "أن قوما يخطون؟" فقال: **"كانَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فمَن وافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ"** أو كما قال ﷺ، فدل على أن نبيًّا من الأنبياء السابقين كان يخط في الأرض، ولكن النبي إذا فعل شيئا في الغالب هو يفعل عن طريق الوحي، فهذا خاص بذاك النبي؛ لأنه يتلقاه عن طريق الوحي، أما هؤلاء الكهان والعرافون، فإنهم يخطون من باب الدجل والتمويه.

والجبت: قال الحسن: "رنة الشيطان" إسناده جيد.

ثم فسر الجبت، قال **"الجبت قال الحسن"** يعني البصري

"رنة الشيطان" الرنة الصوت، وأضيفت إلى الشيطان؛ لأنه هو الذي يدعو إليها ويزينها:

- ويدخل في رنة الشيطان **النياحة على الميت**؛ لأن هذا الصوت الذي يزينه ويرغب فيه ويهز إليه هو الشيطان،
- ويدخل فيه أيضا **الغناء**؛ لأنه وحي الشيطان، ويزينه للناس الشيطان،
- **فالأصوات المنكرة** تضاف إلى الشيطان، لأنه هو الذي يزينها للناس ويأمر بها، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء:64] يعني صدهم عن السبيل بما تزينه لهم من الأصوات التي حرمها الله،

فيدخل فيها كل صوت حرمه الله النياحة، والمزامير، وغيرها.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسندِ منه.

ثم قال: **ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه** يعني بدون تفسير عوف وما بعده، وأما عند أحمد المسند يعني الذي هو من كلام النبي ﷺ والتفسير.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد". رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

"**من اقتبس**" يعني طلب والتمس وتعلَّم.

"**شعبة**" يعني حظا ونصيبا.

"**من النجوم**" يعني من علم النجوم.

"**فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**" يعني كل ما تعلم شعبة وازداد شعبة كلما ازداد نصيبه من تعلم السحر والعياذ بالله.

علم النجوم ينقسم إلى قسمين:

❑ **النوع الأول**: علم التسيير: يعني علم سير النجوم وحركة النجوم، دخولها وخروجها، وهذا العلم يراد به معرفة الاستدلال بالنجوم على الأشياء التي تنفر الناس، مثل معرفة الاتجاهات ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:15-16] فكما يُستدل بالجبل وبالأنهار والأودية هذه علامات أرضية، يستدل أيضا بالعلامات العلوية وهي النجوم، فهذه النجوم:

❖ تُعرف بها **الاتجاهات**، وهذا أمر واضح،

❖ كذلك أيضا يعرف بها **مواعيد دخول الفصول** وخروجها،

❖ **مواعيد البذر والزراعة** والأمطار والسيول ونحو ذلك،

فهذا النوع من العلم لا حرج فيه، ففيه مصالح للناس في حركاتهم واتجاهاتهم، في صلاتهم، في قبلتهم، في أسفارهم، ومصالح لهم في زراعتهم ونحو ذلك، هذا النوع الأول وهو كما قلنا جائز ولا حرج فيه.

❑ **النوع الثاني**: **علم التأثير** يعني أن يعتقد أن لحركة النجوم تأثيرا فيما يجري في الأرض من حياة وموت وسعادة وشقاء وغنى وفقر ونحو ذلك، فهذا التنجيم المحرم الذي لا يجوز.

ويدخل فيه الآن المعروف بالأبراج، موجودة للأسف في كثير من الصحف والمجالات وبعض البرامج، فإنه من ولد في برج كذا فطبيعته كذا ومصيره كذا وسيسعد أو سيكون إنسانا مَرِحًا أو سيكون إنسانا سيئا إلى آخره، فهذا العلم المقصود هنا **"من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر"** وهو علم التأثير أن يعتقد أن لهذه النجوم أثرا في حياة الناس، أو موتهم أو سعادتهم، أو شقاوتهم.

وتذكرون لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ والذي صح عن أنس أنه قال: **"لو عاش إبراهيم لكان نبيًّا"**، قالوا هذا له حكم المرفوع للنبي ﷺ، فالمقصود أنه لما مات إبراهيم صادف ذلك اليوم الذي مات فيه كسوف الشمس، فماذا قال الناس؟ "كسفت الشمس لموت إبراهيم" جعلوا علاقة بين كسوفها وبين موت إبراهيم، فقام النبي ﷺ وخطب الناس، وقال: **"إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته"**، ما لها علاقة بموت أحد ولا حياة أحد، وهكذا هذه النجوم بشكل عام لا طلوعها ولا غيابها.

"من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" فإذًا هذا فيه التحذير من علم التنجيم، التنجيم الذي فهمنا معناه وهي أن هذه النجوم تؤثر فيما يقع من الحوادث الأرضية.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه".

"**من عقد عقدة**" ربط ربطة، مثل حبل، مثل شعر، خيوط ونحوها.

"**ثم نفث فيها فقد سحر**" النفث معروف وهو إخراج الهواء من الفم مع شيء خفيف من الريق.

- فعندنا **الَّنفْخُ** وهو الهواء فقط،
- وعندنا **النَّفْثُ** وهو الهواء مع شيء من الريق،
- وعندنا **التُّفَالُ** أو **النُّخَامَة** هذه تكون أغلظ،

"**ثم نفث فيها**" يعني ينفث فيها من أجل السحر "**فقد سحر**".

"**من عقد عقدة ثم نفث فيها**" يعني بقصد السحر، مثلا عندك حبل ربطتَه ثم نفختَ فيه، لكن بقصد أنك رأيت عليه غبارا أو رأيت شيئا، فنفخت من هذه الجهة، **هل يدخل في النهي**؟ لا، إنما المقصود العقدة والنفث التي يراد بها السحر، وهذه كثير ما تستعمل في سحر الصرف والعطف، من أجل أن يمنع رجل من امرأته يعقدون له عُقَدا من أجل أن يحبب هذا الرجل لهذه المرأة يعقد عقدا وهكذا، فكثيرا ما يستعمل هذه العقد تستعمل في هذا الباب للأسف.

"**فقد سحر**" يعني أتى نوعا من أنواع السحر وهذا في الغالب يكون عن طريق استعمال الشياطين، الذي لا يتوصل إليه إلا بالشرك بالله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفاثات يعني اللواتي يعقدن العقد وينفثن فيها، فيكون هذا النفث وهذا الريق خبيثا، تلبس بهذه الروح الشيطانية والعياذ بالله، فيحصل بها التأثير إذا أراد الله ذلك.

وهذا سحر العقد سمعتُ من الشيخ ابن باز رحمه الله أنها تحل ويقرأ عليها، إذا وجد الواحد عقدة، فيفك هذه العقدة ويقرأ عليها المعوذتين وما تيسر من القرآن، فإن هذا يبطل سحره، لكن أنا لا أعرف شيئا في هذا مأثورا، فالله أعلم، هل إذا فكت مجرد الفتح بدون قراءة هل يبطل السحر، أو لابد من القراءة؟ الله أعلم.

وبعض أهل الخبرة في هذا الباب يقول: لا تحرق هذه العقد؛ لأنه أحيانا هؤلاء السحرة يجعلون نظام هذا السحر أنه إذا أُحرق صار قويا جدا تأثيره على المسحور، يقول هذا مجرب؛ لأن تأثيره يكون أشد، فلا يُحرق ولكن تُفك العقد، تحل العقد ولعله إذا قرأ عليها ونفث فيها لعله إن شاء الله يبطل ما فيها.

"**ومن سحر فقد أشرك**" لأنه لا يتوصل إليه إلا بصرف العبادة لغير الله.

"**ومن تعلق شيئا وكل إليه**" "تعلق" يعني علَّق شيئا بقصد جلب الخير أو دفع الشر، كتعليق التمائم، تعليق الحروز، تعليق العين الزرقاء، تعليق رأس غزال، تعليق جلد ذئب، الناس يعلقون أشياء كثيرة بحسب اعتقاداتهم.

وكذلك أيضا التعلق يكون تعلق بالقلب بدون تعليق شيء حسي، يتعلق قلبه بفلان من الناس أن هذا إذا رفع أمره إليه وحاجته إليه أنها مقضية ولابد، ليس كذلك، هذا المخلوق وإن كان مَلِكا، وإن كان وزيرا، وإن كان أميرا، وإن كان مسئولا، وإن كان من كان هو سبب من الأسباب، قد ينفع بإذن الله وقد لا ينفعك بشيء، إذا لم يقدر الله النفع على يديه، فإذًا علِّق قلبك بمن؟ بالله ﷻ، هو الذي بيده مقاليد كل شيء، هو الذي بيده النفع والضر، بيده تدبير الأمر كله ﷻ، فلا تعلق قلبك بغير الله ﷻ، فإذا التفت بقلبك إلى غير الله وكلك الله إلى ذلك الشيء، وذلك الشيء ضعيف فقير لا يغني، ولا يملك لنفسه فضلا عن غيره.

كثير من الناس يتعلقون بالأولياء، هذا الولي هل استطاع أن يدفع عن نفسه المرض الذي مات به؟ هل استطاع أن يدفع عن نفسه الموت لما نزل به؟ ما استطاع، هذا الولي كان يموت له أطفال، يموت له أحباب، تحصل له أشياء ما كان على خلاف ما يريد، ما كان لما كان حيا يستطيع أن يدفعها عن نفسها، إذن كيف بعدما مات تريده أن ينفعك، هو لا يدفع عن نفسه شيئا، فكيف ترجو وتبغي منه أن ينفعك، يجلب لك الخير ويدفع عنك الضر، فهذا كله من تلاعب الشيطان بأوليائه والعياذ بالله.

"**من تعلق شيئا وكل إليه**" إذًا علق قلبك بالله، فهو الذي ينفعك ﷻ.

ومحل الشاهد من الحديث أن عقد العقد بقصد الصرف أو العطف أو غير ذلك أن هذا من السحر.

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: "أَلَا هل أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هي النَّمِيمة القالة بين الناس" رواه مسلم.

"**وعن ابن مسعود**" هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، توفي سنة اثنين وثلاثين (**32**).

قال ﷺ: **"أَلاَ هل أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ"** العضه **القطع** في اللغة، والعضه في اللغة **التفريق**، كلها معانيها واحد، متقارب جدا؛ لأنك إذا فرّقتَ بين الناس فقد قطعت ما بينهم.

"أَلاَ هل أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ" أي أخبركم، بدأها بصيغة استفهام: **"ألا هل"** استفهام وتنبيه، **لماذا ابتدأ المعلومة بهذا السؤال؟** حتى يشوق السامع إلى الجواب.

ومن حكمة الله ﷻ أنه جعل الإنسان بطبعه يحب التعلم، يحب الاستطلاع، فهذه فطرة في الإنسان ومن هذه الفطرة وبسببها صار الإنسان يتعلم، أنت الآن انظر إلى الطفل الصغير، كل ما تعطيه حاجة مباشرة يذهب بها إلى فمه يلعقها بلسانه، لماذا؟ لأن هذه وسيلة التعرف عنده، يمسك مثلا النظارة مباشرة إلى فمه، ليس من أجل أن يمصها ويأكلها ويشرب، لكن هو يتعرف على الشيء بهذه الطريقة الآن، يميز هذا رطب وهذا يابس وهذا حار وهذا كذا، المهم أنه يبدأ يتعرف.

فهذه فطرة في الإنسان أنه يحب أن يتعلم ولهذا الشخص لما تقول له "أنت جاهل" يزعل ويغضب، حتى لو كان هو فعلا جاهلا، لا يعرف هذا الشيء، فهذه غريزة في الناس يأنفون الجهل ويحبون التعلم، بغض النظر عن نوع هذا التعلم، لكن هو بطبيعته يحب أن يتعلم، يحب أن يتطلع، يحب أن يكتشف، يحب، ويحب، فلما تجيء تسأله هل تعرف كذا، تقول: "هل تدرون الذي في جيبي؟، كل واحد يتمنى أن يعرف ماذا الذي في جيبي، فهذا فيه تشويق، لماذا؟ لأنها تُحرِّك هذه الغريزة الذي في الإنسان وهي حب الاستطلاع.

فالنبي ﷺ استغل هذا الجانب وهو الذي بعث ربه معلما ﷺ، فاستغل هذا الأمر، فكان يسأل **"أتدرون ما المفلس"**، تدرون ما كذا، بإمكانه يعطيهم المعلومة مباشرة، لكن يريد أن تكون المعلومة تتلقى باهتمام.

"ألا هل أنبئكم ما العضه" طبعا الجواب التلقائي سيكون "بلى أو علِّمْنا أو أخبرْنا" **"هي النميمة القالة بين الناس"**.

النميمة نقل الحديث من شخص إلى شخص بقصد الإفساد، أما نقل الكلام من شخص إلى شخص بقصد الإصلاح فهذا عمل طيب، حتى لو كان كذبا إذا كان بقصد الإصلاح ليس فيه شيء.

🕮 وقد ورد في النميمة وعيد شديد، منها حديث حذيفة: **"لا يدخل الجنة قَتَّات"** ما معنى قتات؟ يعني نمام، وفي الرواية الأخرى: **"لا يدخل الجنة نمام"،** فالقتات هو النمام.

🕮 أيضا ورد فيها حديث ابن عباس "مر رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: **"أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه لكبير"،** ما هما الأمران؟ **"أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله".**

فأخبر النبي ﷺ أن النميمة من أسباب دخول النار، وعدم دخول الجنة **"لا يدخل الجنة قتات"،** وأنها من أسباب عذاب القبر والعياذ بالله.

"لا يدخل الجنات قتات" يعني هو مخلد في النار هل هذا المعنى؟ أولا هذا من نصوص الوعيد، فأنت لما تخطب الناس وتحذر الناس من النميمة الأحسن ألا تشرح لهم الحديث، لماذا لا أشرح لهم الحديث؟ حتى يبقى وقع في النفوس مرعب ومخيف، لكن لو جئت قلت لهم "لا يدخل الجنة نمام، ترى ليس معناه أنه لا يدخل الجنة، بل مصيره للجنة، وإذا دخل الجنة يجد فيها أنواع النعيم واللذائذ مثله مثل غيره لكن المقصود أنه أول شيء يعذب وبعد ذلك يدخل الجنة ويمكن الله ﷻ يعفو عنه؛ لأن الله يقول: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾" الآن ماذا صار على النص هذا؟ مثلا كان عندك سكين فأتلفت الحد حقه، صار عاديا ما صار له تأثير قاطع، فأنت هنا الآن هوّنت هذه القضية، بل قصد الشرع هنا يرعب ويخيف الناس حتى لا يقعوا في هذه المعصية، لكن لو جئنا عند ناس وعندهم فكر خوارج ويكفرون الناس بهذه الكبائر، هنا لازم يوضح، ما معناه الدخول هنا، ما معناه النفي هنا، ما معناه كذا وما معناه كذا.

"فلكل مقام مقال" كما يقال، فلما نجيء عند العوام نبغي نحذرهم نقول "اسمع ماذا يقول النبي ﷺ: **"لا يدخل الجنة قتات"** أيكم يحب أن يحرم الجنة، فلا يدخل الجنة" هنا يؤدي هذا الحديث وأمثاله من نصوص الوعيد يؤدي تأثيره الجيد.

والداعي يكون حكيما، يقدِّر الأمور بقدرها:

- إن جاءك واحد نمام فيما مضى وجاءك تائبا ونادما يسأل عما فعل، قال "أنا قد فرقت بين فلان وفلانة، كنت فرقت بين فلان وزوجته فلانة، وفرقت بين فلان وأبيه، وأنا مبتلى بهذه الخصلة، ما

أكاد أجلس بين اثنين إلا وأفرق بينهم ماذا أفعل؟" فهنا تقول له "**لا يدخل الجنة نمام**"، والرسول مر على قبرين، وهو عارف أنه غلطان وعارف أنه وقع في مشكلة ومصيبة، لكن يريد الخلاص منها، **هنا تفتح له باب الأمل وباب الرجاء في فضل الله**، وتذكره بالتوبة والإنابة إلى آخره،

- وجاءك قال لك أنا في النار؛ لأن الرسول يقول: "**لا يدخل الجنة نمام**"، فهنا تبين له وتوضح له،

فالشاهد أن مثل هذه النصوص ينبغي أن تبقى على ظاهرها قدر الإمكان حتى تؤدي دورها في التخويف والترهيب ومنع الناس عن هذه الجريمة المنكرة.

"**القالة بين الناس**" يعني نقل الكلام على سبيل الإفساد.

نقل الكلام السيء إلى الجهات المختصة المعنية لكف شر هذا الشخص، هل هذا من النميمة؟ لا، فإن هذا من باب النصح للمسلمين، سمعت اثنين يتآمران، يحسبان أن ما أحد عندهم، أو يظنونك نائما وأنت صاحٍ، فأخذ يتآمران "نذهب لفلان ونقتله، نذهب إلى محل فلان ونسرقه" فأنت تخاف أن تواجههم بهذا الأمر، ربما يقتلك، فهل يجوز تذهب للشخص تقول "ترى فلان وفلان يتآمران عليك يريدان قتلك فخذ حذرك وانتبه" هل هذه من النميمة؟ لا، هذا من النصح.

هكذا سمعت من يخطط أو عرفت من يخطط للقيام بعمليات إرهاب وتفجيرات واغتيالات وغيره، تذهب وتبلغ الجهات المختصة في الدولة، هذا ليس من النميمة في شيء، بل هذا من التعاون على البر والتقوى ومن النصح لأئمة المسلمين وعامتهم، **والدليل على ذلك**: أن بعض الصحابة كان يسمع كلام من المنافقين ويرفعه إلى النبي ﷺ، والرسول لا يلوم هذا الذي يبلغه، يبلغه بكلام سيء ينبئ عن نفاق هذا الشخص، فيبلغ الرسول ﷺ، فالنبي ﷺ يعامل هذا الشخص بمقتضى هذا الكلام يستدعيه، يستحضره، ويناقشه فيما بلغه عنه.

ولا يمس هذا المبلغ بشعرة؛ لأن هذا باعثه النصح للمسلمين، فهذا في الظاهر أنه مسلم مثله مثل المسلمين، لكن ما دام طلعت منه هذه الكلمة:

- معناه أنه منافق،

- معناه أنه عدو من الداخل،
- معناه أنه خطره أشد من خطر المشرك الصريح العلني، ذاك يتقى شره لكن هذا صعب أن يتقى،

فهذه الكلمة فيها مصلحة للمسلمين.

ولما بلغ الرسول بكلمة الركب الذين في غزوة تبوك: **"ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطون، ولا أكذب ألسن، ولا أجبن عند اللقاء"**، فذهب الصحابي وبلغ النبي ﷺ، وجاء الوحي بتصديق كلام ذاك الصحابي، وتوبيخ هؤلاء وبيان أنهم كفروا بعد إيمانهم، وما مست تلك الآيات ذلك الصحابي المبلغ بشيء، لا لوما ولا توبيخا ولا عتابا، فالشاهد أنه لابد من التفريق بين الأمرين:

- بين نقل الكلام الذي **يراد به الإفساد**،
- وبين نقل الكلام الذي **يراد به الإصلاح**.

فالأول حرام والثاني مشروع قد يكون مستحبا، وقد يكون واجبا على حسب الحال.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "إن من البيان لسحرا".

ثم قال: **"ولهما"** يعني البخاري ومسلم،

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "إن من البيان لسحرا"

"البيان" الإفصاح عما في النفس، يسمى إعرابا، يسمى إفصاحا، يسمى بيانا، كلها تؤدي تقريبا المعنى، وهذا البيان الذي عن طريق اللسان نعمة من نعم الله ﷻ على الإنسان ولهذا امتن الله ﷻ به، فقال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:1-4] هذا في سياق الامتنان، فهذه نعم عظيمة وجليلة، ومنها نعمة البيان، فأنت تعرب عما في نفسك بأسهل الأسلوب وأسهل الوسيلة، جعل الله لك لسانا وشفتين تنطق بهما، حركة صغيرة لا تكلفك شيء تُنبئ عن كثير من المعاني التي في نفسك.

انظر إلى من حرم هذه النعمة لا يستطيع أن يتكلم، كيف يعبر:

∇ مثلا **بلغة الإشارة** هذا الذي يتعلم منهم لغة الإشارة، يتحرك حركات كثيرة جدا من أجل أن يوصلك معنى جملة من كلمتين يمكن، وعنده معاني في صدره لكن لا يقدر أن يطلعها، لا يقدر أن يعبر عنها،

∇ شخص نسأل الله العافية مثلا **مصاب بجلطة** أو شيء تعطل عنده نعمة اللسان، تجيء تكلمه في الغالب ما يجيبك إلا بدموعه حزن على حاله وكذا أنه لا يقدر أن يتكلم، فالشاهد أن هذه نعمة عظيمة، نعمة جليلة نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ عليها.

هذه نعمة البيان قال عنها الرسول ﷺ: **"إن من البيان لسحر"** على سبيل الذم، أو على سبيل المدح وهل كل البيان أو بعضه؟ لا، أول شيء الرسول قال **"إن من البيان"** يعني بعض البيان:

لأنه يوجد **بيان عادي** كما يقال، لا توجد صور جمالية وكذا، واحد سألني، قال لي "ما هذا؟" قلت "هذا كتاب، ما هذا؟ هذا ماء، أنت أين؟ أنا في الغرفة"، أنا أبنتُ عما في النفس، لكن هل هذا البيان يجعل الناس تطرب؟ لا، كلام عادي جدا، البيان العادي.

لما يجيء واحد شاعر، يأتي واحد بليغ، يأتي واحد متكلم، ويصوغ هذه المعاني بأساليب مذهلة يجعل كل واحد يقول "إن شاء الله هذا لا يسكت" من حلاوة كلامه وجمال أسلوبه، هذا البيان الذي يسمى سحرا، **لماذا سحر؟** لأنه فيه تأثير في النفوس، يأتي لشخص مثلا مشكلة عائلية واحد يقول "والله لأطلق فلانة ومطلقة، مطلقة، لو تجتمع الدنيا كلها لن أتراجع عن قراري هذا"، ويأتي واحد ما شاء الله معسول الكلام، معسول اللسان، ويبدأ يحل صواميل هذه ومساميره ويطفأ غضبه، ويقلب حاله من ذاك الغضب والزعل والانفجار إلى شيء والرجل يضحك، وغيَّر كلامه وغير موقفه بعد قليل إلا وهو يمكن يذهب سوق الورد والهدايا يشتري لزوجته هدية، أين ذهب ذاك التهديد والوعيد والإرعاد والإثبات كله ذهب، بماذا ذهب؟ بحلاوة الأسلوب، فهو يغير مواقف الناس:

- كنت مصمما على فعل شيء يخليك **تتركه**،
- كنت مصمما على ترك شيء يخليك **تفعله**،

- كنت معجبا بذاك الشيء خلاك **تكرهه**،
- كنت تكره ذاك الشيء خلاك **تحبه**، وهكذا.

فالبيان له تأثير عظيم، له أثر بالغ، **وهو على قسمين**:

- ❑ فيه شيء منه **فطرة من الله**،
- ❑ وفيه شيء يكون **بالاكتساب**، بالصنعة،

فالمقصود بالسحر هنا البيان الذي البيان غير العادي، البيان الذي يخلب الألباب، ويجذب الأسماع، ويؤثر في النفوس.

هل هذا النوع من البيان ممدوح أو مذموم؟ على حسب ما يستعمل في هذا البيان، لا نقول محمودا ولا نقول مذموما:

- ❑ **إن استعمل هذا البيان في نصر الحق** وإبانة الحق والدعوة للخير والحث على الخير، فهذا بيان ممدوح أو محمود،
- ❑ **وإذا استعملت هذه الفصاحة في تقرير عقيدة الخوارج**، في تقرير عقيدة الأشاعرة، في تقرير التصوف وهكذا، صار البيان مذموما، إذا كان لتزيين الباطل وتقبيح الحق فهذا بيان مذموم.

وكثير من دعاة السوء تكون عندهم ألسن وأقلام جميلة، وهذه لا عجب فيه فالله قال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون:4] يعني يخلبون السمع، يجذبون السمع بحسن المنطق، ولهذا يقول ﷺ: "**أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان**" عِلْمه في لسانه، عنده حلاوة في لسانه، يحسن استعمال الآيات والأحاديث، وكذا، لكن في تزيين الباطل والتلبيس على الناس بها.

فالبيان وإن كان هو في الأصل صفة كمال، وصفة طيبة، محمودة يحمد بها الناس، لكن لا تُحمد الحمد الصحيح إلا إذا استعملت في إظهار الحق وإبطال الباطل وإلا كانت وبالا على صاحبها.

ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه كان فصيحا، وكان صاحب بيان، ذكروا في سيرته أنه كان في قضية صعبة جدا، عسيرة جدا عند عثمان وكل من كلمه فيها ما وُفِّقوا لما أرادوا حتى دخل عليه ابن عباس، فما زال يكلمه ويكلمه ويكلمه حتى أقنع عثمان وكانت حاجة صعبة جدا، ولهذا كانوا يمدحونه، مدحه **حسان بن ثابت** يقول حسان فيه: " **إذا قالَ لَم يَترُك مَقالاً لِقائِلٍ**" إذا تكلم في موضوع ما عاد يخلي لأحد بعده مجال للكلام، يستوفي أطراف الموضوع كلها،

إِذا قالَ لَم يَترُك مَقالاً لِقائِلٍ *** بِمُلتَقَطاتٍ لا تَرى بَينَها فَصلا**

بأن يختار من الكلمات التي لا ترى في أعطافها، في أطرافها، في أبساطها كلام لغو، بل كلام كله جيد كلام كله محكم.

ثم يقول:

كَفى وَشَفى ما في النُفوسِ فَلَم يَدَع *** لِذي إِربَةٍ في القَولِ جَدّاً وَلا هَزلا**

"**كَفى**" يعني كفى الموضوع حقه، أعطاه حقه بالتمام والكمال، **وَشَفى ما في النُفوسِ فَلَم يَدَع لِذي إِربَةٍ في القَولِ جَدّاً وَلا هَزلا**" يعني يكفي في الموضوع تماما، ويشفي ما في النفوس حول هذه القضية حتى لو جاء واحد يتكلم بعده ويعقب عليه جاد أو هازل ما عاد يجد مجالا.

ولما حصروا عثمان خطب الناس في عرفة، فسر فيها سورة النور، قالوا "**خطب خطبة لو سمعها العرب، والعجم، والديلم، وكذا، وكذا لأسلموا عن بكرة أبيهم**"، فالشاهد: أنه كان فصيحا وبليغا ويمدح بهذا الشيء، ولكن ابن عباس كان يستعمل هذه الفصاحة وهذا البيان في الخير.

لما قدم **الأحنف بن قيس** أحد سادات العرب، قدم على عمر رضي الله عنه وأرضاه، فعمر رأى فصاحة نادرة عند الأحنف، رأى عقلا كبيرا جدا عند الأحنف، وعمر يخاف من قضية لما يكون شخص منافق ولكن علمه في لسانه، فحبس عنده الأحنف **سنة كاملة**، خلاه في المدينة عنده، ما أذن له أن يرجع إلى بلده ويرحل هنا وهناك، خلاه سنة تحت المراقبة، طبعا ما أخبره، يتأمل حاله ويدرس حاله ومدخله ومخرجه وكذا

وكذا، ثم بعد سنة أخبره إنه تمهل في أمره حتى ينظر؛ لأنه يخاف على هذه الأمة المنافق عليم اللسان، قال: **"بلوناك فوجدنا علانية حسنة، وإني أرجو أن تكون سريرتك أيضا حسنة"**.

فالمقصود أن البيان وإن كان هو نعمة من الله ﷻ، لكن مثله مثل باقي النعم إن استعمل في الخير كان محمودا، وإن استعمل في الشر كان مذموما.

وهذا الحديث بخصوصه اختلف الناس فيه، **هل المراد به الحمد أو المراد به الذم؟** هل تشبيه الرسول البيان بالسحر هل المقصود به السحر الذي هو عمل الشياطين، وبالتالي يكون السحر هنا مذموما، أو المراد أن من البيان لسحر بمعنى له تأثير خفي على النفوس، وهنا لا يكون للذم.

ما القصة التي جاء بسببها الحديث؟ أن رجلين من أهل المشرق جاءوا إلى النبي ﷺ وخطبا بين يديه، فأبانا وأفصحا وتكلما بكلام، فأعجب الناس بيانهما، فقال ﷺ: **"إن من البيان لسحرا"**

هذا القدر من الحديث هذه القصة وهذا الحديث هل يفهم منها الذم أو الحمد؟ الذي يظهر الحمد، وأنه مدحهم بهذه الخصلة، لو كان الكلام الذي قالوا باطلا لأوقفهم وأنكر عليهم وصحح الباطل الذي ذكروه، لكن ما نقل هذا الشيء في الحديث.

فعموما الحديث لا يؤخذ منه ذم البيان مطلقا ولا حمد البيان مطلقا، وإنما ينظر في موضوع هذا البيان:

- ❑ **إن استعمل في الخير** فبها ونعمة، فهو بيان محمود، ويجرأ عليه صاحبه،
- ❑ **وإن كان مستعملا في الباطل**، فهذا بيان مذموم،
- ❑ **وإن كان لا حق فيه** يعني لا إحقاق حق ولا إبطال باطل، الكلام عادي، فهذا أقل ما فيه أنه نعمة مهدرة أهدرت واستعملت في غير مصلحة وفائدة.

أيضا يوجد حديث آخر حديث أبي بن كعب هو غير موجود هنا، الذي فيه قول النبي ﷺ: **"إن من الشعر لحِكمة"** وهذا الحديث أيضا فيه بيان أن الشعر منه ما هو حكمة كما أن من الشعر ما هو لغو ومذموم حسب موضوع الشعر، إن كان مشتمل على أمثال وحكم:

- **مثل لامية ابن الوردي**، فهذه القصيدة وأمثالها مشتملة على الحكم، هذا الذي يدخل في قوله ﷺ: "إن من الشعر لحكمة"،
- **مثل كثير من أبيات زهير** في لاميته فيها حِكم، وغيرها من قصائد العرب،
- **لامية العرب للشنفرى** فيها أيضا أبيات الحث على مكارم الأخلاق،

المقصود أن الشعر فيه حكم يحث على مكارم الأخلاق، على الكرم، على الشجاعة، على العفة، شاعر في الجاهلية يقول:

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي *** حَتّى يُواري جارَتي مَأواها**

ويقول أيضا هو نفسه:

سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إِسقاطَهُ ** فَتَناوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنا بِاليَدِ**

يعني البيت يصف حال امرأة في الجاهلية، أنها كانت تمشي أمام رجال وسقط الخمار من وجهها بالهواء من غير إرادة، فماذا فعلت؟ تناولت الخمار بيد وغطت وجهها عن الرجال الحاضرين باليد، فمثل هذا البيت فيه الحث على العفة، وعلى الحشمة، وعلى تستر المرأة عن الرجال الأجانب، فهذا من جملة الأبيات:

وَإِن مُدَّتِ الأَيدي إِلى الزادِ لَم أَكنُ *** بِأَعجَلِهِم إِذ أَجشَعُ القَومِ أَعجَلُ**

هذا في لامية الشنفرى، فالمقصود أن من الشعر ذي حكم:

- إما شعر يحثك على **الكرم**،
- أو شعر يحثك على **الشجاعة**،
- أو شعر يحثك على **العفة**، ونحو ذلك،
- أو شعر يعلمك **العلوم الشرعية** مثل المنظومات هي تسمى شعرا يعني مجازا، وإلا هو في الأصل لا توجد فيه الجوانب الموجودة في الشاعر، هي معلومات لكن مركبة بأوزان وقوافي، فهذا أيضا من

القسم المحمود، منظومة في العقيدة، منظومة في النحو، منظومة في التاريخ، ونحو ذلك، هذا أيضا يدخل في قوله ﷺ: **"إن من الشعر لحكمة"**.

نعود بسرعة لهذا الباب من جديد وننظر إلى أنواع السحر الموجودة فيه:

- **العيافة** سحر، وهي شرك أصغر،
- **الطرق** شرك أصغر،
- **الطيرة** شرك أصغر،
- معنى **رنة الشيطان** يعني صوت الشيطان، المقصود به النياحة والمزامير.

الأصل في هذه الأشياء أنها شرك أصغر، لكن إذا صارت الطيرة أو الطرق أو كذا أن يعتقد فيها بنفسه أنها المؤثرة صار شركا أكبر، أو كانت باستعمال الشياطين مثل الخط في الأرض فهذا يكون شركا أكبر.

"اقتبس شعبة من النجوم" أي نوع من أنواع النجوم؟ علم التأثير،

"عقد عقدة ثم نفث فيها" يعني بقصد السحر، أشرك شركا أكبر؛ لأن هذا ما يتوصل إليها إلا بالشياطين.

"هل أنبئكم ما العضه؟ النميمة" هذا سحر، يعني أطلق السحر على كبيرة من كبائر الذنوب وهي النميمة،

"إن من البيان لسحرا" تفصيل:

- قد يطلق السحر على هنا **شيء حلال**،
- وقد يطلق السحر هنا على **شيء مشروع** وهو نصر الحق بالأسلوب الجميل،
- وقد يطلق السحر على **الكلام المذموم**.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

25 – باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

25 – باب ما جاء في الكهان ونحوهم. (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: **"باب ما جاء في الكهان ونحوهم"**.

هذا الباب عقب به المؤلف بابين يتعلقان بالسحر، وذلك أن الكهانة فيها مشابهة للسحر من جهة أن الساحر يستعين بالجن، والشياطين، وهكذا أيضا الكاهن، الأصل أنه يستعين بالشياطين للدلالة على ما يسأل عنه من الأمور المغيبة.

وقد تقدم أن الشياطين يصعد بعضهم فوق بعض فيسترقون السمع من السماء، يسترقون الكلام الذي قضاه الله ﷻ، فيبلغون ما يسمعونه للكاهن، والكاهن يخبر بما بلغه به هذا الشيطان، ويزيد على هذا الحق الذي سمعه كذبا كثيرا.

فالمقصود أن مناسبة ذكر باب الكهانة بعد البابين المتعلقين بالسحر أن كلا من الساحر والكاهن الأصل أنه يستعين على باطله بالشياطين والجن.

وكانت الكهان تكثر عند العرب في الجاهلية، وكانوا محل توقير وتعظيم، يسألونهم عن أمر الغيب، يتحاكمون إليهم عند الخصومات، ومقابل هذه الحكومات وهذه الخصومات إليهم يعطونهم المال والشيء الكثير، وكانوا محل تعظيم وتوقير، ولما جاء الإسلام نهى عن إتيانهم وحرّم سؤالهم، وأمر باحتقارهم، وعدم الالتفات إليهم، وفي صحيح مسلم **"أن النبي ﷺ سئل عن الكهان؟ فقال: ليسوا بشيء"**، وذلك إماتة لشأنهم، واحتقارا لهم، ونهيا عما كانوا عليه من تعظيمهم.

والكهانة مفسدة للعقيدة، وذلك أن الكاهن يدعي مشاركة الله ﷻ بصفة من صفاته وهي علم الغيب، فعلم الغيب خاص بالله سبحانه، وهذا الكاهن يدعي مشاركة الله في هذه الصفة، فإذا اعتقدتَ أن الكاهن هذا يعلم الغيب فقد جعلتَه شريكا مع الله في صفة من صفاته، وذلك هو الشرك في الصفات.

فالواجب الحذر من الكهان، والحذر ممن يتشبه بالكهان ممن سيأتي ذكرهم إن شاء الله، والكهانة موجود اليوم بعصرنا الحاضر، يهتم بها كثير من الناس، ويحتفل بها كثير من الناس، بأسماء متعددة متنوعة ولأغراض

مختلفة، فتعقد لهم برامج في القنوات الفضائية ويخبرون في مطلع كل سنة ما يسمون بالسنة الميلادية، يستضيفون أشخاصا رجالا أو نساء، ويتحدثون عما سيكون في هذه السنة الجديدة من حروب، ومن سِلم، وغير ذلك، ولهم للأسف متابعون ومصدّقِون.

وهكذا يدخل في هذا علم الأبراج الذي يوجد في بعض المجلات وغيرها، فيطلع فيها الشخص وينظر ما الذي سيحصل له في المستقبل بناء على البرج الذي يتعبه ونحو ذلك.

هذا كله داخل في هذا الباب وهذه الأمور تفيدنا ضرورة الحرص على تعليم الناس مسائل التوحيد بشكل عام، وعلى ضرورة تعليم الناس هذا الكتاب، فهذا الكتاب يعالج كثيرا من المشاكل العقدية المنتشرة بين عوام المسلمين، وحتى خواص الناس، أقصد ممن لهم عناية دينية أو مناصب دينية، فإنهم وإن كانوا يحملون كثيرا من الشهادات الشرعية إلا أنهم يجهلون كثيرا من أصول التوحيد وكثيرا من مسائله .

فهذا الكتاب ينبغي لطلبة العلم أن يحرصوا على العناية به، وعلى تدريسه، في مساجدهم، في قراهم، في مدنهم، مع أهاليهم لعظم الحاجة إليه، الذي عنده علم يتذكر ويزداد تثبيتا ورسوخا والذي يجهل يستفيد.

قال رحمه الله: "**ما جاء في الكهان ونحوهم**" يعني ممن سيذكره كالعراف، والرمَّال، والمنجِّم كل هؤلاء يدخلون في الكهان من جهة.

وقوله: "**ما جاء في الكهان ونحوهم**" يعني من الوعيد؛ لأن إتيانهم منكر عظيم توعد الله سبحانه وتعالى عليه بالوعيد الشديد.

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما".

"**قال: روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي ﷺ**" هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل.

25 – باب ما جاء في الكهان ونحوهم. (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**من أتى عرافا**" العراف هو الكاهن، الكاهن هو العراف، وعند التدقيق أكثر يكون العراف عام، يعني **العراف أعم من الكاهن**، فالكاهن هو أحد العرافين؛ لأن **العراف** الذي يدعي المعرفة، العراف مأخوذ من المعرفة:

- **الكاهن** يدعي المعرفة،
- **الرمال** يدعي المعرفة،
- **المنجم** يدعي المعرفة،
- **القارئ في الفنجان** يدعي المعرفة،
- **القارئ في الكف** يدعي المعرفة،

فالعراف عام يدخل فيه الكاهن ومن كان مثل الكاهن.

"**فسأله عن شيء**" كأنه من أمر الغيب أو من غير أمر الغيب.

قال: "**فصدّقه**" كما عند الإمام أحمد في المسند "**فصدّقه**" هذه رواية أحمد، أما رواية مسلم فليس فيها.

"**لم تقبل له صلاة أربعين يوما**" فهذا الحديث:

- **أولا**: فيه تحريم **إتيان** العرافين.
- **ثانيا**: تحريم **سؤالهم**.
- **ثالثا**: أن من فعل ذلك أتاه وسأله "**لم تقبل له صلاة أربعين يوما**"، وهذا **محل الشاهد** من الحديث للباب، إذًا الوعيد الذي في هذا الحديث أنه "**لا تقبل له صلاة أربعين يوما**".

ومعنى قوله: "**لم تقبل له صلاة**" بمعنى لا يثاب عليها ولا يؤجر عليها، وإن كانت مجزئة، **ما معنى مجزئة؟** يعني لا يؤمر بإعادتها، بل صلاته صحيحة، **ولماذا لا يؤجر عليها؟** لأن إثم إتيانه العراف أعظم من أجر صلاة أربعين يوما، وكما أن الحسنات تُذهِب السيئات، فالسيئات كذلك تُذهِب الحسنات، ولهذا يوم القيامة

يوضع في ميزان الحسنات والسيئات، إن صارت له سيئات أكثر بطلت وذهبت الحسنات، ودخل النار والعياذ بالله، فهذا معنى قوله: "لم تقبل"، فليس القصد أن صلاته باطلة وأن عليه إعادتها، بل صلاته مجزئة، معتد بها، لا يؤمر بقضائها وإعادتها لكن ليس له أجر عليها.

وهذا يدل على أن هذا الإتيان كفر أصغر؛ لأنه لو كان كفرا أكبر مخرجا من الملة لم تقبل له صلاة أبدا، حتى يعود إلى الإسلام من جديد، فلما حددت بأربعين علم بأن هذه كبيرة من الكبائر وليست كفرا مخرجا من الملة.

وهذا على رواية مسلم لا إشكال فيها، لأنه مجرد إتيان وسؤال، ليس فيه ذكر للتصديق، وأما على رواية أحمد: "**فصدّقه**" فهذا فيه إشكال في المعنى، ولعلنا إن شاء الله نعود إليه بعد قليل.

عندنا أيضا في قوله: "**لم تقبل له صلاة**" عدم القبول له معنيان في الشرع:

- المعنى الأول: **عدم القبول** يعني عدم إجزاء، نفي للصحة وبالتالي تكون الصلاة باطلة،
- والمعنى الثاني: وهو **عدم ثوابه**، يعني نفي للثواب،

إما نفي الصحة وإما نفي للثواب، **كيف نفرق بين هذا وهذا؟**

الحالة الأولى: إذا نُفِي القبول لتخلف شرط من شروط العمل أو لوجود مانع من موانع العمل يكون النفي نفي صحة، إذا اقترن بنفي القبول أو علق نفي القبول على فقدان شرط من الشروط، أو وجود مانع من الموانع كان نفي القبول نفيا للصحة، مثل: "**لا يقبَلُ اللهُ صلاةَ حائضٍ إلّا بخِمارٍ**" فالخمار للمرأة في الصلاة شرط لصحتها، وبالتالي يكون نفي القبول هنا نفي للصحة، فالمرأة البالغ إذا صلت وليس عليها خمار فصلاتها باطلة وعليها إعادتها.

وكون المرأة لا تلبس خمارا، الأصل أنه ليس حراما يعني ليس معصية في بيتها، مع زوجها، مع محارمها، ليس شرطا أن تلبس خمارا، الخمار إنما هو شرط للصلاة، الخمار إنما هو للحجاب أمام غير المحارم وهكذا.

الحالة الثانية: أن يقترن بنفي القبول معصية، يعني يعلق نفي القبول على فعل معصية، فهنا يكون عدم القبول يعني عدم الثواب:

- ومن ذلك هذا الموضع علق نفي القبول على إتيان الكهان وهو معصية،
- "**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا**" علق نفي القبول على معصية.

فصار المعنى في هذين الموضعين وأمثالهما نفي للثواب، وليس نفيا للصحة.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" رواه أبو داود.

"**من أتى كاهنا**" الأول قال: "**عرافا**"، هنا قال: "**كاهنا**"، إذًا العراف والكاهن إما يقال معناهما واحد، أو أن العراف أشمل وأعم من الكاهن، فيدخل الكاهن في ضمنه.

"**من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" رواه أبو داود**" وهذا يشهد له الحديث الذي قبله في الجملة على رواية أحمد، ويشهد له أيضا ما بعده.

"**من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**" لاحظ أن العقوبة في هذا الحديث هي الحكم بكفره "**فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**" وهذا الوعيد **هو هذا محل الشاهد من حديث** الباب، إذًا الوعيد الذي في هذا الحديث الحكم بكفره، وهذا الكفر إن صدقه في أنه يعلم الغيب صار كفرا أكبر مخرجا من الملة "**فيما أنزل على محمد ﷺ**" قول الله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:65] فحين تعتقد أن هذا الكاهن يعلم الغيب إذًا كفرت بهذه الآية، وما جاء في معناها من الآيات الكثيرة التي تدل على أن الله وحده عالم الغيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومنهم من يقول: إن الكفر هنا كفر أصغر بدلالة الحديث السابق: "**لم تقبل له صلاة أربعين يوما**" مع قوله: "**فصدَّقه**" وكأن هذا القول كونه كفر أصغر معنى أنه لا يصدقه في أنه يعلم الغيب، يقول "أنا أعتقد أن هذا لا يعلم الغيب، ولكن عنده أعوان شياطين، عنده جن يرسلهم يذهب ويدور على الشيء المفقود إلى أن يجدوه ثم يخبرونه وإلا هو لا يعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله" والأحسن أن مثل هذه الأحاديث تروى للناس، ويحدث بها الناس، ولا تُفسَّر لهم؛ لأن إذا قيل لهم "كفر أصغر إذا كان كذا، وكفر أصغر إذا كان

كذا"؛ لأن هذا التفصيل ربما يُضعِف هذا الجانب عند الناس، فتكون كنصوص الوعيد الأخرى التي تمر على ظاهرها حتى تؤدي غرضها وأثرها في الردع والزجر والترهيب.

لأن بعض الناس إذا قيل له ذلك، يقول: "ما دام أنه ليس كفرا أكبر أنا أذهب وأدور، أذهب وأسأله، سيارتي عندي غالية أو الشيء الذي فقدته، الذهب الذي فقدته، شيء غالي وثمين، وما دام أنه ليس كفرا أكبر ربك غفور رحيم" يتعذر بمثل هذا، فينبغي أن يرهب الناس ومن جملة الترهيب أن يسمعوا هذه الأحاديث، هذه النصوص كما جاءت، كما وردت حتى يكون لها أثرها في الردع، والنبي ﷺ حذر من مجرد الإتيان، حذر من مجرد السؤال **"من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" رواه أبو داود** .

وللأربعة والحاكم وقال: "صحيح على شرطها عن أبي هريرة: من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ".

"**وللأربعة والحاكم**" الصواب: أن هذا الحديث عند أحمد والحاكم، وحفيد الشيخ الذي هو الشيخ سليمان يقول: **"لعله تبع في هذا ابن حجر"،** لأن الوهم من ابن حجر ربما.

يقول "**وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة**" يقولون في النسخة الأصلية لمخطوط التوحيد أنه فيه بياض في هذا المكان، يعني جعل الشيخ محمد فراغا على أساس أنه يعود وينظر من الصحابي، ثم لعله توفي قبل أن يكمل هذا النقص.

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما عن ...."من أتى" فبعد "**عن**" وبعد "**من أتى**" فيه فراغ، وتتمة هذا الفراغ "**عن أبي هريرة من أتى عرافا**" يعني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

"**من أتى عرافا أو كاهنا**" لاحظ الرواية الأولى الحديث الأول: "**أتى عرافا**"، الذي بعده "**أتى كاهنا**" وهنا قال "**عرافا أو كاهنا**" ولهذا ساق والله أعلم المؤلف هذه الروايات:

- حتى يشد بعضها بعضا،

- وأيضا حتى ينبه أن حديث جاء بلفظ عراف، حديث جاء بلفظ كاهن، حديث جاء باللفظين جميعا **مما يدل على حرمة إتيان هذا الجنس كله** سواء سمي عرافا أو سمي كاهنا.

"فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" لأنه صدقه في ادعاء علم الغيب، وهذا كفر، وإن قال "أنا لا أصدقه، فإنه يعلم الغيب"، ما الذي يدري؟ أنت الآن تقول إنك لا تصدقه، لكن لو سألته مرة، مرتين وأجابك وصادف جوابه مطابقة الواقع ربما يتغير حالك وشأنك، فتقع في الكفر الأكبر وتعتقد أن هذا شريك مع الله في علم الغيب والعياذ بالله.

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا.

"ولأبي يعلى بسند جيد" عن الموصلي **"بسند جيد عن ابن مسعود موقوفا"** قالوا إن هذا له حكم الرفع وإن كان موقوفا من كلام ابن مسعود لكن له حكم الرفع إلى النبي ﷺ؛ لأن التكفير إلى الله ﷻ، إلى المشرّع، فلا يقال عن الشيء كفر إلا ما حكم الله عليه بالكفر، هكذا ذكر بعض أهل العلم.

وعن عمران بن حصين مرفوعا: "ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سُحر له؛ ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ" رواه البزار بإسناد جيد.

"وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما" لأنه هو وأبوه صحابيان، عمران بن حصين بن عبيد، كنيته أبو نجيب.

قال: **"ليس منا من تطير أو تطير له"** يعني تشاءم بالطير أو بغير الطير، أصل الطيرة التشاؤم بالطير ثم أطلقت على كل تشاؤم، إذا تشاءم قالوا تطير: تشاءم بكلمة، تشاءم بشخص، تشاءم بطير أو بغير ذلك.

"ليس منا من تطير" يعني هو بنفسه تشاءم.

"**أو تطير له**" يعني تطير له غيره، يقول لشخص "اطلع وازجر لي الطير وانظر أنا أريد أن أسافر، أريد أن أخرج مخرجا، أريد أن أتزوج، أريد أن أخرج لتجارة، اذهب يا فلان وتطير لي، ازجر الطير وانظر"، فسواء هو تطير يعني باشر الطيرة بنفسه، أو باشرها له غيره بطلبه.

"**ليس منا**" يعني ليس من شيعتنا، ليس من أتباعنا، وهذه أيضا من ألفاظ الوعيد ظاهرها الكفر "**ليس منا**" يعني ليس من المسلمين هذا ظاهرها، ولكن هذا الأسلوب:

- يأتي فيما هو كفر أكبر،
- ويأتي فيما هو دون ذلك،

وهو من الأدلة العامة الذي اقترن به "**ليس منا**" أنه إن لم يكن كفر فهو من الكبائر؛ لأن هذا وعيد شديد، فيه براءة الرسول ﷺ ممن عمل ذلك العمل، وسيأتي إن شاء الله باب مستقل في الطيرة.

"**أو تكهن**" أي باشر الكهانة هو بادعاء علم المستقبل، علم الغيب.

"**أو تكهن له**" طلب من يتكهن له، يذهب إلى الكاهن ويسأله، فالمتكهن هو الذي يتعاطى علم الغيب.

"**أو تكهن له**" يعني سأل أو أرسل من يسأل الكاهن، وهنا تذكرت شيئا معذرة، في الحديث الأول والثاني والثالث وهنا الآن إلى قوله أو عند قوله "**أو تكهن له**" هنا الوعيد في هذه الأحاديث لا يتعلق بالكاهن نفسه، إنما يتعلق بمن جاء للكاهن، والباب ما جاء في الكهان، ليس هو ما جاء فيمن أتى الكهان.

ونحن قلنا أن محل الشاهد في الحديث الأول وفي الثاني وفي الثالث إلى آخره فيه شيء غاب عن الذهن انتبهت له الآن وهو أن يقال "**إذا كان هذا الوعيد من أتى الكاهن، فما حال الكاهن نفسه إذًا؟!**" هنا يتم الاستدلال بهذه الأحاديث، يعني يقول شخص أن الحديث ما جاء في الكاهن، وعيد الكاهن، والأحاديث التي سمعناها تتوعد من أتى الكاهن، كيف يصح الاستدلال بها على وعيد الكهان؟

إن كان هذا وعيد من أتى الكاهن فما وعيد الكاهن نفسه إذًا، إذا كان من أتى الكاهن كافرا، من أتى الكاهن لم تقبل له صلاة أربعين يوما، إذًا فما الحكم الكاهن نفسه؟ لا شك أنه أشد من ذلك.

وهنا قال ﷺ: "**أو تكهن أو تكهن له**" **المتكهِّن** هو مباشر الكهانة، **المتكهَّن له** هو الذي يجيء ويسأل ويستفسر ويستخبر.

"**أو سحر**" يعني باشر هو السحر بنفسه "**أو سحر له**" طلب من الساحر أن يسحر له.

"**ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**" إذًا هذا:

- **فيه وعيد لمن باشر الكهانة**، أو لمن طلبها؛ لأنه ليس من النبي ﷺ، الرسول بريء منه،
- **وفيه أيضا تأكيد لما سبق** أن من جاء وسأل العراف، سأل الكهان فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

قال: "**رواه البزار بإسناد جيد**".

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "ومن أتى عرافًا" إلى آخره.

"**وروى الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: ومن أتى**" يعني من قوله: "**ليس منا من تطير أو تطير له**"، إلى قوله: "**أو سحر أو سحر له**"، هذا ظاهر العبارة.

قال البغوي: "العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير".

"**قال البغوي**" اسمه الحسين بن مسعود.

25 – باب ما جاء في الكهان ونحوهم. (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك"

هذه المقدمات تختلف:

- واحد يقول المقدمات أنه **ينظر في النجوم**، هذه مقدمة،
- الثاني يجعل المقدمة **النظر في الكف**،
- وواحد يجعل المقدمة **النظر في الفنجان**،
- وواحد يجعل المقدمة **الخط في الرمل**،
- وواحد يجعل المقدمة **يسأل عن اسم أمك** مثلا،

وهكذا يضعون المقدمات، يموهون بها على الناس يزعمون أنهم عرفوا الجواب عن طريق هذه المقدمات، وفي الحقيقة إن كان هو كاهن فعلا فهو إنما يتلقى الأخبار عن الشياطين وإنما هذه الأعمال التي يظهرها إنما هي من باب التمويه والتلبيس؛ لأن الناس لو قيل لهم "ترى هذا يتعامل مع الشياطين" نفروا عنه، لكنه كونه ينظر في الكف أو يقرأ في الفنجان يكون هذا من أسباب تقبُّل كثير من الجهال له.

"وقيل هو الكاهن" يعني العراف والكاهن شيء واحد.

والكاهن من هو؟ **"الكاهن الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل"** بعد شهر سيقع كذا، بعد سنة سيحصل كذا، في هذه السنة التي ستدخل علينا سيحصل كذا، يخبر عن المستقبل.

"الذي يخبر عن مكان المسروق ومكان الضالة" أشياء حاضرة موجودة الآن يقول "سيارتك المسروقة تجدها في الحي الفلاني عند الشارع الفلاني.

"وقيل هو الذي يخبر عما في الضمير" تقول أنا جالس أفكر في شيء، في أي شيء أفكر؟ قال: تفكر في ولدك، تفكر في وظيفتك، يقول "كلامك صح"، هذا معنى **"في الضمير"** يعني عما في النفس.

وقال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: "العرّاف: اسم الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق".

إذًا شيخ الإسلام رحمه الله يرى أن العراف اسم عام يشمل تلك الصور كلها، وهذا والله أعلم هو الأصح وهو الأدق وهو الأصوب؛ لأن نفس الكلمة تدل على هذا، لأن كل هؤلاء يدعون المعرفة والعراف مشتق من المعرفة.

"**اسم للكاهن والمنجم**" الذي ينظر في النجوم.

"**الرمال**" الذي يخط في الرمل.

"**ونحوهم**" ممن يقرأ في الفنجان، يقرأ في حروف أبا جاد ونحو ذلك.

"**ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق**" فكلهم عرافون وكلهم كهنة.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: "ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق".

"**وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوم يكتبون أبا جاد**" تفسير حروف الهجاء له ترتيبان مشهوران:

- أ، **ب، ت، ث، ج** إلى ي
- وفيه الترتيب الثاني "**أَبْجَدْ هَوَّزْ حُطِّي كَلَمُنْ سَعْفُصْ قُرشت ثخذ ضظغ**" إلى آخره

"**في قوم يكتبون أبا جاد**" يكتبونها لماذا؟ للتوصل بها إلى معرفة المغيبات، هذا محظور:

- أما يتعلم "أبا جاد" **من أجل أن يرقّم الفقرات** أ، ب، ج، د إلى آخره، ليس فيه حرج،
- يتعلم "أبا جاد" **من أجل يركب منها جملا** تدل على أرقام معينة كتاريخ معين، ليس فيه حرج،

أمر سلكه العلماء قديما وحديثا.

"وينظرون في النجوم" من أجل التنبؤ والتكهن بما يكون في المستقبل.

قال رضي الله عنه: **"ما أَرى"** يعني ما أعلم، **"أو ما أُرى"** يعني ما أظن،

- **بضم الهمزة** معناها أظن،
- **بفتحها** معناها أعلم،

"ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق" هذا محل الشاهد.

وهل هذا الأثر فيمن أتى الكاهن أو في الكاهن نفسه؟ "في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم"، هذا الأثر يتعلق بالكاهن نفسه، فابن عباس رضي الله عنه يقول: إن من فعل ذلك لا يعلم أو لا يغلب على ظنه أن له عند الله من خلاق، **ما معنى خلاق؟** يعني نصيب، ليس له نصيب من رحمة الله، ليس له حظ من رحمة الله، ومعنى ذلك الكفر، فالذي ليس له عند الله خلاق ليس له عند الله نصيب من الرحمة هذا شأن الكافر، والعياذ بالله.

فهذه بعض الأدلة في موضوع الكهان:

- ❑ وأن **الكهانة** كفر،
- ❑ وأن **تصديق الكهان** في ادعائهم علم الغيب كفر أكبر،
- ❑ وإن **إتيانهم ولو تجرد عن التصديق** أنه من المعاصي العظيمة والكبائر الوخيمة التي يترتب عليها الوعيد الشديد، والعياذ بالله.

بقي عندنا التنبيه على بعض الأمور:

من أتى الكاهن من أجل أن يفضحه أمام الملأ، هل هذا الإتيان جائز أو يدخل في الوعيد **"لم تقبل له صلاة أربعين يوما"؟** هذا جائز؛ لأن هذا من باب الجهاد، من باب إنكار المنكر.

أتى للكاهن من أجل أن يعظه ويحذره وينهاه ويحذر من حضر عنده؟ هذا إتيان جائز ولا حرج.

النبي ﷺ ذهب إلى **ابن صياد** لما أخبر أنه يتكلم بأمور غيبية، فجاء إليه من أجل أن يمتحنه ويظهر أنه دجال وكاذب، فسأله قال **"إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا"** فما هو؟ **فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدُّخُّ، فقال الرسول** ﷺ: **"اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ"**

المقصود أن النبي ﷺ أضمر في نفسه الدخان، مسترق السمع الذي يستعين به ابن صياد ما استطاع أن يلتقط إلا الحروف الأولى "الدخ"، وما سمع بقية الكلمة، فتبين للنبي ﷺ من أمره أنه دجال من الدجاجلة وشيطان من الشياطين، فهذا الإتيان لتعرف الحال، واستخبار الحقيقة، هذا الكاهن وإظهار كذبه، هذا الإتيان إتيان مشروع وليس بممنوع.

من الأمور التي لا تدخل في التحريم: دراسة الأمور المستقبلة عن طريق الحساب، مثلا معرفة مواعيد كسوف الشمس، خسوف القمر، هذا ليس من باب الكهانة؛ لأن هذا أمر يدرك بالحساب ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء:12] فهذا مما يدرك بالحساب، فهو يدرك بأمر محسوس.

الآن مثلا عندما تذهب وتحجز الطائرة، الإقلاع الساعة عشرة، الوصول الساعة الحادية عشرة وتقلع الطائرة وتصل أرض المطار الساعة إحدى عشر، **هل نقول "والله الخطوط الجوية كهنة؟"** أو لا يجوز أن نصدق ما كتب في التذكرة بأن الوصول الساعة إحدى عشر، ولو صدقت فأنا ممن لا تقبل له صلاة أربعين يوم؟ لا، هذه أمور تدرك بالحساب، فإذا مشت الأمور على ما هي عليه في الغالب أنها تكون كما قيل.

وأنت الآن في حياتك اليومية واحد يتصل عليك وقال "أين أنت؟" تقول له "عشر دقائق وأنا عندك إن شاء الله" وبعد عشر دقائق وإذا أنت واصل هل صرت كاهنا؟ لا، لكن هذه أمور تدرك عن طريق معرفة الحساب، كما تبقى المسافة بينك وبين الشخص الذي تذهب إليه، وسرعة السيارة وزحمة الطريق ونحو ذلك تخمّن تخمينا وفي الغالب يكون مطابقا للواقع، أو قريبا للواقع، يختلف شيئا يسيرا فهذا ليس من باب الكهانة.

هكذا أيضا ما يسمى بالفراسة، تتفرس يعني تتتبع وتتأمل الشيء ويغلب على ظنك نتيجة معينة بناء على أمور محسوسة عندك، الآن مثلا نقاط التفتيش، تأتي سيارة يقول له "تفضل امشي"، فتأتي سيارة ثانية له

وتفتيش دقيق وربما وجدوا معه مخدرات أو أشياء ممنوعة، هل هذا الشرطي يعلم الغيب أن الأول نظيف وبريء وما عنده شيء والثاني عرفوا أن عنده مشكلة؛ لأنه يعلم الغيب أو عنده شياطين تعلمه؟ لا، لكن هذا كما يقال فراسة الأول مطمئن، الثاني لما اقترب من العسكري أخذ مثلا ينتفض، ظهر عليه آثار الخوف والقلق والرعب، معناه أن عنده مشكلة، فطن لها هذا المسؤول عن التفتيش، فطن من خلال هذه الإمارة، فهذه لا تدخل في الكهانة.

فما يتعلق بالكسوف والخسوف، ما يتعلق بالأشياء التي يستدل بها عن طريق أمارات وعلامات محسوسة كل هذا لا يدخل في باب الكهانة المحرمة، إنما الكهانة المحرمة التي فيها:

- ∇ **استعانة بالشياطين**،
- ∇ أو **التمويه بالنظر** في أمور لا علاقة بينها وبين معرفة المستقبل.

وما العلاقة بين الكف وبين المستقبل؟ لا توجد علاقة لا علاقة شرعية ولا علاقة حسية.

ما العلاقة بين دوران القهوة في الفنجان وبين ما سيقع في المستقبل؟ لا توجد علاقة،

تخط خطوطا عشوائية ثم تمسح خطين، خطين، خطين بقي واحد إذًا أنت أمورك طيبة بقي خطين إذًا أنت أمورك سيئة، **ما العلاقة بين الخط والخطين وبين ذاك الذي سيقع كما يزعم هذا الكاهن؟**

فالكهانة فيها إلغاء للعقول، يعني تفسد الدين وتفسد العقل، فهي من أضر ما يكون على الناس، التعلق بالأوهام ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [النجم:23] المشرك يجعل له صنما، ويزعم في هذا الصنم أنه ينفعه ويضره ويدبر أمره إلى آخره، مجرد أوهام، هذا الصنم ما درى عنه هل هو الإنسان أو دابة أصلا، موجود أو معدوم، فهو يتعلق بأوهام.

وهكذا الكهانة فيها تعليق للشخص بالأوهام والخيالات والعياذ بالله، فإذا صار المجتمع أسيرا لها صار المجتمع والعياذ بالله مجتمعا منشغلا بما لا ينفعه ولا يضره.

25 – باب ما جاء في الكهان ونحوهم. (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

ومما يؤسف له أنه يبلغني أنه عند النساء بالذات كثير من النساء من زبائن هؤلاء العرافين والكهنة أنهم ربما تجدهم خريجات أقسام شرعية، مدرسات تربية إسلامية وتجدها زبونة دائمة عند الكاهن أو الكاهنة أو الساحر أو الساحرة والعياذ بالله وهذا مؤشر خطير.

إذا كان هذا جاهلا ربما نقول أنه لا يدري لكن أنتِ ما عذركِ وأنتِ تعرفين الأدلة، ودرست هذا الموضوع، وهذا يدل على شدة سطوة العرافة والكهانة والسحر والشعوذة على الناس، **بعض الناس يقول: الناس تطوروا وتربوا وفهموا لا يوجد الداعي للعناية بهذه الموضوعات**، لا، ليس كذلك، يتداول الناس أنه والله ورؤساء وزعماء ومسئولين كبار في الشرق في الغرب يهود أو نصارى أو ملاحدة أو حتى الذين ينتسبوا للإسلام، وهم يتعاملون مع الكهان ويسألونهم ما الذي سيقع وسيحصل، اللاعبين للكرة وما الكرة والأشياء هذه أيضا ربما تعاونوا مع هؤلاء الدجالين إما لمعرفة النتيجة أو لمعرفة هؤلاء للإقرار بالفريق الآخر أو بغير ذلك.

فالواجب الحذر من هذا الموضوع وعدم التهاون فيه، ولا يظن أن هذا الأمر إنما يوجد في البيئات البدائية كما يقال ونحو ذلك، ربما تجد هذا الشيء تبتلى به المجتمعات كما يقال المجتمعات المتحضرة، والأشخاص الذين يحضرون شهادات وعندهم دراسات إلى آخره.

فنسأل الله أن يكفينا وإياكم شر الأشرار، وكيد الفجار، وأن يكفينا وإياكم شر السحرة والكهنة والعرافين، وأن يطهر مجتمعات المسلمين منها وأن يثبتنا وإياكم على التوحيد الخالص.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

26 – بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجع من قِبَل الشيخ

1437هـ

26 – بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: **"بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ"** يعني من الآثار والأدلة الدالة:

- ∇ **على منعها** إذا كانت من النوع الشيطاني،
- ∇ **وعلى جوازها** وإباحتها إذا كانت من النوع المشروع.

والنشرة في اللغة العربية: حل السحر يعني فك وعلاج السحر عن المسحور.

والنشرة كانت معروفة في الجاهلية؛ لأن مجتمعاتهم يكثر فيها السحرة والسحر تعامل مع الشياطين، وكانت مصدر رزق للسحرة، ساحر يربط ولا يفك إلا بمقابل، ساحر ثانٍ يفك ما فعله ذاك بمقابل، وهكذا، نسأل الله العافية.

فكانت النشرة عندهم، إذا قيل "فلان تنشر، فلان استعمل النشرة" صارت "ال" هنا يسمونها "ال" العهدية، يعني دالة على نوع معين من النشرة منتشر وشائع، وهو حلُ السحر بسحرٍ مثله، هذا كان مفهوم النشرة عندهم، إذا قيل النُشرة: ينصرف الذهن إلى النشرة المعروفة في مجتمعهم الجاهلي الذي يتعامل مع الشياطين.

عن جابر: "أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة؟ فقال: "هي من عمل الشيطان" رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

ولهذا يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: **"عَنْ جَابِرٍ"** يعني جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الصحابي الشهير، أحد السبعة المكثرين من رواية الحديث، والسبعة المكثرون هم الذين رواياتهم جاوزت ألف حديث، هذا معنى المكثر، وهم سبعة.

"أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ" كان الصحابة حريصين على التفقه في الدين والسؤال عما ينفعهم في دينهم، السؤال عما يُشكل عليهم امتثالا لقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43]

26 – بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وهكذا ينبغي أن يكون المسلم، أن يحرص على التفقه في دينهِ والسؤال عما ينفعه، وترك الاشتغال بما لا ينفعه، بعض الناس يُشغل نفسه ويُشغل أهل العلم وطلبة العلم يُشغلهم بما لا ينفعه ولا ينفعهم، أسئلة عما لا تعنيه "ومن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" إذا انشغلت بما ينفعك، بما يعنيك، بما تتعلق به مصلحة لك في دينك أو في دُنياك، انشغلتَ عما لا ينفعك، وهذه النفس إن اشغلتها بالحق وإلا شغلتك بالباطل، فهذه أسئلة الصحابة، أسئلة نافعة مثمرة مفيدة.

"سُئِلَ عن النُشرة" كما قُلنا النُشرة يعني النُشرة المعهودة المعروفة عندهم وهي: حلُ السحر بالسحر.

"فَقَالَ ﷺ: "هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ". رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ".

النبي ﷺ سُئِلَ عن هذه النشرة، المعهودة المعروفة عندهم، فقال: **"هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ"**، وإذا كانت من عمل الشيطان، **فهل معنى هذا أنها حلال ولا حرام؟** حرام؛ لأن الشيطان لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 169]، فإذا أُضيف الشيء إلى عمل الشيطان دل ذلك على النهي عنه.

"هي من عمل الشيطان" لماذا؟ لأن الساحر لا يمكنه حل السحر إلا بالتقرب إلى الشيطان، فهو يتقرب إلى الشيطان بعبادته، بامتثال أمرِهِ في الكفر بالله أو نحو ذلك، وهكذا أَيْضًا قد يُكلف المسحور أو قريب المسحور، يُكلفه أَيْضًا بعمل شركي "اذبح دجاجة لونها كذا، اذبح تيسًا لونه كذا، لا تذكر اسم الله عليه، ضعه في شراب أو ضعه في البر" قُربة للشيطان.

فالساحر لا يتوصل إلى هذا السحر الذي يفكُ به السحر حتى يكفر بالله، إما يتقرب لهذا الشيطان بذبح أو بغيره، أو يدنس المصحف والعياذُ بالله أو غير ذلك من الأمور المسخطة لله ﷻ، وهكذا أَيْضًا قد يأمر المسحور نفسه أو قريب المسحور الذي جاء يبحث العلاج لقريبه "افعلوا كذا واصنعوا كذا" مما فيه تقرب للشيطان، وبعد ذلك يفك السحر، وكثير من الأحيان يكون هذا الحل حل مؤقت، بمعنى يفك عنه السحر وبعد أيام تطول أو تقصر ربما عاد السحر مرة ثانية، لا تدري من الساحر الأول أو من هذا الساحر نفسه حتى يتكسب من وراء الناس بهذه الأعمال والعياذُ بالله.

فإذًا قوله ﷺ عن حل السحر بأنه **"من عمل الشيطان"**: يعني حل معين وهو الذي تُستعمل فيه الشياطين، يُستعانُ في حله بالشياطين، هذا النوع المنهي عنه.

"وَقَالَ" يعني قال أبو داود **"سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا"**، أبو داود رَحِمَهُ اللهُ له مسائل كثيرة سألها الإمام أحمد، فهو من تلاميذ الإمام.

"فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُوْدٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ" يكره علاج السحر بالسحر، سواءً يُعطيهم وصفة يقول لهم مثلًا "اذبحوا كذا"، أو مثلًا يُعطيهم حُجُبا، أو أيًا كان هذا العلاج، ما دام إنه من صُنع السحرة، من عمل السحرة، من عمل الكُهان والمشعوذين، مما فيه استعانة بالشياطين فابن مسعود رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه يكره هذا كله، حتى يدخل عند ابن مسعود تعليق التمائم التي هي من القُرآن الكريم، إذا كانت في باب التمائم يعني شيء مُعلق، أما الرقية بالقراءة، بتلاوة القُرآن مع النفث أو بالأذكار الواردة عن النبي ﷺ فلا ابن مسعود ولا غيره من السلف ينهون عنها، إنما الكلام على موضوع ما يُعلق، يسمونها حُجب، يسمونها تمائم، عزائم، أيًا كانت.

فقال **"ابن مسعود رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه يكرهُ هذا كله"** إن كانت من الأمور الشيطانية: الشعوذة والطلاسم وعزائم فهذا الأمر فيها واضح، **لماذا نَهى عنها إذا كانت من القُرآن الكريم**؟ تقدم هذا في دروس سابقة:

- ❖ إنه النهي هنا **من باب سد الذريعة**، ممكن اليوم يعلق القُرآن، غدا تُعلَّق طلاسم،
- ❖ إضافةً إلى أنها قد تُعلق على أطفال **ويؤدي ذلك إلى تنجيسها** وإهانتها.
- ❖ كذلك أَيْضًا إنه **جاء النهي عنها عاما**: "إن الرُقى والتمائم والتولةَ شرك"، ثم جاءت الأدلة تفصِّل في الرُقية، فيه رُقية مشروعة ورُقية غير مشروعة، لكن التمائم والتولة ما جاء فيها تفصيل، فحَمَلها على العموم.

وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب: "رجل به طب أو يؤخّذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم ينه عنه"

26 – بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: **"وَفِي الْبُخَارِيِّ"** يعني صحيح البخاري.

"عَنْ قَتَادَةَ" بن دِعامة بن قتادة السدوسي، أحد كبار علماء التابعين، رُميَ بالقدر رحمه الله.

"قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيِّبِ" يعني سعيد بن المسيب بن حزم المخزومي القرشي.

"رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَّذُ" بالتشديد **"أو يُؤخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ؛ أَيُحَلُّ عَنْهُ"** السحر **"أَوْ يُنْشَّرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُوْنَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ"**.

مرةً أُخرى: قتادة يسأل شيخه سعيد بن المسيب **"رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ"** يعني سحر، هذا معنى طب، **ما العلاقة بين السحر وبين الطب؟** الطب شيء نافع والسحر شيء ضار، العرب من بعض عوائدها أنها تُسمي الأشياء السيئة تُسميها بأسماء حسنة من باب التفاؤل:

- ❑ **الصحراء الواسعة** الْمُقْفِرَة المخيفة، لا طعام فيها، لا شراب فيها، لا سُكان فيها، مليئة بالوحوش والسباع وربما قُطاع الطُرق وكذا يسمونها مفازة من الفوز، **ماذا جاب الفوز والمفازة لهذه البُقعة القاتلة؟** من باب التفاؤل، إنه من سلكها مسافرًا، عابرًا إنه يفوز ويصل إلى بر الأمان سالمًا، ناجيًا.
- ❑ **الذي تلدغه الحية**، حية سامة تلدغه يسمونه سليما، **أين السلامة، أين العافية فيه؟** من باب التفاؤل، إنه إن شاء الله يسلم وينجوا ويخرج من هذه المصيبة سليمًا، من هذا الباب.
- ❑ **فالشخص المسحور** يسمونه مطبوب، يسمونه فيه طب، من باب التفاؤل إنه إن شاء الله يستطِبُّ ويتعالج ويقوم سالما.

"رجلٌ به طب أو يُؤخَّذُ عن امرأته" نوع من أنواع السحر، يعني:

- **الصورة الأولى:** عامة به طب، أي سحرٍ كان.
- **الصورة الثانية:** يُؤخَّذ عن امرأته، يعني نوع معين من السحر وهو الذي يمنعه عن جماع امرأته، عقله تمام، صحته طيبة، كل شيء تمام، لكن إذا أراد أن يأتي أهله لا يستطيع أن يُجامع أهله.

"أو يؤخذ عن امرأته، أيُحلُ عنه أو يُنشر؟" يعني يُبحث له عن علاج لفك السحر عنه؟

فقال: **"لا بأسَ به"** أن يُعالج هذا السحر؛ لأن هذا نوع من أنواع المرض، والنبي ﷺ يقول: **"تداووا عباد الله! إن الله ما أنزل داءً إلا أنزل له شفاءً علمه من علمه وجهله من جهله"**.

"لا بأسَ به" فهذا من طلب الدواء والعلاج والشريعة جاءت بالإذن في هذا، الحمد لله.

"إنما يريدون به الإصلاح" هذه النُشرة، هذا الأمر يريدون به الإصلاح، يعني يريدون به إزالة هذا الأذى.

"فأما ما ينفع فلم يُنهَ عنه" والحمد لله، ما معنى هذا؟ **هل معنى هذا إنه لا حرج عند سعيد أن يُعالج السحر بسحر**؟ وأن السحر إذا كان المقصود به فك السحر عن المسحور إنه يجوز؟ يعني يجوز لك إنك تتعلم السحر من أجل أن تفك السحر عن المسحورين، ويجوز بالتالي أن إذا جاءك شخص تتعامل بالسحر حتى تفك عنه؟ **لا، ليس هذا المقصود**، كما سيأتي إن شاء الله في كلام ابن القيم، إنما القصد هُنا أنه حلُ السحر بالطُرق الشرعية، بالأسباب المباحة:

- **بالطُرق الشرعية** مثل الرقية الشرعية، بقراءة الآيات، بقراءة الأحاديث الواردة التي فيها أذكار على المريض، هذه طُرق مشروعة،
- **أو بأدوية مُباحة** شخص عنده خبرة وعنده تجارب ويُعالج الناس عن هذه الآفات بأسباب مُباحة، يخلط نباتات أو يخلط بعض الأطعمة أو بعض المواد المباحة يخلطها ويُعطيها المريض ويُشفى بإذن الله؛ لأن الطب قائم على التجربة، ما دام إنه ليس مخلوط هذا العلاج بشيءٍ حرام.

فهذا معنى قول سعيد: **"لا بأس به"** لأنه هذا فك وإزالة أذى، والشيء الثاني: إزالة الأذى بشيءٍ مُباح، إذًا الوسيلة مُباحة والغاية المقصودة مُباحة، فلا مانع منها.

"أما ما ينفع فلم يُنهَ عنه" هذه قاعدة شرعية ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157]. الشيء النافع المفيد الله ﷻ أباحه للعباد، لهذا أحل الله البيع، أحل الله النكاح، أحل الله الأطعمة الطيبة، فهذا الدين والحمد لله دين المصالح، يأمر بها ويحث عليها ويكثر منها وينهى عن المفاسد وينفر عنها ويقلل منها.

ثم قال: "وَرُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحُلُّ السِّحَرَ إِلَّا سَاحِرٌ".

"**الحسن البصري**" الحسن بن أبي الحسن، أحد أَيْضًا مشاهير التابعين.

يقول: "**لا يحل السحرَ إلا ساحر**" يعني لا يحل السحر بالأعمال الشيطانية السحرية إلا ساحر.

وليس المقصود: إنه لا يُحل السحر في الدُنيا إلا على يد ساحر، النبي ﷺ سُحر، وأحل الله عنه السحر بمن؟ أرسل له ملك أو ملكين، وحلا عنه السحر والحمدُ لله بالرقية الشرعية، فليس هذا القصد إنه لا يمكن تصور أن يُحلَ سحر إلا على يد ساحر، **إنما المقصود**: لا يُحل السحر بالطُرق الشيطانية إلا ساحر:

- حتى لو سمى نفسه **شيخا**،
- أو سمى نفسه **راقيا**،
- أو سمى نفسه **شيخا روحانيا** مثل الذين يسمونهم الحين،

لا تصدق هذا، من يتعامل بالسحر، يستعين بالشياطين لفك السحر فهو ساحر، سمى نفسه شيخا، سمى نفسه راقيا أيا كان، لا يضرك هذا، حتى لو قام في بداية الجلسة يقرأ القُرآن، يُصلي على النبي ﷺ، حتى أو أعطاك عزيمة أو شيئا فيها الفاتحة أو آية الكُرسي، ما دام إنه يتعامل مع الشياطين في حل السحر فهو ساحر، هذه الأمور ما هي إلا من باب التمويه.

رأينا بعض العزائم هذه، تأتيك في البداية فيها سورة الفاتحة، وبعد سورة الفاتحة تجد آية الكُرسي، تجد المعوذات، لكن تنظر في داخلها وإذا هي مربعات وطلاسم وشعوذة، إذًا ما المقصود من كتابة هذه الآيات مع هذه الطلاسم، قد يكون التمويه على الجهال، تجيء تقول له "يا أخي لا تذهب لفلان"، قال: "واللهِ ما يعالج إلا بالقُرآن، أنا شائف سورة الفاتحة وآية الكُرسي وكذا"، مثل الكلمة التي يقولها الكاهن يصدق ويكذب معها مائة كذبة، الناس يذكرون الصدق الواحد وينسون ويتغافلون عن مائة كذبة، وهذا يتذكر فقط بسم الله الرحمن الرحيم، وآية الكُرسي، ويتعامى عن الطلاسم الموجودة، وأيضًا مثل ما ذكر بعضهم، حتى هذه الآية التي يكتبها أكرمكم الله ربما يكتبها بنجاسة، فهي جزء أصلًا من العمل حتى يُعينه الشيطان على

المقصود، فيكون الطلاسم مثلًا مكتوبة بحبر، وذاك والعياذُ بالله مخلوط ببول، مخلوط بدم حيض، مخلوط بشيءٍ من النجاسات، ويكتب بها الآيات، نعوذُ بالله.

فإذًا المقصود من قوله: **"لا يحلُ السحر إلا ساحر"** يعني من كان يحلُ السحر بالتعامل مع الشياطين، يحل السحر بالطُرق الشيطانية فهو ساحر، لا يضر النفي هذا عن نفسه أو دفاع الناس عنه، أو كونه يتسمى بأسماء شرعية، هذا كُله لا يغر المسلم العاقل اللبيب.

بعض الناس فهم من كلام سعيد بن المسيب، فهم من كلام الحسن البصري أنه لا حرج أن تحُل السحر بسحر مثلِهِ، وبعضهم يقول لك عند الضرورة "إذا ذهبت للراقي فلان وأنت رقيت نفسك أو كذا وما فيه فائدة، وطالت مدة المرض لا حرج، اذهب إلى ساحر ويحل عنك السحر".

وهذا واللهُ أعلم، ليس هو المقصود من كلام السلف، ولو فُرِض أن هذا القصد، فالله يقول: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]. وإذا رجعنا للكتاب والسُنة نجد فيها النهي عن السحر، ونجد فيها النهي عن التداوي بالحرام، وأي حرام أكبر من الشرك؟!

فالصواب واللهُ أعلم: أن كلام ابن المسيب، وكلام الحسن البصري، وما جاء في معناه، أن المقصود به: حل السحر بالطُرق المشروعة المباحة.

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز.

"قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحَرِ عَنِ المَسْحُوْرِ" لأنها من النشر، من الحل.

قال: **"وَهِيَ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِيْ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ"** يُحل السحر بسحر.

"**وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ**" لما قال "**لا يحل السحر إلا ساحر**" يعني لا يحل السحر بأعمالٍ شيطانية إلا ساحر.

"**فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشَرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ**" من سجود أو من إهانة مصحف أو من الكفر بالله، أو غير ذلك.

قال: "**فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسْحُوْرِ**" وهذا ذكره سيد قطب عن نفسه، لما كتب مذكراته، ذكر بأنه وجد في بيت أبيه كتابا من كُتب السحر وتعلمه، هو يقول هذا عن نفسه، وصار الساحر المفضَّل عند أهل القرية؛ لأنه يفك السحر بالمجان، أعمال خيرية.

"**وَالنوعِ الثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ المُبَاحَةِ؛ فَهَذَا جَائِزٌ**".

"**النُشرة بالرُقية**" تُقرأ عليه الآيات، مثل: الفاتحة من أعظم الرُقى، آية الكُرسي، ﴿قل هو الله أحد﴾، المعوذتين، أو ما ورد في خبر **وهب بن منبّه** رَحِمَهُ اللهُ "إنه تؤخذ ورقات من السدر، سبع أو نحوها وتُدَقُّ، توضع في ماء، ويُقرأ آيات السحر الواردة في قصة موسى وفرعون، ويشربها المريض المسحور، تُرّشُّ عليه"، فهذا مُجرَّب كثيرا، وينفع بإذن الله، وبالذات عمن يُربط ويُحبس عن امرأته.

فأمثال هذه الرُقى لا حرج فيها؛ لأنها رُقى بالآيات القُرآنية، بالأحاديث النبوية، بالأسباب المباحة التي يتصور أن يكون لها علاقة بالمرض، بالأذى، بالماء أو بالسدر أو نحو ذلك، لكن توجد طُرق يذكرها بعض الناس ولا علاقة لها لا عقلية، لا حسية، لا شرعية، فهذه لا تكون إلا من الدَّجَل، يعني الشخص المسحور يقول لك إنه يحتمى حديدة حتى تسخن تصير حمراء كالجمرة ثم يقف عليها الشخص، -أكرمكم الله – مثلًا يتبول أو كذا، خلاص هذا علاجه، **ما العلاقة بين هذا وهذا؟** فمثل هذه الأساليب ينبغي الحذر منها؛ لأنه ما تخضع للتجربة، وليست أَيْضًا مما دل عليه الدليل الشرعي، فلا علاقة بينها لا شرعية ولا حسية.

"**النُشرة بالرقية والتعوذات والأدوية**" تقدم موضوع الأدوية.

"**والدعوات المباحة**" إما دعوة منصوص عليها: "**رب الناس أذهب البأس**" أو يُعبر الداعي من عند نفسه، ما دام إنه هذا التعبير تعبير صحيح "يا رب تشفيني، يا رب ترفع عني، يا رب تفك عني السحر"، ونحو

ذلك، ليس فيه حرج، ليس المقصود بالدعاء إنه لابد إنه يكون الدعاء منصوصا عليه بلفظِهِ، هذا موضوع الرقية.

لكن موضوع الأذكار التي ورد فيها النص، لكن هنا المقصود سواءً أدعية اشتملت عليها الآيات أو الأحاديث، أو دُعاء يُعبر به المسلم، دُعاء سليم ليس فيه محذور شرعي.

"والدعوات المُباحة فهذا جائز" وهذا التفصيل هو اللائق أن يُحمل عليه كلام السلف الصالح رحمهم الله، ولا ينبغي أن يُفتح الباب للناس أن يُقال لهم: "اذهبوا للسحرة؛ لأجل أن يفكوا السحر"، هذا يؤدي إلى ترويج بضاعة السحرة، حتى لو وضعت قيود، قلت "فقط بشرط إنك لا تفعل ولا تفعل ولا تصنع"، الناس ما تقف عند حدود، الناس تبحث عن العافية، فيقول لك "أنا عندي مريض وهذا المرض له عشر سنوات، تعذَّب وتعذَّبنا معه، وهو طلب منا، والله غفورٌ رحيم، طلب مني أن أذبح دجاجة أو أرنب أو كذا"، فالناس عندهم ضعف في الإيمان، ضعف في العلم، ضعف في الصبر، ضعف في اليقين.

فإذا قيل لهم "اذهبوا للسحرة لفك السحر، فقط إذا طلب منك شيئا حراما لا تفعل"، هو أصلًا مجرد ذهابه إليه حرام، فلا ينبغي فتح الباب، لا أقول "لا ينبغي عليه أنه يُكره، أقول: لا يجوز أن يوجَّه الناس إلى السحرة للبحث عن علاج عندهم.

النبي ﷺ سُحر مدة شهر أو أربعين يوما، حتى جاء الفرج من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كان يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، سحره يهودي، فرقاه الملكان بالمعوذتين، ثم أرسل من أرسل من الصحابة إلى بئر في المدينة ووجدوا العُقَد، وجدوا العقد مدفونة موضوعة في أسفل تلك البئر، في مُشط ومشاطة يعني شعر النبي ﷺ الذي كان ربما يتساقط مع تمشيط شعره، جُمعت وعُقدت عُقَد ووضع فيها سحر له ﷺ.

وهذا لا يكذب به إلا المعتزلة، المعتزلة وأمثالهم يكذبون أن الرسول ﷺ سُحر، وبنوا على هذا الموضوع إنه لو الرسول سُحر معناه إنه ما عندنا يقين لا في القُرآن ولا في السُنة، يمكن هذه بلغها الرسول أثناء سحره، سُبحان الله، كلام سخيف:

- **الأمر الأول**: السحر بُين لنا، يُخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، هذا الموضوع الذي حصل.

26 – بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- **الأمر الثاني**: أنه شُفي بعد السحر، لو فرضنا تنزلا مع هذا القائم أنه حصل منه أشياء، إنه قال هذه قالها الله أو قالها الرسول في أثناء السحر، والله قد عصمه من ذلك، لكن من باب التنزل بعدما عُولج، بعدما رفع الله عنه البأس، ليس فيه تصحيح؟ ليس فيه تنبيه؟! فهذا كلام متهافت.
- **الأمر الثالث**: وبعد ذلك في القُرآن الكريم، الله بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن موسى ﷺ أثر فيه السحر، سحر السحرة، ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: 66]. أثروا فيه هذا التأثير، وهذا في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فما الذي يمنع؟! محمد ﷺ بشر وموسى ﷺ بشر، يعرض لهم ما يعرض للبشر من الأمراض والآفات التي تلحق وتنال البشر.

ودين الله محفوظ، الله قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فجانب التشريع، جانب التبليغ، هذا مضمون والحمد لله عَزَّ وَجَلَّ، لا يزاد فيه ولا ينقص.

هذا واللهُ أعلم وصلى الله وسلم وباركَ على عبده ورسولهِ محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

27 – باب ما جاء في التطير

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

27 – باب ما جاء في التطير: (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول: **"باب ما جاء في التطير"**

التطير التشاؤم بالطير، ثم صار يُطلق على التشاؤم عمومًا بالطيور أو بغير الطيور، التشاؤم بكل ما يُرى أو بما يسمع، لكن أصل التسمية من التشاؤم بالطيور؛ لأن العرب كان يكثر عندها التشاؤم بالطيور ولا سيما الغراب والبوم، فهذه كان لها مزيد مما كان في هذا الباب عند العرب، وتتشاءم بالطيور مطلقًا.

فالمؤلف رحمه الله عقد هذا الباب في كتاب التوحيد **"باب ما جاء في التطير"**؛ لأن له تأثيرٌ على العقيدة:

- إما أن يكون **شركًا أكبر،**
- وإما أن يكون **شركًا أصغر،**

وموضوع كتاب التوحيد بيان التوحيد وبيان ما يُنافي التوحيد أو ينقص ثواب التوحيد.

وقوله: **"باب ما جاء في التطير"** يعني: من النهي وأنه من عمل المشركين.

وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:131]

كان من عادة شأن قوم فرعون أنهم إذا أصابتهم المصائب من قحط، من جدب، من ظهور آفات مهلكة لزروعهم وأرزاقهم ونحو ذلك نسبوا هذا البلاء إلى موسى عليه السلام، فرد الله ﷻ.

كانوا يقولون لموسى: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ [النمل:47]، يعني أنت سبب هذا البلاء الذي نحن فيه، ما يصيبنا من آفات أرضية أو سماوية سببها أنت وما جئتَ به وما تدعو إليه، فرد الله ﷻ عليهم **﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾** أي: أن ما يصيبهم من شر، ما يصيبهم من مرض، ما يصيبهم من قحط، ما يصيبهم من آفات كالضفادع والدم والقُمَّل ونحوها **﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾** يعني: أن الله ﷻ هو الذي قدرها، وهو الذي سلطها عليهم بسبب ذنوبهم ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم:41].

فإذًا ليس السبب هو دعوة موسى لهم إلى الخير ونهيه لهم عن الشرك، إنَّما هذه الآفات أصابتهم بسبب ذنوبهم والله ﷻ هو خالق الخير وخالق الشر:

- لا يقع في هذا الكون **من خير** إلا بإذنه القدري،
- ولا يقع في هذا الكون **من شر** إلا بإذنه القدري ﷻ،

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس:19].

وفي الآية الأخرى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي: أن ما أصابكم ليس بسبب هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إلى أصحاب تلك القرية، أرسل لهم رسولين ثم عزز لهم بثالث، يدعونهم إلى التوحيد ويحذرونهم من الشرك، فواجه القوم هؤلاء الرسل بقولهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بعدما جئتم أصابتنا آفات ومصائب متنوعة متعددة، السبب أنتم، هذا شؤمكم، فرد الله ﷻ عليهم أن هذا الشر الذي يصيبهم من مرض، من آفات، من نقص أرزاق، من نقص في الصحة أو نحو ذلك إنَّما هو ﴿مَعَكُمْ﴾ يعني: منكم، أي بسبب ذنوبكم، ومعصيتكم لله ولرسله ومخالفتكم أمره، فعقوبة معجلة سلط الله ﷻ عليكم هذه الآفات، فهم تشاءموا بهؤلاء الرسل، فرد الله ﷻ عليهم أن ما أصابهم من شر إنَّما هو بسببٍ من عند أنفسهم.

وقوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُمْ﴾ يعني: أَمِنْ أجل أنَّا ذكرناكم ودعوناكم ونصحناكم لما فيه الخير، تُجِيبون رسلنا بهذا الجواب الذي لا دليل عليه، لا من دليل صحيح ولا من عقلٍ سليم، إنَّما هي مجرد توهمات وتخرسات، وهكذا التطير كله تعلق بالأوهام لا حقيقة له.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُون﴾ يعني: هذا هو السبب الذي وقع لكم الشر من جرائه وهو إسرافكم، معصيتكم، تجاوزكم الحد من التوحيد إلى الشرك، من الطاعة إلى المعصية، هذا هو الذي سبب لكم ما سبب ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:30] يعني أن هذه المصائب التي تقع

لكم بسبب ذنوبكم، ومع ذلك فالله عَزَّ وَجَلَّ يتجاوز عن سيئات كثيرة، لا يعجل بالعقوبة عليكم، فالله لو عجل بالعقوبة لأفنى الخلق، لكنه حليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يمهل ويتجاوز ويعفو ويصفح، ولا يؤاخذ بكل شيء، فهذا من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومن حلمه بعباده.

فإذًا في هاتين الآيتين بيان أن التطير من أخلاق أهل الشرك، ومن عقائد أهل الشرك، فما قصه الله عَزَّ وَجَلَّ إلا عن هذه الأمم الكافرة المكذبة.

❖ وفي هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿**إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ**﴾ فيها إثبات القدر، يعني هذا الذي أصابكم إنَّما هو بخلق الله وتقدير من الله عَزَّ وَجَلَّ، فإذًا هذه الجملة فيها التنبيه على إثبات القدر فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

❖ وفي قوله: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ وصف لهم بالجهل وإن كان عندهم علوم من علوم الدنيا، ولكن مع ذلك وصفهم الله بالجهل، وقد ذكر الله عنهم أنهم:

📖 ﴿أَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم:9] عندهم علوم،

📖 ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر:83]، لكن العلوم ما نفعتهم بشيء في أمر دينهم، وفي أمر آخرتهم.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ يعني: جهال، فالجهل من أعظم أسباب رد الحق والاعتقادات الباطلة والخرافات، ففيه الحث على العلم النافع وهو العلم الشرعي تعلمه وقبوله والانتفاع به.

❖ وفي الآية الأخرى: ﴿**قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾ **فيه توبيخ مَن جاءته النصيحة فردها**، فمعنى ذلك أنه إذا جاءتك النصيحة الصحيحة عليك أن تقبلها، وأن تنتفع بها، فهؤلاء لما نصحتهم الرسل أبوا أن ينتصحوا، وقابلوا النصح الذي ينفعهم بهذا الرد السيء القبيح.

❖ وفيه أيضًا **النهي عن المعاصي** ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ ومَن عصى فقد أسرف، تجاوز الحد، ففيه ذم أهل المعاصي ويؤخذ منه مدح مَن وقف عند حدود الله، وراقب الله عَزَّ وَجَلَّ، والتزم ما جاء به الله في كتابه وسُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❖ وفي قوله: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ إثبات ما دلت عليه الأدلة الأخرى من أن **المصائب إنَّما هي بسبب المعاصي**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" أخرجاه. زاد مسلم: "ولا نوء ولا غول".

ثم قال شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب رَحِمَهُ الله تَعَالَى: **"وعن أبي هريرة رضي الله عنه"**، الصحابي المشهور المعروف، مشهور بكنيته وأُختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة جدًّا، ربما أكثر من ثلاثين قولا، المشهور منها اثنان عند أهل العلم: **عبد الرحمن بن صخر**، وقيل **عمرو بن عامر**.

"أن رسول الله ﷺ قال: "لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر" أخرجاه، زاد مسلمٌ "ولا نوء ولا غول".

"لا عدوى" ينفي النبيّ ﷺ العدوى، **والعدوى معناها**: انتقال ومجاوزة العلة ومجاوزة المرض من صاحبها إلى غيره.

وقوله: **"لا عدوى"** يحتمل أن يكون هذا من باب النفي، يعني تنفي أن توجد العدوى، تكون "لا نافية" تنفي وجود العدوى، لكن العدوى موجودة، شيء مخصوص وملموس وموجود ومشاهد، والشرع لا يمكن أن يأتي فيه ما يخالف أو ما ينفي وجود شيء موجود، **فما معنى هذا؟**

❑ **التفسير الأول**: قالوا: **إذا كانت بمعنى النفي**، فمعناها لا توجد عدوى كما تعتقدون أيها المشركون، يا أهل الجاهلية، وماذا يعتقدون؟ يعتقدون أن المرض يُعدِي بنفسه لا بإرادة من الله وتقدير من الله، فهذه العدوى المنفية أن المرض يعدي من تلقاء نفسه، فنفى النبيّ ﷺ ذلك، أما انتقال المرض من مريضٍ إلى صحيح بإذن الله فهذا صحيح.

❑ **والتفسير الثاني لقوله**: **"لا عدوى" أن تكون لا ناهية**، يعني لا يُعدي المريضُ الصحيحَ، يعني ينبغي مَن كان فيه مرض من طبيعته الانتقال بإذن الله ﷻ إلى غيره، أن الصحيح لا يدخل على هذا

27 – باب ما جاء في التطير: (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

المريض أو يلامسه أو نحو ذلك، ولهذا جاء **"فِرَّ منَ المَجذومِ فرارَك منَ الأسَدِ"**، وجاء **"لا يُورَدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ"**، كل شيء بقضاء الله وقدره لكن هذا من باب اتخاذ الأسباب.

إذًا **"لا عدوى"** ينفي النبيّ ﷺ أن تكون العدوى مؤثرة بنفسها.

"ولا طيرة" ينفي النبيّ ﷺ أن تكون الطيرة مؤثرة، وما تظنه الجاهلية ومَن تأثر بهم من أهل الإسلام إنَّما هذا ظن مبني على وهم، فالطير ليس عندها خير ولا شر، فهذا من أوهام الجاهلية الذي يصيبك يصيبك بتقدير الله ﷻ لك، ولا علاقة للطيور ولا لغيرها مما ترى أو تسمع:

- لا تأثير لها في **حياة** ولا في **موت**،
- ولا في **سعادة** ولا في **شقاء**،
- ولا في **سلامة** في سفر أو **هلاكك** في هذا السفر،
- أو **ربح** في هذه التجارة أو **خسارة** في هذه التجارة،

ليس للطيور ولا لغيرها مما تسمع أو تُرى علاقة.

"ولا هامة" **الهامة**: البوم، كانوا إذا رأوا البوم تشاءموا به، وتوقعوا حصول هلاك على أهل ذلك البيت الذي وقع البوم على بيتهم أو نعَق وصوَّت هذا البوم عندهم، **ومن اعتقادات العرب في الهامة** أنهم يقولون إذا قُتل الرجل، فإن روحه تظل عند القبر، وتطالب بالأخذ بثأرها ولا تزال كذلك حتى يؤخذ بثأرها، ويسمون هذه الهامة، فإن كان هذا المعنى الثاني أيضًا فالنبي ﷺ ينفي هذا الاعتقاد الجاهلي.

"ولا صفر" نفي للصفر، ما معنى **"ولا صفر"**؟ من العرب مَن كان يتشاءم بشهر صفر، فالنبي ﷺ بيَّن أن صفر شهر من الشهور مثله مثل محرم، مثل رمضان، مثل شعبان، مثل شوال وغيره من الشهور، لا تأثير له في حصول نعمة ولا في حصول نقمة على النَّاس.

إنَّما الله ﷻ هو الذي يقلِّب الليل والنهار كما يشاء، ويقدِّر فيها الحوادث كما يشاء ﷻ **"يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر، وأنا الدهر أقلِّب الليل والنهار"**، فصفر مثله مثل غيره لا علاقة له بما يحصل لك من خير أو شر، إنَّما خالق ذلك ومقدر ذلك هو الله.

ومن أهل العلم مَن قال: صفر أي مرض وهي عبارة عن حية تكون في البطن تسرع في إهلاك الدواب، في إهلاك النَّاس، وعلى هذا أيضًا يكون النفي لاعتقادهم أن هذا المرض إنَّما يضر من جراء نفسه، ويُهلك من جراء نفسه، فإنه إن صدق ذلك الشيء وكان في هذا المرض فعلًا الذي يُسمى بصفر وأنه يسرع الإهلاك، فإن هذا إنما يكون بأمر الله ﷻ في المرض في البطن ولا في غير البطن كله بأمر الله، سواءً كان يعدي أو غير معدي، كله بأمر الله ﷻ

- ولهذا تجد أهل البيت كلهم يمرضون، يأتي مرض معدي فيصيب كل أهل البيت،
- وتجد في أهل البيت ممن يخالطهم ليلا ونهارا واحد أو اثنين لا يصيبه شيء صحيح معافى، فالذي أصاب هذا بالمرض والذي عافى هذا هو الله ﷻ.

"أخرجاه" يعني: البخاري ومسلم.

"زاد مسلمٌ "ولا نوء" يعني: النجوم، النجوم لا تأثير لها فيما يجري من الحوادث في الأرض، لا تأثير لها في نزول المطر، لا تأثير لها في حياة فلان أو موت فلان، لا تأثير لها في سعادة فلان أو شقاء فلان، هذا المقصود.

أما وجود الأنواء ووجود النجوم وسيرها بوفق جدول معين ونظام معين، فهذا أمر واقع، أمر موجود، مشاهد ومحسوس وملموس، إنَّما المنفي أن يكون لهذه الأنواء لهذه النجوم لهذه المنازل أن يكون لها تأثير في حصول الحوادث الأرضية من أمطار أو من سعادة وشقاء ومما يكون في النَّاس من حياة وموت ونحو ذلك.

"ولا غول" الغول أيضًا العرب تزعم أن الشخص إذا كان مسافرا تتغوَّل له غيلانٌ، يعني تأتيه نوع من الشياطين، فإذا كان في مجموعة من النَّاس فيها راكب مسافر، فيأتي الغول هذه ويناديه "يا فلان بن فلان"،

فيسمع شخص يناديه عن يمين الراكب أو عن شمال الراكب فيذهب إليه، يقول: هذا يناديني باسمي واسم أبي، يعرفني هذا.

قالوا: فإذا ذهب إليه أهلكتْه، أكلتْه، قتلتْه، أو أضلته فجعلته يتيه في هذه الصحراء، لا يستطيع الرجوع إلى الركب الذين كان معهم، أو لا يستطيع الرجوع إلى طريقه الصحيح الذي كان فيه، فيهلك في هذه الصحراء جوعًا وعطشًا أو تأكله السباع، فالنبي ﷺ يقول: **"لا غول"** يعني: كأنه ينفي أصلًا وجود هذا الذي تظنه العرب، وتتناقله في أخبارها وأثمارها.

ومنهم مَن يقول إن هذه الشياطين وهذه الغيلان لا تستطيع أن تضل أحدًا أو تهلك أحدًا إلا بأمر الله ﷻ، وبالتالي عليك بأخذ الأسباب التي تحفظك بإذن الله من هذه الشياطين، كالاستعاذة بالله، كالأذان ونحو ذلك مما تعتصم به من أذكار الصباح والمساء ونحو ذلك.

إذًا هذه أمور كانت موجودة عند الجاهلية ومخالفة للدين الصحيح، فالنبي ﷺ نفاها ونهى عن اعتقاد ما يعتقده المشركون فيها.

ومحل الشاهد من الحديث: قوله: **"ولا طيرة"** يعني: لا تتشاءموا بشيءٍ ترونه ولا تتشاءموا بشيءٍ تسمعونه، لا من الطيور ولا من غير الطيور.

فإذًا كما تقدَّم:

- الحديث يبطل ما تعتقده الجاهلية **أن الأمراض تعدي بنفسها،**
- الحديث يبطل ما تعتقده الجاهلية **بأن الطيور لها تأثير** في السعادة والشقاء ونحو ذلك،
- إبطال ما تعتقده الجاهلية **في الهامة التشاؤم بالبوم**، أو أن **روح الميت تبقى عند قبره** تصيح وتصرُخ حتى يؤخذ بثأرها،
- ما تعتقده الجاهلية من **التشاؤم بشهر صفر**، أو أن هذه **الحية التي في البطن** تبطل من جراء نفسها وليس بأمر الله.

❖ يبطل خرافة الجاهلية **وتعلقها بالأنواء**، وأنها هي التي لها التأثير الأول في نزول المطر، في حصول السعادة، في حصول الشقاء

❖ وهكذا أيضًا إبطال ما تعتقده الجاهلية **في الغيلان**.

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل". قالوا: "وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة".

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ الله: "**ولهما**" يعني: البخاري ومسلم.

"**عن أنس**" بن مالك بن النضر النجَّارِي الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ، توفي سنة ثلاثة وتسعين (**93**) من الهجرة عن مائة سنة، بارك الله له في عمره وفي ماله وفي ولده ببركة دعاء النبيّ ﷺ.

"**قال رسول الله: "لا عدوى**"كما تقدم: إما نفي، إما نهي على حسب المعنى:

❑ **نفي** يعني لا عدوى بنفسها، لا تعدي الأمراض بنفسها،

❑ **نهي** لا يتعمد المريض الذي فيه مرض مؤذي أنه يضر الشخص السليم، أو أن الشخص السليم يدخل على الشخص المريض مرضًا معديًا بدون اتخاذ الأسباب المأذون فيها.

"**ولا طيرة**" التشاؤم ليس من ديننا، إنَّما هو من دين أهل الجاهلية.

"**ويعجبني الفأل**" بمعنى أن الفأل هو جزءٌ من الطيرة، ولكنه يختلف عنها، أن الطيرة لا تكون إلا في توقع الشر، الفأل قالوا: يُطلق على توقع الخير وتوقع الشر:

- **فإن كان من باب توقع الشر** فهو من الطيرة المنهي عنها،
- **وإن كان من توقع الخير** فهذا الذي يعجب النبيّ ﷺ وأذن فيه.

فالصحابة سألوا "**قالوا: وما الفأل؟**" ما الفأل الذي يعجبك؟ ما الفأل المأذون فيه؟ ما هذه الصورة المستثناة من الطيرة المنهي عنها؟

قال ﷺ: "**الكلمة الطيبة**" توضيح ذلك: مثلًا الشخص مريض مرضا شديدا، فسمع اثنين يتكلمان واحد يخبر الثاني يقول له: "فلان مرض بكذا وكذا وشفاه الله" هو الآن في أتم صحة وعافية"، الرجل هذا يستمع لهذه الكلمة فتفاءل بها خيرا، قال: "وأنا إن شاء الله أن الله يعافيني ويرفع عني البأس وأعود إلى تمام الصحة والعافية".

ففَرِحُه بهذه الكلمة، وتوقع حصول الخير له لما سمع هذه الكلمة هذا فأل؛ **ولماذا أُذن فيه؟** لأن فيه حُسن ظنٍ بالله ﷻ أن الله يقدر له الخير وييسر له الخير، **وحسن الظن بالله مطلوب أو منهي عنه؟** مطلوب، تحسِّن ظنك بربك ﷻ.

فإذًا قوله: "**ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة**" يعني: التي يسمعها المسلم فيؤمِّل حصول الخير له بإذن الله ﷻ.

مثلًا شخص يريد أن يدخل في مشروع تجاري، بينما هو يفكر في الموضوع، وإذا هو يسمع واحدا ينادي شخصا: "يا رابح، يا رابح"، رجل اسمه رابح من النَّاس، وهذا يناديه، فقال: "إن شاء الله إن هذا فأل خير، أنا الآن أفكر بالدخول في هذا المشروع وفي هذه التجارة، وهذا الشخص ينادي: يا رابح، فأجل إن شاء الله إني سأربح في هذا المشروع"، فهذا فأل طيب، لا يدخل في النهي، فيه توقع حصول الخير وتأمل الخير من الله ﷻ.

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

"**ولأبي داود بسندٍ صحيح عن عروة بن عامر الجهني**"، في بعض النسخ عقبة، الصحيح هو عروة بن عامر.

27 – باب ما جاء في التطير: (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قال: "ذكرت الطيرة عند رسول اللهﷺ" يعني: كأنهم سألوه عن الطيرة أو تحدثوا عما كانت تعمل العرب وتعتقد في الطيرة.

"فقالﷺ"أحسنها الفأل" إذًا الفأل هو جزءٌ من الطيرة لكنه جزءٌ مأذونٌ فيه، نوع مأذون فيه، ليس بمعنى أن تعتقد أن هذا المتكلم بهذه الكلمة مثلًا هو الذي ينفع ويضر، لكن أن تتوقع أن ينالك الله ﷻ بخير.

ثم قال: **"ولا ترد مسلمًا"** يعني: الطيرة، عزم على أمرٍ، ثم سمع شيئًا يكرهه، رأى شيئًا يكرهه لا ترده عن حاجته التي عزم عليها؛ لأنه يعتقد أن هذا الشيء الذي سمع أو الشيء هذا الذي رأى لا ينفع ولا يضر، ولا يقدم ولا يؤخر، **مَن الذي ترده الطيرة**؟ ترد المشرك، أما المسلم لا ترده؛ ولهذا قال: **"ولا ترد مسلمًا"** إنَّما ترد المشرك ومَن تأثر بأهل الشرك هم الذين تتخبط بهم هذه الأوهام، هذه الخرافات.

"فإذا رأى أحدكم ما يكره" يعني: رأى شيئا أو سمع شيئا فوقع كراهية من الأمر الذي يريد أن يقدم عليه، كما نقول غصبًا عنه، وقعت الكراهية مباشرة لما سمع هذه الكلمة شعر بشيءٍ من الضيق، فتوقع حصول مكروه لما سمع هذه الكلمة.

هذا الشيء الذي هجم عليه بغير إرادته، ماذا تفعل؟ لا ترده، ما دام عزمت على الأمر وصممت على فعله فافعل، ولا ترده من أجل هذه الكلمة، لكن لو فكرت في الموضوع مثلًا وتبين لك أن في هذا الموضوع مشاكل، ليس بناء على تلك الكلمة، لكن نصحك ناصح خبير:

- بأن هذا الوقت لا يصلح **للسفر**،
- هذا النوع من **التجارة** لا يصلح الآن،
- هذه المرأة التي أنت عازم على **الزواج** منها فيها المشكلة الفلانية،

فتراجعت من أجل هذه الأمور التي استجدت لك، هذا جائز، ما صرفك عنه تلك الكلمة التي سمعتها، أو الطير الذي رأيت، فإذًا إذا عزمت على فعل شيء ترى أن فيه الخير والمصلحة لك، فلا ينبغي للطيرة أن تردك.

وقعت الطيرة هكذا بصورة خارجة عن إرادتك ما عليك في هذا حرج، لكن بشرط ألا تلتفت إليها، ومما يعينك على تجاوز هذا الشعور أن تقول: **"اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت"** يعني المصالح والمنافع لا يأتي بها إلا أنت، وهذا حق:

- ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:2]،
- فالخير من الله ﷻ ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس:107]،
- ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء:78]،

"اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت" يعني: المصالح والمنافع،

"ولا يدفع السيئات" يعني: المصائب والأمراض والمكروهات في المقادير، لا يدفعها قبل وقوعها **"إلا أنت"**، كما أنه لا يرفعها بعد نزولها إلا أنت.

"ولا حول ولا قوة إلا بك" لا تحول من حال إلى حال إلا بإذن الله، ولا قوة للمخلوق على فعل شيء أو على ترك شيء إلا بالله ﷻ، إذا أعانك عليه أعنت، وإن سلبك الله ﷻ القوة على فعله ما تستطيع أن تفعله، ولو كان أحقر شيء وأدنى شيء.

فإذًا النبي ﷺ في هذه الأحاديث يمحو ويبطل عقائد الجاهلية والتي فيها تعلق بالمخلوق، والتي فيها تعلق حتى بالأوهام والخيال، ويقرر محله التوحيد، وتفويض الأمر لله، وصدق التوكل على الله ﷻ والالتفات بالقلب إليه سبحانه، فالطيرة، التشاؤم، اعتقاد العدوى والنوء والغول وكذا كلها تضعف القلب عن صدق التوكل على الله ﷻ، فمثلًا لو عظم التوكل، قوي التوكل، وصار عند المسلم يقين قوي في الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كلما تجاوز هذه الأوهام والخرافات الجاهلية بإذن الله.

وهذا الحديث من جهة السند فيه عنعنة حبيب بن أبي ثابت، ولكن الحديث كما سمعنا تدل عليه وتؤيده الأحاديث الصحيحة والنصوص الصحيحة في هذا الباب.

27 – باب ما جاء في التطير: (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وعن ابن مسعود مرفوعا: "الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل" رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.

"**وعن ابن مسعود مرفوعًا**" يعني: من كلام النبي ﷺ.

"**الطيرة شرك، الطيرة شرك**"، كررها النبي ﷺ مرتين تحذيرا، تنبيها، وتأكيدا على إزالة ما كان متداولا مشهورا عند أهل الجاهلية.

"**وما منَّا إلا**" يعني: وما منا إلا يتطير، يعني ما منا إلا مَن يقع في قلبه شيء من هذه الطيرة.

"**ولكن الله يذهبه بالتوكل**" يعني: يهجم هذا الشعور، يهجم هذا الوهم على القلب لكن المسلم الموحد لا يلتفت إليه، يتوكل على الله، ويستعيذ بالله من نزعات الشيطان ويمضي في الأمر الذي عزم عليه، لا يتراجع عنه من أجل هذا الشيء الذي حصل في نفسه، أو الشيء من رؤيته أو سماعه.

وهذه الجملة فيقول عنها: "**رواه أبود داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود**"، يعني قوله: "**وما منَّا إلا**" يتطير "**ولكن الله يذهبه بالتوكل**" هذا ليس من كلام النبي ﷺ.

إذًا الحديث المرفوع ينتهي عند قوله: "**الطيرة شرك، الطيرة شرك**" هذا الذي من كلام النبي ﷺ، ما بعد ذلك هو من كلام ابن مسعود، وبعض رواة هذا الحديث نص على التفريق بين الجزئين، جعل الأول من كلام الرسول ﷺ والثاني من كلام ابن مسعود، وذلك لأن الرسول ﷺ معصوم من الشرك كله أكبره وأصغره.

وهذا فيه تنفيس للمؤمن أنه إذا حصل الشيء ووقع في قلبك بدون إرادة منك، ولم تلتفت إليه ولم تعمل بمقتضاه أن هذا الشيء لا يضرك والحمد لله.

ولأحمد من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما: "من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك". قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: "أن تقولوا: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك".

"**ولأحمد من حديث ابن عمرو**" عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السَّهْمِي.

"مَن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك" يعني: من كلام النبي ﷺ،

"مَن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك" إذًا متى تضرك الطيرة؟ إذا عملت بمقتضاها، أما إذا لم تردك عن حاجتك ولم تلتفت إليها فلا تضرك وإن كان وقع في نفسك الضيق والغم لما سمعتَ أو رأيتَ، هذا القدر ما يضرك، إنَّما يضرك إذا عملتَ بمقتضى هذا التطير وهذا التشاؤم والمقصود به في باب الشر.

أما إذا أنت عازم على الفعل وسمعت الكلمة الطيبة، وزاد عزمك وتصميمك ليست فيه مشكلة، هذا الذي قلنا إنه كما قال النبي ﷺ: **"ويعجبني الفأل، وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة".**

"مَن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك" يعني لا يأتي بالخير إلا أنت، لا يأتي به الطير ولا إنسان ولا جن ولا إنس ولا غيره،

"اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك" يعني: ما يكون من قَدَر فهو من عندك سبحانه وتعالى.

"ولا إله غيرك" لا معبود بحقٍ سواك يا رب؛ لأنك المتفرد بالخلق والإيجاد والتدبير، وتقدير الخير وتقدير الشر كل ذلك منك، فإذا كان الله عز وجل هو الواحد في الخلق والتدبير، إذًا هو وحده المستحق لأن يُعبد ويُخشى ويُرجى سبحانه وتعالى.

"وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: "إنَّما الطيرة ما أمضاك أو ردك"

مثل ما تقدم في الأحاديث، فالطيرة التي تضر صاحبَها هي التي يعمل بما دلتْ عليه في وهمِه وظنِّه.

فإذًا خلاصة هذا الباب: التحذير من معتقدٍ جاهلي وهو التشاؤم والتطير، فإنه يعلِّق الإنسان بالأوهام ويُضعِف القلب، ويسبب سوء الظن في الله سبحانه وتعالى، ويقدح في التوكل، وفي الإيمان بالقدر، والتعلق بالأسباب المنهي عنها، وهذا كله مما ينافي كمال التوحيد.

أما إذا اعتقد أن الطير هذا، هذا البوم، هذا الطير هو الذي يجلب الخير، وهو الذي يدفع الشر من نفسه، فهنا انتقل من شرك أصغر إلى شرك أكبر؛ لأنه صار يعتقد أن هذا الطير هو خالق الشر، هذا البوم هو

خالق الشر، لكن الأصل أن الطيرة شرك أصغر جعل ما ليس سببا سببًا؛ وسُمي شركا؛ لأن الرسول سماها شركا "**الطيرة شرك**".

فالمقصود إذًا إن على المسلم أن يصدق في توكله على الله، وتعلق قلبه بالله ﷻ، ولا بأس أن يأخذ المسلم بالأسباب المشروعة، وبالأسباب المباحة المأذون فيها، فهذا لا يُنافي التوحيد.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

28 – باب ما جاء في التنجيم

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرحِ للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

28 – باب ما جاء في التنجيم (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله **"باب ما جاء في التنجيم"** نجد أن الباب هنا باب مفتوح **"باب ما جاء في التنجيم"** يعني في الوعيد، في الترغيب، في المنع، في الإباحة، في جوازه، في تحريمه، ما حدد المؤلف رحمه الله ما هذا الذي جاء في التنجيم، وفي الغالب أن هذا النوع من التبويب يدل على أن هذه المسألة المراد الكلام عنها بهذه الصيغة:

- أن فيه صورة **محرمة** وصورة **جائزة**،
- أو أن هذه المسألة **فيها خلاف**، منهم من يجيزها ومنهم من يمنعها،
- أو أنها تحتمل تارة تكون **شركًا أكبر** وتارة يكون **شركًا أصغر**.

فهنا المؤلف رحمه الله ما جزم بحكم معين في التنجيم، قال: **"باب ما جاء في التنجيم"**، العلماء لما نظروا في الأدلة الموجودة في هذا الباب، قالوا: "باب ما جاء فيما يجوز من التنجيم، وما لا يجوز" هذا معنى الباب.

التنجيم التفعيل على نجّم، ينجّم، تنجيمًا، فعَّل يفعِّل تفعيلًا.

معنى التنجيم: الاستدلال بسير الكواكب والنجوم وطلوعها وغروبها على الحوادث الأرضية، الاستدلال بسير النجوم وحركاتها، طلوعها وغروبها هذا من باب التفصيل على الحوادث الأرضية، كالحياة، والموت، والسعادة، والشقاء، ونحو ذلك.

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وكلف ما لا علم له به" انتهى.

"قال البخاري رحمه الله في صحيحه، قال قتادة" ابن دعامة ابن قتادة السدوسي، أحد كبار علماء التابعين.

"خلق الله هذه النجوم لثلاث" أي أوجدها لثلاثة حكم:

- **الحكمة الأولى**: قال **"زينة للسماء"** أي للسماء الدنيا، مثل ما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك:5] وهذا أمر محسوس، تخرج في الليلة المظلمة ترى النجوم، كيف تزيّن السماء، بخلاف صورة السماء في الليلة التي لا نجوم فيها لغَبَرَة أو نحو ذلك، فتختلف صورتها عن الليلة التي تُرى فيها النجوم.

- **الحكمة الثانية**: **"ورجومًا للشياطين"** مسترقة السمع، وكان استراق السمع قبل بعثة النبي ﷺ كثيرا جدًا، ثم لما بُعث النبي ﷺ حُرست السماء وحُميت، كما قال الله ﷻ عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن:8]، فكان في زمان تنزل الوحي الحراسة شديدة جدًا، لا تستطيع أن تسترق السمع، ثم بعد انقطاع الوحي يعود هذا الرجم والرمي بالشهب للشياطين، لكن كأنه والله أعلم أقل مما كان قبل البعثة، كما تقدم الشياطين يصعد بعضها فوق بعض، كما قال سفيان الثوري "ومسترق السمع هكذا".

وتلتقط الكلمة التي تسمعها من الملائكة مما قضى الله ﷻ به، ثم الشيطان الأعلى يلقي الكلمة إلى الشيطان الأسفل، والشيطان الأسفل يلقيها إلى من هو دونه، حتى يكون آخر واحد يلقيها في أذن الكاهن، فالله ﷻ يرسل هذا الشهاب على الشيطان، فقد يصيب الشيطان قبل أن يخبر مَن دونه، وقد يصيبه بعد ما يكون قد ألقى الكلمة، هذا معنى قوله: **"رجومًا للشياطين"** أي مسترقة السمع.

- **الحكمة الثالثة**: **"وعلامة يُهتدى بها"** الحكمة الثالثة: أنها علامات جمع علامة قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:97] ﴿جَعَلَ﴾ هنا: جعل اللازم، بمعنى خلق، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ يعني أقصد أنها تنصب مفعولًا واحدًا، ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى خلق، أي جَعَلَ التي تنصب مفعولًا واحدًا، فجَعَلَ إذا كانت تنصب مفعولًا واحدًا

فهي بمعنى خلق، ﴿جعل الظلمات والنور﴾ أي خلق الظلمات والنور، ويوجد "جَعَلَ" بمعنى صيَّر، جعلتُ الخشبَ سفينةً، يعني صيَّرتُ وحوَّلتُ الخشب من كونه خشبًا إلى أن صار سفينةً.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ أي خلق لكم يا بني آدم، امتنان من الله تعالى، يمتنَّ الله على عباده بأن خلق لهم هذه النجوم لمصلحتهم، لمنفعتهم في هذه الحياة الدنيا، ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ تستدلوا بها في البر وفي البحر، **على ماذا يستدلون بها؟** على أشياء كثيرة:

- فبالنظر في النجوم **يهتدون بها إلى الوصول إلى البلد** الذي يريدون الوصول إليه، فمثلًا انطلقوا من بلدته يريد بلدة أخرى تقع إلى الجنوب من بلده، هو يريد أن يتجه إلى جهة الجنوب، فمن خلال النظر في النجوم يعرف أن اتجاهه إلى الجنوب.
- من خلال النظر في النجوم **يهتدي بها لمعرفة القبلة**،
- من خلال النظر في النجوم **يهتدي إلى معرفة وقت السحور**، مثلًا يريد أن يتسحر ويريد أن يعرف كم بقي على الفجر، إذا كان الشخص خبيرا وعالما بالنجوم فمن خلال النظر في بعض النجوم يعرف وقت السحور؛ لأنه ما بقي على الفجر وقت يسير، ويطلع الفجر الصادق، أهل الخبرة يعرفون ذلك، أن النجم إذا طلع ما بقي على الفجر نصف ساعة أو نحوها.

فالمصالح في الدلالة التي تدل عليها هذه النجوم كثيرة، إما معرفة الاتجاهات، البلدان، القبلة، وقت السحور، دخول وقت العشاء، فبالنظر فيها يستدلون بها على ذلك الشيء المراد ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:97].

إذًا أفاد رحمه الله لما بين هذه العلل، الحكم الثلاثة على خلق النجوم، إنما استند في ذلك إلى قول مَن خلق النجوم وهو الله سبحانه وتعالى.

قال **"فمن تأول فيها غير ذلك"** يعني مَن زعم أن النجوم يستدل بها على غير هذه الأمور الثلاثة ولا سيما ما يتعلق بمعرفة أمر الغيب، قال: **"فقد أخطأ الصواب"** لأنه زعم شيئا لا دليل عليه.

"**وأضاع نصيبه**" أي حظه، قال الشارح: "**حظه من عمره**" لأنه اشتغل بلا منفعة فيه، ذهب عمره سُدى، تعلق بأوهام، تعلق بخيالات، لا حقيقة لها.

"**وتكلف ما لا علم لهم به**" والله ﷻ يقول: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:36] فيضيّع وقته، يضيّع عمره في قراءة كتب، في متابعة برامج، تزعم أن هذه النجوم تدل على حياة فلان، وموت فلان، وماذا تكون في السنة القادمة، والسنة التي فيها الحروب، والسنة التي فيها السلام، والأمان ونحو ذلك، وسيموت فيها فلان وفلان، وسيورِث فيها فلان وفلان، فأضاع عمره في طلب المحال، "**وتكلف ما لا علم له به**" انتهى كلام قتادة رحمه الله.

"وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه" ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق"

في المنازل يقول أهل العلم: هناك اثنى عشر (**12**) منزلة، التي هي اثنى عشر برج، هذه الأبراج يقطعها القمر في ثماني وعشرين (**28**) ليلة، وتقطعها الشمس في اثني عشر (**12**) شهرا، وهذه البروج الاثني عشر نظمها بعض أهل العلم بقوله:

حَمَلَ الثَّوْرُ جَوْزَةَ السَّرطَانِ ***** **وَرَعَى اللَيْثُ سُنْبُلَ الميزَانِ**

وَرَمَتْ عَقْرَبٌ بِقَوْسٍ لِجَدْيٍ ****** **وملأَ الدّلوُ بِرْكَةَ الحِيتَانِ**

برج الحَمَل هو أول واحد، "**حَمَلَ الثَّوْرُ**" برج الثور، "**جَوْزَةَ السَّرطَانِ**" الجوزاء، برج السرطان، "**وَرَعَى اللَيْثُ**" برج الأسد، "**سُنْبُلَ الميزَانِ**" السنبلة ثم الميزان، "**وَرَمَتْ عَقْرَبٌ**" برج العقرب، "**بِقَوْسٍ**" برج القوس، "**لِجَدْيٍ**" برج الجدي، "**وملأَ الدّلوُ**" برج الدلو، "**بِرْكَةَ الحِيتَانِ**" برج الحيتان آخر الأبراج الاثني عشر، فهذه الأبراج الاثنى عشر:

- **يقطعها القمر** في ثماني وعشرين (**28**) ليلة،
- **وتقطعها الشمس** في اثني عشر (**12**) شهرًا.

ثم هذه البروج فيها أنواع فيها نجوم، كل نجم يستمر قرابة ثلاثة عشر (13) يوما، والجبهة يستمر أربعة عشر (14) يوما، هذا النجم الذي يستمر قرابة ثلاثة عشرة إذا غاب هذا النجم طلع النجم الذي بعده مباشرةً، يغيب هذا من جهة المغرب، وذاك يطلع من جهة المشرق، عرفوا هذا بالتتبع والتأمل إلى آخره.

فالمهم إن هذه المنازل يراد منها معرفة سير الشمس، سير القمر، دخول الصيف، دخول الشتاء، دخول الربيع، وهكذا...

علم حركة هذه النجوم يعني علم سير هذه النجوم، علم التسيير، يقول **"رخّص فيه الإمام أحمد، ورخص فيه إسحاق"** يعني ابن رَاهَوَيْه، قالوا "جائز ليس فيه شيء؛ لأن الله قدر القمر منازل قال: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس:5] فكونك تعرف هذه المنازل، حركة القمر، حركة الشمس، هذه الأبراج، هذه الأنواء حتى تُعرَف بها المواقيت المتنوعة، مواقيت الزراعة، مواقيت كذا، مواقيت كذا، مواقيت كذا، هذا ليس فيه حرج.

"رخص فيه الأمام أحمد وإسحاق" لأنه لا يُزعَم أن لهذه الحركة علاقة بحياة، أو موت، أو سعادة، أو شقاء، إنما هي مواعيد، تجئ بنظام دقيق، في النوع الفلاني عُرف بالممارسة أنه يصلح زراعة الثمرة الفلانية، إذا ظهر النجم كذا وكذا هذا موعد لدخول فصل الصيف، لدخول فصل الشتاء، فالله قدر هذه المقادير في هذا الوقت، وليس أن هذا النجم هو الذي سبب هذا الشيء، إنما هو ميقات وموعد، **"فرخص فيه أحمد واسحاق"** لما فيه من المصلحة.

"وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه"

لماذا كره قتادة وابن عيينة تعلم هذه المنازل التي يراد بها علم التسيير وليس علم التأثير؟ قالوا: من باب سد الباب، حتى لا يتوصل بعض الناس يبدأ أن يدرس علم النجوم من جهة سيرها وحركتها، ثم يتعمق في هذا الموضوع حتى ينتقل إلى القسم المذموم، فيستدل بها على ما لم يجعل الله دليلًا عليه، ولا أثرًا لها فيه.

باختصار أحمد وإسحاق أباحا ورخصا بدراسة علم التسيير، علم سير الكواكب، والنجوم، قتادة وابن عيينة حرَّما ذلك قالوا: من باب سد الذرائع، حتى لا يتوصل بتعلمها إلى الدخول في الدائرة المحرمة وهي علم التأثير، فالعلم المتعلق بالنجوم علمان:

- علم **التأثير**،
- وعلم **التسيير**،

علم التأثير هذا حرام، علم التسيير هذا جائز.

لماذا منع بعض أهل العلم علم التسيير؟ قالوا: حتى لا ينتقل إلى علم التأثير فيقع في المحظور.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم" رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه.

ثم قال رحمه الله: "**وعن أبي موسى**" يعني أبي موسى الأشعري عبد الله ابن القيس.

قال: **قال رسول الله ﷺ**: "**ثلاثة لا يدخلون الجنة**" من هم؟ قال: "**مدمن الخمر وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر**" رواه أحمد وابن حبان في صحيحه".

"**ثلاثة**" يعني ثلاثة أصناف "**لا يدخلون الجنة**" هذا من نصوص الوعيد، وقد ذهب بعض السلف إلى أن نصوص الوعيد ينبغي أن تمر هكذا، دون تفسير؛ لأن المقصود منها الترهيب، والتخويف، والردع، فتُقرَأ هكذا على الناس، حتى يسمع السامع أن من فعل هذا الجرم أنه لا يدخل الجنة، أما الحكم هل لا يدخلها أبدًا، أو لا يدخلها مدة ثم يدخلها، هذا له مجال آخر، لكن عندما تعظ الناس، تحذر الناس من هذه الجرائم، تقرأ عليه هذه النصوص، وتمرها إمرارًا عليها حتى يكون لها الدور الفاعل في الردع والزجر.

أما إذا أريد هل هذه تمنع من دخول الجنة مطلقًا؟ بمعنى أن يكون مخلدا في النار أبد الآباد، أو ليس ذلك المقصود، فهذا له مجال آخر، مجال التوضيح لطلاب العلم حتى يميزوا بين هذا وهذه، هكذا رأى بعض

السلف ألا تُفسَّر، حتى يبقى لها أثرها في الردع والزجر، ومن أهل العلم من فسَّرها حتى لا يكون بعض الناس يفهمها فهمًا يوافق فهم الخوارج وفهم المعتزلة.

"ثلاثة لا يدخلون الجنة" ثلاثة أصناف:

❑ **الأول**: **"مدمن الخمر"** المدمن يعطينا معنى غير معنى من شرب الخمر، من شرب الخمر يُطلق على مرة واحدة، لكن مدمن الخمر تدل على والعياذ بالله المداوم على شربه، وليس معنى أن من شرب مرة ولم يتُبْ أنه غير داخل في الوعيد:

📖 النبي ﷺ قال: **"لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"**،

📖 قال: **"لعن الله شارب الخمر"**

وهذا يصدق على من شربها ولو مرة واحدة، فالنصوص دلت على الوعيد في الحالتين جميعًا:

- من شربها **مرة**، ومن **أدمن عليها**،
- فهذا **متوعَّد**، وهذا متوعَّد،
- هذا **ملعون** وهذا ملعون،
- هذا **متوعد بالنار**، وذاك متوعد بالنار أعاذنا الله وإياكم.

مدمن الخمر لا يدخل الجنة أبد الأبد، أو لا يدخلها مدة من الزمن ثم يدخلها بعد ذلك؟ فيه تفصيل:

❍ **إن أدمن الخمر، شرب الخمر مستحلًا لها**، يعتقد أنها حلال، فهذا لا يدخل الجنة مطلقًا، هذا خالد مخلد في النار، لماذا؟ لأنه مستحل لما حرَّم الله، ومَن استحل ما حرم الله عز وجل فقد كفر؛ لأنه ليس بمصدِّق أن الله عز وجل نهى عن شرب الخمر، ليس بمصدِّق أن الرسول ﷺ نهى عن شرب الخمر، فلم يؤمن بما أوجب الله أن يؤمن به العبد، أنت يجب عليك وجوبا أن تعتقد أن الله حرم الخمر، فالله يحرِّم وأنت تحل، هذا كفر بالله سبحانه وتعالى، ويجب أن يعلم ما معنى الاستحلال:

- **ليس معنى الاستحلال الفعل**، يعني إذا شرب صار مستحِلًّا،

- **وليس الاستحلال معناه الإصرار** والمداومة،

الاستحلال: عمل قلبي، في قلبك، يعتقد أنك لما تشرب الخمر كأنما تشرب عصيرا برتقالا، هذا حلال، وهذا حلال، يعتقد أن شرب الخمر مثل شرب الماء، هذا حلال وهذا حلال.

كيف نطَّلع أنه يعتقد أن الخمر حلال؟ كيف نعرف؟ لازم هو يقول إن الخمر حلال، فإذا هو صرَّح بهذا عرفنا أنه يستحل الخمر، واحد ينصحه، قال له: "اتق الله ولا تشرب الخمر، الخمر حرام، الخمر كذا"، قال: "من قال الخمر حرام، الخمر حلال"، طبعًا بشرط يقول هذا الكلام وهو في حالة صحو، وليس بحالة سكر، أما لو يناقش وهو في حالة سُكر لا عبرة بكلامه، لكن يقر على نفسه بأن الخمر حلال في أثناء صحوه، يقول هذا بإرادته مختارًا عالمِا بما يقول، فإذًا إن كان مستحلا، فنفي دخول الجنة عنه نفيًا مطلقًا.

- **أما إن كان غير مستحل**، يشرب الخمر وهو يعلم أنها حرام، إنما اتباعا للهوى، فهنا معنى قوله **"لا يدخلون الجنة"** يعني يُمنعون منها منعًا مؤقتًا:

- **المعنى الأول**: منهم من يقول لا يدخل الجنة مع أول الداخلين، **"لا يدخل الجنة"** يكون النفي هنا نفي لأولية الدخول، لا يدخل الجنة مع أول الداخلين، بل يدخل الجنة أولًا المتقون، وهذا يُمنع، يُحبس عن الجنة مدة ثم بعد ذلك يدخل الجنة.

- **المعنى الثاني**: لا يدخلون الجنة حتى يُطهروا من ذنوبهم في النار، يعني أول شيء يدخل النار، يُطهر فيها، يُنقى فيها، ثم بعد ذلك يدخل الجنة، يعني كأن تقدير **"الثلاثة لا يدخلون الجنة"** حتى يُطهروا في النار.

- **فالمعنى الثالث**: لا يدخلون الجنة إلا أن يشاء الله، بمعنى:

  - إلا أن يشاء الله يدخلوا الجنة **بمحض فضل** من عنده،
  - أو إلا أن تكون لهم **حسنات أكبر، وأكثر من المعصية** فيدخلون الجنة،
  - أو إلا أن **يشفع فيهم الشافعون** فيدخلون الجنة،

فلو قُدر أن لم يشفع فيهم أحد، ولم تكن لهم حسنات أكثر من سيئاتهم، ولن يشاء الله بحكمة أن يتفضل عليهم بدخول الجنة مباشرة، إذن لا يدخلون حتى تمسهم النار، **لماذا هذه القيود، وهذه التفسيرات**؟ لأن مجموع هذه الأدلة يدل على هذا المعنى:

- ∇ **أن من عصاة الموحدين مَن يغفر الله له ويدخل الجنة مباشرة** ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48]، **هل إدمان الخمر شرك أو دون شرك**؟ دون شرك، ما دام دون شرك، إذًا تحت المشيئة قد يعفو الله عن صاحبه ويدخله الجنة لأول وهلة،
- ∇ **دلت النصوص على أن من رجحت حسناته على سيئاته أنه يدخل الجنة** ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ يعني كثرت حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة:7]،
- ∇ **دلت النصوص على أن بعض أهل الكبائر يدخلون النار**، ثم يخرجهم الله من النار، قبل الوقت الذي كانوا يستحقون أن يبقوا في النار، بشفاعة الملائكة، بشفاعة النبيين، بشفاعة المؤمنين، أو يخرجهم الله تفضلًا من عنده.
- ∇ **ودلت النصوص على أن بعضهم يبقى في النار حتى يكون فحمًا**، ثم بعد ذلك يخرجهم الله إلى الجنة،

فبالنظر إلى مجموع هذه النصوص جاء هذا التفسير الذي سمعناه:

- لا يدخل الجنة **مطلقًا** إن كان مستحلًا،
- لا يدخل الجنة يعني **ابتداء** إنما يؤخر عنه،
- لا يدخل الجنة **حتى يمسه العذاب** إلا إن منعه مانع من هذا العذاب، هذا المانع:
  - **رجحان** حسناته،
  - **تفضل** الله عليه،
  - **شفاعة** الشافعين.

"ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر" هل المؤلف ساق هذا الحديث لأجل هذه الجملة؟ لا؛ لأن الباب في التنجيم، وإدمان الخمر لا علاقة له بالتنجيم.

❑ **الثاني: "وقاطع الرحم"** الرحم: من كان بينك وبينه قرابة بسبب ولادة، وأولهم الأب والأم، لكن العلماء يفرقون بين الأبوين وبين غيرهم، فيطلقون على الأبوين البِرّ، صلة الأبوين تُسمى برًّا، وعندنا الأرحام تسمى صلة، البر وصلة الرحم، والبر هو جزء من صلة الرحم لكنه خاص في الاصطلاح عند الإطلاق بالوالدين لعظم شأن الوالدين، فأعظم الرحم حق عليك هي أمك ثم أبوك ثم بعد ذلك تبدأ الدائرة تتسع شيئًا فشيئًا الأب، الأم، الجد، الجدة، الابن، الابنة، العم، العمة، الخال، الخالة، الأخ، الأخت كما قال ﷺ **"ثم أدناك أدناك"**، كلما ضاقت الدائرة كلما كان الحق أوجب وألزم، كلما بعدت الصلة كلما كان الحق أضعف من حق القريب.

وكيف يكون الشخص واصل أو غير واصل؟ ليس فيه تحديد، قد تكون الصلة بالطاعة، قد تكون الصلة بالنفقة، تكون الصلة بالزيارة، تكون الصلة بالهدية، تكون الصلة بالمواساة في الحزن والمشاركة في الفرح، حسب الظروف، حسب عادات الناس، حسب عادات أهل البلد، فيجب على المسلم والمسلمة أن يعتني بهذا الأمر؛ لأن الله شدد في مسألة قطيعة الرحم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد:23-22] وهنا في الحديث **"لا يدخل الجنة قاطع الرحم"** كما في البخاري أيضًا **"لا يدخل الجنة قاطع"** يعني قاطع رحم، وهكذا أيضًا هذه الجملة الثانية لا علاقة لها بالتنجيم.

إذًا لماذا ساق المؤلف هذا الحديث؟ من أجل الجملة الثالثة وهو قوله ﷺ: **"ومصدق بالسحر"** قبل ما نأتي بالجملة الثالثة، **قاطع الرحم لا يدخل الجنة مطلقًا أو مؤقتًا؟** فيه تفصيل:

- **إن استحل قطيعة الرحم**، يقول: قطيعة الرحم حلال، من قال إنه واجب أصلًا؟ هذا يكفر، أين ذهبت نصوص القرآن والسنة في هذا الباب،
- أما إن قطع الرحم **وهو معتقد أنها حرام** فهذا عاصٍ، وفي تفسير **"لا يدخلون"** ما تقدم في موضوع مدمن الخمر.

28 – باب ما جاء في التنجيم (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

❑ **الثالث**: "**ومصدق بالسحر**" هذا محل الشاهد؛ لأن التنجيم شعبة من شعب السحر؛ لأن تقدم معنا أن الكهانة من السحر، والتنجيم هو نوع من الكهانة، ادعاء علم الغيب من خلال النظر في النجوم.

"**مصدق بالسحر**" تصديق الكهان في علم الغيب، تصديق السحرة في أمور مغيبة، **هذا ما حكمه**؟ هذا كفر، **هل أصغر أو أكبر**؟ أكبر؛ لأن من صدق الكاهن في ادعائه علم الغيب قطعًا قد كذب الله في قوله: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:65] فهذا كأن يقول "لا يا رب! فيه أيضًا غيرك يعلم الغيب، وهو هذا الكاهن، هذا الساحر، هذا الناظر في النجوم"، إذن كذَّب الله ﷻ.

فإذًا هنا قوله "**ومصدق بالسحر**" يقول: لا يدخلون الجنة في حقه على بابه، على ظاهره، لا يدخل الجنة أبدًا؛ لأن من صدق الكهان في ادعاء علم الغيب، أنه يعلم الغيب، فهذا كافر "**من آتى كاهن فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ"، فمن صدقه في كونه يعلم الغيب، فهذا كافر كفرا أكبر والعياذ بالله.

فهذه الجملة هي التي من أجلها المؤلف رحمه الله أورد هذا الحديث؛ لأن النظر في النجوم هو شعبة من السحر، شعبة من الكهانة، لما فيه من ادعاء علم الغيب، فمن نظر في النجوم، درس النجوم، تعلم النجوم بهذا القصد، يستدل بها على معرفة المغيبات فهو كافر والعياذ بالله.

أما ما من تعلم النجوم ليعرف حركتها، وبالتالي يعرف دخول الفصول الأربعة مثلًا، ليعرف مواسم الزراعة، ليعرف العلامات: علامات الجهات، علامات بعض الأوقات التي يحتاج إليها، فهذا تعلم جائز ومباح والحمد لله لما فيه من المصالح.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

29 – باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115   1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

29 – باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله **"باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء"**

"الاستسقاء" طلب السقيا، وهذا في الأصل، والمقصود الاستسقاء بالأنواء يعني نسبة نزول المطر إلى الأنواء، **"والأنواء"** جمع نوء وهي النجوم، تقدم تقريبًا في الدرس الماضي أن القمر له منازل كما قال تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:39]، والمنازل المواقع التي ينزل فيها القمر في الليل، ويقسمون هذا الطريق الذي تسلك فيه الشمس ويسلك فيه القمر إلى اثني عشر **(12)** برجًا، ثم هذه الاثنا عشر برجا:

- **يقطعها القمر** في ثمانية وعشرين **(28)** ليلة،
- **وتقطعها الشمس** في سنة كاملة،

ثم هذه الأبراج الاثنا عشر **(12)** تنقسم إلى ثمانية وعشرين **(28)** منزلة، كل منزلة تسمى نوء، الشرطين، البطين، الذراع، منها الجبهة، والنبعة، وهكذا، كل نوء من هذه الثمانية وعشرين **(28)** يمكث ثلاثة عشر **(13)** ليلة، يكون موجودا هذا النوء، اللهم إلا الجبهة، فهي أربعة عشر **(14)** يومًا، فالقمر ينزل كل ليلة عند واحد من هذه الأنواء الثمانية وعشرين **(28)**، كل ليلة له منزل ينزل فيه، نحن نتفرج القمر لا ندري عن هذه التفاصيل، لكن أهل الخبرة يعرفون هذا الشيء.

فهذا النوء الذي قلنا يمكث ثلاثة عشر يومًا، ثم يغيب، إذا غاب يخرج النوء الذي بعده، فإذا خرج النوء الذي بعده عند العرب اعتقاد أن هذا وقت نزول المطر، فإذا نزل المطر قالوا: "مطرنا بنوء كذا"، النجم الذي طلع حديثًا، جديدا، فرد الله ﷻ عليهم هذا الاعتقاد، وبين أن هذه الأنواء لا علاقة لها بالمطر.

"باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء" يعني لتكذيب نسبة نزول المطر إلى الأنواء.

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:82]

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي تجعلون نصيبكم من هذا الغيث، من هذه النعمة أنكم تكذبون بها، وذلك بنسبتها إلى غير الله ﷻ.

والآيات التي قبلها قوله ﷻ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:75 82].

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ هذه الآية فسرت بعدة تفاسير، لكن مرد التفاسير إلى أحد قولين:

- إما **مواقع النجوم المعروفة**،
- وإما المقصود بالنجوم يعني **وقت نزول القرآن الكريم**؛ لأن القرآن نزل منجما يعني مفرقا، فالله ﷻ يقسم بالأوقات التي يتنزل فيها القرآن الكريم.

ولكن أكثر العلماء على أن النجوم هي الأنواء.

ومعنى ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ يعني فلَأقسم، فهذا قسم، وليس نفي قسم، مثل ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:1]، ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ كل هذا إثبات "لَأقسم"، قالوا: هذه (لا) لا زائدة، يعني زائدة بحيث أن الكلام يستقيم بدونها، والمعنى "أقسم بهذا البلد، أقسم بيوم القيامة، وأقسم بمواقع النجوم"، هذا معنى كونها زائدة، ليس معنى كونها زائدة أنه تقرأ القرآن بدون هذه (لا)، لا يجوز أن تحذف شيئا من القرآن الكريم، فالمقصود بأن الله قال: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ يعني أقسم بمواقع النجوم، مواقعها يعني مساقطها، يعني مكان أو وقت طلوعها وغروبها.

وبعض المتكلمين اليوم على موضوع الإعجاز العلمي في القرآن يقول: إن وجه الإعجاز في القسم بمواقع النجوم أن هذه النجوم التي تراها الآن في هذه الأماكن ليست موجودة، هي نجوم كثير منها قد انتهى وزال، وما بقي منها شيء، لكن هذا نورها فقط، فلو فرض أنك ذهبت إلى المكان الذي ترى فيه النجم لن تجد فيه نجمًا أصلًا، قد يكون هذا النجم قد هلك وتفجر وتدمر من أزمان متطاولة، هذا الله أعلم به، إنما نقول مثلما قال أهل التفسير بكتاب الله، كابن عباس وغيره من أهل العلم بالقرآن الكريم، قتادة وغيره، ممن فسر

مواقع النجوم بمعنى أنها مساقطها، أو مواقع طلوعها وغروبها، مثلما قال الله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج:40]، المشارق والمغارب، مشارق الكواكب التي تشرق، ومغاربها حين تغرب.

فالمقصود أن قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يعني حظكم ونصيبكم من هذا المطر الذي أنزله الله عليكم أنكم تكذبون به، بمعنى تنسبونه لغيره كما سيأتي في حديث زيد بن خالد الجهني إن شاء الله.

وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة"، وقال: "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب" رواه مسلم.

ثم قال رحمه الله: **"وعن أبي مالك الأشعري"** اسمه الحارث.

"أن رسول الله ﷺ قال: "أربع في أمتي" يعني أربع خصال.

"من أمر الجاهلية" مما كان عليه أهل الجاهلية الأولى، والجاهلية اسم لما قبل الإسلام، المدة، الفترة التي كانت قبل الإسلام هذه جاهلية؛ لأنها كانت جاهلية مُطبِقة، الله ﷻ نظر إلى الناس العرب والعجم، الإنس والجن فمقتهم جميعًا، إلا بقايا أفراد قليلين جدًّا بقوا على التوحيد، ما عدا هؤلاء الأفراد كلهم كانوا على الشرك الأكبر والعياذ بالله.

ولا يجوز بعد بعثة النبي ﷺ أن يقال: أن الناس يعيشون في جاهلية، هذا المصطلح الذي أكثر من ذكره سيد قطب، ومحمد قطب، فكانوا يصورون للناس أنهم يعيشون في جاهلية، وهذا منكر، فرده شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، ورده غيره أيضًا؛ لأن هذا فيه رد لقول النبي ﷺ **"لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين"**، فبعد بعثة النبي ﷺ لا تكون جاهلية مطبقة، قد توجد خصال جاهلية في بعض الناس، قد يوجد أعمال جاهلية في بعض البلاد، في بعض القرى، في بعض المناطق، في بعض الدول، لكن أن يقال تنسب الجاهلية إلى البشرية جمعاء، إلى القرن كله "جاهلية القرن العشرين"، هذا غلط، هذا يتضمن أنه ليس فيه طائفة منصورة موجودة متمسكة بالحق.

29 – باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**لا يتركوهن**" هذا من معجزات النبي ﷺ؛ لأنه إخبار عن غيب أطلعه الله ﷻ عليه، "**لا يتركوهن**" يعني سيبقى من يعمل بها، ليس المقصود أن كل فرد من المسلمين يعملها، لكن ستبقى هذه المعاصي موجودة في الناس، يعملها زيد، ويدعها عمرو، لكن المقصود أنها موجودة:

- ❖ **إذا كثر في المكان العلم** والخير والتقوى قلت هذه الخصال،
- ❖ **وإذا وجد الجهل** والهوى والبعد عن العلم كثرت هذه الخصال في الناس.

ما هي؟ قال: "**الفخر بالأحساب**" الفخر بأن يفخر على غيره، **الفخر** فيه مقارنة، تقارن نفسك بغيرك، أما **العُجُب** ليس بشرط، العجب تُعجِب بالشيء الذي لك، ولو لم تقارن نفسك بغيرك، مثلًا تشتري ساعة جميلة جدًّا وغالية جدًّا، وتعجب بها، تعجب بأنها عندك هذه الساعة، بغض النظر أنك تقارن ساعتك بساعة غيرك، ليس بشرط، هذا العجب، تعجب بعلمك، تعجب بمالك، تعجب بلبسك، تعجب بسيارتك، ببيتك، هذا العجب، أما الفخر فيه مقارنة، تنظر لنفسك مُفضِّلًا لها على غيرك، تحتقر غيرك، تزدري غيرك، تستنقص غيرك.

"**الفخر بالأحساب**" يعني بمآثر الآباء والأجداد.

"**والطعن في الأنساب**" يعني تَنَقُّص الناس في أنسابهم:

- **إما تُكذِّب واحدا في نسبه**، يقول لك: أنا فلان ابن فلان القرشي، تقول له: يا كذاب مثلًا، تشكك في صدق نسبه،
- **أو تزدري الناس في أنسابهم** "فلان من قبيلة وضيعة، فلان من كذا، فلان من كذا"، بالسخرية، بالتنقص، بالازدراء، بالاحتقار، هذا كله من خصال الجاهلية.

"**والاستسقاء بالنجوم**" يعني نسبة الغيث، نسبة نزول المطر إلى النجوم، هذا معنى الاستسقاء بالنجوم، ليس المقصود أنه "يا نجم، اسقِنا"، ليس بشرط هذا، إنما لو نَسَبَ نزول الغيث إلى النجم الفلاني صار هذا من خصال الجاهلية.

29 – باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"والنياحة" رفع الصوب بالبكاء على الميت، هذه النياحة، النياحة **تعداد مآثر الميت** بصوت عال، كما كانت تفعل العرب "واسنداه، واجبلاه، وا كذا"، فرفع الصوت بالبكاء على الميت هذا من النياحة.

وقد يغلب الإنسان على نفسه بالذات المرأة أو كذا، عليها المجاهدة، تجاهد نفسها، لا تسترسل، سواء رجل أو امرأة، فالشيء الذي يخرج عن الإنسان بلا إرادة هذا معفو عنه، لكن أن يتمادى، أن يجري مع هواه، مع نفسه، لا يمسكها، لا يجاهد نفسه، هذا الذي يؤاخذ.

ثم قال ﷺ: **"النائحة إذا لم تتب قبل موتها"** يعني إذا تابت تاب الله عليها، لكن ناحت وعاشت حتى ماتت ولم تتب، لم تُحدِث توبة.

قال: **"تقام يوم القيامة"** يعني للجزاء والحساب، **"وعليها سربال من قطران"** عليها ثوب من قطران يعني نحاس مذاب، يحمَّى النحاس، المعدن هذا يحمى حتى يكون سائلا، ثم تُلطَّخ به، تُرشُّ به، حتى يكون عليها كالثوب، يلصق ببدنها، وما ظنك بنحاس مذاب من شدة الحرارة، كيف يكون على جلد هذه النائحة، أو حتى جلد هذا النائح، الرجل أو المرأة، فلا شك أن هذا عذاب شديد والعياذ بالله.

"ودرع من جرب" الدرع معروف، آلة، لباس يلبس في الحرب يُتقى به الضرب، ويطلق الدرع أيضًا على ما يسمى بفستان المرأة، "فلانة تلبس مِدرَعَة" يعني فستان يسمى دِرعًا، **فالشاهد** أنه يكون عليها درع من جرب، الجرب مرض يكون في الجلد، فهي تبعث للجزاء والحساب على صورة قبيحة، وفي ألم شديد، لهذه العقوبة الشديدة والعياذ بالله.

فهذا الحديث ينبغي أن تُذكَّر به النساء، تذكر به الزوجة، تذكر به البنت، تذكر به الأم، الأخت، يشاع في مجامع النساء؛ لأن النياحة تكثر في النساء أكثر من الرجال، يوجد في الرجال، لكن هذا في النساء أكثر، يقول ﷺ: **"أنا بريء مِنَ الصَّالِقَةِ والحَالِقَةِ والسالقة والشَّاقَّةِ"**

- **الشَّاقَّةِ** التي تشق الثوب،
- **اللاطمة** التي تَلطِم الخد،
- **الناتفة** التي تنتف شعرها،

- **الحَالِقَةِ** التي تحلق شعرها،
- **الصَّالِقَةِ** التي تصرخ بصوت عالٍ،

فالمقصود أن هذه المظاهر كلها تنافي الصبر الواجب، لطم الخدود، شق الجيوب، حلق الشعر، هذه كلها تنافي الصبر الواجب رفع الصوت بالبكاء، بالصراخ، هذا ينافي الصبر الواجب، أما حزن القلب، ودمع العين، أو البكاء الذي يغلب المصاب دون إرادة منه، فهذا لا يؤاخذ به إن شاء الله.

ولهما عن زيد بن خالد قال: "صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب.

ثم قال رحمه الله: **"ولهما عن زيد بن خالد"** يعني الجهني.

"صلى لنا رسول الله ﷺ" يعني صلى بنا إمامًا.

"صلاة الصبح بالحديبية" منطقة قبل مكة، تعرف اليوم بالشُّمَيْسِي، ليس الشميسي الذي في الرياض، الشميسي قريب من المنطقة التي فيها المجسَّم هذا للمصحف، وأنت داخل مكة، جائ من جدة، وفيه مجسم على الطريق على شكل مصحف، تلك المنطقة تسمى الشميسي، هذا حسب ما أعرف.

قال: **"على إثر سماء"** يعني بَعْد، **"إثر"** بعد، **"سماء"** يعني مطر، سمي مطرا باسم المكان الذي ينزل منه، المطر ينزل من السماء يعني من العلو، نزل من مكان عالٍ، الشيء أحيانًا يسمى باسم محله، مثل الغائط، هذه العَذِرة تسمى غائطا بالنظر إلى مكان قضاء الحاجة، فالغائط المكان المنخفض من الأرض، يسمونه غائطا، فلما كان الناس يقصدون قضاء الحاجة في هذا المكان المنخفض سموا هذه الحاجة باسم المحل، وهنا سمي المطر سماء بالنظر إلى محله، إلى يعني مكان نزوله.

"كانت من الليل" يعني نزل مطر في الليل.

"فلما انصرف" يعني سلَّم، **"أقبل على الناس فقال: "أتدرون ماذا قال ربكم؟"** هو يسأل ويعلم أنهم لا يعلمون، هذا من أمر الغيب، لكن سأل لماذا؟ للَفْت الانتباه، حتى تصادف المعلومة قلوبًا حاضرة منهم.

ولهذا **"قالوا: الله ورسوله أعلم"** وهذا أدب المسلم إذا سئل عما لا يعلم، يرد العلم إلى الله، هم كانوا يقولون: الله ورسوله أعلم، لأن الرسول حي، موجود بينه أظهرهم، وأما بعد موت النبي ﷺ فالأحوط أن يقال والله أعلم، وبعض أهل العلم يقول: إذا كانت المسألة مسألة دينية، حكم شرعي، وقلتَ "الله ورسوله أعلم"، ليس فيه حرج، لكن أمر دنيوي هذا لا يعلمه إلا الله، لأن الرسول يقال له يوم القيامة: **"إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"**، الأحوط للمسلم أنه يقتصر على لفظ الجلالة "الله أعلم"، على نسبة العلم إلى الله فقط.

"قال: "قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر" وليت بعض الإخوة يجمع لنا أقوال أهل العلم في هذه المسألة، ويفيدنا بها في الأسبوع القادم، يعني "هل يقال الله ورسوله أعلم بعد موت النبي ﷺ" ويحرص إذا وجد لنا نصوصا عن الصحابة، أو عن التابعين، عن السلف أنهم قالوا هذه الكلمة بالنسبة للصحابة بعد موت النبي ﷺ وبالنسبة لغيرهم التابعي وتابع التابعي، من قال: الله ورسوله أعلم، قطعا ما قالها إلا بعد موت النبي ﷺ، فالشاهد أنه يا ليت بعض الإخوة يبحث لنا هذه المسألة.

"قال: قال" يعني قال الرسول: قال الله: **"أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر"** كافر هنا بمعنى كافر كفر أصغر، هذا الأصل في هذا الموضوع.

"أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر" ثم جاء التفصيل مَن المؤمن ومَن الكافر،

قال: "من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"، إذًا عندنا:

- ❑ **نسبة المطر إلى الله** ﷻ هذا هو التوحيد الخالص الذي لا شائبة فيه،
- ❑ **نسبة المطر إلى الكوكب**، إلى النجم، إلى النوء، هذا له حالات:

- **إن اعتقد أن منزل المطر هو الكوكب**، هو النجم، هو النوء، فهذا **مشرك شركًا** أكبر مخرج من الملة؛ لأنه اعتقد مع الله خالق للمطر، وهو هذا النجم، هذا الكوكب، هذا مشرك شرك أكبر.

- إذا اعتقد أن هذا النجم، هذا النوء، **هذا الكوكب سبب في نزول المطر**، مثل إن الشرب سبب في ذهاب العطش، الأكل سبب لذهاب الجوع، النار سبب للاحتراق، فمن اعتقد أن هذا النوء سبب لنزول المطر، هذا كافر **كفر أصغر**، مشرك شرك أصغر، لأن الشرع سماه كفرا، سماه شركا.

"وأما من قال: مطرنا بنوء كذا" يعني مطرنا في نوء كذا، مطرنا في، مثل لو قلت "مطرنا في زمن الصيف، مطرنا في زمن الشتاء، مطرنا في الليل، مطرنا في الصباح"، **هذا ما حكمه، شرك أكبر أو أصغر؟** ليس شركا؛ لأنك ما نسبتَ المطر إلى الكوكب كمؤثر فيه، **وإنما نسبته كتوقيت**، أن هذا الوقت حصل فيه كذا وكذا، لكن من الذي نزَّله؟ الله ﷻ، هل المطر سبب فيه؟ لا، ليس له سبب.

فإذًا صار عندنا التوحيد الخالص نسبة المطر إلى الله ﷻ ونسبة المطر إلى الكوكب هذا يختلف باختلاف اعتقاد الشخص:

- ❖ **إذا اعتقد أنه منزِّل**، هذا شرك أكبر،
- ❖ **إن اعتقد أنه سبب**، شرك أصغر،
- ❖ **يقصد أنه فيه وظرف ووقت**، لا حرج، والحمد لله، مثل ما تقول: مطرنا في الليل، مطرنا في الصباح، وهو قال لك أصلًا في الحديث **"على إثر سماء من الليل"** يعني متى كان هذا المطر؟ في الليل، هل الليل له علاقة بالمطر نزَّله، أو اعتقد أنه سبب؟ لا.

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: "قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ إلى قوله: تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 75-82].

ثم قال: **"ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾** تقدم مواقع جمع موقع،

- ❍ **القول الأول**: المقصود بها وقت طلوع هذه النجوم أو وقت غروبها،

❍ **والقول الثاني**: أن المقصود بها القرآن الكريم، لأن السياق في القرآن ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ والقرآن نزل منجما، فربطوا بين هذا وهذا، وفسروه بهذا التفسير، لكن القول الأول هو قول أكثر المفسرين.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ وأما إن المقصود بهذه الآية هي الإشارة إلى أن هذه المواقع ما هي إلا كما يقولون خدعة بصرية، ما فيه أصلًا النجوم، فهذا من الخوض في أمر مغيب عنا، ولم يسبق إليه السلف الصالحين.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ يعني حق، كلام الله،

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ،

﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني الملائكة الذين أذن الله لها،

﴿تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عن طريق جبريل عليه السلام، فليس كلام بشر، وليس كلام مَلَك، إنما هو كلام الله نزله على قلب محمد ﷺ بواسطة جبريل، وفي الإجازات القرآنية تجد في نهاية السلسلة إذا كان المجيز أشعري في الغالب تجده يقول لك: ورسول الله أخذه عن جبريل، وجبريل أخذه عن اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ عن رب العالمين، هذا غلط، هذا بناء على العقيدة الفاسدة، أن الله لا يتكلم بكلام مسموع، ولهذا جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، بل هو تنزيل ممن؟ ﴿تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فجبريل سمعه من الله، ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:6]،

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يعني نصيبكم وحظكم من هذا الغيث ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ به، فتنسبونه إلى غير الله.

وإذا قلنا إن المقصود به القرآن الكريم، تجعلون حظكم من القرآن الكريم أنكم تكفرون به، وتكذبونه، بدل ما تؤمنون به، ويكون لكم سببا للسعادة في الدنيا والآخرة، كذبتم به فهلكتم، والعياذ بالله.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

30 – باب قول الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

30 – باب قول الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾
(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

قال المؤلف رحمه الله: **باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾** [البقرة:165] المحبة أصل عظيم، وركيزة عظيمة، تقوم عليها العبادة،

العبادة تقوم على ثلاثة أسس:

- **محبة** الله عَزَّ وَجَلَّ،
- **الخوف** من الله عَزَّ وَجَلَّ،
- **الرجاء** في الله عَزَّ وَجَلَّ،

لا بد من هذه الثلاثة، وكلما عظمت المحبة كلما عظم الإيمان، وكلما نقصت المحبة كلما نقص الإيمان، والله عَزَّ وَجَلَّ يُحَبُّ ويُحِبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾** يعني من المشركين، **﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾** جمع ند، مخلوق يسوونه بالله في العبادة، يسوونه به في الألوهية، وإن كانوا لا يسوونه بالله عَزَّ وَجَلَّ في الربوبية.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يعني حب تعبد، كحب المؤمن لربه عَزَّ وَجَلَّ، **ما معنى ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾**؟

- **التفسير الأول**: يعني أنهم يحبون هذه الأنداد حب عبادة كحبهم لله عَزَّ وَجَلَّ، بمعنى أن هذا المشرك يحب الله حب عبادة، ويحب الصنم أيضًا حب عبادة، فأثبت لهم محبة لله عَزَّ وَجَلَّ وهذا أمر معقول جدًّا، إذا كان يعتقد أن ربه هو الذي خلقه، وهو الذي يرزقه، وهو الذي ينفعه، وهو الذي يضره، وهو الذي أحياه بعد العدم، فما المانع أن المشرك هذا يحب الله؟ أليس هو يؤمن بهذه الأشياء، إذا قيل له: من خلقك؟ سيقول من؟ الله، من الذي رزقك؟ يقول الله، من الذي أعطاك المال والولد؟

يقول الله، كما قص الله ﷻ عنهم في كتابه، إذًا ما المانع أن يقال إنهم يحبون الله؟ ليس فيه شيء يمنع.

❑ **والتفسير الثاني**: يحبون أندادهم كحب المؤمنين لله ﷻ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يعني أشد حبًّا لله من حب المشركين لآلهتهم.

محل الشاهد: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ إذًا مدح المؤمنين بأنهم يحبون الله محبة شديدة، محبة خالصة، لا يحبون معه أحدًا من خلقه يعني حب عبادة، لا يحبون أحدًا كائنًا من كان حب عبادة، لا الرسل، ولا الملائكة، ولا الأولياء، ولا غيرهم، **وما دام أنه مدحهم على حبهم لله دل ذلك على أن محبة الله عبادة**، وبالتالي يكون صرفا لغير الله يكون شركا، فما أمر الله أن يصرف له، فصرفه لغيره شرك، **فهذه الآية دلت على** أن محبة غير الله شرك، والمقصود بها محبة العبادة:

❖ أما **تحب زوجتك** لأنها زوجتك، هذا جائز، ليس فيه شيء،

❖ **تحب المال**؛ لأن حب المال فطرة وغريزة في النفس ليس فيه شيء، حب جبلي،

❖ **تحب صديقك** للألفة التي بينكم هذا ليس فيه شيء،

إنما المقصود هنا حب التعبد، حب التأله.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:24]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ يعني قبيلتكم،

﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ تاجرتم فيها وتحصلتم عليها،

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ لو انشغلتم بها الآن تخسرون،

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ تحبونها وتحبون السكن فيها، وتكرهون الانتقال عنها،

30 – باب قول الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فتقدمونها على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ:

∇ **مثلًا** الأب يريد أن يصلي مع الجماعة، وإذا طفله الصغير ابن سنتين، ابن ثلاثة يبغى أن يلعب معه، فجاء، فقال الولد يبكي، فضعف، قال: "لابد أن أكسر خاطره، أبقى معه"، فلعب معه، وضيع صلاة الجماعة، هذا قدم محبة الابن على محبة الله ﷻ، **لكن هل صار بهذا مشركا أو عاصيا؟** عاصيا؛ لأن عمله هذا ليس بشرك.

∇ **مثلًا** جاء يريد أن يهاجر، الهجرة واجبة عليه، ويهاجر إلى بلد الإسلام، فزوجته قامت تقول له: "كيف تخلينا وتضيعنا وكذا وكذا"، فترك الهجرة، ترك الخروج للجهاد الواجب، ترك الخروج للصلاة الواجبة من أجل محبته لزوجته، محبته لأولاده، محبته لماله، محبته لبيته، محبته لتجارته، **كل هذا فسق،** والعياذ بالله.

أما إن قدم محبة هذا المخلوق حتى جعله ندًّا لله ﷻ يحبه حب عبادة، هذا **صار شركا أكبر في المحبة.**

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ هذا الوعيد، يعني انتظروا عقوبة الله،

﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ فدل على أن تقديم محبة المخلوق على محبة الله أنها فسق ومعصية، ثم تختلف منها ما هو شرك أكبر، ومنها ما هو دون ذلك، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:14]، لأنهم قد يُجَبِّنُونك عن الخروج للجهاد، قد يبخِّلونك، فيمنعونك عن إنفاق الصدقة الزكاة الواجبة عليك، ويمنعونك عن كثير من الخير، فاحذر من هذا الجانب.

عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" أخرجاه.

30 – باب قول الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾
(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"حتى أكون أحب إليه" يعني حتى يقدم محبتي على محبة غيري، فلا يقدم على محبتي محبة ولد ولا والد ولا الناس، **أليس الولد والوالد من الناس؟** بلى، لكن هذا تعميم بعد تخصيص، فنبَّه على الولد والوالد للاهتمام بهذا الأمر؛ لأن الانشغال بهم قد يكون أكثر من الانشغال بغيرهم، ومحبتهم في الغالب أكثر من محبة غيرهم.

لماذا تحب الرسول أكثر من حبك لولدك ووالدك، بل ومن محتبك حتى لنفسك كما في الحديث الآخر؟
وذلك لأن النفع الذي وصلك عن طريق الرسول ﷺ أعظم من أي نفع آخر أتاك عن طريق المخلوق، يعني غاية ما أحسن به إليك أبوك أنه بسببه وجدتَ في هذه الدنيا، وجدت في هذه الحياة، وهذه الحياة تنتهي بالموت طال العمر أو قصر العمر، وهذا كل الذي عند الأب، والنبي ﷺ إن آمنت به وأطعته، كانت طاعته سببًا في سعادتك هنا في الدنيا، وسعادتك بعد الموت، سعادتك بعد النشور حتى تدخل الجنة، ما تنال هذا الخير كله بعد فضل الله، إلا بطاعتك واتباعك لرسول الله ﷺ.

أيضًا محبة النبي تقدمه على محبة نفسك، يعني وجه آخر إضافة إلى ما سبق، لأن النبي ﷺ أنصح لك من نفسك، نفسك تأمرك بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:53]، **هل الرسول يأمرك بالسوء؟** أبدًا معاذ الله، لا يدلك إلا على ما فيه الخير لك، لا يحذرك وينهاك إلا عما فيه شر لك، لكن النفس تزيّن لك الشيء الذي يضرك، وتُقبّح لك الشيء الذي ينفعك، فرسول الله ﷺ أنصح لك من نفسك.

"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" يعني لا يؤمن أحدكم إيمانًا كاملًا، إيمانا تاما، فإذا نقصت هذه المحبة عن هذا المقدار نقص الإيمان، ثم يختلف هذا النقص:

- ❖ منه ما يكون في **دائرة الكراهة**،
- ❖ منه ما يكون في **دائرة التحريم**،
- ❖ منه يكون في **دائرة الشرك الأكبر**،

بحسب المخالفة التي نتجت عن نقص حب الرسول ﷺ، مثلًا:

- النبي ﷺ يحثك على صلاة السنة الراتبة، والنفس دعتك إلى تركها تكاسلا، هل فيه نقص في المحبة، أو ليس فيه نقص هنا؟ الرسول يقول لك صلِّ، ونفسك تقول لك لا تصلِّ، ثم ما صليت السنة الراتبة، هذا نقص، لكن النقص في إثم، أو في دائرة الكراهة؟ **في دائرة الكراهة**.
- الرسول يقول لك: صل مع الجماعة **"سمعت النداء أجب"** والنفس تقول لك: صل في البيت، هذا نقص في المحبة أوقعتك **في دائرة الإثم، المحرم**.
- نقص والعياذ بالله يؤدي إلى عبادة غير الله، **هذا يكون شركا أكبر**.

فهي بحسب هذه المخالفة، فعلامة المحبة دائمًا اربط بين المحبة وبين الاتباع ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:31]، أما الذي يدعي أنه يحب الرسول، ولا يطيع الرسول فدعواه كاذبة، كلما عظمت، واشتدت، وقويت المحبة لله، كلما قوي الاتباع لرسول الله ﷺ والعكس بالعكس.

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار". وفي رواية: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..." إلى آخره.

ثم قال: **"ولهما عنه"** يعني أنس.

"قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه" ثلاث خصال.

"من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما" يعني يقدم محبة الله ومحبة رسوله على محبة غيرهما، من نفس أو ولد أو والد، أو الناس أجمعين، أو المال، أو المساكن، أو العشيرة، أو غيرها.

30 – باب قول الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله" المرء يعني أي واحد؟ يهودي، نصراني، وثني، أي واحد تراه تحبه لله هذا المقصود؟ لا، المقصود تحب المرء الذي تعتقد وتظن أنه عبد قائم بطاعة الله، هذا الشخص الذي تعتقد فيه أنه مسلم، أنه موحد، أنه قائم بطاعة الله ﷻ تحبه في الله، يعني من أجل إيمانه، وإسلامه، وعبادته لله ﷻ هذا القصد، **"وأن يحب المرء"** يعني ويحب المرء المسلم.

"لا يحبه إلا لله" يعني لا من أجل قرابة، ولا من أجل مصلحة دنيوية جاءتك عن طريقه.

"وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار" هذه تَصدُق على الشخص الذي كان مشركا ثم أسلم، وعلى مَن وُلد في الإسلام، فكلهم تشملهم هذه الخصلة.

"وأن يكره أن يعود في الكفر" قالوا: عاد إلى، وعاد في، ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ [الأعراف:89]:

- ∇ إذا قيل **"عاد في الشيء"** لا يلزم أنه كان عليه،
- ∇ لكن إن قيل: **"عاد إلى كذا"** معناه أنه كان متلبِسًا به، وتركه ثم رجع إليه،

أما عاد في الشيء لا يلزم أنه كان متلبسًا به، وإنما يكون معناها صار إلى هذا الشيء، أو صنع هذا الشيء، **"بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار"**.

ومحل الشاهد من الحديث "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" فدل هذا على أن المحبة عبادة، فلا يجوز صرفها لغير الله:

- ❑ **والله ﷻ يُحَبُّ لذاته؛** لأنه خالق ﷻ
- ❑ **والنبي ﷺ يُحَبُّ لكون الله أمرنا أن نحبه،**

فمحبتنا للرسل، وللملائكة، وللكتب، وللصالحين، هي تابعة لمحبتنا لله ﷻ، فأحببنا الله، وأحببنا ما أمرنا الله أن نحبه، نحب الله، ونحب ما أمرنا الله ﷻ أن نحبه، فهي محبة تابعة لمحبة الله ﷻ تحب الله، وتحب ما

يحب الله، وكذلك المقابل أيضًا تبغض ما يبغضه الله عَزَّ وَجَلَّ من أشخاص، من أعمال، من أفعال، من أقوال، إلى غير ذلك.

وفي رواية: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان" يعني حتى تتحصل فيه تلك الخصال الثلاثة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك؛ وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا" رواه ابن جرير.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله" يعني ظهرت آثار المحبة والبغض في أقواله وفي أفعاله، المحبة والبغض هذه في القلب، ينتج عنها الموالاة والمعاداة، فتَظهَر حركة من قول أو فعل يدل على المحبة، يظهر قول أو فعل أو حركة تدل على المعاداة، على البغض.

"ووالى في الله، وعادى في الله" يعني كان هذا الحب في قلبه، هذا البغض في قلبه، وأيضًا ظهر على لسانه، ظهر على جوارحه، فتقدير الكلام: نال ولاية الله، ولهذا قال: **"فإنما تنال ولاية الله بذلك"**، يعني كأنه قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، نال ولاية الله.

"وإنما تنال ولاية الله بذلك" من أراد أن يكون وليًّا لله، ينصره الله عَزَّ وَجَلَّ ويكون معه معية خاصة، فليحقق هذه الخصال الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله:

- **فتحب أهل الإيمان** والطاعة والتقوى،
- **وتبغض أهل المعصية** والكفر والفسوق والبدع،

كلًّا بحسب حاله، وتوالي في ذلك، تناصر على أساس هذه المحبة في الله، وتعادي على أساس هذه العداوة في الله، ولكن تلتزم بالشرع في المحبة، في البغض، في الموالاة، في المعاداة، تلتزم بحدود الشرع:

- **لو لم تلتزم بحدود الشرع في المحبة** ستصل إلى الغلو البدعي وإلى الغلو الشركي، من الناس من يقول لك: "أنا أحب علي بن أبي طالب" حب علي بن أبي طالب عبادة ودين، لكن ما صار عنده التزام بحدود الشرع، جعل عليًّا إلها بدعوى المحبة، فحبك تلتزم به بشرع الله.
- كذلك **في البغض تلتزم فيه بحدود الشرع**، لو لم تلتزم بحدود الشرع فربما تقع في الظلم والعدوان الذي يبغضه الله ﷻ حتى مع الكافر، ولهذا في الحديث يقول ﷺ: **"مَن قَتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ"**، المعاهد يُحَب أو يُبغَض في الله؟ تبغضه في الله؛ لأنه ليس بمسلم، بل كافر، ولكن مع ذلك بغضك له في الله لا يسوّغ لك، ولا يُبيح لك أن تقتله، تعتدي عليه بغير وجه حق.

"**ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك**"، فهذا يدل على عظم شأن أعمال القلوب، كثرة العبادة الظاهرية هذه إذا ما لها أساس متين وصحيح في القلب لا تنفع، سمعتم كثيراً أحاديث الخوارج: "**تحقرون قراءتكم إلى قراءتهم**" بعد ذلك قال: "**لا يجاوز حناجرهم**"، القرآن لا يجاوز حناجرهم، بمعنى القرآن ليس في قلوبهم، وإنما مجرد كلام تتحرك به ألسنتهم، لكن ليس فيه إيمان، ليس فيه يقين، ليس فيه صدق، ليس فيه إخلاص، ليس فيه فقه لما يقرؤون.

"**ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك**" ثم لاحظ فقه ابن عباس، وخبرته في الناس "**وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا**" العلاقات بين الناس صارت مبنية على المصالح، الذي ينفعه في الدنيا يحبه، غدا انقطعت المنفعة منه أبغضه، يقول لك هذا شيء غلط، وهذا في زمان ابن عباس، مات عام (**68**) للهجرة، أو قبله.

"**وذلك لا يجدي على أهله شيئا**" لا ينفعه عند الله، لا ينفعك إلا الحب في الله ﷻ، هذا الذي تثاب عليه، وتؤجر عليه، وينفعك.

30 – باب قول الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾
(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:166] قال: "المودة"

الذين كانوا يحبون الأصنام حب عبادة، أو يحبون العبد حب عبادة، يحبون عيسى ابن مريم، وأمه مريم، وعزير، على أساس أنه إله، هل تنفعهم هذه المحبة يوم القيامة؟ لا تنفع:

- فمحبة الأوثان والأصنام ومحبة ما دون الله كل ذلك ينقلب عداوة يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت:25]،
- وفي العلاقة بين الناس: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ انظر الأخلاء، أعلى درجات المحبة تنقلب هذه المحبة إلى عداوة ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:67] من كانت محبتهم في ذات الله ﷻ.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

31 – باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

31 – باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾
(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

قال المؤلف رحمه الله: **"باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: 175]

تقدم أنه لما تكلم عن المحبة قلنا العبادة تقوم على ثلاثة أسس: محبة وخوف ورجاء، تكلم المؤلف عن المحبة، الآن انتقل إلى الكلام على موضوع الخوف، وأنه عبادة.

قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾** يعني الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه، يُدخل في قلوبهم الرعب والرهبة والخوف من اليهود، من النصارى، من الوثنيين، "لا تنكروا عليهم، لا تحاربوهم، لا كذا، لا كذا" يقذف في قلوب المؤمنين الرعب حتى يدَعُوا جهادهم باللسان أو بالسيف إذا تهيأت أسبابه.

فالله يقول: **﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ﴾** لا تخافوا من الشيطان، ولا تخافوا من أولياء الشيطان، لكن نخاف ممن؟ قال: **﴿وَخَافُونِ﴾** فدل على أن الخوف عبادة يتقرب بها إلى الله، فصرف هذا الخوف لغيره شرك أكبر:

- فيه **خوف عبادة**،
- وفيه **خوف طبيعي**،

الذي نتكلم عنه هو خوف العبادة، تخاف من المخلوق مثل ما تخاف من الله ﷻ، **من المثال على ذلك:**

- **أن تخاف من المخلوق** أن يُنزِل بك ضُرًّا بدون سبب ظاهر، بدون سبب محسوس، مثلًا واحد قيل له "احلف بالولي الفلاني"، وهو يعظِّم هذا الولي، فقال له: "لا أحلف به، أنا الذي سرقت، خُذْ هذه الفلوس"، وبالأول كان يكذب، يُنكر كاذبًا، "أنت سرقتَ؟" قال: "والله ما سرقتُ، أقسم بالله ما سرقتُ"، قال له القاضي: "احلف بسيدك فلان"، خاف، ما حلف، لماذا ما حلف بصاحب القبر؟ معناه أنه يعتقد أن صاحب هذا القبر يسمع حديثهم، ويعلم سره، وجهره، وأنه قادر على أن يُوصل

به الأذى، معناه أن عنده تدبير لأمر الكون، فينزل به الضر، فخوفه مثل ما يخاف من الله عَزَّ وَجَلَّ، بل أشد، خوفه من الله ما حجزه أنه يحلف كاذبا، لكن خوفه من الولي حجزه أنه يحلف بالله كاذبا.

- **واحد من هؤلاء الناس** في جهة اليمن، قيل له "احلف بالله"، فحلف بالله، وبعد ذلك القاضي قال له: "لا، احلف بالسيد فلان"، فتردد، وخاف، وبعد ذلك اعترف بالجرم، فعاتبه، قال له: "كيف، بالله تكذب، وبالسيد فلان لا تكذب؟" فقال: "ربي يرحم، لكن سيدي فلان لا يرحم"، فهو يقول: "مجرد أي واحد يحلف بهذا السيد كاذبا مباشرة تأتيه العقوبة العاجلة"، نسأل الله العافية والسلامة.

فهكذا يستدرج الشيطان أولياءه حتى يجعلهم يعظِّمون المخلوقين تعظيما أشد من تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مثل ما يروى عن بعض الشيعة والله أعلم، أنه لما جاء يحمل شيئًا، فقال: "باسم الله"، قال له صاحبه: "قل يا علي"، فقال: "لا، الصدوق ليس ثقيلا جدا"، يعني لو كان ثقيلا جدا كان قلت يا علي، نسأل الله العافية.

مثل ما قال الشيخ ابن عبد الوهاب: "إن شرك المشركين في عصرنا أعظم وأغلظ من شرك الأولين، أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة"، لكن هؤلاء تجدهم في شدة الشدة يخلص الدعاء للأولياء والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فدلت على أن الخوف من الله عبادة، ومن خاف من غير الله كما يخاف من الله فهو مشرك شركًا أكبر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:18]

أين محل الشاهد؟ ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الخشية مثل الخوف، لكن قالوا الخشية فيها رهبة مبنية على علم، مثلما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:28]، فالخوف والرهبة والخشية كلها ألفاظ متقاربة.

﴿فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ عسى من الله واجبة، يعني من تحققت فيه هذه الصفات فهو مهتدي، ﴿فَعَسَى أُوْلَئِكَ﴾ يعني فأولئك مهتدون، هذا معنى الكلمة.

31 – باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾

[العنكبوت:10].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ يعني كان كافرا وبعد ذلك أسلم، ويوم أسلم آذاه قومه، لما آذاه قومه، سجنوه، ضربوه، منعوه مالًا، طعامًا، شرابًا، حبسوا عنه زوجته أو كذا، ماذا فعل؟ نزَّل عقوبة الآدميين مثل عقوبة الله ﷻ فماذا فعل؟ رجع إلى الكفر مرة ثانية:

- **ما الذي جعل الكافر يسلم، ويدخل في التوحيد؟** اقتنع أنه لو بقي على كفره سيعذبه الله يوم القيامة،
- **هذا ما الذي جعله يرجع إلى الكفر؟** اقتنع أن هذا العذاب عذاب شديد لا يتخلص منه إلا بالكفر، فهو تخلص من عقوبة عاجلة منقضية، وفرَّ إلى عقوبة شديدة دائمة أبدية، والعياذ بالله.

"**كالمستجير من الرمضاء بالنار**" تعرفون هذا المثل؟

والمستجير بعمرو عند كُرْبَتِه *****كالمستجير من الرمضاء بالنار

يعني واحد ماشٍ على إسفلت حار، وما عنده حذيان، وفيه نار مشتعلة على الرصيف، فهذا فر، هرب من الإسفلت الحار، من حرارة الشمس، وقفز في النار المشتعلة، ماذا استفاد الحين؟ ما استفاد شيئا، بل بالعكس تضرر أكثر وأكثر، فالذي يفر من عقوبة الناس، ويرتد عن دينه والعياذ بالله، فقد فر من عقوبة يسيرة إلى عقوبة شديدة عظيمة، بل عقوبة دائمة وأبدية إذا مات على ردته والعياذ بالله.

فهذا فيه حث على الصبر عند الابتلاء، وهذه الآية في سورة العنكبوت، وهي سورة تتكلم عن الفتنة والاختبار والابتلاء والتمحيص، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم، ففيها الحث على الصبر وعلى الثبات على الحق، وألا يخاف من الآدميين، أو من المخلوق عمومًا، ألا يخاف من المخلوق خوفًا:

- ❖ يُوقع في **الشرك الأكبر**،

❖ أو يوقع في **المعصية**،

❖ أو يوقع في **ترك واجب** أوجبه الله عليه.

بعض المشركين كان يحملهم الخوف من الجان على الشرك بهم، إذا واحد نزل واديا وخاف، ماذا يقول؟ "أعوذ بسيد هذا الوادي" يعوذ بسيد الجن من أذى أتباعه وأفراد رعيته، فخوفهم من الجن حملهم على أن يستعيذوا بهم كما يستعاذ بالله عز وجل فوقعوا في الشرك الأكبر.

عن أبي سعيد مرفوعا: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره".

ثم قال: وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا: **"إن من ضُعف اليقين"** أو "ضَعف اليقين"؟ ضُعف أو ضَعف؟ كلها صحيحة، وبها قُرِئ قول الله عز وجل ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم:54]، فيه ضَعف وفيه ضُعف في رواية في قراءة حفص عن عاصم.

"إن من ضعف اليقين" ضعف اليقين في الله عز وجل.

"أن ترضي الناس بسخط الله" ما أكثر ما يحصل هذا، أن تطلب رضا الناس بشيء فيه سخط الله تعالى، ولا سيما إن كان هذا المخلوق مثلًا مديرا، مسئولا، شخصا تحترمه، شخصا تستحي منه، لا تبغي أن تزعله، فتُداهِنه، وتُرضيه بما يسخط الله عز وجل، **لماذا هذا ضعف يقين؟** لأنك ما استحضرت تمام الاستحضار قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:2]، جاء في بالك إنك إن زعلتَه، أغضبتَ هذا المخلوق فستفوت عليك مصلحة، أو ستقع بك مضرة، لو كان عندك يقين تام كامل في أن النافع هو الله، الضار هو الله، أن من يتقي الله يجعل له مخرجًا، ما داهنتَه، ما أرضيتَه بسخط الله عز وجل، بل ثبتَّ على ما فيه رضا الله، سخِط أو غضِب.

وبعد ذلك تذكر أنك أنت إذا أسخطتَه برضا الله ما النتيجة ستكون آخر الأمر؟ سيرضى الله عنك، وسيرضيه عنك رغمًا عن أنفه، وفي المقابل إن أسخطته برضا الله، ما الذي يحصل؟ تكون العاقبة أيضًا لك أنت، فإذا أسخطته بما فيه رضا الله، مصيره أنه سيرضى عنك.

أعطيكم مثالا تقريبيا، بعض المدرسين يتحبب إلى طلابه بالتغشيش في الاختبار، في المرحلة المتوسطة، في المرحلة الثانوية يتحبب، يتودد إلى الطلاب بتغشيشهم في الاختبار حتى في المرحلة الجامعية، لكن كنا نراها أكثر ما يكون في المراحل الابتدائية والمتوسطة، فهو الآن يتودد إليهم، يتحبب إليهم، أو إلى أهاليهم بسخط الله، بعد ذلك الطلاب في وقتها مستأنسين، مبسوطين، وهذا أحسن مدرس عندهم، بكرة تخرجوا، وطلعوا لميدان الدراسة الجامعية أو ميدان العمل، فهموا، فكروا، فطنوا، صاروا يتفكرون بعقولهم ليس بالأهواء، عرفوا أن ذاك المدرس ضرهم، ما نفعهم، ما جعلهم أن يذاكروا، ما جعلهم أن يحصلوا، ما جعلهم أن يجتهدوا، فينقلب تلك المحبة إلى حقد، ويمكن إلى عداوة "لو كان شدد معنا وذاكرنا جيدا، كنا اليوم في مراتب أحسن، زملاءنا الذي في المدرسة الفلانية أو في الفصل الفلاني الذي جدوا واجتهدوا دخلوا الجامعة، وتخرجوا وصاروا كذا، وصاروا كذا، ونحن ما قدرنا ندخل، لا جامعة ولا غيره، ما عندنا تحصيل، ما عندنا... فتنقلب بعد مدة أقل شيء إلى احتقار، لو ليس فيه بغض وعداوة، تنقص قيمة هذا المدرس في عينه، وهذه عقوبة عاجلة.

قال: **"وأن تحمدهم على رزق الله"** يعني واحد قدم لك خدمة، وقلت له "جزاك الله خيرا"، هذا من ضعف اليقين، الحمد هنا لا يدخل فيه الشكر والدعاء أو لا؟ تحمد فلانا، يدخل فيه حمدك لفلان، تشكره وتدعو له أو ليس بداخل؟ الحين واحد إذا عمل معك معروفا قلت له: "جزاك الله خيرا"، أنت حمدته أو ذممته؟ حمدته، **"من صنع إليكم معروفًا فكافئوه"** واحد خدمني بخدمة جيدة جزاه الله خيرا، طلَّعتُ ساعتي وأعطيته إياها، هل هذه من ضعف اليقين؟

"أن تحمدهم على رزق الله" بمعنى أنك متناسٍ متغافِل، لا يكاد يخطر لك على البال أن هذا الشخص ما هو إلا سبب، وأن الرزق حقًّا كان بيد الله، وهو الذي سخَّر هذا المخلوق لك، فأنت تحمد هذا المخلوق لكونه سببا، هذا من مكارم الأخلاق، ومن كمال الإيمان أن تحمد وأن تثني، وأن تكافئ من صنع إليك

معروفًا، من مكارم الأخلاق، من فضائل الأعمال، من سنة النبي ﷺ لكن في الوقت نفسه لا تنسى أن المنعِم، المتفضِّل حقًّا هو من؟ هو الله، هو الذي سخر هذا المخلوق بأن يصل هذا الرزق إليك عن طريقه.

"وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله" يعني واحد قام وطلب الناس في المسجد "لله يا محسنين"، ما حد أعطاه ولا قرش، قام يسب "الله يقطعكم"، لا تذمهم على ما لم يكتبه الله عز وجل لك، هؤلاء أسباب، ما دم الله ما سخَّرهم لِأن يعطوك، هذا الأمر إلى الله عز وجل.

"إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره" من أراد وحرص على أن ينفعك، والله ما كتب لك هذا النفع، هل يحصل لك؟ لا يحصل، مثلًا:

- **لو الطبيب** اجتهد معك غاية الاجتهاد على أن يعالجك من مرضك، والله ما كتب لك الشفاء، هل يقدر أن يعالجك؟ لا يستطيع.
- **ولو عدوك** سعى بيديه ورجليه في أن يضرك، والله لم يكتب عليك هذا الضر، هل يستطيع؟ لا يستطيع.

"إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره" إذًا فعلق قلبك بمن؟ بالله وحده.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" رواه ابن حبان في صحيحه.

معاوية كتب لعائشة يريد منها نصيحة، وهذا يدل على جلالة معاوية رضي الله عنه وأرضاه حبه للخير، يكتب لعائشة "اكتبي لي نصيحة تنفعني"، فكتبت له عائشة هذه النصيحة:

"من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس" يعني يا معاوية! لا يحملك إرضاء الرعية على أن تُسخِط الله، قَدِّر الرعية، سُسْ الرعية بأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ﷺ ولو كرهتْ الرعية

ذلك، فسيرضى الله عنك، وسيرضي عنك رعيتك، وإن أرضيتهم بما فيه سخط الله، فالعاقبة ما هي؟ سيسخط الله عز وجل عليك، وأيضًا هذه الرعية ستسخط عليك، ولن ترضى بسياستك.

وان معاوية كان من أحب الناس إلى الرعية، ولهذا عشرون (**20**) سنة أمير على الشام، ما أحد رفع فيه شكوى، لا إلى عمر، ولا إلى عثمان، عشرون سنة ما أحد رفع فيه شيئا، عشرون (**20**) سنة خليفة، ليس فيه أي حركة تمرد عليه، فكان قد وسع الناس، وسع الرعية بحلمه، وبعدله، وحسن سياسته رضي الله عنه حتى يقول عنه أحد التابعين: "لو رأيتم معاوية لقلتم المهدي" المهدي الذي أخبر عنه الرسول أنه يملأ الأرض عدلًا.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٣٢ – باب قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٧هـ

٣٢ – باب قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

"باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾" [المائدة:٢٣].

هذا الباب عقده المؤلف لبيان أن التوكل على الله من التوحيد، فإذا كان من التوحيد، فإن التوكل على غيره من الشرك، وهذا الكتاب كتاب التوحيد، يذكر فيه المؤلف حقيقة التوحيد، كما أنه أيضًا يذكر ما يضاد التوحيد، وينقص التوحيد.

باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ التوكل على الله عمل قلبي، **معناه:** تفويض الأمر إلى الله ﷻ، أن تفوّض أمرك إلى الله ﷻ وأن تعتقد أن الله ﷻ كافيك في حصول المطلوب، والسلامة من المكروه والمرهوب.

والتوكل يجمع أنواع التوحيد الثلاثة، وذلك أنك:

- **حينما تفوض أمرك إلى الله** ﷻ هذا ناشئ وناتج عن أنك تؤمن بأن الله ﷻ خالق كل شيء، ومدبر كل شيء، وبيده مقاليد السماوات والأرض، فهذا إيذان منك بربوبية الله ﷻ وأنه الخالق المالك المتصرف،
- **كذلك حينما تفوض أمرك إلى الله** فهذا ناشئ عن أنك تؤمن بما لله ﷻ من أسماء وصفات، وأنه سميع يسمع دعاءك، وأنه عليم يعلم ما في قلبك من تفويض الأمور إليه، يعلم حاجتك، بأنه رحيم، بأنه كريم، بأنه على كل شيء قدير إلى غير ذلك،
- **وكذلك أيضًا دليل على إفرادك الله** ﷻ بالعبادة، ولذلك فأنت تتوكل عليه، ولا تتوكل على غيره، فكلما عظم إيمانك، كلما عظم توكلك، كلما أيضًا قوي توكلك قوي إيمانك.

والتوكل نِعْم العون على فعل الطاعات، ترك المنكرات، حصول المأمول، ولهذا نجد أن ربنا ﷻ ينص عليه:

📖 ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣] مع أن التوكل هو من العبادة،

📖 ويقول ﷻ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩]، قرر التوحيد في قوله: ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم أمر بالتوكل عليه ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ مع أن التوكل هو من التوحيد،

📖 مثل ما قال ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فالاستعانة هي من العبادة، لكن نص عليها بخصوصها لعظم شأنها في توفيق العبد لعبادة الله ﻷ، فهي عبادة، وعون على العبادة، والتوكل عبادة وعون على العبادة.

ومن التوكل على الله ﻷ الأخذ بالأسباب الشرعية، أو الأسباب المباحة في كل مقام بحَسَبه، فليس معنى التوكل أن تترك الأسباب، فتَرْك الأسباب بدعوى التوكل هذا قدح، تنقص للشريعة، كما أن فيه دلالة على نقص في العقل، فليس معنى التوكل على الله ترك الأخذ بالأسباب المشروعة، أو الأسباب المباحة، فالشرع ما جاء بتعطيل الأسباب، وإنما جاء بالمنع من التوكل على الأسباب "لا تتوكل على السبب" بمعنى تُعلق قلبك بالسبب، تُفوض أمرك إلى هذا السبب، لا، إنما تفوض الأمر إلى الله ﻷ ومع ذلك تأخذ بالأسباب، ولهذا قال ﻷ كما سمعنا: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣] ما ذكر التوكل فقط، بل توكل وعبادة؛ لأن العبادة هي السبب في حصول الفوز برضا الله ﻷ، الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فنفس آيات التوكل فيها الأخذ بالأسباب.

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهم عن عمر بن الخطاب، حديث مشهور، يقول ﷺ: "لو أنكم تتوكَّلُونَ على اللهِ حقَّ توكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَما يَرزُقُ الطيرَ" كيف يفهم بعض الناس هذا الحديث؟ يفهمون أنك تتوكل على الله وتدع الأسباب، ليس هذا معنى الحديث، والدليل تكملة الحديث قال ﷺ: "تَغْدُو خِماصًا وتروحُ بِطانًا" يعني في الصباح الباكر تنطلق هذه الطيور من أعشاشها وأوكارها إلى طلب الرزق، تقطع عشرات الأمتار أو الكيلووات إلى أن تصل إلى المكان الذي تجد فيه طعامًا وشرابًا، فتخرج في أول النهار وهي جائعة، خميصة البطن يعني خالية البطون، ثم ترجع، تروح في آخر النهار، وهي بطانًا، شبعانة ريانة، فالطير ما قال "أتوكل على الله وأجلس في عُشِّي"، بل انطلق في طلب الرزق، وهكذا

أيضًا هذا تعليم من رسول الله ﷺ لنا أن نتوكل على الله حق توكله مع الأخذ بالأسباب، فتأخذ بالسبب، وتتوكل على الله:

- **تصلي، وتصوم، وتزكي، وتحج**، وأنت مُفوض أمرك إلى الله ﷻ إن الله ينفعك بهذه الأعمال الطيبة الصالحة، وتنال بها جنته ورضاه،
- وهكذا أيضًا **تصاب بمرض، فتتعالج**، فتذهب إلى الطبيب، وتتناول الدواء المباح، ولكن أنت مفوض أمرك إلى الله، لا إلى الطبيب، ولا إلى هذا الدواء؛ لأنك تعلم أن هذه مجرد أسباب، والله هو النافع الضار،
- وهكذا **تذهب إلى السلطان لدفع ضر** عن نفسك أو لجلب خير إليك، من خلال ما أعطى الله هذا السلطان من قدرة في الحكم أو في المال أو في غيره، فأنت تعلم أن هذا سبب، وأن النافع الضار هو الله ﷻ.

فإذًا التوكل عمل قلبي، معناه تفويض الأمر إلى الله ﷻ واعتماد القلب على الله ﷻ وليس من معاني التوكل ترك الأسباب، بل لابد من الأخذ بالأسباب.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأخذون بالأسباب، وهم أعظم الناس توكلا على الله، وأقوم الناس بهذا الحق، مثال ذلك:

❖ **النبي** ﷺ كان يتداوى، احتجم وهو صائم، احتجم وهو مُحْرِم، نوع من أنواع التداوي، لما خرج إلى أُحد ظاهَر بين درعين، الدرع الذي يلبسه المقاتل يتقي به العدو، فلبس درعين، هذا شيء من أمثلة كثيرة.

❖ **يوسف عليه السلام** لما كان في السجن، ماذا قال للذي ظن أنه ناج من الرجلين اللذين كانا معه في السجن؟ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] يأخذ بسبب من أسباب الخروج من السجن، فهذا ما ينافي التوكل على الله، سواء سبب طبي، أو أي سبب آخر، المهم أن هذا السبب يكون سبب غير منهي عنه شرعًا.

فهذا مفهوم التوكل دخله كثير من التلبيس لا سيما من الصوفية، فإنهم شوهوا هذا المعنى تشويها عظيما، وجعلوا معنى التوكل تعطيل الأسباب، ولهذا واحد يخرج منهم إلى سفر، إلى حج أو غيره، لا يأخذ معه زادا ولا مالا، لِمَ؟ قال: "أنا متوكل على الله"، من الذي يُطعمه؟ من الذي يُسقيه؟ من الذي يُوفر له ما يحتاج؟ يسأل الناس، يتكفف الناس، فهُم كما قال بعض السلف: "أنتم المتأكِّلون، لستم المتوكلين، أنتم تتأكلون الناس، يدَّعون التوكل.

والتوكل على الله ﷻ هو التوحيد، والتوكل على الله ﷻ شرط من شروط الإيمان، **وأما التوكل على غير الله ﷻ:**

- **فإذا كان فيما لا يقدر عليه إلا الله،** فهذا يكون شركًا أكبر مخرج من الملة، وهذا الذي يحصل في القلوب الذين يعبدون الأولياء، أصحاب القبور، والأضرحة، فإنهم يفوضون أمورهم إلى صاحب هذا القبر، يفوض أمره إلى علي، إلى الحسين، يتوكل عليه كما يتوكل على الله ﷻ، بل ويعتقد بأن هذا الولي يتصرف في الكون، سواء من أصحاب الاثني عشرية والرافضة، أو من عباد القبور من أصحاب الطرق الصوفية.

ولهذا تجده في وسط البحر والموج كالجبل العظيم، وقلبه معلق بمن؟ معلق بالولي، فهذا الولي ميت، والمكان الذي بينه وبين قبر الميت ألوف الأميال، ومع ذلك يناديه في الليل المظلم؛ لأنه يعتقد أن هذا الولي مثله مثل الله ﷻ يسمع من يناديه، يعلم حاله، بيده التصرف في الكون، ولهذا يستطيع أن يتصرف في البحر، ويتصرف في الريح، ويتصرف في كل شيء، فتجده في حال الكرب الشديد: "مدد، مدد يا سيدي فلان!"،

- هذا الدعاء **ناتج عن إيمان بأن هذا المخلوق** يسمع، يتصرف وقادر على كل شيء،
- وهذا الدعاء هو أيضًا **ناتج عن عقيدة في القلب،** أنك إذا فوضت أمرك إليه، وتوكلت عليه فإنه سيكفيك؛

فالذي يفوض أمره إلى الولي، إلى صاحب القبر، إلى أي كان من المخلوقين، إذا فوض أمره إليه فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ كان ذلك شركًا أكبر مخرج من الملة.

٣٢ – باب قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- **ومنه نوع آخر، وهو التوكل على المخلوق باعتباره سبب،** يعني فيه التفات فيه لقلب إلى هذا المخلوق، **مثلًا المريض** إذا التفت قلبه إلى الطبيب، هو يعلم أن الطبيب هو سبب، لكن صار تعلقه بهذا السبب، أن شفاءه وعلاجه وكذا بيد هذا الطبيب، مستحضرًا بأنه سبب، أعطاه الله الخبرة، أعطاه الله العلم، وأعطاه الله عز وجل الدواء والعلاج، فالتفت قلبه إلى هذا الطبيب معتمدًا على هذه الأسباب، يقول أهل العلم: **أن هذا نوع من أنواع الشرك الخفي**، فإذا اعتمد على المخلوق فيما أقدره الله عليه اعتمادًا فيه التفات القلب إليه، فهذا نوع من أنواع الشرك الخفي، وذكر الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله في شرح كتاب التوحيد أن بعض أهل العلم يقول: أن هذا مكروه، ولا يصل إلى درجة الشرك الأصغر أو الشرك الخفي.

- **ومن التوكل الاعتماد على المخلوق** الذي تصح نيابته فيما تدخله النيابة، يعني تُوَكِّل فلانا في قضاء حاجة من حاجاتك:

  - إما أنك **لا تستطيع** أن تباشرها بنفسك،
  - أو أنك **مشغول عنها**،
  - أو أن هذا الشخص **أقوم بها منك**،

الذي يسمى بالتوكيل، تُوكِّل فلانا، فتقول له: "اذهب واشترِ لي كذا، فهذا لا يدخل في التوكل، هذا توكيل، أو وكالة، وليس توكلا؛ لأنه ليس فيه تفويض، ليس فيه اعتماد بالقلب على المخلوق، فهذا النوع من الوكالة التي تذكر في كتب الفقه، هذه غير داخلة في صرف التوكل إلى غير الله الذي هو إما شرك أكبر، أو شرك أصغر، بل هذا توكيل جائز:

- ما دام أنك وكلت شخصا يصلح للوكالة شخص عاقل، شخص بالغ، شخص يحسن هذا الأمر الذي وكلته فيه،
- وهذا الشيء الذي وكلته فيه تصح فيه الوكالة، كالبيع والشراء والإجارة ونحو ذلك،

هذا جائز ولا حرج فيه إن شاء الله، بل هذا من محاسن الشريعة، أنك لا تستطيع أن تقوم بأمورك كلها بنفسك، لا تستطيع أن تباشر أمورك كلها بنفسك.

بعد هذا نرجع إلى ما ذكره المؤلف في هذا الباب، يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** تقدم مرارًا، مر عليكم في كثير من الدروس أن تقديم المعمول على العامل يدل على الحصر **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾** يعني فلا تتوكلوا على غيره.

﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فشرط الإيمان التوكل على الله ﷻ، التوكل شرط في الإيمان، ينتفي بانتفائه، ويوجد، ويصح بوجوده، وهذه الجملة جزء من كلام الرجلين اللذين أنعم الله عليهما، هذه في قصة موسى لما أمر قومه أن يدخلوا الأرض المقدسة، فإن الله ﷻ لما أهلك فرعون وجنوده أمر موسى قومه أن يتجهوا إلى بيت المقدس، إلى فلسطين، حتى يجاهدوا في الله ﷻ الوثنيين الذين تملكوا الأرض المقدسة.

فموسى عليه السلام ما كان يصارع فرعون على حكم مصر، فلو كان الصراع الذي بين موسى وبين فرعون على أجل حكم مصر، وملك مصر، وكرسي الحكم فيها، كانت تلك فرصة مناسبة، أغرق الله فرعون، وأغرق جنوده، فلو كانت المعركة كلها من أجل هذا الكرسي لكانت الآن هي الفرصة المناسبة، المكان شارف، ولكن ما الذي نجده؟ نجد أن موسى ما رجع إلى مصر، وإنما أمر قومه بأمر الله له، بالتوجه إلى فلسطين لجهاد المشركين فيها، ثم خذله بنو إسرائيل، فبقي في التيه حتى مات، ومات أيضًا هارون عليهما الصلاة والسلام، بقوا في التيه أربعون (٤٠) سنة.

المهم أن موسى لما أمر قومه بدخول الأرض المقدسة اعتذروا، قالو: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة:٢٢]، لا ندخلها، حاول في حضهم، لكن دون جدوى، تدخل أيضًا معه رجلان ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ يعني الله ﷻ ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ يعني بالعلم والبصيرة، ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ [المائدة:٢٣]، هذا سبب من أسباب الانتصار، فتوجهكم إليهم بقلوب معلقة بالله ﷻ وفتحكم الباب ودخولكم عليهم، هذا مما يقذف الرعب في قلوبهم، فينشأ عنه وينتج عنه غلبتكم عليهم وانتصاركم عليهم، ثم بعد هذا السبب قالوا: **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**:

❖ **ففيه عندنا أسباب**، وهي قتال هؤلاء القوم، الدخول عليهم من الباب،

❖ **وفيه أيضًا تفويض** الأمر إلى الله ﷻ.

ففي الآية هنا الأمر بالتوكل على الله وحده، وهذا أخذ من تركيب الجملة، بدأ بالمعمول، ثم ثنى بالعامل، وهذا يفيد الحصر، معنى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ يعني لا تتوكلوا على غيره، ثم قال: ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ دليل على أن التوكل شرط لصحة الإيمان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال:٢]

ثم قال المؤلف رحمه الله: "**وقوله**" يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فمحل الشاهد من الآية في الجزء الذي أشار إليه بقوله: "**الآية**" يعني اقرأ الآية إلى تمامها تجد محل الشاهد ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ هذا محل الشاهد.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني الإيمان الكامل التام.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني خافت، يخافون من الله، والخوف من الله ﷻ المقصود منه، المطلوب منه الذي يحملك على فعل طاعته واجتناب معصيته، هذا هو الخوف المقصود منه.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ كيف تزيدهم إيمانًا؟

❑ **أولًا**: **كلما نزلت آية آمنوا بها**، في الأول مثالا نزلت الآيتان آمن بهما، ثم نزلت الثالثة فآمن بها، فازداد إيمانا على الإيمان السابق، وهكذا،

❑ **ثانيا**: وأيضًا **إذا نزلت الآية أخذ يتأمل ويتفكر** ويتدبر ما فيها، فتدبره لها هذا عمل صالح يزداد به الإيمان،

❑ **ثالثا**: **ثم عمل بهذه الآية**، إن كانت خبرا صدَّق، إن كانت طلبا نفَّذ، فيزداد إيمانه،

فهذه زيادة الإيمان بالآيات من وجوه متعددة، إيمان بأنها من عند الله، تفهم، وتفكر وتدبر، وهذا من الإيمان، ثم عمل بها، هذا من الإيمان، ثم تعليم لها، ودعوة إلى ما تضمنت، هذا من الإيمان، أما الذي في قلبه مرض، كافر، منافق، فإذا نزلت الآية زادته رجسا والعياذ بالله، تزيدهم كفرا وطغيانا، **كيف الآيات والقرآن تزيدهم كفرا وطغيانا ورجسا إلى رجسهم؟** لأنه كل ما نزلت آية كذب بها، فازداد تكذيب على تكذيب، إذا نزلت آية أخذ يسخر منها، يستهزئ بها، فيزداد كفرا، يزداد نفاقا، يزداد رجسا والعياذ بالله.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يعني يفوضون أمورهم إليه، ولا يفوضوها إلى أحد سواه. ثم قال:

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]

ينادي الله ﷻ نبيه بهذا الوصف ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ يناديه بوصف النبوة ووصف الرسالة، وهذا من إكرام الله ﷻ لعبده ورسوله محمد ﷺ، ما تجد في القرآن نداء للرسول إلا بأحد هذين الوصفين: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، أما الإخبار عنه يأتي بالاسم المجرد "محمد" ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح:٢٩]، لكن النداء، لا، إنما يأتي بـ "أيها النبي، يا أيها الرسول"، مع أن الله ﷻ نادى أولي العزم من الرسل: يا إبراهيم، يا موسى، موجود هذا النداء في القرآن، أما النبي ﷺ فالله خصه بهذه الميزة العظيمة، الخصيصة العظيمة وهي أنه لا ينادى إلا بوصف النبوة أو الرسالة، وهذا من إكرام الله ﷻ له.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ يعني يكفيك الله عما سواه، الحسب هنا معناه الكافي، يكفيك الله ﷻ.

﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني وحسب من اتبعك من المؤمنين، لابد نفهم الآية بهذا المحمل، الله ﷻ حسبك، يعني يكفيك، ويكفي من معك من المؤمنين، وليس المقصود أن الرسول له جهتان تكفيانه، وهما الله والمؤمنون، يعني ليس المعنى حسبك الله، وحسبك المؤمنون، **بل المعنى الصحيح** "حسبك الله وهو أيضًا حسب من معك من المؤمنين"، فأنت يا رسول الله فوِّض أمرك إليه، وأنتم أيها المؤمنون المتبعون له فوِّضوا أموركم إلى الله، فالله يكفيكم من كل شيء، لكن لو اجتمعت السماوات والأرض معك لا تكفيك عن الله

ﷻ، فالله يكفيك عما سواه، وأما غيره فلا يكفيك عن الله ﷻ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ يعني يكفيك الله، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني وحَسْب الذين اتبعوك، ففوِّضوا أموركم إلى الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]

الجزاء من جنس العمل، ثواب التوكل منه نفسه، إذا توكلتَ على الله كفاك الله ﷻ ما أهمك، فكما أنك خلّصتَ قلبك من الالتفات إلى المخلوقين، فالله ﷻ يكافئك ويجازيك على هذا بأن يحقق لك مرادك، ويكفيك ما أهمك، ويحصل بذلك مطلوبك ومرغوبك، ولهذا يقول بعض أهل العلم: انظر، تأمل هذه الآية، أن العادة ترد بأنه إذا ذكر العمل الصالح يذكر ثوابه من الأجر، من الثواب، الجنة، الرضا، ونحو ذلك، **أما التوكل فجعل الجزاء ما هو؟** نفس ناتج التوكل وهو أن الله ﷻ يحقق لك الشيء الذي فوضت أمرك فيه إلى الله ﷻ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ يعني كافيه، وكفى بهذا جزاءً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾" [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري والنسائي.

ثم قال: "**وعن ابن عباس**" هذا أثر عن ابن عباس رواه البخاري.

قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ **قال: قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار**"، قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

ويروى في بعض الأخبار الإسرائيلية أن جبريل عرض له لما ألقي في النار، فقال: لك إلي حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى ربي فنعم"، ولكن هذا الخبر أصح الذي في البخاري أن إبراهيم لما ألقي في النار قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ يعني يكفيني الله ﷻ وذلك أنه لما كسر أصنامهم، وحطم أوثانهم، غضبوا لآلهتهم، فأوقدوا نارًا عظيمة، وألقوا فيها إبراهيم، فلما فوض إبراهيم أمره إلى الله، وتوكل على الله، قال الله

للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، كانت العاقبة حميدة بالنسبة له، ومخزية بالنسبة لهم ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:٧٠].

"قالها إبراهيم حين ألقي في النار" معنى ذلك أن هذا تعليم لنا أن نقول هذه الكلمة في كل وقت، ولا سيما في الوقت الشديد، في الوقت العَسِر، في الوقت الذي تواجه فيه شيئًا من الصعوبات، جسدية، مادية، دراسية، أمنية، أي شيء، فوض أمرك إلى الله، وردّد هذه الكلمة متدبرا لها، متأملا معناها، معتقدا ما تضمنته تجد الفرج إن شاء الله، تجد انشراح الصدر، تجد طمأنينة القلب، ثبات القلب، فما رويت لنا هذه الأخبار من أجل مجرد قراءتها، إنما من أجل أن نحولها إلى تطبيق عملي في واقعنا، في علاقتنا مع ربنا عز وجل ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام:٩٠]، فالمقصود أخذ العظة والعبرة وأخذ القدوة والأسوة منهم عليهم الصلاة والسلام.

ثم قال: **"وقالها محمد ﷺ" يعني وأصحابه، حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾** [آل عمران:١٧٣-١٧٤]، فالمقصود أن النبي ﷺ وأصحابه قالوا هذه الكلمة في موقف صعب بعد غزوة أحد، وقد أصابهم القرح الشديد، أصابهم الابتلاء العظيم، فرجعوا إلى المدينة مُثْخَنين، جروح مادية ومعنوية:

- قتل منهم سبعون (٧٠)،
- وجُرِح من جُرِحَ،
- وأصيب النبي ﷺ بما أصيب به من كسر رباعيته وغير ذلك،

وأول ما وصلوا المدينة وإذا يأتيهم الخبر بأن الجيش المكي صمَّم على إعادة الكرة عليهم؛ لأنهم في أول الأمر ظنوا أن الرسول قد قتل، وأن أبا بكر قد قتل، وأن عمر قد قتل، ففرحوا بذلك، ثم علموا أن محمدًا ﷺ حي، وأبا بكر حي، وعمر حي، فانطلق الجيش المكي، وفي الطريق كأنهم تلاوموا: "كيف نعود إلى مكة، ونحن لم نقتل هؤلاء الثلاثة أو أحدًا منهم؟" فأرادوا أن يرجعوا إلى المدينة، وأرسلوا رسولا يخبرون أهل المدينة

بأن أبا سفيان والذين معه صمموا، وقرروا العودة إلى المدينة، فكان هذا الخبر عظيما بالنسبة على أهل المدينة، ما زالوا في جراحهم، وآلامهم، ومصابهم، ثم جاءت هذه المصيبة الأخرى عليهم.

فخرج النبي ﷺ إلى منطقة قريبة من المدينة اسمها **"حمراء الأسد"**، وأمر أن لا يخرج معه إلا من شارك في غزوة أحد، فخرج إلى حمراء الأسد، وعسكر هناك، وهو يقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ لما جاءهم هذا التهديد قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ثم إن الله ﷻ قذف الرعب في قلب أبي سفيان ومن معه، فقالوا: "ما خرجوا من المدينة إلى حمراء الأسد إلا ومعهم قوة ما خرجت معهم يوم أحد، فقالوا: نحافظ على المكتسب الذي اكتسبناه، والنصر الذي حققناه، يكفينا"، وانطلقوا إلى مكة، وكفى الله المؤمنين قتال أبي سفيان ومن معه في حمراء الأسد.

قال: **"وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾** هذا محل الشاهد منها، والخبر كما ذكر المؤلف رواه البخاري، ورواه النسائي رحمهما الله.

إذًا هذا ما يتعلق بهذا الباب العظيم الذي هو باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني أن من التوحيد التوكل على الله وحده، وإذا كان التوكل عليه توحيدا، فالتوكل على غيره يكون شركا أكبر على التفصيل السابق.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٣٣ – باب قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٧هـ

٣٣ – باب قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾** [الأعراف:٩٩] هذه الآية تتعلق بشأن القرى التي قص الله ﷻ خبرها في سورة الأعراف، ذكر جلًا من أخبار الأنبياء نوح مع قومه، وهود مع قومه، وصالح مع قومه، ولوط مع قومه، وشعيب مع قومه، ثم عقَّب ﷻ على تلك الأخبار بهذه الآيات.

قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٤-٩٥].

فهذا السياق كله في توبيخ وتقريع أهل القرى يعني أهل المدن سواء كانت كبيرة أو صغيرة الذين يستمتعون بنعم الله ﷻ ويعصون الله ولا يطيعونه، فإذا أنعم الله ﷻ عليك بالنعم وأنت مقيم على ما يبغض الله ويكره الله ﷻ من الشرك، من العصيان، من البدع، من الطغيان فاعلم أن هذه النعم ما هي إلا من مكر الله ﷻ لك، مكر، استدراج ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢].

وهذا هو **المكر** إيصال العقوبة على وجه خفي، لا يشعر به من يراد إيقاع العقوبة به، فهذا الذي أُنعِم عليه بالنعم يظن أن هذه النعمة علامة على رضا الله ﷻ عنه، وعلى محبة الله ﷻ له، لا، هذه النعم المادية مال وأبناء ورغَد عيش ونحو ذلك يعطيها الله ﷻ للكافر والمؤمن، للفاجر والتقي، للصالح والطالح، الله ﷻ يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، إنما تكون هذه النعم علامة خير وسبب خير حينما يستغلها العبد في طاعة الله

ﷻ، حينما يقوم بشكر الله ﷻ عليها، وشكر الله عليها يعني أن تقوم بطاعته وتجتنب معصيته، فهنا تكون النعم نافعة ومفيدة:

- ❑ ولهذا قال الله ﷻ **في أهل القرى، في الكفار** منهم ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٤٤].
- ❑ لكن **في أهل الإيمان والتقوى** قال: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

فهناك عبر بالأبواب وهنا عبر بالبركات، تعطى أموال وخير كثير من الدنيا، لكن ليس فيه بركة، بمعنى أنك لا توفَّق لشكر الله ﷻ على هذه النعم باستعمالها في طاعة الله، فتكون وبالًا عليك، وتكون من مكر الله ﷻ بك حتى تتمادى فيما يبغض الله ﷻ، ثم يأخذك بغتة.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ بمعنى: أن هذه القرى كانت في غاية الأمن من عذاب الله، وكانوا في غاية النعيم في الليل نائمون وفي النهار يلعبون، فجأتهم عقوبة الله ﷻ من حيث لم يكونوا يحتسبون، ومن حيث لم يكونوا يشعرون.

فمكر الله سبحانه وتعالى يعني إنزاله وإيصاله العقوبة بالعبد من حيث لا يشعر، وهذا المعنى في المكر معنى محمود وليس بمذموم وهو إيصال العقوبة على وجه خفي لمن يستحق هذه العقوبة، المكر إذا وقع في محله، في مستحقه كان مكرًا محمودًا.

متى يذم المكر؟ يذم إذا كان في غير من يستحق، ولهذا لو أن الجيش المسلم في الجهاد الشرعي خدع الكفار في الحرب خدعة، وبهذه الخدعة استطاع أن ينتصر عليهم، هل هذه الخدعة محمودة أو مذمومة؟ محمودة، **"الحربُ خَدعةٌ"** لأنه وقع المكر في محله فيمن يستحقه، أما تمكر بمن لا يستحق، فهذه من مساوئ الأخلاق والعياذ بالله.

ولما كان المكر صفة تحتمل المدح وتحتمل الذم لا تطلق على الله ﷻ هكذا إطلاقًا لا يقال: الله ماكر، أو الله الماكر، إنما يقال كما أخبر الله ﷻ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤]، إذًا من مكر

فمكرت به من باب المقابلة ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل:٥٠] فيؤتى بالمكر منسوبًا إلى الله ﷻ وإخبارًا به عن الله ﷻ في السياق الذي يكون فيه المكر محمودا.

فإذًا هذه الآية الكريمة فيها توبيخ ﴿أَفَأَمِنُوا﴾ لأن هذا الاستفهام استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: أي أفأمنوا عقوبة الله ﷻ التي تأتيهم على بغتة، على حين غفلة.

﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فلما كان المكر من صفات الخاسرين دل على أنه ليس من صفات الفائزين، الرابحين الذين هم أهل التوحيد وأهل الإيمان، **فالأمن من مكر الله مما ينقص كمال التوحيد**؛ لأن الله:

- جعله من صفات **أهل الكفر**،
- جعله من صفات **أهل الضلال**،
- جعله من صفات **أهل المعاصي**،

أما أهل الإيمان أهل التوحيد فإنهم يخافون من الله ﷻ، وأنتم تعرفون أنه من التوحيد الخوف من الله ﷻ، ومن الشرك الخوف من غير الله ﷻ على التفصيل المعروف، فالأمن من مكر الله هو ناتج عن عدم الخوف من الله ﷻ، فإذا نقص الخوف من الله نقص شيء من التوحيد، **فعلى المسلم** أن يكون في غاية الحذر والمراقبة، والمحاسبة لنفسه، يتأمل في هذه النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليه، سواء بالنظر إليه كالفرد أو كالأمة يعيش فيه:

- **فأنت على مستواك الفردي** عندك من الرزق ما يكفيك، منَّ الله ﷻ عليك بوظيفة، من عليك بزوجة، من عليك بولد، من عليك بالصحة والعافية في بدنك، نعم عظيمة جدًا، فتأمل في نفسك هل أنت قمت بشكر هذه النعم أو لا؟ هل أنت مقيم على طاعة الله أو لا؟
- **أيضًا كأهل البلد بشكل عام**، يعيشون في أمن أو في خوف، في رغد أو في ضيق، فإذا كانوا في أمن وفي رغد فهذه نعم عامة، يجب أن تشكر حتى لا تتبدل الأحوال:

- **فالذي ينعم على الفرد** هو الذي ينعم على هذه الأمة كلها،
- **والذي يسلب النعم** من الفرد يسلبها من الأمة كلها إذا شاء.

وقول الله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

هذا في سياق قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع الملائكة الذين أرسلهم الله إليه بتعذيب قوم لوط ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٢-٥٦].

فالملائكة جاءت إلى إبراهيم على صورة بشر، فلمْ يعرف أن هؤلاء ملائكة، فالنبي مهما كان فضله وجلالته ومكانته إلا أنه لا يعلم الغيب، حتى النبي ﷺ على كثرة ما يأتيه جبريل، لكن لما آتاه في صورة رجل غريب عن أهل المدينة ما عرفه، متى عرفه؟ عرفه بعدما انطلق، بعدما خرج **"هذا جبريل آتاكم يعلمكم دينكم"**، وإلا في البداية لا يدري أنه جبريل، سواء من الناس، **"أخبرني عن الإسلام، أخبرني عن الإيمان، أخبرني عن الإحسان، أخبرني عن الساعة"** والنبي ﷺ يجيب كأنما يجيب أمام أحد أصحابه، فإذا تشكل الملك بشكل آدمي وجاء إلى النبي فإن النبي لا يعرفه حتى يخبر هذا الملك عن نفسه، أو يوحي الله ﷻ إليه.

ولهذا ظن إبراهيم عليه السلام أن هؤلاء بشر ضيوف، فأكرمهم كما يكرم الضيفان، وذكروا أن أول من ضيف الضيوف إبراهيم عليه السلام، فقرَّب لهم عجلًا، ذبح لهم عجلا سمينا وقربه إليهم، فلما قربوا لهم أبوا أن يأكلوا، فهنا خاف، فسياق آيات الحجر فيها اختصار، لم يذكر فيها رد إبراهيم عليه السلام ولم يذكر فيها أنهم لم يأكلوا من طعامهم.

فسبب خوفه ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ سبب الخوف أنه رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه، وكانت العادة أنه إذا قدمتَ لهذا الضيف طعاما ولم يأكل منه، معناه أن بينك وبينه سوء، أو بينك وبينه شر، أو يبيّت لك شرا

يريد بك شرا، فطمّنوه "لا تخافوا"، ثم أخبروه بأنهم رسل من رسل الله ﷻ ملائكة وليسوا بشرا، ولما طمّنوه من هذا الجانب زادوه بشارة وهي أنهم بشروه بإسماعيل ﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ المقصود به إسماعيل عليه الصلاة والسلام، المهم أنه بُشّر بالولد أيًا كان إسماعيل أو إسحاق، ولكن البشارة في إسماعيل هو الذكر، فالبشارة به أتم.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ يعني من العادة أن الكبير في السن لا يرزق بأولاد، وهكذا في النساء أيضًا أكثر وأكثر إذا بلغت سن اليأس انقطع عنها الولد، فهو كبير وامرأته كبيرة أيضًا فكيف يأتي الولد في هذا السن.

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ هذا الكلام ليس من عندنا، إنما نحن مبلغون عن الله ﷻ.

فلما قال: ﴿**فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾ لأن **القنوط من رحمة الله معناه** كأنه فيه شك في كمال قدرة الله ﷻ، وفيه شك في كمال رحمة الله ﷻ، والله ﷻ له القدرة الكاملة ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠] والله ﷻ له الغنى المطلق، والكرم الواسع، **فلِمَ تقنط من رحمة ربك؟** ما دام أنه على كل شيء قدير، وما دام أنه غني وكريم ﷻ، فعلى المسلم أن يحسِّن ظنه بربه، ويُعظِم ثقته بربه ﷻ.

❍ **فإذًا الآية الأولى فيها** التحذير من الآمن من مكر الله، يعني **التحذير من إهمال الخوف من الله** ﷻ.

❍ **والآية الثانية فيها** التحذير من القنوط من رحمة الله، اليأس من رحمة الله، وذلك يعني **النهي عن إهمال جانب الرجاء** في فضل الله ورحمة الله،

فهذا الباب كأنه يدعوك إلى الخوف من الله، ورجاء في الله ﷻ، أن تجمع بين هذين الأمرين: الخوف من الله، والرجاء في الله ﷻ، وهكذا يجب أن يكون المؤمن يجمع بينهما:

❖ لا يغلّب **جانب الخوف** فيهلك،

٣٣ – باب قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

❖ ولا يغلب **جانب الرجاء** فيهلك أيضًا.

إنما تكون عبادته مبنية على الأمرين جميعًا يخاف من الله فيجتنب معصيته، ويرجو الله عَجَّلَ فيبادر إلى طاعته، تجمع بين الأمرين:

∇ **الذي يغلب جانب الخوف** ولا ينظر إلا إلى هذا الجانب يقنط حتى إنه إذا عمل معصية لا يتوب، لماذا؟ قال: ﴿اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٩٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم:٤٧]، وينظر إلى جانب الوعيد، فيترك التوبة.

∇ **والذي ينظر إلى جانب الرجاء** فقط يفتح على نفسه باب المعاصي، تقول له "صلِّ"، قال ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٩]، تقول له: "صُمْ"، قال ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، لا تأكل حرام، قال ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢]، وهكذا تمادى في المعاصي، تمادى في الطغيان.

فهذا هلاك وهذا هلاك، والنجاة أين هي؟ النجاة في الجمع بينهما، تجمع بين الرجاء وبين الخوف، دعتْك نفسك للمعصية ذكِّرها بخوف الله، بعقوبة الله، جاءك الشيطان وقنَّطك من رحمة الله ذكِّر نفسك بسعة فضل الله وسعة رحمته وَعَجَّلَ.

والله عَجَّلَ وصف الأنبياء فقال: ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]، هؤلاء الأنبياء يعبدون الله عَجَّلَ بالرغبة والرهبة، يعبدون الله بالخوف والرجاء، فلابد من الخوف من الله حتى يحجزك الخوف عن معصية الله، ولابد الرجاء في رحمة الله حتى يدعوك ذلك إلى فعل الطاعة، فإنك لو لم ترجُ من طاعتك ثوابًا ولا أجرًا ولا رحمةً ولا جنةً، فكيف تطيع؟ وأيضًا لابد مع ذلك من محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **فتعبد الله على هذه الأسس الثلاثة:**

❑ تعبده **خائفًا**،

❑ وتعبده **راجيًا**،

❑ وتعبده **محبةً له** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ إذًا الأمن من مكر الله من صفة الخاسرين، والقنوط من رحمة الله من صفة الضالين، وكلها عواقبها النار والعياذ بالله، فالخاسرون من أهل النار، والضالون من أهل النار.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال: "الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله". رواه البزار.

ثم قال المؤلف: **"وعن ابن عباس"** عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ.

عن النبي ﷺ أنه قال **"أنه سئل الرسول عن الكبائر، فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله"**.

ذكر في هذا الحديث ثلاث خصال، **هل على سبيل الحصر أو التمثيل؟** ليست من باب الحصر؛ لأن الكبائر أكثر من هذه الثلاث، جاء في الحديث أنها سبع **(٧)**، وجاء في أحاديث ذكر كبائر أخرى، حتى **قال ابن عباس:** "سبع (٧) في العدد وهي للسبعين (٧٠) أقرب"، إنما النبي ﷺ يذكر في بعض المقامات بعض مسائل الباب الواحد ليس على سبيل الاستيعاب، مثل **"حق المسلم على المسلم"** يذكر خمس خصال ست خصال، في مقام آخر يذكر خصال أخرى

- **حتى يسهل عدها** ويسهل حفظها،
- أو **هي المناسبة لحال السائل** الذي يسأل،

فالمقصود أن هذا العدد ليس من باب الحصر.

"سئل عن الكبائر" هذا الدليل تنقسم إلى قسمين: إلى كبائر وإلى صغائر.

٣٣ – باب قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وحاول العلماء أن يستنبطوا ما الفرق بين الصغائر وبين الكبائر، **فذكر شيخ الإسلام** "أن الكبائر ما ترتب عليه وعيد بخصوصه إما جعل عليه الحد من الحدود في الدنيا، أو تُوعِّد فاعله باللعنة أو بغضب الله أو بنحو ذلك من أنواع العقوبات"، أما الصغائر فتبقى على الوعيد العام، على المعاصي بشكل عام.

والمقصود: أن المسلم يجتنب المعاصي كلها:

خَلِّ الذُنُوبَ صَغِيرَها، وَكَبِيرَهَا؛ ذَاكَ التُّقَى! *** وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى**

فالمهم أنك تجتنب المعاصي كلها سواء كانت كبيرة أو صغيرة، **الفرق بين الكبائر والصغائر:**

أن الصغائر تُكفَّر بترك الكبائر، وفعل الطاعات،

- مثل ما قال النبي ﷺ: **"الصلوات الخمس، ورمضان إلى رمضان، والعمرة إلى العمرة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر"** فجعل شرط تكفير الصغائر، تكفير هذه الذنوب شرطين: فعل هذه الطاعات، وترك الكبائر.
- ويمر عليكم في الأحاديث الكثيرة **"مُحِيتْ عنه بها خطيئة"** مثل الخطى للمسجد، ومثل التسبيح ونحوه محيت عنه الخطيئة بهذا العمل الصالح، هذه الخطايا المقصود بها الصغائر.

أما الكبائر فإنها تحتاج إلى التوبة، فالكبائر تُكفَّر بالتوبة الصادقة الصالحة، والصغائر تكفر بالتوبة وتكفر أيضًا بالأعمال الصالحة.

وهذه القاعدة لها استثناء فرُبَّ عمل صالح يكفِّر الله به ذنوب عبده كلها كبيرها وصغيرها:

- **مثل شهود غزوة بدر،** قال الله ﷻ لأهل بدر: **"اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"** فيدخل في ذلك الصغائر والكبائر،
- **المرأة الزانية التي سقت كلبا،** ماذا حصل لهذه السقية؟ السقية عمل صالح ليس هو توبة، السقية عمل صالح سَقَتْ كَلْبًا، فغفر الله لها ذاك الجرم الكبير وهو الزنا وأدخلها الجنة،

فبعض العمل الصالح قد يمن الله ﷻ به على العبد فيكفر به كل ذنوبه الكبائر والصغائر، لكن القاعدة الكبائر لا تكفر إلا بالتوبة.

وأيضًا في هذا السؤال دليل على حرص الصحابة على العلم الذي ينفعهم، ولهذا سأل عن الكبائر حتى يجتنبها، يسأل عن الذنوب حتى يجتنبها **"عَرَفتُ الشَرَّ لا لِلشرِ لَكِن لِتَوَقّيهِ"** فكانوا يسألون عن المسائل التي تنفعهم في سيرهم إلى الله ﷻ، وكذلك ينبغي لكل مسلم ولطلبة العلم خصوصًا أن يسألوا عما ينفعهم، المسائل المتكلَّفة، المسائل التي لا ينبني عليها خير لا تضيّق وقتك ووقت من تسأله فيها، فكانوا يسألون للعمل ويطبقون ويعملون وينتفعون بعلمهم؛ لأنهم كانوا يريدون من العلم العمل به، لا مجرد التكثر، ولهذا يمر عليك وأنت تقرأ في الأحاديث، حديث في فضيلة عمل:

- يقول لك الراوي "ما تركته منذ سمعته من رسول الله"،
- يقول التابعي "ما تركته منذ سمعت فلان الصحابي"،

مثل حديث: **"من صلى لله اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة"** وتجد الصحابية راوية الحديث، وتجد التابعي راوي الحديث عن الصحابي، وتجد تابع التابعين، كلهم يقولون "ما تركته منذ سمعته"، لماذا؟ لأنهم كانوا أصلًا يتعلمون من أجل أن يعملوا ولهذا نفعهم الله بالعلم، أما الذي يتعلم من أجل التكثر، من أجل الشهادة من أجل المنصب، من أجل كذا وكذا، ففي الغالب تجده يحرص على كثرة المعلومات مع قلة العمل نسأل الله العافية.

سئل عن الكبائر؟ فقال: "الشرك بالله" هذا أكبر الكبائر على الإطلاق **"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله"**، فالشرك بالله هو أكبر الكبائر على الإطلاق، لماذا؟

❑ لأن الله ﷻ أخبر **أنه لا يغفر هذا الذنب لمن مات عليه**، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] فمن لقي الله على الشرك الأكبر لقي الله بذنب لا يغفر، لقي الله موحدا لكن

عنده قتل بغير حق، وعنده زنا، وعنده أكل الربا وعنده من المعاصي والفجور لكن لقي الله بالتوحيد هذا بين أمرين:

- **إما أن يعفو الله** ﷻ عنه ويدخله الجنة،
- **وإما أن يعذبه في النار ثم يخرجه منها** إلى الجنة، يعني آخر حاله إلى الجنة،

أما الذي يموت على الشرك الأكبر، فإنه مخلد في النار والعياذ بالله:

- الشرك أكبر الكبائر؛ لأن الله أخبر أن **صاحبه مخلد في النار** لا يخرج منها كما قال على لسان عيسى بن مريم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢] تكفيك هاتان الخصلتان في خطورة الشرك وأنه أعظم الذنوب على الإطلاق.
- ينضم إلى ذلك أيضًا أشياء أخرى أنه **محبط للعمل** كله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].
- أنه **يبيح الدم** "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله".
- أنه **يقطع الإخوة**، أنه **يمنع التوارث** إلى آخره، وهذه كلها لا تكون في الذنوب الأخرى التي دون الشرك.

"سئل عن الكبائر؟ قال: الشرك بالله" ومعنى الشرك يعني صرف العبادة لغير الله، وإذا سمعت أن الشرك دعوة غير الله مع الله، فليس المقصود خصوص الدعاء، إنما المقصود عموم العباد سواء الدعاء أو غير الدعاء:

- فمن **صرف الدعاء** لغير الله فقد أشرك،
- من **ذبح لغير الله** فقد أشرك،
- من **نذر لغير الله** فقد أشرك،
- من **استغاث بغير الله** فقد أشرك،
- من **استعان بغير الله** فقد أشرك، وهكذا.

فالدعاء إنما هو بمعنى العبادة يدخل فيه دعاء المسألة والعبادة بشكل عام، هذا تعريفه الشرعي.

ثم قال: **"واليأس من روح الله"** اليأس والقنوط كلمتان متقاربتان ولهذا تجد اليأس قال لك "اليأس القنوط"، وتذهب للقنوط يقول لك "القنوط اليأس".

"اليأس من روح الله" بفتح الراء "الرَّوْح"، وهنا معناها الرحمة في هذا السياق.

"اليأس من روح الله" أي من رحمة الله التي يرفع بها الشدة ويزيل بها الكربة، فلو أن شخصًا مثلًا أصيب بمرض أو أصيب بضائقة دين أو غيره من المصائب، فيقال له "لا تقنط من رحمة الله، لا تيأس من روح الله، لا تيأس من فرج الله، مهما اشتدت الكربة" فإن الله يقول:

- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦].
- ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].
- ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]

فإذًا المؤمن يحسِّن ظنه بالله ﷻ مهما ضاقت به الأمور؛ لأنه يؤمن إيمانًا جازمًا أن الله ﷻ أمره لا يعجزه شيء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فإذا كان ربك قادرا على كل شيء فلِمَ تقنط من رحمته، لِمَ تيأس من روحه؟ أما تؤمن بأن الله ﷻ قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يعني جعل مع كل عسر يسرين، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ العسر جاء معرف بالألف واللام ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ يعني الأول، ﴿يُسْرًا﴾ يعني يسرًا ثانيًا، فمع كل عسر يسران، وهذا من سعة كرم الله ﷻ ولطفه بعباده، فسواء في المصائب الدنيوية كمرض، أو كذا، أو في المصائب الدينية كالذنوب والخطايا فلا تيأس من روح الله:

- **في باب الذنوب** أن الله يكفرها عنك إذا تبت وأنبت،

❖ **وفي باب المصائب الدنيوية** من مرض وغيره أن الله ﷻ يعافيك ويرفع عنك ويفرج كربتك.

فهذا الحديث وأمثاله تفتح باب الرجاء، باب طيب العيش، باب طمأنينة القلب في حياة العبد، إذا غفل عن هذه المعاني جاءت الإشكالات، أمراض نفسية، والاكتئاب، والشعور بالرغبة في الانتحار، إلى آخره، لماذا؟ لأنه أغلق على نفسه باب الرجاء في رحمة الله سبحانه.

"والأمن من مكر الله" جمع بين الخصلتين:

- **اليأس** من روح الله،
- **والأمن** من مكر الله،

اليائس غلَّب جانب الخوف **والآمِن** من مكر الله غلب جانب الرجاء وهذا غلط وهذا غلط، إذا غلوتَ في الرجاء أمِنتَ من مكر الله فهلكتَ، وإذا غلوتَ في باب اليأس من روح الله وقعتَ في سوء الظن في الله ﷻ في القنوط وهلكتَ والعياذ بالله.

"رواه البزار" هذا الحديث رواه البزار، وفي سنده كلام لكن المعاني التي اشتمل عليها الحديث تدل عليه الآيات وتدل عليه الأحاديث الواردة في هذا الباب، يعني من جهة المتن لا نكارة في المتن، والمؤلف رحمه الله قد يذكر في هذا الكتاب كما هي عادة المؤلفين في كتب الاعتقاد، قد يوردون أحاديث فيها ضعف، ولكن الاعتماد ليس على الأحاديث الضعيفة بخصوصه، إنما يذكر استئناسًا؛ لأن الباب فيه نصوص ثابتة وفيه آيات وفيه أحاديث صحيحة، فيه آثار صحيحة عن الصحابة، مثلًا هذا يذكر هذا الخبر الضعيف من باب أنه يدعِّم الموضوع.

ليس المقصود أنه في الباب ليس إلا هو، وهو العمدة، بل إذا قرأت كتب السلف المسندة في العقيدة، حتى ربما تجد فيها أخبار وأحلام ورؤى ومنامات، هل هذا موجود أو لا؟ موجود، **هل من مصادر العقيدة عندنا الرؤى والمنامات؟** الجواب: لا، كيف تُذكَر في كتب العقيدة؟ من باب الاستئناس، يذكر لك عشرات الأدلة في الموضوع الواحد، وهذا الخبر من الأخبار التي تضم إلى مجموعة تلك الأدلة، فيتقوى بها فقط، ليس

المقصود أنه اعتمد على هذا الحديث الضعيف أو اعتمد على هذا الخبر والقصة التي وقعت، أو اعتمد على هذه الرؤية، فمصادر التلقي عندنا الكتاب والسنة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله". أخرجه عبد الرزاق.

ثم قال: "**وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكبر الكبائر**" يعني هذا خبر موقوف عن ابن مسعود رضي الله عنه، ولكن له حكم الرفع.

"**قال: أكبر الكبائر**" بصيغة أفعل التفضيل، فدل على أن الكبائر تتفاوت، يعني عندنا الذنوب بشكل عام نقسمها قسمين: صغائر وكبائر، ثم أيضًا الكبائر بعضها أكبر من بعض.

"**قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله**" كما كان النبي ﷺ يبدأ بالشرك في باب الكبائر، كذلك بدأ به ابن مسعود، ابن مسعود سأل النبي ﷺ **قال: أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندًا وهو خلقك"** فالنبي ﷺ بدأه بالشرك.

"**والأمن من مكر الله**" تقدم، معناه: أن تقيم على معصية الله والله عز وجل يوالي عليه نعمه هذا مكر الله بك، ومن مكره أن تأمن عقوبته، فمكر الله أن يوصل بك العقوبة على وجه خفي، **ومتى يعرف العبد أنه ممكور به؟** إذا كان يتقلب في نعم الله وهو مقيم على معصية الله، والعياذ بالله.

"**والقنوط من رحمة الله**" كما تقدم ﴿**قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾.

"**واليأس من روح الله**" ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

٣٣ – باب قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله لا أدري هل أحد سبقه أو من عنده، ونظر والجملتين متقاربة في المعنى القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله؛ لأنه كما قلتُ أنا من قبل:

- إذا نظرت في **معنى القنوط** قيل لك هو اليأس،
- وإذا نظرت **في معنى اليأس** قيل لك هو القنوط،

ونفس الشيء في رحمة الله وروح الله، إذا رجعت لتفسير روح الله قيل لك معناها الرحمة، فعلى هذا التفسير يكون المعنى واحدا، إذا قلنا القنوط اليأس والروح الرحمة، يكون معنا جملتين واحدة، يعني ظاهر العبارة أنها جملتين منفصلتين كل واحدة لها معنى:

- "**أكبر الكبائر الإشراك بالله**" هذا جملة،
- "**الأمن من مكر الله**" جملة،
- "**القنوط من رحمة الله**" جملة،
- "**واليأس من روح الله**" جملة،

فهي أربع جمل، فإذا فسرت الرابعة بمعنى الثالثة صارت تكرارًا، من باب التأكيد، لكن ابن عثيمين رحمه الله يقول:

- إن "**القنوط من رحمة الله**" يعني القنوط من حصول المرغوب المطلوب، أن تقنط من رحمة ربك أن يحصل لك مطلوبك الذي تريد.
- ويكون "**اليأس من روح الله**" اليأس من زوال المكروه، حتى لا يكون فيه تكرار، يكون في الجملة الرابعة زيادة فهم، ولو فسرت اليأس من روح الله بمعنى القنوط يكون هذا من باب التأكيد وتأكيد الكلام ليس من باب اللغو.

٣٣ – باب قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قال: **"رواه عبد الرزاق"** يعني صاحب المصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، أحد كبار المحدثين، وشيخ الإمام أحمد، وغيره.

إذًا خلاصة هذا الباب أن على العبد أن يحاسب نفسه فلا يأمن مكر الله ﷻ، إذا رأى في نفسه أن نعم الله عليه متوالية وهو مقيم على المعصية، ومفرط في الطاعة، فعليه أن ينيب إلى الله وأن يُقلِع عما هو فيه، وأن يحسن عمله وأن يبادر بالتوبة، وأن لا يغتر بما أنعم الله ﷻ به عليه، كذلك الحذر من القنوط واليأس من رحمة الله، مهما بلغ الذنب فالله ﷻ واسع المغفرة ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] ومهما بلغت الشدائد والكربات فلا تيأس أيضًا من رحمة الله ﷻ فإن فرج الله قريب.

والذي درس منكم الواسطية مر عليه حديث وكيع بن عدس **"عجب ربنا من قنوط عباده وقُرْب غِيَرِه"** يعني الناس يقنطون من رحمة الله إذا تأخر المطر، إذا تأخر نزول الغيث، فيقنطون ويقولون "لن ينزل الغيث مرة أخرى"، مع **"قُرْب غِيَرِه"** يعني من قرب تغير الأحوال.

"ينظرُ إليهم أزِلِينَ قَنِطِينَ فَيَظَلُّ يضحكُ يعلمُ أن فرجَهم قريبٌ" فلِمَ تقنط وفرج الله قريب، لَمِ تيأس وفرج الله قريب، فمهما بلغت الشدائد والكربات فلا ينبغي أن تُقفِل على نفسك باب اليأس من رحمة الله، بل حسِّن ظنك بربك وترقَّب الفرج منه ﷻ، ولو فُرِضَ أن هذا البلاء استمر بالعبد حتى مات، فهو أيضًا ينظر إلى الجانب الآخر، أن هذا الابتلاء هو في الظاهر أنه مِحْنة، ولكن قد يكون في باطنه مِنْحة من الله ﷻ، يكفر الله به سيئاته، يرفع الله به درجاتك، يصرف عنه من كربات يوم القيامة الشيء العظيم، التي لا تدانيها كربات الدنيا لو اجتمعت، فالله لطيف بعباده، ورحيم بعباده ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]..

فعلى العبد المؤمن أن يحقق التوحيد وأن يجمع بين الخوف وبين الرجاء، لا يغلب جانب الرجاء فيهلك، ولا يغلب جانب الخوف فيهلك.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٣٤ – باب من الإيمان الصبر على أقدار الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٧هـ

٣٤ – باب من الإيمان الصبر على أقدار الله (التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب من الإيمان الصبر على أقدار الله"** أي من خصال الإيمان، من خصال الإيمان الصبر، فالإيمان يكون اعتقاد القلب يعني تصديق القلب وعمل القلب وعمل الجوارح ونطق اللسان، كل هذه يدخل فيها اسم الإيمان، فهو عند أهل السنة والجماعة:

- التصديق بالجنان يعني بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح.
- أو بعبارة أخرى الإيمان قول القلب وعمله، قول اللسان وعمل الجوارح.

وأما الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة وضلت في هذا الباب، فإنها مضطربة، تخالف الآيات وتخالف الأحاديث وتخالف ما كان عليه السلف الصالح.

فقوله: **"من الإيمان الصبر على أقدار الله"** الصبر عمل قلبي ومع ذلك فهو جزء من الإيمان وخصلة من خصال الإيمان.

وقوله: **"على أقدار الله"** يعني الصبر على أقدار الله المؤلمة التي تخالف هوى النفس ورغبة النفس ومراد النفس، فهذا الذي يطلب فيه الصبر، أما القدر الموافق الملائم للنفس، الموافق لرغبتها هذا أمره هين وأمره سهل، يفرح به الإنسان، لا يتألم به، إنما الصبر المقصود به عند نزول القدر المؤلم مثل المرض ومثل المصيبة في نسك، المصيبة في مالك، المصيبة في ولدك، المصيبة في حبيب إليك، هنا يطلب من المسلم تحقيق الصبر.

والصبر في اللغة العربية معناه الحبس، إذا قيل لك: "فلان قُتل صبرًا" يمر عليك في التراجم، وفي التاريخ، "قُتل صبرًا، قَتله صبرًا" يعني حبُس وربُط وأُوثق ثم ضُربت عنقه، هذا معنى قُتل صبرًا، ما قتل في المعركة في الكر والفر، حُبس وقُيد ثم قُتل، فالصبر في اللغة العربية معناه الحبس، **والمقصود بالصبر** هنا أن تصبر يعني:

- أن تحبِس نفسك، أن **تحبس قلبك** عن الجَزَع والتسخط،

- **وتحبس لسانك** عما يغضب الله ﷻ كسب القدر ولعن القدر والدعوى بالدعوى الجاهلية كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله في حديث ابن مسعود وحديث أبي هريرة،
- وكذلك **تحبس الجوارح**، تحبس اليد عن لطم الخد وعن خمش الوجه وعن نتف الشعر وعن تقطيع الثياب ونحو ذلك من الحركات التي تُعبِّر بها عن تسخطك على القضاء والقدر.

هذه صور الصبر المطلوبة عند المصيبة، تحبس القلب عن التسخط، تحبس اللسان عن الاعتراض، تحبس الجوارح عن فعل ما نُهي عنه في هذا الباب.

والصبر المطلوب من المسلم أنواع، الصبر بشكل عام ليس في القدر المؤلم، إنما بشكل عام يقسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام:

١. **صبر على طاعة الله جل وعلا**، في كثير من الطاعات تحتاج إلى مصابرة للنفس، طاعات فيها مشقة:

- **مثل الصوم** يحرمك من الطعام ويحرمك من الشراب ويحرمك من إتيان أهلك والاستمتاع بهم، وقد يوافق الصوم يوم حر شديد وطويل فيكون الظمأ فيه أشد، الجوع فيه أشد، فهذه الطاعة تحتاج إلى صبر،
- **صلاة الجماعة** قد تصادف وقت رجوعك من الدوام وأنت تريد الراحة أو تصادف حرًا في الطريق أو تصادف أيام برد والقيام من النوم ومعاناة شيء من البرد حتى تصل إلى المسجد،
- فالطاعات قد تكتنفها بعض المشاق، ولهذا قال النبي ﷺ: **"ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات"** ثم ذكر منها **"وإسباغ الوضوء على المكاره"** يعني تستوفي الوضوء كما أمرت وإن كان فيه شيء من المشقة مثل الوضوء في أيام البرد أو الاغتسال من الجنابة في أيام البرد، طبعًا إلى درجة لا تضر بالنفس، ليس المقصود أنك تهلك نفسك، المراد من هذا أن الطاعات يكون فيها مشقة، هذه المشقة لا يمكن أن تتجاوزها بعد عون الله وتوفيقه لك إلا بالصبر،

- **هكذا الجهاد** في سبيل الله سواء الجهاد بالسيف أو الجهاد باللسان والقلم، هذا كله يحتاج إلى صبر.

٢. **الصبر على المعاصي**، فالمعاصي كثير منها تهواها النفوس، تميل إليها النفوس كالزنا أو أكل المال الحرام والنظر إلى ما حرم الله، أو الاستماع إلى ما حرم الله ونحو ذلك، كل هذه الأشياء قد توافق وتلائم كثيرا من النفوس، فيحتاج منع النفس منها، يحتاج إلى صبر وإلا سوف تغلبك وتميل بك وتسقط بك إلى هذه الهاوية.

٣. والنوع الثالث الذي هو موضوع الباب **الصبر على أقدار الله المؤلمة**، إذًا معنى الكلام الذي تقدم أنه لا يمكن فعل الطاعة أو ترك المعصية أو الوقوف عند حدود الله عند المصيبة إلا بالصبر.

وهذا يدل على عظم شأن الصبر، ولهذا يقول **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: **"الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من السجد"**، الصبر من الإيمان موقعه من الإيمان بمنزلة الرأس من السجد، أرأيت شخصًا قطعت رأسه ماذا يبقى؟ خلاص انتهت حياته، هكذا قال: **"فمن لا صبر له لا إيمان له"**، فإذا ما عندك صبر كيف تطيع الله؟ إذا ما عنك صبر كيف تترك معصية الله؟ إذا ما عنك صبر كيف تنجو من التسخط والنياحة عند نزول أقدار الله المؤلمة؟!

ولهذا لما نستعرض القرآن الكريم نجد آيات كثيرة تأمر بالصبر وتَعِدُ الصابرين وتثني عليهم، حتى روي عن **الإمام أحمد** أنه قال: **"تدبرت القرآن فوجدت الله ذكر الصبر في أكثر من تسعين موضعا"**، فهذا يدل على عظم شأن الصبر.

"باب من الإيمان الصبر على أقدار الله" والأقدار جمع قدر وهو ما قضاه الله جل وعلا، والله عز وجل قد كتب مقادير كل شيء،

📖 يقول ﷺ **"أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة"**.

📖 وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ: **"إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء"** إذًا كل شيء وقع ويقع في هذا الكون فهو مما سبق به قضاء الله وقدره، لا يخرج عن قضاء الله وقدره شيء.

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، تذكرون حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ **"قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"** فلا بد من الإيمان بالقضاء والقدر.

ركن من أركان الإيمان الذي يجحد القدر يكفر، الذي يجحد القدر يقول: "الله عز وجل لم يعلم الأشياء"، هذا كافر، والذي يجحد الكتابة والمشيئة والخلق، يجحد الكتابة مكذب بالقرآن الكريم، والذين حصل منهم شيء في موضوع المشيئة والخلق، من أنكرها عنادًا واستكبارًا، فهذا كافر، ومن كان عنده شبهة في بعض أجزاء هذه القضايا، فمن أهل الزيغ والبدع والضلال، كما بدع السلف القدرية، فالقدرية منهم كفار، ومنهم مبتدعة ضلال.

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

قال المؤلف: **"وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾"** جزء من آية من سورة التغابن ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ مصيبة نكرة مسبوقة بنفي **﴿مَا أَصَابَ﴾** والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، يعني مصيبة كبيرة أو مصيبة صغيرة، كل ذلك قد كتبه الله وقدره الله وقضاه الله على عبده.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني إلا بإذن الله القدري الكوني، يعني قد قدره الله عز وجل وقد كتبه في اللوح المحفوظ، وما وقعت هذه المصيبة إلا بمشيئته، وما وقعت إلا والله عز وجل هو الذي خلقها وأوجدها.

وفي سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يعني نخلقها ونوجدها، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، فكل شيء مكتوب وكل شيء مقدر، وكل شيء سبق به قضاء الله وقدره.

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إذًا إذا علمت أنها مكتوبة ومقدرة وكان لابد أن تقع، إذًا لا تقعد وتقول كما يقول الكفار والمشركون: "لو لم نفعل كذا لما حصل كذا، لو فعلنا كذا لما حصل كذا"، المؤمن يؤمن ويسلِّم بأن هذا الشيء الذي وقع لابد أن يكون ما دام أنه شيء وقع وانتهى، فمعنى هذا أن هذا أمر كتبه الله وقدره الله، وما قدره الله فلابد أن يكون؛ ولهذا في سورة الحديد قال: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٣]، فهذه حكمة أن الله عز وجل يطلعنا ويخبرنا أن هذه المقادير قد كُتبتْ وقد فُرِغ منها.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ ما المقصود بالإيمان بالله هنا؟ "**قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم**".

إذن ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ هنا في هذا الموضع معناها على تفسير علقمة أن إيمانه معناها علمه بأن هذه المصيبة بقدر الله جل وعلا، ثم أيضًا "**رضي وسلم**" لم يتسخط، لم يجزع، لم يسب القدر، لم يلعن القدر، لم يعترض على القدر، هذا الإيمان، فمعنى قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يعني يعلم أن هذه المصيبة من عند الله ثم يتبع هذا الإيمان وهذا العلم يتبعه بإيمان آخر وهو الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ بمعنى يملأ قلبه هدى ونورا وخشية وطمأنينة، فيكون هذا القلب على ما يحب الله جل وعلا، وهذا فيه الدليل على أن هداية القلوب بيد الله جل وعلا، فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

"**علقمة بن قيس**" بن عبد الله النخعي الكوفي أحد سادات التابعين وولد في حياة النبي ﷺ، وتوفي سنة ٦٢ للهجرة، وهو من كبار تلاميذ ابن مسعود، وإذا رجعنا للتقريب نجد ابن حجر يقول: مات بعد الستين أو بعد السبعين، يعني تاريخ وفاته إما يكون من سنة ٦٠ إلى سنة ٧٠ أو من سنة ٧٠ إلى سنة ٨٠، وهذا يمر على طالب العلم كثيرًا الاختلاف في الوفيات، أحيانًا يكون الفرق مثلاً عشر سنوات أو عشرين سنة.

أنبه فقط على نقطة ممكن واحد منكم يدرس في الرجال، فمن المسائل المتعلقة بهذا المبحث أنه وجدنا خلافا بين العلماء في وفاة رجل، واحد قال: مات مثلاً سنة ٦٤، والثاني قال: مات سنة ٧٤، فما الفارق؟ عشر سنوات، في قول ثالث أنه مثلاً ٨٤ أو ٨٥؟ لا، عندنا كم قول؟ عندنا قولان: واحد يقول: ٦٤ والثاني يقول: ٧٤.

لو جاءنا واحد يروي عن هذا الشخص، وجدناه ولد مثلاً سنة ٦٧ هل نحكم عليه بأنه منقطع ولا متصل؟ منقطع؛ لأنه أقصى ما قيل في وفاته أنه توفي سنة ٧٤ وأنت يا فلان بن فلان ولدت عام مثلاً ٧٦ يعني ولدت بعد موته، إذًا بينك وبين هذا الذي تروي عنه فاصل زمن، في بينك وبينه واسطة من هو هذه الواسطة، فهذا القدر الذي يهمنا الآن التنبيه عليه في موضوع اختلاف الأقوال في تاريخ الوفيات، هذا بالنسبة لأثر علقمة في تفسيره لهذه الآية الكريمة.

"وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت"

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله: **"اثنتان"** يعني خصلتان **"في الناس"** يعني مسلم وكافر، توجد عند الكفار وتوجد أيضًا عند بعض المسلمين، ولهذا في الحديث الآخر **"أربع من خصال الجاهلية في أمتي لا يدعهن"** يعني ستبقى موجودة عند بعض الناس، ليس المقصود منه لابد في كل مسلم تكون هذه الخصلة، لكن ستبقى موجودة، قد تكون موجودة في زيد وليست موجودة في عمرو، لكنها سيستمر وجودها في الناس إلا من سلّمه الله وعصمه الله وحفظه الله جل وعلا.

"اثنتان في الناس" يعني خصلتان، **"هما بهم كفر"** بالتعريف أو بالتنكير؟ بالتنكير **"كفر"**، ما قال: هما الكفر، بل قال: **"هما بهم كفر"** يعني أنها كفر أصغر، هذا فائدة التنكير، أنها كفر أصغر، وإذا كانت كفرًا أصغر، فالذي تلبس بها هل يكون خارج من الملة؟ الجواب: لا.

إذًا أنواع الكفر نوعان:

- **كفر أكبر** وهذا يخرج من الملة،
- **وكفر أصغر** لا يخرج من الملة،

ومن أمثلة الكفر الأصغر ما تضمنه هذا الحديث **"الطعن في النسب"** هذا الخصلة الأولى، الطعن في النسب وما أكثره، تجد شاعر يهجو قبيلة، بالنظر إلى هذه القبيلة فيزدريها ويتنقصها ويستخف بها إلى آخره، ويحتقرها، هذا جزء من خصال الجاهلية، هكذا تجد الشخص يطعن في القبيلة الفلانية، ما اسمك يا فلان؟ قال: فلان الفلان الفلاني، فأخذ يسخر من قبيلته، فهذه خصلة من خصال الجاهلية **"طعن في النسب"**.

ومن ذلك شيء أكبر وهو أن ينفي نسبة فلان إلى فلان، أن يطعن في نسبه وصدق أبوة هذا الرجل لهذا الولد مثلاً، فالمهم أنه تنقص الإنسان وتنقص القبائل وازدراءها وازدراء الأنساب هذا من خصال الجاهلية التي يجب أن يتنزه عنها المسلم، تريد إيمانك كاملا ما يدخله كفر، اترك هذه الخصلة الجاهلية القبيحة الخبيثة.

وللأسف كثير من المجتمعات تغرس في الأبناء هذه الخصلة الجاهلية، فيجلس الابن مع أبيه ومع ضيوف أبيه ويسمعهم يذمون تلك القبيلة، ويتنقصون تلك القبيلة، ويتناشدون الأشعار في هذا الباب، فينشأ الابن وهو ممتلئ بهذه الخصلة القبيحة الخبيثة، وتؤثر على سلوكه بكرة مع أولاد جيرانه، مع زملائه في المدرسة ومع زملائه في العمل إذا كبر وهكذا، فيجب أن نطهر أنفسنا ويجب أيضًا أن نطهر أبناءنا، فلا نربيهم على هذه التربية الجاهلية الخبيثة، بل نربيهم التربية الإسلامية الحميدة.

"والنياحة على الميت" هذا محل الشاهد من الحديث **"النياحة على الميت"** هذا من خصال الجاهلية:

- **من النياحة** على الميت رفع الصوت بالبكاء، فهذا من النياحة، ولهذا يقول النبي ﷺ: **"إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"**، فإذا بكى الشخص على ميته بصوت عالٍ هذا وقع في النياحة وهو بذلك آثم، اللهم إلا شيء خرج بلا إرادة منه؛ لأن الله يقول: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، لكن إن حصل هذا الشيء فعليه أن يقمع نفسه وأن يجاهد نفسه وأن يحبس نفسه، أما قلنا الطاعة تحتاج إلى صبر وترك المعصية تحتاج إلى صبر أيضًا هنا تحتاج إلى صبر حتى تقهر نفسك وتغلب نفسك فلا تقع فيما حرم الله.

- **ومن النياحة** على الميت رفع الصوت بمكارم فلان وأخلاق فلان وفضائل فلان على سبيل الجذع على موته والفخر به بين الناس، فهذا أيضًا من نياحة الجاهلية،
- **ومن النياحة** لطم الخد وشق الثوب ونتف الشعر هذا أيضًا من النياحة المحرمة.

فهاتان خصلتان من خصال الجاهلية تقدحان في إيمان المسلم يعني تُنقِصان من إيمانه، لا يكون كافرًا ولكن يكون إيمانه ناقصًا ويستحق على هذا النقص العقوبة؛ لأن هذا نقص عن المقدار الواجب.

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.

ثم قال: "**ولهما**" يعني البخاري ومسلم، "**عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ**" هذا معنى قوله مرفوعًا أي أنه من كلام النبي ﷺ "**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**" حديث صحيح افتتحه النبي ﷺ بالبراءة ممن عمل شيئًا من هذه الأعمال، والعياذ بالله، "**ليس منا**" يتبرأ منه النبي ﷺ، وهذا اللفظ من ألفاظ الوعيد، ظاهر العبارة أنه ليس بمسلم أنه كافر، "**ليس منا**" يعني ليس منا معشر المسلمين، بل هو من قوم آخرين.

ولكن العلماء يقولون: أنه ليس القصد من هذا خروجه من الملة، فهو براءة من النبي ﷺ يتبرأ من صاحب هذا العمل، لكن لا تصل هذه البراءة إلى حد الكفر الأكبر المخرج من الملة، إنما هو لفظ من ألفاظ الوعيد يدل على أن هذا العمل في الأصل أنه كبيرة من كبائر الذنوب، وحينما نعرض هذا الحديث على الناس يستحب بعض أهل العلم أنه يمر على ظاهره ولا يفسر، حتى يبقى له قوة الردع والزجر والترهيب والتنفير من هذه الخصال.

أما لو جئت قلت للعوام: ترى الذي يسوي هذه الأشياء ليس بكافر، خلاص سيهون عندهم، لكن نحن نقول لطالب العلم لابد تفهم المعنى الصحيح لهذه العبارة، ومع ذلك إذا جئت تعظ عامة الناس أَمِرّ على مسامعهم هذا الحديث كما هو لكن لو خشيت أن بعض الناس يعتقد عقيدة الخوارج، وأنه من عمل هذه

الأعمال فهو كافر خارج من الملة، فلا، لكل مقام مقال، لكن الأصل أنه مثل عبارات الوعيد، ألفاظ الوعيد، لا تفسر للناس تفسيرًا يجعلهم يستهينون بهذه المخالفات الشرعية.

"ليس منا من ضرب الخدود" يعني يلطم خده عند المصيبة سواء رجل أو امرأة، طيب ما ضرب خده ضرب مثلاً صدره، يدخل في الوعيد أو ما يدخل؟ ما يكون هذا زيادة على النص، يأتي واحد يقول: يا أخي الرسول نهى عن لطم الخد لماذا أنت تأتي وتدخل فيه لطم الصدر، ضرب الصدر مثلاً؟ لا، إنما هذا من باب المثال، ليس من باب التخصيص أو من باب التقييد بأنه لابد أن يكون اللطم حتى يكون محرمًا يكون في الخد، المقصود هو النهي عن النياحة، النهي عن إظهار الجزع، سواء عبرت بضرب الخد أو ضرب الرأس أو ضرب الصدر المعنى واحد، فسواء ضرب الخد أو ضرب على الرأس أو ضرب صدره أو ضرب فخوذه، المهم أنه هذا التعبير محرم؛ لأنه تعبير عن عدم الصبر على قضاء الله وقدره.

"وشق الجيوب" هذا الجيب مدخل الرأس من الثوب، فيأتي إلى هذه المنطقة من ثوبه، من قميصه ويشقه، تعبير عما يجده من حرارة الحزن أو حرارة التسخط على القضاء والقدر والعياذ بالله.

"ودعا بدعوى الجاهلية" دعا بدعوى الجاهلية سواء في النياحة أو في غيرها، لكن هنا لأن السياق في النياحة، فتفسر دعوى الجاهلية ابتداءً بنياحة الجاهلية، كان الميت إذا مات أخذوا يصرخون ويرفعون أصواتهم "واجبلاه واعضداه وانصيراه وكذا وكذا" أو يمشي الشخص في الشوارع والأسواق ويعدد مفاخر الرجل هذا الذي مات على سبيل التجزع والسخط ونحو هذا، فهذا من نياحة الجاهلية ودعوى الجاهلية.

أما دعوى الجاهلية بشكل عام فهي الدعوات التي تخالف دين الإسلام وعلى رأسها التعصب للباطل، فكان من أبرز دعوات الجاهلية التعصب مثلاً للقبيلة، فالرجل مع قبيلته، مع قومه، مع القوم الذين هو ينتمي إليهم، كانوا على الحق كان معهم على الحق، كانوا على الباطل كان معهم على الباطل، **دُريد بن الصِمّة** له قصيدة مشهورة دالية مشهورة يقول فيها:

"أَمَرْتُهُمُ أَمْرِى" يقول: أمرت قومي.

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِى بِمُنعَرَجِ اللِّوَى "مكان" *** فلم يَسْتبِينُوا الرُّشدَ إلا ضُحَى الغَد.**

لمّا عَصَوْنِي كنْتُ مِنْهُمْ وقد أَرَى *** غَوَايتَهُمْ، وأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِى**

وهلْ أَنَا إِلا من غَزيَّةَ إِنْ غَوَتْ *** غَوَيْتُ، وإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشدِ.**

"**وهلْ أَنَا إِلا من غَزيَّةَ**" يعني في الخير والشر، في الخطأ في الصحيح، في الحق في الباطل، أنا واحد منهم، فهذه الدعوة موجودة حتى اليوم، تجد الشخص يفزع مع أخيه، مع ابنه عمه، مع قريبه، مع فرد من أفراد قبيلته إذا فيه مضاربة، فيه مشكلة، ما يسأل من المحق؟ من المبطل؟ لا، خلاص هو مع أخيه، هو مع ابن عمه على هذا الشخص الثاني، على الطرف الآخر سواء أخوه على حق، أخوه على باطل، ما عنده مشكلة.

وكان مبدأ العرب "**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**" أهم شيء أنك تكون مع أخيك مع ابن عمك مع قبيلتك مع قومك، وجاء النبي ﷺ وهذب هذا المعنى، فقال للصحابة: "**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**"، فتعجب الصحابة، "**أنصر مظلومًا**" ما في إشكال واضح، لكن كيف أنصره وهو ظالم؟ هذّب النبي ﷺ النصرة في هذه الحال، قال: "**تحجزه عن الظلم**" فذاك نصرك إياه، هو الآن إبليس مستولي عليه، الهوى مستولي عليه، فأنت تنصره على شيطانه، تنصره على هواه وتحجزه عن الظلم.

التعصب للمذاهب الفقهية مثلاً، أنا مع الإمام أحمد قال: صح أو خطأ، وافق الحديث أو خالف الحديث أنا أقول بقول أحمد، الثاني قال: لا، أنا ما أقول إلا بقول الشافعي قوله يوافق القرآن، يخالف القرآن، قوله يوافق الحديث، يخالف الحديث أنا ما أنظر لهذا، أنا مع الشافعي حيث ما قال، وهكذا قل في بقية المذاهب، هذا باب التمثيل، فمبدأ بعض الناس يمشي على هذه الطريقة وهو أول من يخالف في هذا التصرف يخالف من؟ هؤلاء الأئمة الأربعة الفضلاء؛ لأنه ما منهم من أحد إلا وهو يأمر باتباع الأدلة، ما منهم من أحد إلا وروي عنه من المقالات الطيبة المباركة التي تربي الأمة على تعظيم الدليل واتباع الدليل ورد كل ما يخالف الدليل، ولو صدر منهم أو ممن هو أكبر منهم رحمهم الله.

وهكذا **التعصب للأساتذة والمشايخ** معاصرين أو أموات أيضًا، ليس هذا من شأن المسلم أنا مع الشيخ الفلاني في كل ما يقول، في كل موقف من مواقفه أنا معه، لا، أنت تربي نفسك على أن تكون مع الحق، تدور مع الحق حيثما دار.

هكذا **التعصب للجماعات**، الجماعة الإسلامية والدعوية أو شيء من هذا، هذه كلها من دعاوى الجاهلية، كلها تنافي ما أبطله الإسلام من أمور الجاهلية، إذًا المسلم يتعصب للحق، الذي فيه جاهلية يتعصب للقرابة للمحبة لأي سبب من الأسباب كان.

"ودعا بدعوى الجاهلية" الشخص الذي يدعو بدعوى الجاهلية سواء في النياحة أو في العصبية هل نقول عنه أنه صار إنسانًا جاهليًا؟ وصار حكمه مثل حكم أهل الجاهلية الأولى يعني كافر؟ لا، إنما نقول: فيه خصلة من خصال الجاهلية، لكن هو مسلم إنما فيه خصلة من خصال الجاهلية، مثل الشخص الذي يطعن في النسب نقول: فيه خصلة من خصال الكفر، ما نقول أنه كافر، نقول: فيه خصلة من خصال الكفر، فيه خصلة من خصال الفسوق وهكذا، كما قال النبي ﷺ لأحد أصحابه: **"إنك امرؤ فيك جاهلية"** ما قال: إنك امرؤ جاهلي، **"إنك امرؤ فيك جاهلية"** يعني فيك خصلة جاهلية.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة.

وقال النبي ﷺ :إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط حسنه الترمذي.

ثم قال رحمه الله: **"وعن أنس"** يعني ابن مالك رضي الله عنه، **"عن النبي ﷺ أنه قال: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، رواه الترمذي وحسنه"**.

"إن عظم الجزاء مع عظم البلاء" يعني كل ما كان البلاء عظيم كل ما كان ثواب هذا الابتلاء عظيم، وكل ما نقص مقدار الابتلاء كل ما نقص مقدار الأجر والثواب الذي رتب عليه.

إذًا إذا أصيب المؤمن بابتلاء عظيم لا يجذع، بل يُؤمِّل ما عند الله عز وجل من الخير العظيم الذي كتبه على هذا الابتلاء، **"إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم"** فالابتلاء ليس علامة

سخط من الله جل وعلا دائمًا، بل إذا كان الشخص مقيما على طاعة الله، مجتنبا معصية الله والله يبتليه، فهذه علامة إرادة خير به؛ أن الله عز وجل يخفف عنه الذنوب من التبعات يوم القيامة كما سيأتي في الحديث الآخر.

"فمن رضي فله الرضا" بعض الناس يظن إذا كان الشخص الله ينعم عليه دائمًا أن هذا علامة على محبة الله له، وإذا كان الله عز وجل يبتلي عبده مرة بمرض ومرة بفقر ومرة بكذا أن الله ساخط عليه، يظن الأول أن ربي مكرم، والثاني يظن أن ربي مهين، لا، ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يعني ضيّق عليه رزقه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٥-١٦]، الله رد على هذا التصور أيضًا قال: ﴿كلا﴾ ليس الأمر كذلك، ولهذا قد يضيق الله عز وجل في الرزق على أحب الخلق إليه، وقد يوسع الله عز وجل في الدنيا على أبغض الخلق إليه، هذه ما هي علامة إكرام ولا إهانة، فإذا ابتلى الله عز وجل العبد هذه إن شاء الله علامة خير له، أنها تخفيف من ذنوبه، أنها رفعة لدرجاته، أنها إيقاظ لقلبه، لعله مقصر، لعله مخطئ، لعله في غفلة، فيرجع إلى ربه ويحاسب نفسه ويستكثر من الطاعة ويستكثر من الاستغفار، قد يكون عنده شيء من الكبر والعجب والخيلاء والغرور فتنكسر نفسه وتنقمع نفسه ويتواضع لله ويتواضع للخلق بعد هذه المصيبة، فيكون في طواياها من المنح والنعم الشيء العظيم، **"وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم"**.

ثم الناس بعد الابتلاء ينقسمون إلى قسمين:

- **قسم يرضى** بما كتب الله عز وجل، فالجزاء من جنس العمل، **"فمن رضي فله الرضا"**
- **وقسم يسخط** **"ومن سخط فله السخط"** الجزاء من جنس العمل،

فالناس بعد الابتلاء ليسو على حد سواء، منهم الراضي ومنهم الساخط وبالتالي أيضًا جزاؤهم عند الله ليس واحدا، بل كل يجازى بحسب ما كان عليه موقفه بعد ذلك الابتلاء.

الترمذي رحمه الله ذكر هذا الحديث ثم قال: **"وبإسناد"** يعني بنفس الإسناد السابق وذكر هذا الجزء من الحديث، لكن الظاهر عند الترمذي أن الجزء الأول من الحديث **"إذا أراد الله بعبد خيرًا"** ولما فرغ منه قال: **"وبالإسناد نفسه"** ثم ذكر الجزء السابق الذي تكلمنا عليه.

"وإذا أراد الله بعبده الخير" يعني الخير الحقيقي الذي تترتب عليه سعادته، يترتب عليه فوزه ونجاحه يوم القيامة، **"إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة"** يعني على ذنوبه في الدنيا، فيكون عنده ذنب، بعد الذنب هذا يبتلى بابتلاء، بمرض بمصيبة في مال في كذا، حتى تكون هذه البلية، هذه المصيبة التي أصابته كفارة لذنبه.

"إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا" لأنك إذا عوقبتَ بها في الدنيا لم تعاقب بها في الآخرة، وعقوبة الدنيا أهون من عقوبة الآخرة فهذا خير لك.

"وإذا أراد الله بعبده الشر" والعياذ بالله، **"أمسك عنه"** يعني لم يعجل له العقوبة، يذنب يعصي، يفجر، يمكر، يفعل ما يشاء مما يسخط الله، والله عز وجل يعافيه لا مرض لا فقر لا كذا، لا كذا، إلى متى؟ قال: **"حتى يوافي به يوم القيامة"** حتى يرجع إلى الله، وإذا ذنوبه كاملة موفرة كما هي، ما نقصت، فتكون عقوبته شديدة والعياذ بالله، **"حتى يوافي به يوم القيامة"**.

فهذا ما اشتمل عليه هذا الباب الطيب المبارك من الآية والأثر والأحاديث، أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من الصابرين على طاعة الله والصابرين عن معصية الله، والصابرين على أقدار الله ابتغاء الأجر والثواب من الله؛ لأنه بعض الناس أيها الأخوة يتصبر فعلاً بالذات عند المصائب يتصبر، تقول: هذا جبل هذا صخرة هذا ما هو إنسان، لصلابته وقوته، ولكن ما يؤجر على هذا الصبر، لماذا؟ لأنه ما احتسب الصبر هذا عند الله، إنما يصبر ليقال فلان صابر، فلان ما شاء الله ما يضعف أمام المصائب، فتريد الأجر والثواب على الصبر اجعله لله، فأسأل الله أن يجعلني وإياكم من الصابرين لوجهه الكريم،

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٣٥ – باب ما جاء في الرياء

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٧هـ

٣٥ – باب ما جاء في الرياء (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **"باب ما جاء في الرياء"** يعني من النهي عنه ووعيد عليه هذا تقدير الباب، **"باب ما جاء في الرياء"** أي: من النهي عنه والتحذير منه وبيان أنه من الشرك أعاذنا الله وإياكم منه.

الرياء مصدر راء رياءً مراءةً، بمعنى أن يري الناس عمله من أجل أن يمدحوه هذا معنى الرياء، فهو يُظهر للناس أنه مثلًا يصلي لله وأنه خاشع لله وأنه يريد بهذه العبادة وجه الله، ولكن في حقيقة الأمر أنه يريد أن يُمدح على هذه العبادة وأن يُثنى عليه بها.

والله ﷻ مطلع على أعمال القلوب ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧]، لا تخفى عليه ﷻ خافية من أعمال عباده لا الظاهر منها ولا الباطن منها.

والقلوب هي محل نظر الله ﷻ من العبد، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **"إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، ولكن يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"**.

وفي سورة الهمزة نجد أن الله ﷻ يتوعد أهل النار بأن هذه النار تطلع على الأفئدة، بمعنى: أن الله ﷻ أعطاها القدرة على أن تطلع على ما في فؤاد هذا المعذَّب، يعني كأنه من درجة الكفر من درجة النفاق وكذا، فيكون العذاب على حسب ذلك بما أمرها الله ﷻ به.

وفي سورة العاديات يقول ﷻ: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات:١٠]، فإذا في الصدور إيمان وإخلاص انتفع بذلك العبد، وإن كانت فيها نفاق ورياء هلك بذلك العبد والعياذ بالله، فعلى المسلم أن يراعي قلبه وأن يحاسب نفسه وأن يفتش ما في ضميره، فإن أمر القلب ليس بالأمر الهين، بل هو أعظم الأمور وهو الأصل، **أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"**، الحديث الآخر: **"لا يَسْتَقيمُ إِيمانُ عبدٍ حتَّى يَستَقيمَ قلبُه"**.

فالشاهد: أن على المسلم أن يصلح قلبه وأن يفتش فيه، فما وجد فيه من مرض فعليه أن يتعالج منه يتداوى منه: مرض الرياء، مرض إرادة الدنيا بالعمل، مرض الكبر، مرض الحسد، مرض العجب، وغير ذلك من أمراض القلوب.

لكن في مقدمتها ومن أخطرها الرياء، والرياء هو أشد وأكثر ما يُخاف على الصالحين؛ لأن الشيطان يأتيه من باب الصلاح، من باب العبادة، فيحاول أن يفسد عليهم عبادتهم بإفساد نياتهم.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]

﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ الخطاب هنا للنبي ﷺ، قل يا أيها الرسول، قل يا أيها النبي للناس: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يعني: ليس لي من أمر الألوهية ولا من أمر الربوبية شيء، فلا يُشرك مع الله في ربوبيته فيُزعم أنه مدبر الكون أو مغيث المستغيثين أو مجيب دعوة المضطرين ونحو ذلك، مما هو من أمر الله جَلَّ وَعَلَا فقط، ولا يُشرك معه في الألوهية في العبادة، فلا يُدعى، ولا يُستغاث به، ولا يُنذر له، ولا يُذبح له فهو بشر كغيره، كما أن غيره من البشر لا يُعبد، فكذلك النبي ﷺ أيضًا لا يُعبد.

فهو عبد من عباد الله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] فهو عبد من عباد الله، وإن كان في مقام العبودية لله في أعلى درجاتها.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ فهو مثل البشر أيضًا، خلقه الله ﷻ كما خلق غيره من البشر، من ماءٍ مهين: من ماء أبيه عبد الله وماء أمه آمنة، ليس مخلوق من نور كما تزعم بعض طوائف الصوفية يقولون إنه مخلوق من نور ويروون في ذلك حديث لا يصح.

أو أنه ﷺ إذا مشى لا يكون لأقدامه أثر في الأرض، أو أن جسده يتخللها الضوء، ونحو ذلك مما يزعمونه في النبي ﷺ والنبي ﷺ ليس بحاجة إلى أن يُكذب في مدحه، أتاه الله ﷻ من الفضائل ومن الخصائص ما لا

مزيد عليه، فهو سيد ولد آدم ﷺ وهو خاتم النبيين، وأعلى درجات مدحه أنه عبد الله ورسوله، فقد بلغ في العبودية منتهاها وأعلى درجاتها ﷺ.

فهؤلاء الذين يغلون في النبي ﷺ بمثل هذا وقعوا في الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وخالفوا كتاب الله جَلَّ وَعَلَا ووقعوا في عين ما نهاهم عنه ﷺ لما قال: **"لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"**.

واطرقوا أيضًا وسهلوا الطريق للناس إلى عبادة الرسول ﷺ حينما يُقال للناس إن محمدًا ﷺ يعلم الغيب، أو بأمره الدنيا والآخره، وبأمره أمر السماء والأرض، إذًا يُستغاث به ويُدعى ويُلجأ إليه، فالواجب الحذر في هذا الباب وأن يقف المسلم حيث وقف به الكتاب والسُنَّة، لا يتجاوز ما في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾ هذه الخاصية التي له دون غيره من البشر، اللهم إن من إخوانه من نبيين ومرسلين، فخصّه الله ﷻ بالنبوة والرسالة، أما في حكم البشرية فهو مثله مثلهم، وُلد كما وُلدوا، ويمرض كما يمرضون، ومات كما ماتوا، ويجوع كما يجوعون، ويظمأ كما يظمؤون، يمشي في الأسواق ويتزوج النساء ووُلد له ﷺ يصيبه المرض، تصيبه الجراح من العدو ﷺ.

﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾ أي: فاتبعوني وآمنوا بما أُوحي إليّ.

﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ إذًا هو الذي يجب أن يُعبد وأن يُفرد بالعبادة، الإله معناه المألوه، المعبود المستحق للعبادة واحد فقط وهو الله جَلَّ وَعَلَا ﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ أي: فأفردوه بالعبادة ولا تشركوا معه في عبادته أحدًا سواه، لا ملك من الملائكة ولا نبي من الأنبياء ولا ولي من الأولياء.

﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾ يرجو بمعنى: يخاف لقاء ربه، يخاف أن يقف بين يدي ربه جَلَّ وَعَلَا ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾ يخاف الوقوف بين يدي الله ﷻ.

وأيضًا هنا ﴿**يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾ يعني: يحب النظر إلى الله، يحب رؤية الله جَلَّ وَعَلَا فاللقاء هنا أيضًا مُضمَّن معنى الرؤية، لقاء بمعنى: رؤية ومعاينة، ومن عقيدة أهل السُنَّة والجماعة أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة كما

أخبر بذلك ربنا جَلَّ وَعَلَا في مواضع من كتابه، وكما صح عن نبينا ﷺ في عدد كثير من الأحاديث الصحيحة.

فالذي يخاف ربه أو الذي يحب أن يرى ربه جَلَّ وَعَلَا في الجنة، فليعمل عملًا صالحًا، ما هو العمل الصالح؟ العمل الصالح ما اجتمع فيه شرطان اثنان:

- الإخلاص لله ﷻ.
- والمتابعة للرسول ﷺ.

يقول ﷺ: **"إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"** هذا الدليل شرط الإخلاص، دليل المتابعة: قوله ﷺ: **"مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليه أمرُنا فهو رَدٌّ"**.

إذًا إذا كان العمل لغير الله فهو عمل غير صالح، وإذا كان العمل لله لكنه لا يوافق هدي رسول الله ﷺ فهو عملٌ غير صالح، فحتى يكون العمل صالحًا لابد من اجتماع الأمرين جميعًا، إخلاص لوحده ما كيفي كما قال **ابن مسعود**: **"كم من مريد للخير لا يبلغه"**، الذين أقاموا الحلق في مسجد الكوفة يريدون الخير، يريدون الأجر والثواب من الله، لكن ما وُفقوا لحلق ذكر وحلق علم كما دل عليه النبي ﷺ إنما أحدثوا طريقة مُخترعة ليس عليها دليل، فأنكر عليهم الصحابة، وصارت تلك البدعة مفتاح شر إلى بدع لهم أخرى حتى انتهى بهم الأمر إلى قتال الصحابة في النهروان؛ لأنهم فتحوا على أنفسهم باب الابتداع في الدين، فالنية الصالحة وحدها لا تكفي.

وكذلك العمل إذا كان في الظاهر موافق للكتاب والسُنَّة لكن ليس هناك إخلاص لله جَلَّ وَعَلَا فلا ينفع أيضًا هذا العمل، فكما نسمع دائمًا من العلماء العبادات توقيفية، يعني: نتبع فيها ولا نبتدع فيها.

قال النبي ﷺ نصلي الظهر أربعا، نصلي الظهر أربعا ما نصليها خمسا، ما نصليها ثلاثا، قال الرسول صوموا شهر رمضان هو المفترض عليكم، إذًا نصوم شهر رمضان، ما نأتي بشهر آخر ونجعله مكان رمضان، الحج له مناسك معينة، طريقة معينة، وقت مُعين، ما نأتي بحج جديد.

فالعبادات مبناها على التوقيف ما نخترع عبادة، لا نخترع عبادة من أصلها ولا نضيف إلى العبادات المشروعة شيئا ليس منها.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أحدًا: نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، وهذا محل الشاهد من الآية: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ لا شرك الأكبر وهو صرف العبادة لغير الله، ولا شرك الأصغر وهو يسير الرياء، فإذا خالط الرياء العمل لم يكن هذا العمل خالصا، بل صار فيه شرك والعياذ بالله.

وهذا الرياء له حالات:

- **إن كان من أصل العمل**، يعني: أشرك مع الله في هذه النية في أصل العمل، أول ما دخل في العبادة هو ناوٍ بها يريد بها الأجر والثواب من الله ويريد بها المدح والثناء من الناس، فهذا يبطل ذلك العمل.

رجل تصدق بصدقة أمام الناس يريد بهذه الصدقة الثواب والأجر من الله ويريد أن يمدحه الناس ويثنوا عليه يقولون "فلان كريم فلان جواد"، فهذه النية المشاركة لنية التعبد لله هذه نية تفسد العمل وتبطل العمل، يعني تبطل العمل الذي خالطه تلك النية.

أما بقية عباداته الأخرى بحالها، الذي يبطل العبادات كلها هو الشرك الأكبر ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ [الزمر:٦٥] يعني: شركًا أكبر، ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يعني: كله، وهذا من الفوارق بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر:

- الشرك الأكبر صرف العبادة لغير الله، الشرك الأصغر في الرياء هنا: أصل العمل لله ﷻ، فيه نية تعبد لله جَلَّ وَعَلَا ولكن خلط مع هذه النية نيةً أخرى، ليس بقصد التعبد لكن بقصد المدح، بقصد الثناء ونحو ذلك من الإرادات، فالشرك الأكبر يحبط العمل كله، أما الشرك الأصغر فإنه يحبط العمل الذي خالطه.
- الشرك الأكبر يوجب الخلود في النار، الشرك الأصغر لا يوجب الخلود في النار وإن عُذّب عليه لكن ما يُخلَّد في النار.

- الشرك الأكبر يبيح الدم، الشرك الأصغر لا، فهذه بعض الفوارق بين النوعين.

❍ **أما إن كان أصل العبادة لله:** دخل في الصلاة لا يريد بها إلا وجه الله، أخرج صدقة لا يريد بها إلا وجه الله، ثم بعد ذلك طرأت نية الرياء، طرأت إرادة أن يُمدح أن يُثنى عليه، فهنا إن دافعها مباشرة ولم يسترسل معها لم تضره إن شاء الله، يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويراجع نيته وإخلاصه، أما إذا استرسل معها إلى نهاية العمل:

∇ فمنهم من يقول إنه يبطل العمل، أقصد تلك العبادة كلها.

∇ ومنهم من قال إن الجزء الذي كان فيه نيته لله ﷻ فهو عمل صحيح ومقبول، والجزء الذي فيه رياء هذا عمل مردود.

وعلى كلٍ على المسلم أن يحذر من الرياء كله سواءً عند ابتداء العمل أو حينما تطرأ عليه، عليه أن يجاهد نفسه وأن يتقي الله وألا يستقر هذا الرياء في قلبه، بل يجاهده ويدفعه ويستعيذ بالله من نزغات الشياطين، ويعلم أن هؤلاء الناس لا يملكون له مثقال ذرة من نفعٍ، مدحوك أو ذموك لن ينفعوك لن يضروك.

الجنة والنار ليست بأيدي الناس، الجنة والنار بيد الله ﷻ، الثواب والعقاب ليس بيد الناس، الثواب والعقاب بيد الله جَلَّ وَعَلَا، فإذًا إذا كان الناس لن ينفعوك لن يضروك لن يدخلوك الجنة لن يقيلوك من النار، لم تصرف لهم هذا الجزء من عملك تريد أن يمدحوك عليه؟

قال الله جَلَّ وَعَلَا: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" أخرجه مسلم.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حديث **"أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا"** يعني هذا حديث قدسي، والحديث القدسي لفظه ومعناه من الله لكنه ليس بقرآن.

" **قال الله جَلَّ وَعَلَا: أنا أغنى الشركاء عن الشرك**" عن المشاركة، "**من عمل عملًا**" يعني: عمل صالح، عمل طاعة، عمل عبادة، "**وأشرك في هذا العمل غيري**" بمعنى: نوى بعمله هذا الله ﷻ تعبدًا وتقربًا إليه، ونوى به المدح من الناس والثناء من الناس.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: "**تركته وشركه**" يعني: تركت إثابته على هذا العمل لا أثيبه عليه، يريد ثواب على عمله يذهب للطرف الآخر الذي أشركه معه، فهل يجد عنده ثوابًا؟ الجواب: لا.

فإذًا من عمل عملًا صالحًا لوجه الله وفي نفس الوقت أشرك مع الله في هذا العمل غير الله بمعنى رآ، أما لو كان الشرك هنا بمعنى أنه عبد غير الله مع الله فهذا شرك أكبر، لكن نحن نتكلم عن الرياء.

فالمقصود أن هذا العمل لا ثواب عليه، بل فيه عقوبة والعياذ بالله، يُعذَّب ويُعاقب ولا يُثاب، والدليل على عقوبته أدلة من الشريعة وأوضحها حديث الثلاثة الذين تُسعر بهم النار، قارئ القرآن ومجاهد ومتصدق لكن دخلوا النار، لم؟ لأنهم ما أرادوا بعملهم الصالح هذا وجه الله، إنما أرادوا المدح والثناء من الناس، نعوذ بالله من سوء النوايا.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا :ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى، قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل رواه أحمد.

ثم ذكر الحديث الآخر حديث أبي سعيد الخدري عند الإمام أحمد وعند ابن ماجه، أن النبي ﷺ قال لأصحابه وقد خرج عليهم يومًا وهم يتذاكرون المسيح الدجال، يتذاكرون متخوفين من شدة فتنته.

فقال لهم النبي ﷺ: "**أَلَا أُنبئكم بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**"، ولاحظ يخاطب مَنْ؟ يخاطب الصحابة، سادات هذه الأمة وخيار هذه الأمة، ومن هنا قال من قال من أهل العلم "**إن الرياء أشد ما يُخاف على الصالحين**"؛ لأن النبي ﷺ كان يخاطب أصحابه.

٣٥ – باب ما جاء في الرياء (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**أخوف ما أخاف عليكم**" هناك شيء أخاف عليكم أشد من المسيح الدجال، "**قالوا: بلا**" يعني: أخبرنا ما هذا الشيء الذي تخاف علينا أكثر مما تخاف علينا من المسيح الدجال مع عظم فتنة الدجال؟

قال: "**الشرك الخفي**" كيف الشرك الخفي؟ قال: "**يقوم الرجل فيصلي**" يصلي لمن؟ يصلي لله جَلَّ وَعَلَا، "**فيزين صلاته لما يرى من نظر رجلٍ إليه**"، فهو أصل الصلاة لله ﷻ، لكن لما دخل عليه داخل، لما رأى فلان يرقبه وينظر إليه، تخشَّع في صلاته أو حسّن صوته أو نحو ذلك من التحسينات في الصلاة حتى يمدحه فلان، فهذا الذي يُخاف أكثر مما يُخاف من فتنة المسيح الدجال.

وذلك أن المسيح الدجال فتنته محصورة في الزمن الذي يخرج فيه: أربعين يوم، يوم كسنة، يوم كشهر، يوم كجمعة يعني كأسبوع، وباقي الأيام كأيام الناس، فالذي يدرك الأربعين يوم في ذاك الزمن هو الذي يُبتلى بالمسيح الدجال، إما ينجح وإما يرسب، لكن فتنة الرياء تهدد كل مؤمن ومؤمنة.

أيضًا فتنة المسيح الدجال فتنة ظاهرة، رجل يدعي الربوبية إنه رب العالمين، فهي فتنة مكشوفة وواضحة وظاهرة لمن عصمه الله، لكن الرياء شيء خفي يتسلل في القلب ويتساهل به كثير من الناس، فيهلكون والعياذ بالله من حيث يظنون أنهم على خير.

هذا فيما يتعلق بباب الرياء، وأسال الله ﷻ أن يخلص لنا الأقوال والأعمال، وأن يعيذنا من شر الرياء إنه سميعٌ مجيب الدعاء.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٣٦ - باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

فيقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا"**.

هذا الباب له علاقة بالباب السابق، الباب السابق فيه التحذير من الرياء وهذا الباب فيه التحذير من إرادة العمل الدنيا:

والفرق بينهما: أن الأول خاص وهذا عام، فكلاهما يريد بعمله الدنيا أو كلاهما يريد بعمله غير وجه الله تعالى، هذا **الجامع بين البابين**: المرائي لا يريد وجه الله والذي يريد بعمله الدنيا لا يريد وجه الله، فمن هذه الجهة هما سواء:

- لكن **الأول يريد الرياء** يعني يريد يرى الناس عمله فيمدحونه، فيثنون عليه، فيكون له مكانة في قلوبهم
- أما **الثاني فهو يريد منفعة** دنيوية مثل المال، مثل المنصب ونحو ذلك من المصالح مما سيأتي بعض أمثلته.

فإذن كلا البابين فيهما التحذير من ترك الإخلاص:

- إن تركت الإخلاص من أجل المدح فهذا رياء وهو مذموم،
- إن تركت الإخلاص من أجل الحصول على امرأة أو على مال أو على وظيفة، فهذا أيضا مذموم والعياذ بالله.

فهذان البابان يتعلقان بأعمال القلوب وأعمال القلوب عظيمة الشأن، قال ﷺ: **"إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"**، فالقلب هو الأساس، هو الملك والجوارح تابعة له كما في الحديث الصحيح المعروف: **"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"**.

فعلى المسلم أن يجاهد نفسه على الإخلاص، أن يجاهد نفسه على النية والإرادة؛ لأن الشيطان يحرص غاية الحرص على أن يفسد عليك عبادتك، يحاول أن يصدك عن العبادة أصلا لكن إذا استعنت بالله وقمت لهذه

العبادة، فإنه يحاول أن يسلبك ما تنتفع به من هذه العبادة وهو الإخلاص فيها لله جل وعلا، فإن عجز عن أن يسلبك الإخلاص، فيحاول أن يعمل معك ما ينقص به أجر هذا العمل، مثل لما تكون في الصلاة يستعجلك فيها بحيث لا تطمئن فيها، بحيث تخل بشيء من أركانها واجباتها أو بحيث على الأقل أن قلبك يشرد هنا وهناك حتى لا يكون لك فيها أجر، فهو حريص على إفساد العبادة، فيحذر المسلم أن يتسلل إليه الشيطان، فيفسد عليه عبادته بأن يريد بها الرياء أو يريد بها عرضا من أعراض الدنيا.

وكلا القصدين مقاصد سفالة منحطّة، يعني: إذا مدحك الناس، فما الفائدة؟ وأنت عند الله ليس كما يمدحك الناس، فماذا تستفيد؟ الناس لا يملكون جنةً فيدخلوك إياها، ولا يملكون نارًا فيصرفونها عنك، ولا يملكون مثقال ذرة من نفع في الدنيا ولا في الآخرة، ولا مثقال ذرة من ضرٍّ فيدفعونه عنك في الدنيا ولا في الآخرة، إذن ما الذي ترجوه من مدحهم؟ ثم إن مدحهم كلام، فماذا تنتفع بهذا الكلام وتستفيد منه؟

الآن تعرفون الشعراء يمدحون الأمراء، لماذا يمدحونهم؟ حتى يحصلوا على شيك أو مبلغ أو نحو ذلك، فلو أن هذا الشاعر ألقى تلك القصيدة العصماء أمام الأمير، وبعد أن انتهى أعطاه الأمير قصيدةً أخرى عصماء يمدح فيها هذا الشاعر، وقال له: "خلاص، أعطيتنا كلامًا وأعطيناك كلامًا"، فهل يرضى الشاعر بهذا؟ لا يرضى! الكلام يطير في الهواء ويزول، وهو يريد شيئًا في جيبه.

فصفقة خاسرة أن تقرأ القرآن، وتصلّي، وتحجّ، وتدعو إلى الله، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم لا تريد من ذلك إلا كلام الناس:

- فهذا يدل على قلّة توفيقٍ أولًا،
- ويدل على سفهٍ ونقصٍ في العقل.

وإذا كان المقصد دنيا: مالًا أو وظيفةً أو غير ذلك، فهو أيضًا مقصد سافل؛ لأن الدنيا مهما بلغت فهي زائلة، وما أسرع ما تزول وتنتهي، فلماذا تعمل للزائل وتترك العمل للدائم الباقي وهو الدار الآخرة؟

فعلى المسلم أن يستعيذ بالله عز وجل من الشيطان، وأن يستعيذ بالله من شر نفسه الأمّارة بالسوء، ويسأل ربه الإخلاص، ويستعيذ بالله من الشرك كله: أكبره وأصغره، ويستغفر الله من الشرك كله: أكبره وأصغره، ما يعلم منه وما لا يعلم.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]

وقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ يعني بعمله، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ عامة، ﴿وَزِينَتَهَا﴾ خاصة كالمال والولد.

فما جواب الشرط؟ قال سبحانه: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ أي نعطيهم ما أرادوا.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أي لا يُنقصون، إذن من عمل العمل الصالح يريد به ثواب الدنيا يعطيه الله ثواب الدنيا: أراد المدح يُعطى المدح، أراد المال يُعطى المال، أراد الوظيفة يُعطى الوظيفة، ولكن هل هذا على عمومه؟ الجواب: لا، بل هذا مقيد بمن شاء الله أن يعجل له الثواب في الدنيا، والدليل على هذا آية الإسراء ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ يعني من كان يريد بعمله ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨]، أي بعض الناس قد يعمل للدنيا ولا يحصل على شيء، لا حصل الشيء لا في الدنيا ولا في الآخرة، فإذن هي مقيدة بمن أراد الله أن يوفيه وأن يعجل له ثوابه في الدنيا، فهذه الآية مقيدة، والآية التي في هذا الباب مطلقة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ أي نوفِّ إليهم أجور وثواب أعمالهم.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أي لا يُنقصون، وذلك إذا أراد الله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿أُوْلَئِكَ﴾ أي الذين أرادوا بعملهم الدنيا وزينتها.

﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ من الثواب والجزاء ﴿إِلَّا النَّارُ﴾ إذن هل يحبهم الله سبحانه أو يبغضهم هذا الصنف؟ الجواب: يبغضهم، في الدنيا أعطاهم الله الدنيا وزينتها، فهل إعطاءهم الدينا وزينتها دليل على رضا الله؟ – لا، بل فحين ما يعطيك الله المال والصحة والولد المنصب والجاه والمدح على ألسن الناس ما هو دليل على محبة الله لك، ورضا عنك، الله عز وجل يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض سبحانه وتعالى، فهذا العطاء قد يكون من باب الاستدراج، وهو أن يُوالي الله على عبده نعمه وهو مقيم على معصية حتى يزداد في العمل السيئ والعياذ بالله.

﴿وحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ أي بَطَلَ، وذهب، وضاع أجر أعمالهم في الآخرة، ما لهم أجور عليها حينما يجازي الله المخلصين؛ الحسنة بعشرة أمثالها، الحسنة بسبعين، الحسنة بسبع مائة، الحسنة بغير عد ولا حساب، فيأتي هؤلاء وليس لهم حسنة واحدة ولا أجر واحد على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، **لماذا؟** لأن الأجر قد حَبِطَ. و**الحَبْطُ** في اللغة هو **الانتفاخ**، مرض يصيب الإبل تأكل نوعاً من أنواع الأكل، فتنتفخ بطونها ثم يهلكها فتموت.

فهذا العمل لا ثواب له في الآخرة وفي الدنيا ﴿وبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم في الدنيا باطل غير صحيح؛ لأنه ما ترتب عليه الثواب ولا الأجر، ولا برئت به الذمة.

الصحيح من العبادة ما هو؟

- ما برئت به الذمة،
- وسقط التكليف به،
- ترتب عليه عند الله الثواب والأجر، هذه العبادة الصحيحة.

وإذا كانت العبادة باطلة ما برئت بها ذمتك، وإذا كانت العبادة باطلة ليس لك فيها أجر وثواب، إذا العبادة باطلة ستحاسب عليها وتُجازَى وتُعاقَب يوم القيامة.

فيحرص كل مسلم وكل مسلمة على أن يصحح عبادته بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، وإلا فسيكون هذا العمل كما قال جل وعلا: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣-٤]. تعب في الدنيا ثم تعب في الآخرة والعياذ بالله، المؤمن يتعب في الدنيا حتى يرتاح في الآخرة؛ يصلي، ويصوم، ويزكي، ويحج، ويجاهد حتى يرتاح في الآخرة، ولكن إذا أديت هذه الأعمال ولو بلغت المشقة ما بلغت فيها وأنت غير مخلص فيها، فعملك هذا كله إلى تَبَاب وضلال، نسأل الله العافية.

إذاً هاتان آيتان فيهما تحذير من **إرادة العبد بعمله الدنيا**، ومعنى ذلك أنه فيها حث على أن يريد بعمله الله عز وجل والدار الآخرة.

ظاهر الآية هنا، أن هذا الصنف مسلم أم كافر؟ لما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] يعني صنيعهم باطلة وأعمالهم باطلة وليس لهم في الآخرة إلا النار فقط لا توجد الجنة، هذا حال من؟ هذا حال الكفار، ولكن أهل السنة والجماعة يستدلون بالآيات ظاهرها أنها في الكفار ويستدلون بها على حالات تقع للمسلم، لكن ليس كما يستدل الخوارج. **الخوارج** ينزلون الآية التي في الكافر على المسلم بِحَذَافِيرِهَا، فإذا كانت الآية تقتضي الكفر جعلوا هذا المسلم كافراً، كذلك إذا كانت الآية تقتضي أنه هذا الشخص مُخَلَّداً في النار جعلوا هذا المسلم مُخَلَّداً في النار.

وليس كذلك أهل السنة والجماعة، بل إنهم يعتقدون تنزيل هذه الآية على المسلم في بعض الحالات، بمعنى:

- **أنه له منها النصيب**، فيشترك مع الكافر مثلا في **الإحباط**، لكن الكافر عمله كله حَبِطَ وبَطَلَ، لكن المسلم الذي وقع في شيء من الرياء إنما يحبط ماذا؟ يحبط العمل الذي خالطه هذا الرياء فقط، وبقية عمله سليم.
- **أيضاً إذا عُوقب** على هذا الرياء، كيف تكون هذه العقوبة؟ على وجه التخليد؟ – لا، إنما يعاقَب ما أراد الله، ثم بعد ذلك يخرج إلى الجنة، فلا يُخلَّد في النار إلا الكافر.

فلا يُشكِل عليك هذا؛ يقول لك "يا أخي الذي يستدل بالآية التي تنزل في الكفار ويستدل بها على الأحوال بعض المسلمين هذا هم الخوارج، نقول: لا، ليس هذا كهذا، فالعلماء كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغيره ذكروا بعض صور التي تدخل في هذه الآية، يدخل فيها المشرك الذي لا يؤمن بالله وبيوم الآخر، والمشرك الأصل قد يعمل أعمالاً صالحة في الدنيا ويريد بها وجه الله، مثل ما حصل لحكيم بن حزام ولغيره من المشركين، كانوا في الجاهلية يعملون الأعمال يريدون بها وجه الله، يصل رحمه يريد الأجر، يعتق الرقاب يريد به الأجر، لكن هو في حال الكفر، ثم أسلم، فسأل عنها النبي ﷺ فقال: **"الأعمال كنت أتبَرَّرُ بها في الجاهلية"**، فقال: **"أسلمتَ على ما أَسْلَفْتَ من خير"**.

ولكن لو هذا المشرك مات على شركه، مات على كفره هل تنفعه هذه الأعمال؟ ما تنفعه، فالكافر المشرك إذا عمل أعمالاً صالحة طيبة، فإنه يُجازَى عليها في الدنيا، يُعطَى مقابلها الصحة، ومال، أو أي شيء من عَرَضِ الدنيا، لكن في الآخرة لا ثواب له عليها، قال الله جل وعلا في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]. ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ يعني الأعمال التي أدوها تعبُّداً وتَحَنُّثاً ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ ما لها ثواب يوم القيامة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ يعني من العبادات ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، هذا النوع الأول المشرك الكافر هذا قد يعمل الأعمال ويتعبَّد بالعبادات، هذه العبادات قد يثاب عليها في الدنيا لكن لا ثواب له عليها في الآخرة.

النوع الثاني مسلم أدى أعمالاً صالحة من صلاة وزكاة وصيام وكذا لله عز وجل ومخلص فيها، متابع فيها لرسول الله ﷺ، ولكن والعياذ بالله ارتكب بعد ذلك ناقضًا من نواقض الإيمان، نسأل الله العافية، لما ارتكب ناقضًا من نواقض الإيمان ماذا صار بعمله؟ إيمانه حَبِطَ وانتهى، توحيده من أساسه انتهى، إذن هذا لا يجازَى على تلك الأعمال السابقة قبل الردة لا يثاب عليها في الآخرة، اللهم إلا في حالة واحدة وهي إذا رجع مرة ثانية إلى

الإسلام، ولهذا أجمع العلماء على أن الصحابة يعني أفراد أسلموا في آخر حياة رسول الله ﷺ ثم ارتدوا ثم أسلموا مرة أخرى، فأجمعوا على ذكرهم في الصحابة، فدل هذا على أن الشخص إذا ارتد ثم أسلم عاد للإسلام مرة ثانية أن عمله صحيح، يُرَدُّ له ثواب عمله، لكن لو مات على ردته والعياذ بالله فهو في نار جهنم خالداً مخلداً فيها، لا ينفع ذلك العمل كله ولو عبد الله ألف سنة.

النوع الثالث من يعمل العمل الصالح وهو يريد به الدنيا، مثلا واحد يعلّم الناس القرآن أو يعلم الناس العلم الشرعي وهو لا يريد من هذا التعليم إلا الراتب فقط، لا يريد من طلبه للعلم أو تعليمه للعلم إلا الدنيا والراتب الذي يناله فقط، أو مثلاً أن واحد يحج عن غيره وهو لا يريد من هذا الحج إلا أجرة الوكالة فقط، فهذا أيضاً داخل، فإنه لا أجر له ولا ثواب له على ذلك العمل، يقول ﷺ: **"من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا للدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة"**.

فإذن هذا العلم الشريف الذي يرفع به صاحبه درجات عالية إذا طلبه للدنيا لم يكن له فيه أجر ولا ثواب والعياذ بالله.

- فالذي يحج يريد المال، يريد أجرة النيابة أو الوكالة.
- الذي يتعلم ويعلم هو لا يريد إلا ما وُعد به من الدنيا كراتب أو أجرة ونحو ذلك فقط، هذا الذي يريده ليس له أجر ولا ثواب على عمله ذلك.

الحال الرابعة أن يعمل عملاً صالحاً يريد به وجه الله وهو مخلص فيه لله سبحانه وتعالى، يعني يعمل العمل لله؛ لأن الله شرع هذا العمل ومخلص فيه لله سبحانه وتعالى، لكن ما يريد الثواب الأخروي، ماذا يريد إذن؟ يريد من الله عز وجل أن يثيبه على هذا العمل ثواباً دنيوياً، **كيف**؟ مثلاً واحد يتصدق لا يريد من الصدقة إلا أن الله يزيده مالاً **"ما نقصت صدقة من مال"**، سمع قصة أن فلاناً تصدق بعشرة وقام واحد وأعطاه مئة ريال، فهو يذهب ويتصدق ما يريد من ذلك الأجر والثواب، هو يتصدق بمُنطَلَق أن الصدقة عبادة وأنها عمل صالح وكذا، لكن ما حط في باله مضاعفة ما أعد الله له في الصدقة من الأجر والثواب في الآخرة، إنما عنده مال قليل ويريد أن يصبح هذا المال القليل مالاً كثيراً. وهو يريد هذه الزيادة مِن مَن؟ من الله جل وعلا.

واحد مثلاً يحافظ على الصلاة يصلي، **لماذا** تصلي؟ قال: "أخي والله ما شاء الله فلان كان مريضا ولما كان يحافظ على الصلوات جاءت له العافية، فأنا أصلي لكي **يعافيني** ربي في بدني"، هو يصلي لله وذهب إلى الصلاة

مختاراً، ما قصد المدح ولا الرياء ولا دنيا من الناس، إنما أراد من الله أن يعافيه ويصح بدنه ويرفع عنه هذا المرض. هذا نوع الرابع هو يعمل العمل لله من منطلق أن هذا العمل عبادة وأن الله يثيب عليه، لكن يريد من ربه أن يثيب عليه **أين؟** في الدنيا بصحة في بدنه، بزيادة في ماله ونحو ذلك. فهذا أيضاً على خطر، لأنه لا يكون له ثواب في الآخرة على عمله الصالح؛ لأنه طلب شيئاً يمكن ناله ويمكن حتى لا يناله، يعني طلب شيئاً في الدنيا ولم يطلبه في الآخرة.

وبالمناسبة تنتشر رسائل كثيرة أنه مثلا امرأة الآنسة تكرر في السجود أربعين مرة دعاء معيناً، أو المرأة إذا ما أنجبت تكرر في السجود أربعين مرة فيحصل لها زوج أو يحصل لها ولد، فهي تقوم تصلي وتجتهد في كل سجة أربعين مرة كذا وكذا من أجل الحصول على ما طلبت من زوج أو ولد أو نحو ذلك، هنا الآن:

- هل يوجد دليل خاص على أن هذا العمل سبباً لهذه النتيجة؟ لا يوجد.
- الأمر الثاني أنها ما فعلت هذا العمل إلا من أجل حصول هذه المنفعة الدنيوية وإن كانت تريد من الله عز وجل، فهذا المثال يصلح ويصدق على ما ذُكر من النوع الرابع.

لكن عندنا نوعان من العبادات:

١. عبادة جاء بها **نص** على أنها سبب لحصول هذا المراد.

٢. وعبادة **ما جاء فيها نص**.

مثال ذلك جاء في الحديث أن صلة الرحم سبب للبسطة في الرزق والتأجيل والتأخير في العمر: **"مَن أحَبَّ أن يُبسَطَ له في رِزقِهِ، ويُنسَأَ له في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"**، إذن جاء الوعد على صلة الرحم بثواب عاجل أم لا؟ جاء الوعد على صلة الرحم بثواب عاجل، وهو البسطة في الرزق والنسأ يعني التأخير في العمر، وجاء مثلاً الحديث بأن **"داووا مرضاكم بالصدقة"** فلو أن شخصاً وصل رحمه يريد الأجر من الله جل وعلا والثواب في الآخرة ويريد أيضاً أن يُبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره، يُلام ويُذم أو لا؟ لا، **لماذا لا؟**

- **أولاً**: لأنه أراد ما عند الله في الآخرة.
- **ثانياً**: أن هذه النية العاجلة التي أرادها جاء النص عليها، وما دام جاء النص عليها، جاء النص من باب الترغيب فيها.

فإذاً **النوع الرابع** ننظر إن كان هذا العمل موعوداً عليه بهذا الوعد العاجل ثم هذا العامل عمل من أجل الثواب في الآخرة ومن أجل هذا الثواب العاجل في الدنيا، فهذا لا حرج عليه في ذلك إن شاء الله.

إنما النوع الرابع إذا كان لا يريد من هذه العبادة إلا الثواب العاجل فقط، يعني حتى مثلاً في صلة الرحم، لو وصل رحمه لا يستحضر إلا الثواب العاجل فقط، **يُمدَح أم يُذَم هذا؟** يُذَم حتى وإن كان الرسول نص عليها، لأن هذا من ضمن المرغِّبات في هذا العمل الصالح لكن ليس هو الأساس، الأساس في عملك يا عبد الله أن تعمل للدار الآخرة وليس للدار الدنيا.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع.

ثم قال رحمه الله: "**وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ**: "**تَعِسَ عبدُ الدِّينار**"، تعس: يعني هلك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

"**تَعِسَ عبدُ الدِّينار**" الدينار معروف، قطعة ذهبية.

"**تَعِسَ عبدُ الدِّرْهَم**" الدرهم معروف، من الفضة.

"**تَعِسَ عبدُ الخَمِيصة**" كساء مخطَّط، فيه خطوط.

"**تَعِسَ عبدُ الخَمِيلَة**" هي القطيفة، والخميلة تكون لها خَمْل يعني أهداب وأطراف.

"**إنْ أُعطِيَ**" يعني من الدنيا "**رَضِيَ وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**" هذه صفته.

"**تَعِسَ وانتَكَسَ**" دعاء عليه أن يهلك، "**وانتكس**" يعني: إذا قارب على الصحة والعافية أنه يعود مرة ثانية إلى الهلاك.

"**وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ**" يُدعى عليه بالعجز حتى إذا أصابته شوكة لا يستطيع أن يخرجها، يعجز عن إخراج الشوكة.

"**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنانِ فَرَسِهِ**" بلجام الفرس "**في سبيل الله**".

"**أشْعَثَ رَأْسُهُ**" يعني غير مدهون، غير ممشط، غير مُرَجَّل، "**مُغْبَرَّةٍ قَدَماهُ**" عليها الغبار.

"**إن كانَ في الحِراسَةِ كانَ في الحِراسَةِ**" يعني إن كُلِّفَ بحراسة الجيش كان في الحراسة.

"**وإنْ كانَ في السّاقَةِ**" جُعل في آخر الجيش "**كان في السّاقَةِ، إنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ له وإنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**"، هذا الحديث حديث عظيم وجليل وفيه بيان لنوعين من العباد:

- ❖ عبد للدنيا
- ❖ وعبد لله جل وعلا،

ولما اختلفت الإرادة واختلفت المقاصد، اختلف السلوك والعمل.

قال ﷺ: "**تَعِسَ عبدُ الدِّينار**" هذه عبودية بمعنى عبودية صغرى ليست عبودية كبرى؛ لأنه هذا الباب باب الرياء وباب الإرادة، إرادة العبد بعمله الدنيا هي في الأصل أنها من باب الشرك الأصغر، لا تكون شركاً أكبر إلا في حالة استثنائية، لكن الأصل في هذه الأشياء أنها من باب الشرك الخفي، من باب الشرك الأصغر.

"**تَعِسَ عبدُ الدِّينار**" يعني الذي يعمل عملاً وهو يريد عليه الدنيا.

"**تَعِسَ عبدُ الدِّرْهَم**" نفس المعنى، يعمل العمل من أجل أن يُعطى عليه دراهم، ونقصد بالعمل هنا العمل الذي للآخرة.

"**تَعِسَ عبدُ الخَمِيصة**" يعني قيل له إذا عملت هذا العمل أعطيناك خميصة، فعمل لأجلها؛ تحج عن فلان ونعطيك خميصة؟ فما حج إلا لأجل هذه الخميصة، ما أراد الأجر والثواب، "تعالَ درِّس أولادنا القرآن ونعطيك خميلة" فدرَّس القرآن الكريم فقط لأجل هذه الخميلة.

"**إنْ أُعطِيَ رَضِيَ**" إن أُعطي الدرهم، أُعطي الدينار، أُعطي الخميصة، أُعطي الخميلة، أُعطي المنصب، أُعطي الزيادة في الراتب، أُعطي علاوة على الراتب رضي.

"وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ" لأن إرادته أصلاً للدنيا، فرضاه وسخطه مُرتهنان بهذه الدنيا.

"تَعِسَ وانتَكَسَ" يدعو عليه النبي ﷺ؛ لأنه فعل ما يستحق أن يُدعى عليه بسببه.

"وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ" يدعو عليه بضعف العزيمة، مثلما ضعفت همته وخسَّت همته يدعو عليه بدعاء مقارب، أن يكون عاجزاً حتى إذا أصابته الشوكة لا ينتقش منها فيبقى يتألم بها، إذن هذا النوع من الناس إنما يعملون من أجل الحظوظ العاجلة، من أجل الدنيا، هذا النوع الأول.

ونقف وقفة قصيرة عند قوله "إنْ أُعطِيَ رَضِيَ وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ".

المؤمن في علاقته مع ولي الأمر، لماذا المسلم يسمع ويطيع لولي الأمر؟ امتثالًا لأمر الله جل وعلا ولأمر رسوله ﷺ، فالله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، هذا هو منشأ طاعة المسلم لولي أمره، أن الله أمرك بطاعته، وأن الرسول ﷺ أمرك بطاعة ولي الأمر: "مَن يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعَنِي، ومَن أطاعَنِي فقد أطاعَ اللهَ".

إذن أنت تنطلق من هذا المنطلق، ما تنطلق من منطلق والله أنا أسمع وأطيع له إذا أعطاني، إذا أعطاني الدواء إذا مرضت، والتعليم في المدرسة، والسكن، والراتب، وكذا وكذا أنا أسمع له وأطيع، وإذا لم يعطني لا أسمع له ولا أطيع. فهو ما هو عقد مُعَاوَضَة، لا، إنما تسمع وتطيع لأن الله أمرك بالسمع والطاعة له.

فإذا صار حال المسلم أنه لا يسمع ولا يطيع إلا بمقابل ما ينال من الدنيا، دخل في هذا الوعيد: "إنْ أُعطِيَ رَضِيَ وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتَكَسَ".

والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ولا يَنظُرُ إليهِم ولا يُزَكِّيهِم" وأظن أيضاً: "ولَهُمْ عذابٌ أليمٌ" من هم؟ ذكر الأول وذكر الثاني ثم ذكر منهم: "ورجلٌ بايعَ إماماً" يعني ولي الأمر "لا يُبايِعُهُ إلَّا لِلدُّنيا، إنْ أعطاهُ رَضِيَ وإنْ لم يُعطِهِ سَخِطَ" ولاحظ الوعيد هنا، الوعيد على التَسَخُّط، فكيف إذا كان الأمر أكبر من التسخط؟ كيف إذا صار مثلاً فيه تهييج وتحريض؟ كيف إذا كان فيه حث على الثورة والخروج؟ كيف إذا كان الأمر يصل إلى التكفير وإخراج الحاكم هذا من الملة؟ لا شك أن العقوبة والوعيد سيكون أشد.

إذن، ينتبه المسلم من حيل أهل الحِيَل، أهل الأهواء والمهيِّجين والمخربين والمفسدين، لا يضلونك عن هدي رسول الله ﷺ.

تعرفون لما جاءت هذه في تويتر التي يسمونها الهاشتاقات، طلع عندنا هاشتاق مدة طويلة: "الراتب ماذا فيه؟ الراتب ما يكفي الحاجة". كل هذا من باب تحريض الناس أنه والله المعيشة عالية، والرواتب ما شأنها؟ والرواتب متدنية، طيب، ما المطلوب؟ المطلوب أنهم يثيرون الناس ويُوغرون الصدور، ليكوِّنوا رأيَ جماهير مَليئاً بالسخط على الدولة وعلى ولي الأمر حتى يصلوا إلى مرحلة الثورة والخروج عليهم.

فليحذر المسلم من مثل هذا، هذه ليست تربية محمد ﷺ، وليس هذا منهج الكتاب والسنة، إنما هذا منهج كِلابِ النار، منهج الخوارج، عندهم شبهة، عندهم أساليب مؤثرة، ولكن نحن ننطلق من قال الله، قال رسوله، قال سلفنا الصالح، ما ننخدع بما يلقون من الشبهات والأباطيل.

نعود للحديث مرة ثانية ثم قال ﷺ **"طوبى لعبد"** هنا الآن بعد ما تكلم عن العبد الذي يريد بعمله الدنيا جاء بنموذج عالٍ، نموذج راقٍ الذي يريد بعمله الدار الآخرة، الذي يريد بعمله ما عند الله قال: **"طُوبَى لِعَبْدٍ"** طوبى اسم من أسماء الجنة، وقيل شجرة في الجنة، **"وطوبى"** في الأصل صيغة مبالغة من الشيء الطيّب.

"طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنانِ فَرَسِهِ فِي سَبيلِ اللَّهِ" يعني هذا رجل همته في الجهاد في سبيل الله، ولكن لما صار في هذا العصر تلبيس في معنى الجهاد، صرنا نحتاج إلى أن نؤكد: **"طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنانِ فَرَسِهِ فِي سَبيلِ اللَّهِ"** أي في جهاد مشروع، من قبل ما كان يحتاج للشيء هذا لماذا؟ لأنه خلاص، الجهاد هو الجهاد المشروع، لكن الآن تلاعب كثير من الناس بهذا المصطلح العظيم وبهذه العبادة الجليلة، وصارت الفتن وصار دين الخوارج وعمل المعتزلة، وأصبح الخروج المسلح على ولاة الأمور هو الجهاد، فلهذا صرنا نحتاج لما نذكر آيات الجهاد وأحاديث الجهاد والترغيب في الجهاد أن نقيده بالجهاد المشروع حتى يتنبه السامع إلى أنه يوجد جهاد مشروع، وفي شيء يسمونه جهادا ولكنه ليس بجهاد شرعي حقيقي.

"طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنانِ فَرَسِهِ فِي سَبيلِ اللَّهِ" يعني لإعلاء كلمة الله.

"أشْعَثَ رَأْسُهُ" يعني ما هو متفرغ للانشغال بأمر الجهاد، ما هو متفرغ يعتني بشعره وإدامه.

"مُغْبَرَّةٍ قَدَماهُ" لماذا؟ لانشغاله بما هو أعظم من ذلك، لانشغاله بحراسة إخوانه أو بقتال أعدائه، فما صار عنده وقت وفراغ يكوي شِماغَه ويدهن شعره ويتطيب.

قال: **"إنْ كانَ فِي الحِراسَةِ كانَ فِي الحِراسَةِ وإنْ كانَ فِي السّاقَةِ كانَ فِي السّاقَةِ"** يعني يُكلَّف، قيل لك: "خلِّك تحرص الليلة، أنت حارس لسريتك، لمجموعتك"، هذا عملك، غدًا حارس، بعد غدٍ حارس، ما عنده مشكلة.

"وإنْ كانَ في السّاقَةِ كانَ في السّاقَةِ" قال له القائد: "أنت الليلة تكون في آخر الجيش، آخر الناس، هذه وظيفتك"، لِمَ؟ حتى إذا مررت على مثلاً واحد أَطاحَ سلاحه تشيل السلاح معك، سقطت الخوذة منه تشيلها معك، سقط منه جواله تشيل جواله معك، شفت واحد مريض منقطع تأخر عن الجيش تتصل بالجهة المعنية ويشوفون هذا ما به منقطع، فهو في خدمة غيره في الحراسة لخدمة غيره، وفي الساقة أيضاً لخدمة غيره.

"إنْ كانَ في الحِراسَةِ كانَ في الحِراسَةِ وإنْ كانَ في السّاقَةِ كانَ في السّاقَةِ" يعني إن كُلِّفَ بالحراسة قال: "أبشر". قيل: "كُنْ في الساقة" قال: "أبشر، سمعاً وطاعة"، لماذا؟ لأنه ما يريد الدنيا، لو كان طالب الدنيا كان يقول: "لا، يا تحطوني مع القائد جليس الأمير، وإلا ما أخرج معكم، يا تخلوني قائد فرقة، قائد سرية، قائد موضع، منصب قيادي، وإلا ما أطلع معكم" هذا يقوله مَن؟ يقوله الذي يريد الدنيا.

أما الذي يريد بالجهاد الآخرة ما عليه؛ لأنه إن كان حارساً فهو في سبيل الله، إن كان في الساقة فهو في سبيل الله، هو مأجور هنا ومأجور هناك، فما فرَقتْ معه، لكن الذي يريد العلو ويريد الجاه يريد أن يقال: والله فلان الفلاني، لا هذه تفرق معه؛ فرق بين أن يكون قائداً وأن يكون حارساً أو في الساقة.

ولهذا الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ما كانوا يبالون بهذه الأمور، عمر يقول: **"ما تمَنَّيْتُ الإمارةَ ولا استشرفتُ للإمارةِ في حياتي إلَّا** – متى؟ – **ليلةَ خيبر"** فقط، لماذا استشرف للإمارة ذاك اليوم؟ من أجل الوعد: **"لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ"** يريد هذه الكلمة، يريد هذه، وإلا فمن غير هذا ما يريدون الإمارة ولا يسعون لها.

كذلك أيضاً في فتوح الشام والعراق في عهد عمر برز قائد عظيم جداً في آخر حياة النبي، وفي عهد أبي بكر الصديق، وفي أول خلافة عمر، وهو من؟ **خالد بن الوليد سيف الله المسلول**، سطى نجمه، شاع ذكره، ما هُزمت له راية رضي الله عنه وأرضاه.

فتح الله على يديه الفتوح، وفي أوج عزته وشهرته وسمعته وهو يقود المعارك، يأتي أمر عمر بعزله عن الإمارة وتولية فلان الإمارة، والجيوش رهن إشارته، ماذا فعل خالد؟ سمع وأطاع مباشرة، لا عارض أبا عبيدة، ولا خاصم أبا عبيدة، ولا خاصم عمر، ولا تَمَرَّض، ولا عمل عملاً مضاداً أبداً، أمس كان قائداً واليوم جندي عادي، ما عنده أي مشكلة؛ لأنه إن كان بالأمس مجاهداً في سبيل الله، فهو اليوم أيضاً مجاهد في سبيل الله.

فأما الذين يريدون الدنيا — لا، ولهذا كثير من الحركات التي يسمونها جهاداً تجد أنه بعد مدة، من فترة هذا الجهاد المزعوم، بعضهم ينقلب على بعض؛ القواد بأنفسهم يقتل بعضهم بعضاً، والكتائب بعضها تقاتل بعضاً،

لماذا؟ لأنه كان بالأول في عدو مشترك لهم، لما قضوا على هذا العدو كل يريد الدنيا، كل يريد المنصب، كل يريد الحكم، فينقلب بعضهم فيقتل بعضاً، لكن لو كان الأمر إرادة ما عند الله جل وعلا زيد ما يبالي هو القائد أو عمرو هو القائد، لكن حروب للدنيا، ولهذا كانت النتيجة السيئة عاقبتها وخيمة على المسلمين.

أما الصحابة فلا، جاهدوا لإعلاء كلمة الله، ولهذا فتح الله على أيديهم المشارق والمغارب، لم يفتح لهم أراضٍ، بل فتح الله لهم قلوب العباد، ولهذا انظر كيف انتشر الإسلام في مدة وجيزة، وترى الإسلام ما تقدر تجبر الناس عليه جبراً؛ لأن هذه أمور قناعات في القلوب الله يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] بمعنى أن الشخص إنما يدخل في الدين طواعية، لو غصبته ممكن يدخل في الدين من باب النفاق، يظهر لك أنه مسلم، ولكن في الحقيقة هو لا يزال على دين آبائه وأسلافه كافراً، لكن لما فتح المسلمون الشام، فتحوا العراق، فتحوا شمال أفريقيا، من ذاك اليوم إلى اليوم بقيت بلاداً إسلامية، الذي كان أول يهودي صار مسلمين، كانوا نصارى صاروا مسلمين، كانوا وثنيين صاروا مسلمين، وإلى يومك هذا ألف وأربعمائة سنة، ففتح الله لهم القلوب لبركة جهادهم ودعوتهم وما كانوا عليه من الصدق والإخلاص.

نكتفي بهذا القدر، هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٣٧ - باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحي الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٣٧ – باب من أطاع العلماء والأمراء (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

فيقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: **"باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله"**.

هذا الباب عقده المؤلف **للتحذير من نوع من أنواع الشرك وهو شرك الطاعة**؛ لأن هذا الكتاب فيه بيان التوحيد وفيه بيان ما يضاد التوحيد، وفيه بيان ما يكمل التوحيد ويكمل ثوابه، وفيه أيضًا ما ينافي كمال التوحيد أو ينقص ثوابه.

قوله: **"من أطاع العلماء"** يعني أطاع علماء الشريعة، أطاع العلماء الذين يتكلمون بلسان الشرع، **"والأمراء"** الذي لهم الأمر على الناس والولاية، سواء كانوا ملوكًا أو كانوا سلاطين أو رؤساء أو أمراء أو شيوخ قبائل أو نحو ذلك.

"في تحريم ما أحل الله" بمعنى أن يعتقد أن ما أحله الله صار حرامًا بأمر هذا الأمير أو بفتوى ذلك العالم أو العكس: **"تحليل ما حرمه الله"** فيعتقد الشيء الذي حرمه حلالًا بأمر ذلك الأمير أو بفتوى ذلك العالِم، ما الجواب؟ قال: **"فقد اتخذهم أربابًا"** أرباب جمع رب، والرب هو مالك الشيء المتصرف فيه، ومعنى قوله: **"اتخذهم أربابًا من دون الله"** أي اتخذهم شركاء مع الله عز وجل وذلك في باب التشريع؛ وذلك أن الله عز وجل أمر بطاعته وأمر بطاعة رسوله ﷺ، وطاعة الرسول من طاعة الله؛ لأن النبي ﷺ مبلغ عن الله جل وعلا، مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [النساء: ٨٠]، وفي الحديث: **"ومن أطاعني فقد أطاع الله"** فأمر الله عز وجل بطاعته، ومعنى ذلك أننا منهيون عن طاعة غيره في ما فيه مخالفة لطاعة الله أو لطاعة الرسول ﷺ:

- من أَمَرك بطاعة الله وطاعة رسوله، فإنك تمتثل فتكون مطيعًا لله ومطيعًا لرسوله ﷺ،
- ومن أمرك بما فيه مخالفة لله أو مخالفة لرسوله ﷺ فلا يجوز لك أن تطيعه وتعرفون أن الأصل المأثور المتكرر المشهور هو **"لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق"**، قال ﷺ **"إنما الطاعة في المعروف"**.

فإذًا طاعة العلماء فيما يبينون من الشرع، وطاعة الأمراء فيما يأمرون به الرعية، وطاعة الوالدين، وطاعة المرأة لزوجها، كل ذلك **مقيد أن يكون في غير معصية الله سبحانه وتعالى**، فإذا أمرك ولي أمرك أو أمرك عالم في ما فيه طاعة الله وطاعة الرسول فتمتثل، وإذا أمرك بمعصية الله فلا طاعة له كائنًا من كان ذلك الآمر.

وأما قضية طاعة غير الله هل تكون شركًا مخرجًا من الملة أو تكون شركًا أصغر أو تكون معصية، فهذا يختلف الحال إلى حال، وسيأتي إن شاء الله الكلام عليه.

وقال ابن عباس: "يوشك أن تنْزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟"

"قال ابن عباس رضي الله عنه" هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، الصحابي الشهير.

قال "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر؟" هذا الأثر أخرجه الإمام أحمد وابن عبد البر والخطيب البغدادي.

وهذا الكلام لابن عباس رضي الله عنه قاله ردًا على من خالفه في مسألة **متعة الحج**، فابن عباس كان يأمر الناس بالتمتع في الحج؛ إذا فرغوا من الطواف والسعي إذا قدموا مكة أن يقصروا ويتحللوا ويجعلوها عمرة، فيؤدوا مناسكهم متمتعين، وكان الناس يقولون له: "إن أبا بكر وعمر يأمران الناس بالإفراد" فلما عارضوه بفتوى أبي بكر وعمر قال هذا الكلام؛ لأن النبي ﷺ أمر الناس أن يحلوا بعدما طافوا وسعوا، اللهم إلا من كان معه الهدي فيبقى على إحرامه، فغضب **ابن عباس** ممن يعارض كلام النبي وأمر النبي ﷺ بفتوى أبي بكر وعمر.

ومعنى قوله **"يوشك"** يعني يقرب ويكاد **"أن تنزل عليكم حجارة من السماء"** يعني للعذاب والعقوبة، فإن الله عز وجل قد يعاقب بعض من يغضب عليه من عباده بأن يرسل عليهم حجارة كما عذب قوم لوط، وكما عذب أصحاب الفيل، وكما توعد الظالمين بأن يعذبهم أيضًا بالحجارة، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾

[هود: ٨٣] فالمقصود أن الله سبحانه وتعالى له جنود السماوات والأرض ومن جنوده حجارة يرسلها على من يشاء نسأل العافية والسلامة، فابن عباس لهول هذا الأمر وهو مخالفة أمر الرسول ﷺ بغيره يرى أن هذا جرم وأن صاحبه قد يعاقب بإرسال الحجارة عليه من السماء.

"**يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء**" لماذا؟ "**أقول قال رسول الله**" يعني أنا لما أفتيت بينت لكم الدليل وأمر الرسول ﷺ بفسخ الإحرام بالحج وجعله عمرة وجعل الطواف والسعي ذلك للعمرة، فتعارضون "**وتقولون قال أبو بكر وعمر**" فإذا كان ابن عباس يرى خطورة معارضة أمر النبي ﷺ برأي أبي بكر وعمر، إذًا فما الظن بمعارضة أمر الله وأمر رسوله ﷺ بمن هو دون أبي بكر وعمر، إذًا هو أحق بهذا الوعيد.

إذا كان كلام ابن عباس:

- فيمن قال فيه النبي ﷺ "**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**"
- والذين قال فيهما النبي ﷺ "**إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا**"
- والذين يدخلون في أول داخلين في قوله ﷺ "**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**"

فإذا كان من عارض قول الله وقول الرسول بقولهما مستحقًا لهذا الوعيد، إذًا من عارض قول الله وقول رسوله بقول من هو دونهما بمراحل أولى بالتوبيخ أو بالتعنيف أو بهذا الوعيد نسأل الله العافية والسلامة.

إذًا هذا الأثر فيه **الحث على الأخذ بالدليل**، وألا يُترك ولا يُرد قول الله وقول رسوله ﷺ لقول أحد كائنًا؛ لأن الله عز وجل إنما يسألنا يوم القيامة عن إجابتنا لرسوله ﷺ: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] لن يسألك هل أجبت مالكا أو الشافعي أو أبا حنيفة أو أحمد أو سفيان أو ليث وغيرهما من أهل العلم، إنما يسألك عن إجابتك لله ولرسوله ﷺ.

فإذًا على المسلم أن **يُعظم كلام الله وكلام رسوله ﷺ بحيث لا يُقدم على كلام الله وكلام رسوله قول أحد من الناس**، وهذا معناه أننا حينما ندرس الكتب أو نتلقى على أهل العلم ومر معنا تقرير لشيء من هذه الكتب، سواء كان كتاب فقه أو كتاب شرح حديث أو غيره، إذا مر معنا تقرير يخالف الحديث أو

يخالف الآية بناء على اجتهاد صاحب هذا الكتاب أو اجتهاد هذا المدرس أو اجتهاد هذا المفتي أو لتقليده للمذهب الذي يتبعه، فإننا **ندعُ هذا الكلام ونأخذ بقول الله وقول رسوله ﷺ**.

وأما هذا العالم الذي أخطأ مخالف للدليل، فهذا إذا كان معروفًا بأنه عالم شريعة فمعنى ذلك أنه ما يتعمد مخالفة الله ومخالفة رسوله ﷺ، إنما يقع في ذلك من باب الخطأ، والنبي ﷺ يقول **"كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"**، فهذا العالم الذي وقع في الخطأ ما نتخذ هذه الزلة منه سببًا للخطأ عليه والطعن فيه، والآن عندكم ابن عباس رضي الله عنه في المثال الذي بين أيدينا، هل لمز أبا بكر وعمر بشيء؟ – لا، ما لمزهما بشيء وإن كان خالفهما في الرأي لكن ما لمزهما بشيء ولا تنقصهما بشيء، بل كان موقرًا معظمًا لأبي بكر ولعمر رضي الله عنهم جميعًا.

طبعًا ليس معناه أنه يقرر الآن كلام أبي بكر وعمر غلط – لا هذه مسألة ثانية، فإنما أقصد أن رأي أبي بكر وعمر عند ابن عباس خطأ ومخالف لقول رسول الله ﷺ، ولكني أقول إنه لم يلمزهما ولا يتنقصهما بشيء أو يطعن عليهما في ذلك، إنما وبَّخ ولام من يخالف قول النبي ﷺ بعدما علمه، فهمه، وسمعه أخذًا بقول فلان وفلان من الناس، فيحترم طالب العلم أهل العلم ولا يجعل من زلاتهم وسيلة وسُلَّمًا لتنقُّصهم واتهام ديانتهم والطعن فيهم وتحقيرهم ونحو ذلك، لا يوجد كتاب من الكتب التي صنفها أهل العلم إلا وهي محل الخطأ؛ لأنه ما في أحد معصوم بعد رسول الله ﷺ، فإذًا لو تُرك كل عالم إذا أخطأ خطأً أو زل زلة من الذي سيبقى؟ لا يبقى أحد، من الذي ما سقط ومن له حسنى فقط، هذا فيما يتعلق بأثر ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه.

وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول :﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

الذي يريد آثار الإمام أحمد صدر كتاب قُبَيْل المدة موجود أيضًا على الشبكة ولعل أيضًا موجود نسخة الشاملة إلا وهو **الجامع لعلم الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله، جمعوا فيه موسوعة كبيرة جمعت أقوال الإمام

أحمد رحمه الله وهو مرتب أقوال في الفقه، وأقوال في الأصول، وأقوال في الحديث وفي الزهد وغير ذلك من الأبواب.

قال الإمام أحمد رحمه الله "**عجبت**" عجب استحسان أو إنكار؟ عَجَب **إنكار**.

"**عجبت من قوم**" يعني من طلبة العلم، "**عرفوا الإسناد وصحته**" هذا شأن طلبة العلم ليس العوام، هم الذين يعرفون الأسانيد، يعرفون صحتها ويميزون الصحيح من ضعيفها.

قال: "**عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته**" عرفوا رجال السند وعرفوا أنه صحيح لتوفر شروط القبول في هذا الإسناد، "**عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته**" يعني ثبت عندهم هذا الخبر عن رسول الله ﷺ، ميزوه وعرفوا صحته ثم بعدما عرفوا صحته يخالفون ما فيه، لماذا؟ لأن سفيان الثوري أفتى بفتوى مخالفة لما في هذا الحديث، فيأخذون بفتوى سفيان ويدَعون الحديث الذي ثبت عندهم صحته.

هل هؤلاء القوم تعمدوا مخالفة الرسول أو فيه شبهة؟ فيه الشبهة **في التأويل** مثلًا لعل سفيان اطلع على علة في هذا الإسناد الذي بين أيدينا، لعل سفيان يرى أن هذا الحديث منسوخ هذا الحديث الذي بين أيدينا، فهذه الشبهة التي تكون عند بعض الناس فمن يقلد أحد العلماء المتبوعين يقول لك "أعلم أن الرسول قال هذا وأعلم أنه لا يجوز لأحد أن يخالف الرسول ﷺ وأنا ما أقصد ولا أتعمد مخالفة النبي ﷺ معاذ الله ولكن بما أن أبا حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد أو سفيان الثوري أو ابن جرير الطبري أو غيرهم من الأئمة متبوعين إلى اليوم أو في زمن معين، ما دام أنه خالف هذا الحديث وهم أوسع علمًا وأكثر اطلاعًا إذًا لابد أن تكون قد تَبَيَّنَتْ لهم العلة منعتهم من الأخذ بهذا الحديث" فمن هذا الباب دخل عليهم هذا الشيء وتركوا كثيرًا من السنن أو بعض السنن تقليدًا لمتبوعهم، ولا واحد منهم يقول إنه "ما يطيع الرسول" ما يقول هذا، لكن تكون عنده الشبهة، عنده التأويل يجعله يقدم أو يأخذ بالفتوى ولا يأخذ بهذه الرواية.

الإمام أحمد رحمه الله يتعجب مُستنكرا "كيف تخالف هذا الحديث الثابت الذي بين يديك إذا سُئلت لماذا لا تعمل به؟ قلت إن سفيان أفتى فتوى مخالفة لهذا الحديث"، سفيان الثوري ربما ما سمع بهذا الحديث أصلًا، مَن الذي جمع السنة كلها؟ إذا كان أشد الناس ملازمة للنبي ﷺ من يوم بعث إلى أن مات تخفى عليه بعض السنن عن رسول الله ﷺ، حتى احتاج أن يسألون الناس عنها وأعني بذلك أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه.

هل تظن سيأتي واحد يجمع السنة كلها لا تغيب عنه شيء منها؟ بعيد هذا جدا، فإذًا هذا العالم ربما ما عرف أصلًا هذا الحديث ما سمع به وما طرق سمعه أصلا هذا الحديث، وربما طرق سمعه وعلمه لكن وصله من طريق ضعيف غير ثابت، ربما لم يفهمه فهمًا صحيحًا تبادر إلى ذهنه فهم آخر له.

فالاحتمالات كثيرة كما بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ممن ألَّفوا أسباب اختلاف العلماء، ما العذر الذي يجعل العالم يخالف الحديث:

- إما أنه ما سمع به أصلًا
- إما بلغه الحديث لكن بطريق ضعيف
- إما لأن الحديث لا يدل على هذه المسألة عنده،

أما أنت إذا كنت عرفت الحديث، بلغك وثبت عندك واعتقدت أنه يدل على هذه المسألة، فما العذر الذي تعتذر به عند الله عز وجل حينما تخالف قول النبي ﷺ وتأخذ بقول أحد أفراد أمته؟

"**عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان**" يعني سفيان بن سعيد الثوري الإمام المشهور وكان له مذهب متبع توفي سنة ١٦١ رحمه الله.

"**والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾**" يعني عن أمر النبي ﷺ، **﴿عَنْ أَمْرِهِ﴾** الذي هو أحد الأوامر، **﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** إذن الذي يخالف الرسول ﷺ بدون عذر شرعي مُتَوَعَّدٌ بأحد وعيدين:

- مُتَوَعَّدٌ بالفتنة والعياذ بالله
- **﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

"**أتدري ما الفتنة؟**" قال الإمام أحمد رحمه الله "**الفتنة الشرك**" يعني ربما يعاقب والعياذ بالله بتلك المخالفة حتى يُسلب الإيمان من قلبه، فيموت على شر حال على الردة والعياذ بالله، فقد يُبتلى، ويعاقب على تعمده

مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ بأن يُسلب الإيمان من قلبه، يُسلب التوحيد من قلبه، فيموت على الشرك هذا الوعيد الأول.

الوعيد الثاني قال سبحانه وتعالى ﴿أَنْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عقوبة تنزل به إما عاجلة في الدنيا أو في الآخرة في النار والعياذ بالله، **"أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك"**.

إذن حينما ندرس أي متن من متون الفقه سواء كنت في بيئة تدرس المذهب الحنفي أو المالكي أو الشافعي أو الحنبلي، فليكن هذا أمام عينيك تدرس المتن، تستفيد مما فيه من الثروة العلمية النافعة المباركة لكن إذا مرت بك مسألة، مر بك تقرير، يخالف الآية، يخالف الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ، فإنك لا تعمل بما في هذا المذهب وإنما تعمل بما أمر الله عز وجل باتباعه، أمرك وأمر صاحب هذا الكتاب وأمر هذا الإمام المتبوع أن يتبعه هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية :اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ [التوبة:٣١] الآية فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال :أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال :فتلك عبادتهم رواه أحمد، والترمذي، وحسنه.

"وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه" الطائي ابن الكريم المشهور.

أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: "أليس يُحَرِّمُونَ ما أحل الله فتحرمونه ويُحِلُّونَ ما حرم الله فتحلونه؟" فقلت: بلى. قال: "فتلك عبادتهم" رواه الترمذي وحسنه" وحسنه أيضًا الشيخ الألباني رحمه الله.

٣٧ – باب من أطاع العلماء والأمراء (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

عدي بن حاتم كان من نصارى العرب، الطي قبيلة عربية في شمال الجزيرة العربية، ودخلتها النصرانية بحكم مجاورتها للنصارى، ثم قدم وافدًا مسلمًا على رسول الله ﷺ، فسمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ [التوبة: ٣١]، فتعجب عدي وقال: **"إنا لسنا نعبدهم"**.

﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ**﴾ الأحبار: جمع حَبر أو جمع حِبر بالفتح أو بالكسر كلها صحيحة وهو العالم واسع العلم.

﴿**وَرُهْبَانَهُمْ**﴾ يعني عبادهم المجتهدون في العبادة المتفرغون لها، وطبعًا رهبان يطلق على الواحد: يقال فلان رهبان، ويطلق على الجمع وإذا كان الرهبان جمع يكون المفرد راهب.

﴿**أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ شركاء من دون الله.

فلما سمع عدي أن النصارى ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ**﴾ يعني العلماء واتخذوا ﴿**وَرُهْبَانَهُمْ**﴾ يعني العباد ﴿**أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ تعجب من ذلك وقال: **"إنا لسنا نعبدهم"** لماذا نفى؟ لأنه توهم أن العبادة معناها السجود، معناها الذبح والنذر ونحو ذلك من أنواع العبادة، فقال نحن لا نعمل هذا مع الأحبار والرهبان، لا نسجد لهم لا نصلي لهم، لا نتقرب لهم بالقرابين، فظن أن هذه هي العبادة فقط، فنبهه النبي ﷺ إلى نوع آخر أيضًا من أنواع العبادة قال: **"أليس يُحَرِّمُونَ ما أحل الله فتحرمونه ويُحِلُّونَ ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم"** إذًا يأتي الراهب أو يأتي الحبر ويقول لكم: "متقرر عندكم أن هذا الشيء حرام عندكم في الإنجيل، حرام عندكم في التوراة فيأتي الراهب ويقول لكم: "لا، هذا كان أول حراما لكن الآن صار حلالا" فتعتقدون أنها حلال، هذه عبادة، أنك تُحِلُّ ما حرمه الله طاعة لهذا العالم، فتعتقد حِلَّه بعد ما كنت تعتقد أن الله حرمه والعكس أيضًا، "**أليس يُحَرِّمُونَ ما أحل الله فتحرمونه ويُحِلُّونَ ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم**".

فهذا الحديث فيه بيان أن طاعة الأحبار والرهبان وكذلك أيضًا الأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أنه من اتخاذهم أربابًا من دون الله، اتخاذهم شركاء مع الله في هذا الباب، فهذا نوع من أنواع العبادة.

ثم نأتي بعد ذلك إلى توضيح مسألة وهي: **من أطاع الحاكم أو أطاع العالم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو بعبارة أخرى في الحكم بغير ما أنزل الله**، لأن هذا هو أصلًا صورة من صور الحكم بغير ما أنزل الله، فهل يكون كفرًا أكبر أو أصغر أو معصية أو في المسألة تفصيل؟ نقول علماء أهل السنة والجماعة قرروا أن الحكم بغير ما أنزل الله أن له حالات:

- **الحالة الأولى**: **أن يستحل الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل**، فمثلًا هذا العالم قال لك أنه هذا الشيء الذي أنت تعرف أنه حرام، قال لك: "حلال"، فاعتقدت حِلَّه، فمن استحل الحكم بغير ما أنزل الله هذا يكون **كافرًا كفرًا أكبر مُخرجًا من الملة**؛ لأن الحكم بغير ما أنزل الله متقرر بنص الكتاب الكريم أنه حرام قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] استفهام إنكاري، وحكم الجاهلية هو الحكم بغير ما أنزل الله، والله عز وجل في مواطن كثيرة نهى عن الحكم بغير ما أنزل، فمن استحل الحكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، مثل من يستحل الزنا، **ما معنى استحل الزنا؟** يعني يعتقد أن الزنا حلال، من اعتقد أن شرب الخمر حلال وفيه فرق بين قولنا يزني وقولنا يشرب خمرًا وبين قولنا يستحل الزنا أو يستحل شرب الخمر أو ما فيه فرق بينهم؟ فيه فرق بين شخص يأكل الربا وشخص يستحل الربا
  - الذي يأكل الربا وهو يعتقد أنه حرام هذا عاصٍ،
  - الذي يستحل الربا ولو لم يأكل منه ريالًا واحدًا هذا كافر.

  فهكذا أيضًا في مسألة الزنا وشرب الخمر وغير ذلك؛ فمن استحل الحكم بغير ما أنزل الله هذا كافر، كذلك أيضًا من اعتقد أن حكم غير الله جل وعلا مثل حكم الله أو أحسن من حكم الله، فهذا أيضًا كافر؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ يعني لا أحد أحسن، فالذي يسوي حكم الله بحكم غيره أو يفضل من باب أولى حكم غير الله على حكم الله، فهذا أيضًا كافر؛ لأن هؤلاء كلهم مكذبون لنص كتاب الله جل وعلا.

- **الحالة الثانية أن يحكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله ظلم** وفسق وفجور عظيم ولكنه يُقدِم على ذلك لطمع دنيوي إما لهوى النفس أو محاباة لأحد أو نحو ذلك فهذا يكون ظالمًا، يكون عاصيًا ولكن **لا يكون كافرًا**؛ لأن ابن عباس رضي الله عنه فسر قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ

يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فسره بأنه "**كفر دون كفر**" يعني إن استحله كان كفرًا أكبر وإن لم يستحله كان كفرًا أصغر، "**كفر دون كفر**" يعني كفر دون الكفر الأكبر، اللهم إلا إذا استحله صار كفرًا أكبر.

وكثير من الناس حينما يسمع مثلًا هذه النصوص يذهب باله فقط مثلًا إلى موضوع القاضي في المحكمة أو ولي الأمر في حكمه – لا، هذا حكم عام، يعني حتى المفتي هذا يحكم أيضًا، فإذا قال هذا حلال هذا حرام هذا حكم، فالمقصود من أقدم على الحكم بغير ما أنزل الله ويعتقد أنه عاصٍ يعتقد أنه فاسق بذلك يعتقد أنه مرتكب لمخالفة لله ولرسوله فإنه لا يكون كفرًا أكبر مُخرجًا من الملة وإلا لكان كل من قدّم هواه على أمر الله وعلى أمر رسوله لكان كافرًا، الحين هذا الشخص لما يزني هل قدم هواه أو قدم أمر الله وأمر رسوله؟ قدم هواه، هل يكون بذلك كافرًا؟ – لا. وهكذا أيضًا هذا القاضي هذا المفتي هذا الأمير حينما أيضًا يحكم بغير ما أنزل الله، فإنه يختلف حاله؛ إن استحل كفر وإن لم يستحل لم يكفر لكن وقع في جرم عظيم وإثم عظيم ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ثم قال :﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

❑ **الحالة الثالثة أن يحكم بغير ما أنزل الله من باب الاجتهاد** يعني من باب **الخطأ في الاجتهاد**، فإذا حكم الحاكم، القاضي مثلًا في المحكمة أو المفتي في دار الإفتاء أفتى بشيء يخالف الشرع لكن من باب الخطأ؛ بذل وسعه اجتهد وصل باجتهاده إلى هذه النتيجة ثم تَبَيَّنَتْ أن هذه النتيجة خطأ لا توافق الحكم الشرعي، هل يكون كافرًا أو يكون ظالمًا؟ لا هذا ولا هذا، بل **يكون مأجورًا**؛ "**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**".

فإذًا هذه حالات الحكم بغير ما أنزل الله:

∇ **إذا استحل** فهو كافر،

∇ وإن **لم يستحل** ولكن أقدم عليه لهوى أو لمصلحة دنيوية أو لنحو ذلك، فإنه يكون ظالما فاسقًا،

∇ وإن وقع في الحكم بغير ما أنزل الله **من باب الخطأ** بعد بذل الوُسْع واستفراغ الوُسْع والاجتهاد، فإنه يكون مأجورًا في اجتهاده ومعفوًا عنه في خطئه.

وأنت أيها التابع إذا قلدت هؤلاء الذين أخطئوا في حكم الله أميرًا أو عالمًا أو كذا فما حالك؟

- إن قلت "والله شيخي هذا له أن يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء" ماذا يصير حكم هذا التابع؟ هذا كافر.
- وإن أطاع هذا القاضي في الحكم بغير ما أنزل الله لكن لهوى في نفسه، مثلًا تخاصم هو والشخص إلى القاضي وهو يعرف من نفسه أنه هو الظالم المفتري على الخصم وراح للقاضي وهذا القاضي بينه وبينه مودة بينه وبينه قرابة بينه وبينه صداقة، فحكم القاضي لصالحه هو، فجعل الظالم مظلومًا وجعل المظلوم ظالمًا وقَبِلَ هذا الظالم حكم، هذا الخصم، قبله من أجل المصلحة الدنيوية العاجلة حتى يستولي على أرضه يستولي على ماله، لأجل مصلحة عاجلة لكن هو في قرارة نفسه يعرف أن هذا الحكم ظلم وأنه جور وأنه غلط لكن يقول لك كل بني آدم خطاء، فهذا الآن ما حكم هذا الشخص؟ كافر أو عاصٍ؟ – **عاصٍ** لأنه مُقِرٌّ بمعصيته، يعتقد أن عمله هذا غلط وخطأ لكن طَمِعَ في الدنيا العاجلة أيًا كانت تلك الدنيا العاجلة.
- الحالة الأخرى أن يقلد هذا العالم في المخالفة لكن ما عنده الإمكانية أنه يبحث عن الحق إما لضيق الوقت أو لعدم وجود الآلة للبحث، فما حكم هذا المستفتي وهذا المتحاكم إلى هذا القاضي؟ يعني واحد ذهب عند العالم واستفتاه سأل مسألة الطلاق مثلًا، فأفتى هذا العالم، هذا طالب العلم أفتى بفتوى في هذه المسألة وهذه الفتوى غلط وأخذ بها هذا المستفتي، عليه إثم في هذه الحالة؟ نحن قلنا إنه ما عنده خيار ثانٍ إلا هذا العالم أو هذا طالب العلم الذي في بلده في قريته ما عنده شيء؟ – **ما عليه مشكلة ولله الحمد**؛ لأن الله يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وهذا الذي يستطيع عليه؛ عندهم في قريتهم هذا الشيخ الفلاني هو مرجعهم في الفتوى فاستفتى.

لو فرضنا أن هذا الشخص تبين له فيما بعد أن هذه الفتوى غلط؛ قال واحد ترى له "أنا كنت أسمع في برنامج نور على الدرب سمعت الشيخ ابن باز أو ابن العثيمين أو الشيخ الفوزان أو كذا سُئل عن

نفس قضيتك هذه وأفتى بفتوى غير فتوى فلان"، فهنا صار في المسألة عنده شك وريبة وتردد، فهنا ينبغي له أن يبذل جهده ويراجع طلاب العلم أو يراجع عالمًا آخر إن تيسر له ذلك، المهم إنه إن كان هذا المستفتي أو المتحاكم ما عنده خيار آخر غير هذا الحاكم أو غير هذا المستفتي، فهذا **عذر له عند الله**؛ لأن الله عز وجل لا يكلفه بما لا يطيق، وقد أُمر أن يسأل أهل الذكر، فسأل هذا الذي يثق به ويتهيأ له الوصول إليه.

ثم قبل ما نختم الدرس هنا مسألة وهي: في الصورةالأولى التي قلنا إنها ردة **وهي أن يستحل الحاكم الحكم بغير ما أنزل الله**، في هذه الحالة لا ينبغي التسرع والتعجل في إصدار الحكم بأن الحاكم الفلاني مرتد، يعني حاكم من الحكام يحكم بالقوانين الوضعية، نحى الشريعة على جنب في قضايا معينة مثلا قضايا الحدود أو المعاملات التجارية أو الأحوال الشخصية ووضع قانونًا آخر، فقلنا الآن أنه حكم بغير ما أنزل الله، هل يكون بذلك مرتدًا مباشرة ونحكم عليه بعينه أن فلان الفلاني مرتد؟ **لا**، لأن حتى تنزل الردة على فلان من الناس لابد من **توفر الشروط وانتفاء الموانع**، ومن تلك الموانع مثلًا:

- **الجهل**، فقد يكون جاهلًا بخطأ تصرفه هذا.
- **التأويل**، قد يكون عنده تأويل بحكم الشبهات التي أدلى بها المستشارون الذين عنده أو المحسوبون على أهل العلم من المحيطين به ممن يثق بهم، فلبسوا عليه أن هذا الشيء الذي تفعله أنه جائز وأن الشريعة مثلًا صالحة لكل زمان ومكان وهذه صورة من صور مرونة الشريعة وصلاحية الشريعة للأزمنة ونحو ذلك، فالجهل مانع يمنع من التكفير.
- **الإكراه**، قد يكون مُكْرَهًا وأنت مثلًا تحت طائلة تهديد، تهديد بالقتل أو نحو ذلك من أنواع التهديد، فأصدر هذا القول الذي فيه مخالفة للشريعة تحت ضغط التهديد والتخويف والإكراه.

فالمقصود أن الحكم على فلان بأنه مرتد بعينه سواء كان حاكمًا أو محكومًا، هذا ليس لكل أحد، إنما هذا **لأهل الرسوخ في العلم** الذين يميزون بين الحالات التي يكون فيها الشخص مرتدًا والتي لا يكون فيها مرتدًا. نحن نقول ونقرر أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر، لكن على سبيل العموم، أما أن فلان بن فلان الرئيس

الفلاني في البلدة الفلانية أنه كافر بعينه هذا لا ينبغي لطالب العلم أن يتهور فيه ويتجرأ عليه ويبادر إليه ويسرع إليه، ويَكِل هذا إلى كبار أهل الرسوخ في العلم، هذا ما أحببت التنبيه عليه في هذا المقام.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٣٨ - باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ.....﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٧هـ

٣٨ - باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

(التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

هذا الباب له علاقة بالباب السابق وهو: **"باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه"** وهذا الباب في قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾** [النساء: ٦٠] يعني هذا الباب في التحاكم إلى الطاغوت، في التحاكم إلى غير شرع الله، وكلا البابين هو تحكيم لغير ما شرع الله:

- ولكن ذاك الباب عام في طاعة الأمراء، في طاعة العلماء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله،
- أما هذا الباب فهو في خصوص المحاكمات في خصوص التحاكم وفصل الخصومات والنزاع والشقاق والاختلاف في الأقوال.

هذا الفرق بينهما:

- الأول: في تحليل الحرام وتحريم الحلال.
- الثاني: في موضوع التحاكم إلى غير شرع الله في باب المنازعات والخصومات.

قال رحمه الله: **"باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾"** الزعم بمعنى الكذب، يدعي أنه مؤمن وهو كاذب في دعوى إيمانه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من الكتاب والسنة، **﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** يعني مما أنزله الله من الكتب السابقة، بمعنى أنهم يؤمنون بالله وبكتبه وبرسله كما أمر الله ومع هذه الدعوى دعواهم الإيمان إلا أنهم **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾** ومعنى ذلك أنه لا يجتمع الإيمان الحقيقي الصحيح مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت، إذا فيه الإيمان الصحيح، فيكون التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإذا كان الإيمان مجرد دعوى، فإنه ينشأ عنه التحاكم إلى الطواغيت.

٣٨ – باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الطاغوت صيغة مبالغة من الطغيان وهو ما جاوز العبد حده، وفيه كلمة مشهورة لابن القيم رحمه الله: **"أن الطاغوت ما جاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع"** يعني في معصية الله جل وعلا، **"ورؤوسهم خمسة"** أول هذه الطواغيت **"إبليس لعنه الله ثم من عُبِدَ وهو راضٍ ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ومن حكم بغير ما أنزل الله ومن ادعى عِلم الغيب"** فهذه رؤوس الطواغيت، فالطواغيت جمع طاغوت، والطاغوت قلنا صيغة مبالغة من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يعني إلى الحكم بغير ما أنزل الله، عن طريق الكهنة، عن طريق السحرة، عن طريق شيوخ القبائل، عن طريق علماء السوء الذين يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله بسبب الرشوة أو بغير ذلك، المهم أنهم لا يريدون التحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ فأمروا بالكفر بالطاغوت، حتى جاء الكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] يعني يبدأ بالنفي أولًا ثم الإثبات وهكذا أيضًا في كلمة التوحيد أولها نفي **"لا إله"** مثل ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ أولها نفي الألوهية عما سوى الله جل وعلا، ثم يجيء الإثبات **"إلا الله"** ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ يكفروا بالطاغوت، إذًا من الكفر بالطاغوت ألا تتحاكم إلى الطاغوت.

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ هذا يفيدنا التحاكم إلى الطاغوت، التحاكم إلى غير ما شرع الله، إنما هو من تزيين إبليس ووسوسة إبليس للناس، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾ يعني عن الصراط المستقيم، عن الإيمان الصحيح، عن التوحيد.

﴿أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ليس ضلالا قريبا، بل ﴿يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ يرميهم أبعد ما يكون عن الحق؛ لأن الذي ضلاله قريب قد يعود للحق لكن الشيطان حريص على ماذا؟ حريص على أن يبعدهم جدًا ولهذا تجد الناس يختلفون:

- الواحد يقع في الخطأ **من باب الجهل**، يريد الخير لكنه جاهل هذا رجوعه للحق يكون ماذا في الغالب؟ يكون قريبًا إذا عُلِّم تعلّم ورجع للحق.
- لكن من الناس من ضلاله **عن هوى** وهذا الهوى قد يكون مستحكما جدًا، فلا يعود للحق.

هذا أخطأ وهذا أخطأ ولكن هذا يعود وذاك لا يعود، في الغالب تجد أن الذي عاد كان خطؤه قريبا كان سببه الجهل مع أنه يريد الخير، فلما تبين له الحق عُلِّم تعلّم لكن الذي **عن عناد**، الذي **عن إصرار واستكبار**، الذي **عن حسد** الذي عن **هوى مستحكم** هذا في الغالب أنه لا يعود إلا أن يشاء الله، فالشيطان يحرص على أن يضلهم الضلال البعيد جدا حتى لا يعودوا ولا يرجعوا إلى الحق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ يعني تعالوا تحاكموا، لا تتحاكموا إلى الطاغوت تحاكموا **﴿إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾** إلى كتاب الله جل وعلا وإلى الرسول ﷺ في حياته التحاكم إليه بشخصه وبعد موته يكون التحاكم إلى سنته ﷺ.

﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ المنافقون الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر؛ لأنهم في الباطن في حقيقة الأمر هم عباد الطواغيت، إما يهود، إما وثنيون، إما دهريون ولكن يتظاهرون بالإسلام.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يتظاهرون بالإسلام **﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾** إذًا هذا على أن التحاكم إلى غير ما أنزل الله هو من صفات من؟ من صفات المنافقين، ليس من صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم.

﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ يعرضون عنك إعراضًا.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني نزلت بهم عقوبة من العقوبات، فلما نزلت بهم ماذا فعلوا؟ قال **﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾** يعني لما مثلًا افتضح أمرهم، تبين شأنهم وقعوا في الحرج، فيريدون التخلص من العقوبة؛ لأنهم أصلًا ما أظهروا النفاق، ما أظهروا الإسلام إلا من أجل أن يعيش، التعايش في المجتمع المسلم، ما يريد أن يخسر حياته أو ماله أو ولده أو وطنه، فيتظاهر بالإسلام من أجل أن يعيش، فإذا

كُشف أمره يخاف، يخاف من العقوبة فيتملص، يتملص بماذا؟ بالمعاذير ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ يعني يقولون ما تحاكمنا إلى غير ما أنزل الله من باب مثلًا الكفر أو تكذيب ما أنزل الله أو تكذيب رسول الله ﷺ، لا! إنما نريد الإحسان، ونريد التوفيق يعني بين المتنازعين بين المتخاصمين وهذا كما يقال "**العذر أقبح من الذنب**"، يعني تطلب التوفيق وتطلب العدل وتطلب الرحمة وتطلب الإحسان في حكم الطاغوت؟! معناها أن الإحسان والرحمة والعدل لا توجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذًا هذا تملص واعتذار بالطعن في الكتاب وفي السنة، بهذا نعرف أن الذي يتحاكم إلى الطاغوت ويتعذر بالمعاذير أنه لا يُقبل عذره.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا﴾ يعني إلا الخير ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ يعني إلا التوفيق بين المتنازعين بين المتخاصمين، قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي من النفاق.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ هذا أمر من الله عز وجل يوجه به نبيه ﷺ كيف يتعامل مع هذا الصنف من الناس، أمره بنصحهم وبالبيان وبالتوضيح لهم ببطلان ما عملوا، ما قاموا به.

﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ في أنفسهم يعني قل لهم ما أطلعك الله عز وجل عليه أن في قلوبهم نفاق، يظهرون الإسلام ولكن يخفون في قلوبهم النفاق، يخفون في قلوبهم الكفر، أو ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني قل لهم، ناصحهم مناصحة سرية خاصة بينك وبينهم، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾.

ثم قال تعالى مبينًا حكمة إرسال الرسل فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الله عز وجل أنزل الكتب لماذا؟ للتسلية؟ أرسل الرسل لماذا؟ عبثًا؟ لا، أنزل الكتب ليُؤمن بها ويُعمل بما فيها وأرسل الرسل من أجل أن يُؤمن بهم وأن يُطاعوا ويُتَّبعوا فيما جاءوا به من الوحي، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فطاعتهم تحكيمهم.

٣٨ – باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني بالتحاكم إلى الطاغوت، ﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ يعني هذه الدعوة من الله عز وجل لمن وقع في هذا الجرم العظيم وهذا إثم كبير، الدعوة له بالمبادرة إلى التوبة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني بالتحاكم إلى غير ما أنزل الله ﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾، ﴿جَاءُوكَ﴾ يعني متى هذا؟ في حياته ﷺ؛ لأنه حي في ذاك الوقت، يسمع ويتكلم ﷺ وحاضر بين أيديهم، بإمكانه أن يدعو الله عز وجل لهم، وأن يسأل الله عز وجل لهم المغفرة والتجاوز والصفح عما فعلوا لكن بعد موته، لا، ولهذا ما نجد الصحابة يأتون إلى قبر النبي ﷺ ويطلبون منه أن يستغفر لهم الله ولا يطلبون منه أن يحكم بينهم في النزاعات والخصومات، وقعت اختلافات في أشياء، أول ما مات النبي ﷺ

- اختلفوا في موضوع البيعة في السقيفة، الأنصار قالوا "منا أمير" والمهاجرون قالوا "منا أمير ومن الأنصار أمير" صار خلاف، ناس قالوا "نبايع فلان" وناس كذا، لما وقعت هذه الإشكالية هل ذهبوا إلى النبي ﷺ وهو باقي لم يُدفن وقالوا يا رسول الله احكم بيننا؟ **لا**.
- هكذا وقعت خلافات مثلًا بين علي والعباس في أموال فَدَك وكذا ما تحاكموا إلى النبي ﷺ.
- قبل كذا اختلفوا في موضوع حروب الردة، في موضوع الردة، هل يقاتل مانع الزكاة ولا ما يقاتل، حصل خلاف بين الصحابة في هذا الموضوع، أبو بكر يقول يقاتلهم وكثير من الصحابة يقولون: لا، ما قالوا "نذهب إلى قبر الرسول ﷺ ونسأله حتى يعطينا الجواب"
- وهكذا مثل في أيام الجمل والصفين وغيرها من القضايا، فما رجعوا إليه في النزاعات والخصومات ولا وجهوا أحدًا من العصاة الذين وقعوا في المعاصي أو كذا وقالوا "اذهب إلى قبر الرسول واطلب منه أن يستغفر لك"، ما حصل هذا من الصحابة أبدًا.
- كذلك إذا نزل القحط والجدب أيام عام الرمادة وغيرها ما ذهبوا إلى قبر النبي ﷺ وقالوا "يا رسول الله استسقِ لنا، استسقِ لنا، كنا نستسقي بك في حياتك والآن نستسقي بك بعد موتك" ما حصل هذا الشيء أبدًا.

فإذًا المجيء إلى رسول الله ﷺ ليستغفر إنما كان هذا في حياته ﷺ، فلما مات ما بقي إلا استغفار المسلم لنفسه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ التواب كثير التوبة يتوب على من تاب.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ يعني أيها الرسول، **﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾** من النزاع والخلاف، **﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾** ما يكون في قلوبهم كُره لحكم الله وحكم رسوله ﷺ، بل يكون في قلوبهم محبة لحكم الله ولحكم رسوله ﷺ وطمأنينة به ورضًا به، ثم ثالثًا **﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** يعني انقادوا انقيادًا لحكم الله وحكم رسوله ﷺ.

إذًا في هذه الآيات الكريمة أنه **لا تصح دعوى الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت**، ولاحظ التعبير القرآني **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا﴾** ما قال "وما أنزل من قبلك يتحاكمون أو يتحاكم" بل جاء الذم والوعيد على مجرد **الإرادة** **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا﴾**، إذًا إذا نفذ هذه الإرادة وتحاكم صار الجرم أكبر.

وقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]

ثم قال رحمه الله **وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾** هذا في سياق الحديث عن مَن؟ عن **المنافقين** في أول سورة البقرة، تعلمون أن أول سورة البقرة تكلم الله عز وجل فيه عن ثلاثة أصناف:

١. بدأ بوصف **أهل الإيمان** في تقريبًا خمس آيات،

٢. ثم تكلم عن **كفار صرحاء** في آيتين،

٣. ثم باقي السياق في آيات كثيرة **عن المنافقين**.

٣٨ – باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

ومما ذكره الله عز وجل عنهم في هذا السياق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني بالتحاكم إلى الطاغوت وهذه من جملة إفسادهم أنهم كانوا يتحاكمون إلى الطاغوت، فإذا قيل لهم تحاكموا إلى الله وإلى رسوله ﷺ قالوا: "لا، نتحاكم إلى غيرهما"، فهذا من إفسادهم في الأرض، فالمقصود هنا ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني بالمعاصي، بمخالفة شرع الله، مخالفة أمر الله جل وعلا، هذا هو الإفساد، فالله سبحانه وتعالى قد أصلح الأرض بإرسال الرسل وإنزال الكتب وأصلحها بالتوحيد، فلا تفسدوها بالشرك بالنفاق بالمعاصي.

فالتحاكم إلى غير ما أنزل الله تحاكم إلى الظلم والعدوان وإلى الهوى، فبهذا يقع ويكثر في الأرض الظلم ويكثر العدوان ويكثر أكل الرشوة الذي تختل بها مصالح الناس وبالتالي يقع الفساد العظيم إذا وقع الظلم كثر الظلم وفشت الرّشَى اختلفت القلوب، تناكرت القلوب، حصلت القطيعة الشحناء التدابر وربما سُفكت الدماء وأُنتهكت الأعراض وحصل شر كبير من جراء ذلك.

وأيضًا هذه المعاصي تسبب العقوبات؛ القحط والجَدْب ينزل بسبب الذنوب والمعاصي، الفقر والجوع والحروب تقع بسبب المعاصي وهكذا، ما يقع في الأرض من فساد، من بلاء، من مصيبة إلا بذنوب العباد ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] فالفساد هنا ليس معناه المنكرات والمعاصي، بل الفساد هنا معناه المصائب والكوارث فقر زلازل جَدْب، حروب ونحو ذلك، ولهذا اليوم تلاحظ بعض البلاد؛ الله عز وجل معطيه خيرات كثيرة، كما يقال كنوزًا طبيعية أنهار جارية ومعادن وإلى آخره ولكن أهله يعيشون في فقر مدقع، ما بُورك في أنهارهم ولا في أشجارهم ولا في كنوز أراضيهم، ما بُورك لهم فيها، تجد تفتش، تفتش، تفتش عن الأسباب الشرعية الحقيقية تجد أن أهل هذا البلد يكثر فيهم:

- دعاء غير الله، وعبادة غير الله،
- التعلق بالأضرحة، التعلق بالأموات،
- التعلق بالأولياء، التعلق بالخلق

٣٨ – باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾
(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وهذه من أعظم المعاصي وهذه من أعظم صور التحاكم إلى غير ما أنزل الله والحكم بغير ما أنزل الله؛ لأن الحكم بما أنزل الله ليس معناه في المحاكم فقط، يعني بعض الناس يحصر الحكم بما أنزل في المحكمة، عنده الحكم بما أنزل في المحكمة، فيجعل نظام المحكمة نظامًا شرعيًا بحيث إذا جاء المتخاصمون يحكم بينهم بمقتضى قال الله وقال رسوله؛ إذا جاء سارق تُقطع يده، إذا جاء زانٍ مُحصَن يُرجم، إذا جاء زانٍ بِكر يُجلد يُغَرَّب، هذا عنده هو الحكم بما أنزل الله فقط، لكن في العقيدة ما يتحاكم بما أنزل الله ولهذا تجد هذا خرافيا وهذا كذا وهذا كذا أمر عادي لا يُنكر.

كيف تستنكر عدم قطع يد السارق أو جلد الزاني وتُقِرُّ وترضى، بل ربما تُدافِع عن عبادة القبور والأضرحة؟! هذا الموضوع ما أنزل الله فيه حكمًا؟ هذا الموضوع أنزل الله فيه حكمًا أو ما أنزل؟ – أنزل فيه حكمًا، بل ما أرسل الله الرسل إلا لأجل هذه القضية ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ماذا بعدها؟ ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] فهذا أعظم حكم لله جل وعلا وهو أن يُفرد الله بالعبادة ولا يُعبد غيره معه، فهذا أعظم حكم، فكيف يُغض الطرف عنه ويدافع عن أهله ويعتذر عن أهله وتُساق شُبَه بعد شبه لإقرار هذا الواقع والعياذ بالله ولكن تُباح حُلوقهم وتنتهي أحبارهم وهم يكررون ويدوِّنون ويعيدون في موضوع الخصومات والنزاعات في المحاكم، أنه لا بد أن يكون على مقتضى الشرع — هذا تناقض.

صحيح الحكم بالشرع في المحاكم هذا أمر مطلوب، وواجب شرعي وهو من جملة تحكيم ما أنزل الله، بل هو من مقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ لأن مقتضى هذه الشهادة ما هو؟ – مقتضى هذه الشهادة ألا يُعبد الله وألا يُعبد إلا بما شرعه رسول الله ﷺ، فهذا الأمر لا شك من المطلوب وواجب شرعي ولكن أيضًا أعظم منه أهم منه ما يتعلق بإفراد الله بالعبادة.

فإذًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني للمنافقين ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني لا تعصوا الله عز وجل ولا تتحاكموا إلى غير ما أنزل الله ولهذا ساق المؤلف هذه الآية في هذا الباب، يشير إلى أن من جملة إفساد المنافقين أنهم كانوا لا يتحاكمون إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ولا سيما لا يتحاكمون إلى ما أنزل الله وإلى الرسول إذا عرف أحد منهم أن الحق عليه لا يتحاكم إلى الكتاب والسنة، لكن إذا وافق أن الحكم له، ما عنده مشكلة يذهب إلى الرسول ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩]، فهم

إذا كان الحق لهم والمصلحة لهم تحاكموا إلى الكتاب والسنة لكن حينما يعرفون من أنفسهم أنهم الظالمون، أنهم المعتدون، أنهم الباغون يبحثون عن حاكم آخر والعياذ بالله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ انظر كيف تنتكس المفاهيم، تضطرب وتنقلب البصائر، فيرى نفسه وهو مفسد غاية الإفساد يرى نفسه مصلحًا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فكونك تظن نفسك على الخير هذا ما هو عذر؛ حتى اليهودي يرى نفسه أنه على الحق، النصراني يرى نفسه أنه على الحق، عابد القبور والأولياء يرى نفسه أنه على الحق، العبرة ليست بما ترى وتحسب نفسك عليه، إنما العبرة بما يوافق ما أنزل الله وجاء به الرسول ﷺ، هذا هو الميزان – ما وافق الكتاب والسنة فهو الحق وما خالف الكتاب والسنة فهو الباطل.

وهذا القول ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ مثل ما قالوا هناك ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ فالنفاق، الهوى، الجهل قد يعكس البصائر ويجعل الباطل لصاحبها في صورة الحق والعياذ بالله.

وانظر إلى الخوارج مثلًا، الخوارج ارتكبوا أبشع وأشنع الجرائم قتلوا عثمان، قتلوا علي رضي الله عنه، قتلوا عددا من الصحابة وهم يرون أنفسهم أنهم خلاصة المجاهدين في سبيل الله، ما يرون على وجه الأرض أحد خير منهم، السبب هو الهوى، السبب الجهل، السبب اتباع الشيطان فزيَّن لهم أنهم على الطريق الصحيح وأنهم خير الناس أو من خير الناس وهم في ميزان الشرع من شر الناس حتى قال النبي ﷺ فيهم "شر الخلق والخليقة" لكن هذا ميزان الشرع لكن في ميزان نفسه هو – أنه هو من خير الخلق ومن أفضل الخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ هذا نهي للأمة جميعًا.

٣٨ – باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ يعني لا تفسدوا فيها بالشرك، لا تفسدوا فيها بالنفاق، لا تفسدوا فيها بالمعاصي، هذا الذي يسبب الفساد العظيم في الأرض، هذا الذي ينتج عنه الفقر والخوف والقحط والجَدْب وغير ذلك من المصائب العظيمة.

- ولهذا إذا نظرنا في آخر الزمان، في آخر عمر الدنيا، هل يبقى أحد يقول لا إله إلا الله؟ **لا، ما يبقى أحد**، يُطبِق أهل الأرض على الكفر، فإذا وصل الناس إلى هذه الحالة تخرب الدنيا وينتهي نظام الدنيا وتقوم الساعة.
- ولهذا النبي ﷺ لما صلى بالناس الكسوف وهو فساد جزئي، فساد عارض في نظام الكون، لما انطمس نور الشمس بسبب الكسوف، فساد جزئي مؤقت، حذّر النبي ﷺ في خطبته بعد الصلاة حذّر من الزنى والفواحش، إشارة إلى أن كثرة المعاصي وكثرة الفواحش وكثرة الظلم وكثرة هذه الأمور يتسبب عنها وينتج عنها فساد في معايش الناس ومصالح الناس ودنيا الناس.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ هل من إفساد الأرض أن تحفر الآبار وتشق الجداول من الأنهار مثلًا أو تُكسَّر الجبال والبناء عليها؟ ما دام فيها مصلحة لا يعتبر ذلك من الإفساد.

هل قتل الطيور والحيوانات المأكولة من باب العبث من باب الإفساد؟ نعم، هذا من الإفساد، يشوف بعض الناس في مواسم الصيد يتفاخرون ويتباهون، تجد واحد يقتل ما يكفي لأربعين شخصا وهو واحد وإلا اثنين قتلوا مئات الطيور مثلًا، وبعد ذلك ثم ترمى، فقط من أجل أن يصور ويتباهى هذا من الإفساد في الأرض.

قال تعلى **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** يعني بإرسال الرسل بإنزال الكتب وإصلاحها بالتوحيد.

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ اعبدوا الله عز وجل خوفًا من عذابه ورغبة في ثوابه.

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فالذي يريد الفوز برحمة الله جل وعلا فليُحسن.

٣٨ – باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

لماذا ساق المؤلف رحمه الله هذه الآية في هذا الباب؟ – لأنه من جملة الفساد في الأرض التحاكم إلى غير ما أنزل الله، التحاكم إلى الطاغوت.

وقوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

وقوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ هذا استفهام إقرار أو إنكار؟ هذا استفهام إنكاري.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الجاهلية التي كانت قبل بعثة النبي ﷺ كانوا يتحاكمون إلى مَن؟ يتحاكمون إلى الطواغيت، يتحاكمون إلى الكهان، إلى السحرة، إلى شيوخ القبائل، إلى سُلوم وعادات متوارثة، يتحاكمون إليها، فالله عز وجل أنكر عليهم، أنزل لكم أحسن الكتب وخير الكتب وأرسل إليكم خير الرسل كيف تتركون كتاب الله وسنة رسوله وترجعون إلى حكم الجاهلية.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ يعني لا أحد أحسن حكمًا من الله؛ لأن فيه العدل كله وفيه الرحمة كلها وفيها تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة؛ لأن الخلق خَلْقُ الله والحكم حُكْمُ الله جل وعلا، هو سبحانه وتعالى أعلم بمصالح عباده، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ لقوم يعني عند "ومن أحسن من الله حكمًا عند قوم يوقنون" يعني أهل اليقين وأهل العلم والفهم والتدبر والعقل عن الله وعن رسوله ﷺ يوقنون أنه لا أحد أحسن حكمًا من الله جل وعلا.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فهذا فيه إنكار التحاكم إلى حكم الجاهلية وهو الحكم بحكم الطواغيت، الحكم بما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا كما قلنا ليس خاصًا في موضوع المحاكمات في المحاكم بسبب النزاع والخصومات أو بسبب الوقوع في بعض الجرائم، لا، هذا عام شامل:

- يشمل ما يتعلق بالجرائم،
- يشمل ما يتعلق بالنزاع والخصومات في مثل أمر الأموال والأراضي ونحوها،

- وكذلك أيضًا يشمل ما يتعلق بالعقائد، فيجب أن تكون العقائد كلها متوافقة مع ما أنزل الله،
- كذلك أيضًا في المذاهب الفقهية يجب أن يُقبل من الأقوال ما يوافق الكتاب والسنة ويُرد ما خالف الكتاب والسنة كما سبق الكلام عليه في الباب السابق،
- هكذا فيما يتعلق في باب الدعوة إلى الله جل وعلا الجماعات والمناهج وهذه الأشياء، يجب أيضًا أن يكون منهجها في الدعوة إلى الله متوافقًا مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الآن تجد الذين يرفعون شعار الحاكمية والحكم بما أنزل الله ونحو ذلك تجدهم من أول الناس مخالفة لحكم بما أنزل الله، أعظم حكم أنزله الله عز وجل لا يلتفتون إليه وهو **التوحيد،** كيف تصح الليل والنهار وتجمع الناس وحشود ومظاهرات، "الحكم بغير ما أنزل الله، الحكم بما أنزل الله" وأنت تصلي في مسجد في قبر يُعبد من دون الله ولا تنكره، بل بالعكس ربما تُشارك في هذه العبادة أصلًا أو تُزينها، إما عن قناعة او مُداهنة، فهذه من أعظم المخالفات لما تدعو إليه، **فأصلح نفسك أولًا!** وحكِّم أنت في عقيدتك، في مذهبك، في منهج جماعتك حكِّم فيها ما أنزل الله جل وعلا، فهناك صوارف تصرف الإنسان عن التحاكم الصحيح لما أنزل الله من **الهوى والتعصب والجهل** وغير ذلك.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به .قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

ثم قال رحمه الله **"وعن عبد الله بن عمرو"** يعني العاص، **"أن رسول الله ﷺ قال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ، قال النووي"** يعني في الأربعين النووية، **"حديث صحيح رُوينا في كتاب الحجة بإسناد صحيح"** إسناده فيه كلام، فيه نعيم بن حماد ولكن من جهة المعنى المعنى صحيح.

"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ" يعني الإيمان الكامل كمالًا واجبًا.

"**حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**" لأن الذي يكون هواه مع الكتاب والسنة فيما فيه المصلحة له وهواه ضد الكتاب والسنة فيما كانت المصلحة ضده هذا من صفات أهل الإيمان أو أهل النفاق؟ صفات أهل النفاق، أما المؤمنون فكما قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين، ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ -لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة-، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة، فيتحاكما إليه، فنزلت: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ [النساء:٦٠] الآية".

ثم قال رحمه الله "**وقال الشعبي**" يعني عامر بن شراحيل أحد كبار وسادات التابعين، عامر بن شراحيل الشعبي متوفى بعد سنة مئة وكانت له حلقة في زمن الصحابة وكان من أعلم الناس بالسير والمغازي حتى ذُكر في ترجمته أنه كان يومًا يحدث ببعض مغازي النبي ﷺ وكان في هذا المجلس بعض الصحابة فقال: "**شهدتها؟**" قال: "**لا**" طبعًا السائل يعرف أنه ما شهدها، فقال "**أنا شهدتها مع رسول الله وأنت أحفظ لها مني**".

"**وقال الشعبي: "كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ**" طبعًا المنافق هذا يظهر الإسلام يعني في الظاهر مسلم.

"**كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة**" نزاع على الأرض، على المزرعة، على المسْقَى، الله أعلم بالخصومة.

"**فقال اليهودي: "نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة**" يعني اليهودي الآن طلب التحاكم إلى الرسول؛ لأنه يعرف أن الحق معه هو ولهذا طلب أن يتحاكم إلى الرسول؛ "**لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة**" والرشوة بالفتح أو بالكسر كلها صحيحة وهي المال الذي يُدفع للقاضي من أجل أن يحكم القاضي له.

"لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ" يعني لا شُف لنا قاضيا من قضاة اليهود، الشيخ من شيوخ اليهود نتحاكم عنده؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فلما كأنهم ما اتفقوا على هذين الاقتراحين:

- المنافق رفض أن يتحاكم إلى محمد ﷺ
- واليهودي رفض أن يتحاكم إلى اليهود،

وصلوا إلى حل آخر وهو أن يتحاكموا إلى رجل من جهينة قال: **"فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا مِنْ جُهَيْنَةَ"** كاهن من الكهان الذين يستعينون بالجن والشياطين ويدعون علم المغَيَّبات، **"فيتحاكما إليه فنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾** [النساء: ٦٠]"، هذه الرواية الأولى في سبب نزول هذه الآية، أنها في شأن تحاكم يهودي ومنافق إلى كاهن من الكهان يحكم بحكم الجاهلية والرفض والإباء للتحاكم إلى رسول الله ﷺ.

وقيل: "نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر؛ فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟! قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله".

"وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ" مثل ما قال اليهود "نتحاكم إلى محمد ﷺ".

"وقال الآخر: بَلْ نَتَحَاكَمُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ" وهو سيد من سادات اليهود وهو في الأصل عربي ولكن أمه من اليهود، فنشأ فيهم عند أخواله وتهوَّد على دين أخواله وكان عظيمًا وشديد العداوة للرسول ﷺ وكان رجلًا سيدًا في قومه جميل الصورة جدًا، من أعقل العرب وأحرصهم وأعناهم بطيب الرائحة وشاعر لكن استغل هذه الإمكانات في الباطل، فكان يؤذي رسول الله ﷺ بشعره ويحرض العرب على الرسول ﷺ بشعره

فأرسل إليه النبي ﷺ محمد بن مَسلمة وجماعة، فقتلوه بعد ما نقض العهد وحارب الله ورسوله وآذى المؤمنين أذى عظيمًا.

"وقال الآخر إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر أحدهما القصة" واحد قال "أنه ترى اقترح علي أن نروح إلى الرسول ﷺ وأنا قلت له نتحاكم إلى كعب، هو رفض وأنا رفضت فجئنا إليك".

"فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟!" فسأل الآخر قال له كما يقول "فعلاً عرض عليك التحاكم إلى الرسول ﷺ وأبيت وجئت تتحاكم إلى عمر؟ **"فقال: نَعَمْ"** رفضت أني أتحاكم إلى محمد ﷺ وجئت أتحاكم إليك قال: **"فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَقَتَلَهُ"** والخبر أخرجه الطبري في تفسيره.

فالمقصود أن عمر قتله لماذا قتله؟

- لأن هذا دلالة وعلامة على نفاقه على أنه منافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فإذا كان ظاهره الإسلام ثم ارتكب ناقضًا، فيُعامل بما ظهر منه
- وقد يكون عمر فعل هذا عن أمر من النبي ﷺ
- أو عن اجتهاد منه لكنه أقره النبي ﷺ

وإلا نحن الآن كقاعدة نقول: ما يُقيم الحدود إلا من؟ إلا ولي الأمر أو من فوَّضه ولي الأمر في إقامة الحدود، فما يُستغل مثل هذا الخبر ويُقال أن كل من تَبَيَّنَتْ لي رِدَّتُهُ أو لآحاد الناس ردته أنه يُقتل، لا، ما تكون أمور الناس هكذا فوضى، ما تقيس نفسك على عمر رضي الله عنه وأرضاه، فالشريعة دلت على أن الحدود إلى **السلطان** إلى ولاة الأمور.

فهذه الآيات وما جاء في سبب نزولها كلها أدلة واضحة على **وجوب التحاكم إلى ما أنزل الله وعلى حرمة التحاكم إلى الطواغيت أو التحاكم إلى غير ما أنزل الله.**

الحكم بغير ما أنزل الله هل هو كفر أكبر يناقض أصل التوحيد أو كفر أصغر أو معصية أو ماذا؟ – **على التفصيل السابق الذي ذُكر ونُقل لكم في الباب السابق:**

- وإن كان عن **استحلال الحكم بغير ما أنزل الله**، فهذا يكون ها **كفر أكبر**.
- إذا كان من باب **تفضيل حكم غير الله على حكم الله**، فهذا أيضًا **كفر أكبر**.
- إذا كان ناتج عن **تسوية بين حكم الله وحكم غيره**، فهذا أيضًا **كفر أكبر**.
- أما إذا كان ناتجا وناشئا عن **طمع دنيوي** مع قناعة القلب وطمأنينة القلب بوجوب الحكم بما أنزل الله وأن الحكم بغير ما أنزل الله معصية ولأنه مخالفة لأمر الله لأمر رسوله ﷺ ولكن بدافع الهوى ودافع الرغبة عن مصلحة دنيوية، فهذا يكون من باب **كفر دون كفر**، مثل الزاني حينما يزني وهو يعلم أن عمله هذا غلط ولكن اتباع للهوى، مثل شارب الخمر حينما يشرب الخمر هو يعلم أنه مُذنب وأنه مُجرم ولكن اتباع للهوى هذا كله في **دائرة المعاصي** وليس بدائرة الكفر لكن لو استحل الزنا كفر لو كان أعف الناس عن الزنا، لو استحل شرب الخمر ولو كان من أبعد الناس عن شرب الخمر أيضًا يكفر، فيه فرق بين **استحلال القلبي** وبين **فعل المعصية** مع طمأنينة القلب بالإيمان وقناعة صاحب المعصية بأنه متلبس بمعصية الله جل وعلا.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٣٩ - باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د، علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٣٩ – باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام **محمد ابن عبد الوهاب** رحمه الله تعالى: **"باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات"** هذا الباب يتعلق بـ **توحيد الأسماء والصفات**، ونحن نعرف أن الموضوع الأصلي لهذا الكتاب هو **توحيد الألوهية**.

فما علاقة هذا الباب بهذا الكتاب؟ – توحيد الأسماء والصفات يدخل في **توحيد المعرفة والإثبات** يعني توحيد الربوبية والأسماء والصفات هذه تسمى بـ **توحيد المعرفة والإثبات**، فتعرف ربك جل وعلا بأسمائه وبصفاته، ومن هذه المعرفة بالله جل وعلا بأسمائه سبحانه وبصفاته العلا، تفرده جل وعلا بالعبادة، فإثبات الأسماء والصفات دليل على **توحيد الألوهية**، فإذا عرفت وأيقنت أن ربك سبحانه وتعالى هو الخالق، هو الرازق، هو المحيي، هو المميت، هو المدبر، هو المتصرف، هو الذي بيده الأمر، بيده الضر والنفع، إذن يلزم من ذلك أن تفرده بالعبادة جل وعلا، فلا تصرف شيئاً منها لغيره.

كذلك أيضاً أورد هذا الباب في هذا الكتاب؛ لأن **إنكار وجحد وتكذيب اسم من أسماء الله كفر مُخرِج من الملة**، فينقض أصل التوحيد.

والله عز وجل أمر عباده أن يتفكروا ويتدبروا في آياته وفي كتابه وفي أسمائه وصفاته، قال الله جل وعلا: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ **لماذا؟** قال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] فبين أن من حكمة خلقنا وخلق السماوات والأرض وإنزال هذه الآيات، المقصود منها:

- أن نتعرف على الله جل وعلا،
- وأن نعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **هذه صفة القدرة**
- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ **صفة العلم**.

٣٩ – باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يتأمل هذه الأسماء وهذه الصفات، وأن يؤمن بها إيماناً موافقاً لمقتضى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولمقتضى عقيدة السلف الصالح.

منهج السلف في هذا الباب يتلخص في أنهم:

- **يثبتون** لله عز وجل ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات،
- **ويثبتون** لله ما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات،
- **يؤمنون** بها دون تكييف، دون تمثيل، دون تعطيل، دون تأويل، دون تحريف.

فإذا سمعوا أن الله عز وجل **سميع** أثبتوا لله السمع، وأنه سبحانه وتعالى يسمع الأصوات، وإذا قرؤوا قول الله عز وجل "إن الله **بصير**" آمنوا بصفة البصر، وأن الله عز وجل يرى كل شيء سبحانه وتعالى، إذا سمعوا قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] آمنوا بصفة **الاستواء** ولكنهم في ذلك كله لا يمثلون الله بشيء من خلقه، **لماذا؟** لأن الله قد قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فليس كذاته ذات، وليس كصفاته صفات، بهذه القاعدة يتعاملون مع كل نصوص صفات الله جل وعلا، يؤمنون بها على حقيقتها التي دلت عليها الحقيقة اللغوية مع عدم تكييف الله عز وجل أو تكييف تلك الصفات.

فالاستواء معروف من حيث اللغة، **السمع والبصر** معلوم من حيث اللغة، **العلو** معلوم من حيث اللغة، **النزول والمجيء** معلوم من حيث اللغة، لكن **كيف استوى؟ كيف ينزل؟ كيف يده؟ كيف وجهه؟** هذه لا نخوض فيها؛ لأن الله عز وجل لم يخبرنا به، أخبرنا أنه استوى على العرش، أخبرنا أن له وجهاً سبحانه وتعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، لكن الكيفية لا نخوض فيها، فنثبتها؛ لأن الله أثبتها لنفسه، ولا نخوض في الكيف؛ لأن الله عز وجل لم يخبرنا بالكيف.

ومثل ما قال مالك بن أنس رحمه الله لما سئل عن الاستواء: **"كيف استوى؟"** السؤال كان عن الكيف، بماذا أجاب مالك؟ أجاب بالجواب المعروف الذي صار قاعدة عند العلماء: **"الاستواء معلوم"** يعني من جهة المعنى **"والكيف مجهول، والإيمان به"** يعني بالاستواء **"واجب، والسؤال عنه"** يعني عن الكيف **"والسؤال عنه بدعة"**.

٣٩ – باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وكلما عظم علم العبد بأسماء الله عز وجل وصفاته، كلما كان أكمل بعبوديته؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، كل مؤمن له نصيب من الخشية، كل له حظ من الخشية، لكن أكملهم خشية من؟ **العلماء**، وفي مقدماتهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فلكونهم أكمل الناس علماً بالله جل وعلا كانوا أعظمهم خشية له، ثم ورثة الأنبياء، كل له نصيب من الخشية بقدر ما عنده من العلم بالله جل وعلا و بأسمائه وبصفاته.

فالواجب في هذا الباب أن يُدرَس ويُتعلَّم وأن يُنشَر في الناس وأن يُعلَّم الناس مبحث الأسماء والصفات، لكن على مقتضى عقيدة السلف الصالح؛ لأن هذا الباب دخله ضلال وانحراف كبير جداً من وقت مبكر، **فالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية** وغيرهم ضلوا وانحرفوا في هذا الباب.

وهدى الله أهل السنة والجماعة للحق، **لماذا؟** لأنهم استمسكوا بالكتاب وبالسنة وبما كان عليه سلف هذه الأمة، الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسمعون النبي ﷺ وهو يتلو عليهم آيات القرآن الكريم في الصلاة وفي خارج الصلاة، ويسمعونه ويحدثهم عن الله جل وعلا، فتمر عليهم عشرات من أسمائه وصفاته، هل نجد لهم سؤالاً واحداً يقولون فيه: "يا رسول الله كيف وجهه؟ كيف يده؟ كيف ينزل؟" أبداً، فعدم سؤالهم عن الكيفية دليل واضح على أنهم فهموا من هذه الصفة ما يدل عليه المعنى اللغوي، وأن تلك الصفة في حق الله عز وجل تليق بجلاله وكماله.

نجد لهم أسئلة كثيرة في الأحكام الفقهية والحلال والحرام وغير ذلك، لكن ما نجد لهم أي سؤال فيما يتعلق بكيفية الأسماء والصفات، أو أن أحداً كان يستشكل "كيف الله يفعل كذا؟ وكيف الله وصف نفسه بكذا؟ أبداً، ما كان عندهم فيه أي مشكلة ولله الحمد، وهكذا يجب أن يكون حالنا، ألا نستشكل شيئاً مما ثبت لله من اسم أو صفة، نفهم المعنى اللغوي ونثبت ذلك لله جل وعلا ونَكِلُ الكيف إلى الله، مثل ما نؤمن بوجود الله عز وجل وبذاته وأن ذاته لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات، فليس لمن وفقه الله وألهمه وهداه إلى سبيل أهل السنة والجماعة، لا يكون عنده أي مشكلة في شيء ثابت في هذا الباب.

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **"باب من جحد"** يعني **كذَّب** وأنكر ونفى.

٣٩ – باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"من جحد شيئاً من الأسماء والصفات" يعني الواردة في كتاب الله جل وعلا أو الواردة فيما ثبت عن رسول الله ﷺ.

ولماذا نقيد بأن الأسماء التي في الكتاب والأسماء التي وردت في السنة وثبتت؟ **لماذا؟** لأن هذا الأمر ما فيه مجال للاجتهاد، ما نجتهد ونخترع لله أسماء أو نخترع له صفات، كما يقول الإمام أحمد رحمه الله: **"لا يُتجاوز القرآن والحديث"**، فما نخترع لله أسماء من عند أنفسنا ولا نخترع لله صفات من عند أنفسنا، إنما هذا **توقيف**، ما سمى الله به نفسه سميناه به جل وعلا، ما سماه به رسوله ﷺ سميناه به، ما وصف الله به نفسه وصفناه به، وما وصفه به رسوله ﷺ وصفناه به، ثم نسكت، لا نزيد على ذلك شيئاً.

"من جحد" يعني نفى وكذَّب، فهذا **كافر**، **لماذا كافر؟** لأنه مكذب لله، الله عز وجل سمى نفسه **الرحمن**، لما يأتي شخص يقول: "لا، الله عز وجل ليس من أسمائه الرحمن"، يكون بذلك **كافراً**؛ لأنه مكذب لله، وهكذا إن أنكر أو كذب أن يكون الله **بصيراً** أو **سميعاً** ونحو ذلك ممن سمى الله به نفسه ووصف به نفسه، فمن كذب بذلك ونفى ذلك وأنكر ذلك فإنه يكون كافراً لكونه مكذباً لله ولرسوله ﷺ، ومن كذب الله وكذب رسوله فهو كافر.

أما **من تأوَّل**، ما كذب ولا نفى، لكنه **تأوَّل** الصفة، فهذا التأويل يختلف:

١. **إن كان له وجه من حيث اللغة**، فهذه الشبهة تمنع من تكفيره، لكن نقول انحرف وضل سواء السبيل في هذا الباب، مثل من تأوَّل **اليد** بالنعمة، قال إن معنى ﴿بِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] يعني بنعمتي ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] بل نعمتاه أو أوّل اليد بالقدرة: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يعني بقدرتي، فإذا أوَّل تأويلاً له مساغ من حيث اللغة، فهذه الشبهة تمنع من تكفيره، لكن ما نقول أنه مهتد وأن كلامه صواب، لا، الأصل في هذا الباب الإجراء على المعنى اللغوي الصحيح، فما دام أنه ما في دليل يقتضي هذا التأويل، فالأصل بقاء اللفظ على ظاهره، ما يصلح التأويل إلا إذا كان له وجه من جهة اللغة ودل دليل على أن المقصود ذلك المعنى الثاني، وهذا غير متحقق في نصوص الصفات.

يقولون القرينة خشية التشبيه، لا، لا يوجد تشبيه، القرينة خشية التمثيل، لا، لا يوجد تمثيل، الله عز وجل قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وفي الوقت نفسه قال بعده مباشرة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]،

فنفى المماثلة وأثبت لنفسه السمع والبصر، ونحن ندري أن السمع والبصر صفة لا يكاد يخلو منها كائن حي، من إنسان، من حيوان، من طير، من حشرة، ما يكاد شيء من هذه المخلوقات الحية إلا وله سمع أو بصر، ومع ذلك الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إذاً نحن في المخلوق، أسماعنا وأبصارنا تختلف، حتى في الناس أنفسهم، ذاك بصره قوي وذاك بصره ضعيف، وذاك يرى في وقت دون وقت ويرى خط دون خط، والمخلوقات فيما بينها تتفاوت وتختلف، النملة لها بصر وصقر له بصر وكذا له بصر وذاك له بصر، ولكنها ليست على حد سواء، فإذا وُجد الاشتراك مع الاختلاف في المخلوقين – يعني اشتراك من حيث أصل هذه الصفة: السمع والبصر ومع وجود الاختلاف وعدم المماثلة، فما الظن في الفرق الذي بين الخالق والمخلوق.

فهم يقولون شبهة: أنه إذا قلنا "إن لله عز وجل سمعاً وبصراً، شبهناه بالمخلوق"، ففراراً من هذا المحذور، نؤوِّل هذه الصفات، وهذا ليس بدليل صحيح ولا بقرينة معتبرة ولا بعذر، فليس من لوازم إثبات الصفة إثبات المماثلة والكيفية، مثل هذا الشخص الذي يقول: "لو قلت إن لله يداً شبهت الله بخلقه"، **هل تؤمن أن الله الموجود أو غير موجود؟** قال: أكيد، الله موجود غير معدوم، **وأنت موجود ولا معدوم؟** قال: أنا موجود، هذا أتكلم أمامك بكلام، إذا أنت الآن شبهت الله بالمخلوق، قلت إن الله موجود وأنت مخلوق موجود، قال: لا، وجود الله غير، إذاً نفس الشيء، إذا أثبت لله وجوداً غير وجود المخلوق، وأثبت لله ذاتاً غير ذات المخلوق، إذن فأثبت له صفة غير صفة المخلوق، لله ذات تليق بجلاله، ولك ذات تليق بضعف قوتك ونقصك، وليس في المسألة إشكال ولله الحمد.

٢. **وهنا التأويل الذي هو من باب العبث واللعب**، يسمونه تأويلاً، يعني ليس له مسوغ أبدا من جهة اللغة، مثل ما يتلاعب كثير من الرافضة بآيات الكتاب الكريم، يأتون عند مثل قول الله عز وجل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩] يقولون: البحرين هنا هما علي وفاطمة، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] قال: الحسن والحسين، فهذا لعب ما يسمى تأويلاً.

فالمقصود أن المراتب تختلف: من كذَّب ونفى الاسم الثابت لله عز وجل في كتابه الكريم أو في السنة النبوية الصحيحة وهو يعلم ذلك فهو **كافر**؛ لأنه مكذب لله ولرسوله، وأما من أثبت الصفة وأثبت الاسم لكن

تأوَّل، فهنا يُنظر: إن كان التأويل له مساغ من حيث اللغة، فهذا التأويل شبهة تمنع من تكفيره، أما إذا كان هذا التأويل من باب التلاعب والعبث، فمثله مثل الإنكار والتكذيب الصريح.

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد:٣٠]، الآية.

قال رحمه الله: **وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾** يقول الله تعالى: **﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾** [الرعد: ٣٠].

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ يعني قريش أو بعض قريش، **﴿يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾** هل المقصود أنهم يكفرون بوجود الله أصلاً؟ لا، فهم يؤمنون بوجود الله، بل يؤمنون بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فهم يؤمنون بأن الله موجود وأن الله الخالق إلى غير ذلك، ولكنهم كذّبوا هنا هذا الاسم، **أنكروا أن يكون من أسماء الله "الرحمن"** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] لا نعرف الرحمن.

وقد صرَّح بهذا سهيل بن عمرو في **صلح الحديبية**، عندما جاء سهيل يفاوض النبي ﷺ قبل إسلامه رضي الله عنه، جاء مندوباً عن قريش في صلح الحديبية، حينما منعوا النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة للعمرة، فاتفقوا على شروط معروفة، وفي بعض هذه الشروط هضم للمسلمين، فلما ولكن الرسول قبل بها مراعاة لصالح كبرى، فلما جاء يكتب الصلح، وكان الكاتب هو علي رضي الله عنه، فكتب علي بأمر الرسول ﷺ: **"بسم الله الرحمن الرحيم"**، وهذا هو المشروع في الكتابة أن تفتتح الكتب بالبسملة.

فقال **سهيل**: "اكتب الذي نعرف، نعرف **باسمك اللهم**، أما **الرحمن الرحيم** لا نعرفه، ما نعرف إلا **بسم الله الرحمن الرحيم**"، فأمر الرسول ﷺ علياً أن يمحو "بسم الله الرحمن الرحيم" وأن يكتب "باسمك اللهم"، حرصاً من النبي ﷺ على إبرام الصلح، فسهيل هنا أنكر أن يعرف لله اسم **الرحمن**، فهذا من أمثلة وشواهد كفرهم بهذا الاسم مع إيمانهم بالله عز وجل، وإن كان طبعاً إيماناً غير نافع، ولهذا قال: "اكتب باسمك اللهم"، فهم هنا **كفروا بالاسم دون المُسَمَّى**، وبذلك كانوا كفاراً، فلو قال واحد: "أنا أومن بالله جل وعلا لكني

أنكر أن يكون الله عز وجل مثلاً من أسمائه السميع أو البصير"، ينفع هذا؟ لا، ما ينفع، يكون **كافراً**؛ لأنه مكذب باسم سمى الله عز وجل به نفسه.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ فرد الله عز وجل عليهم وأمر نبيه ﷺ أن يعلن عن عقيدته: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ يعني **الرحمن**، فـ **ربي** من أسمائه **الرحمن** ومن أسمائه **الرحيم** جل وعلا، فهذا رد عليهم وإعلان بالرد عليهم ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود حق إلا هو.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ يعني عليه أفوّض أموري، ومعنى التقديم والتأخير هنا ما قال "**توكلت عليه**"، بل قال "**عليه توكلت**" لإفادة **الحصر**، يعني **لا أتوكل إلا عليه**.

﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ يعني **توبتي ورجوعي إليه** سبحانه وتعالى، فالتوبة عبادة لا تكون إلا لله.

ومعنى التوبة معروف:

١. أن **تُقلِع** عن الذنب،

٢. أن **تندم** على فعلك له،

٣. أن **تعزم** على عدم العودة إليه،

٤. وإذا كان الذنب يتعلق **بحقوق الآدميين**، فحتى تصح هذه التوبة لا بد من رد هذا الحق إلى ذلك الآدمي أو طلب التحلل منه، ولو ظلمت **كافراً**، فعليك أن تتحلل منه؛ أخذت منه مالاً بغير وجه حق ترد هذا المال إليه، إن مات أو ما تدري أين ذهب، تعرف ورثته، أهله، تعطيهم إياه، إن ما تعرف له خبراً ولا أثراً، تقول اللجنة الدائمة: **تتصدق بهذا المال على نيته وإن كان كافراً**، فالله عز وجل يتولى جزاءه ويتولى تخليصك من تبعة هذا الظلم.

وبعض الطرق الصوفية تجبر أتباعها على أن تكون التوبة عن طريق شيخ الطريقة، حتى تتوب تذهب إلى شيخ الطريقة وتدفع له قسطاً من المال، تدفع له شيئاً من الدنيا وهو يمحو ذنبك، هذا ليس صحيحاً، **التوبة**

إلى الله جل وعلا، التوبة عبادة ما تكون إلا لله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

أما هذه الطرق فهي تأكل أموال الناس بالباطل، تفسد عقائدهم وتأكل أموالهم، الله عز وجل أكرمنا، ما جعل بيننا وبينه واسطة، يداه مبسوطتان، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ينادي: **"هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه"**، ما بيننا وبين الله وسائط في العبادات بكل أنواعها، لا دعاء ولا استغاثة ولا توبة ولا إنابة، فعلى المسلم أن يحذر من هذه الطرق المنحرفة عن سواء الصراط.

وفي صحيح البخاري قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب اللهُ، ورسولهُ؟"

ثم قال رحمه الله: "**وفي صحيح البخاري**" الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله، "**قال علي رضي الله عنه**" الصحابي الخليفة الراشد، "**حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟**" هذا استفهام إنكار.

"**حدثوا الناس بما يعرفون**" بمعنى **بما يمكنهم معرفته وفهمه**، ليس المقصود لا تحدث الناس إلا بشيء يعلمه الناس، أنت تعلم الناس العلم الذي يعلمونه سابقاً من باب التذكير به، وتعلمهم ما يجهلون حتى يتعلموا، لو أتيت إلى البادية الناس لا يعرفون كيفية الوضوء، هل نقول لا تعلمهم الوضوء؟ لأن عليا يقول: "**حدثوا الناس بما يعرفون**" وأن هؤلاء لا يعرفون الوضوء فلا تعلمهم؟ لا، ليس هذا القصد أنك لا تعلم الناس ما يجهلون، بل الذي يجهلونه هم في أحج حاجة إليه من تذكير بما يعلمون ولكن القصد هنا "**بما يعرفون**" يعني بما يمكنهم فهمه واستيعابه.

"**أتريدون**" وفي لفظ البخاري "**أتحبون**" فهذا بالمعنى، إلا إن كان توجد النسخة جاءت بهذا اللفظ، والله أعلم، لكن الذي في المطبوب "**أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟**" بمعنى أنك حينما تحدث عن الله أو عن رسوله ﷺ بشيء لا تبلغه عقول هؤلاء القوم، فإنهم سيكذبونك فيما تنسبه أنت إلى الله أو تنسبه أنت إلى رسول الله ﷺ، فإنهم يكذبونك أنت، ما يكذبون الله ولا يكذبون الرسول، لكن يكذبون نسبتك هذا النص

إلى الله أو إلى رسوله ﷺ وإذا كذبوا نسبتك إلى الله ما تكلمت به وهو فعلاً ثابت عن الله، ثابت عن رسول الله ﷺ، يكون هذا في الحقيقة تكذيباً لله ولرسوله.

البخاري رحمه الله ترجم لهذا الأثر عن علي بقوله: **"باب مَن خص بالعلم قوماً دون قوم"** لعل التكملة **"مخافة ألا يفهموا عنه"** أو كلمة نحوها، فإذن ما كل العلم وإن كان نافعاً لنفسه مفيداً في نفسه يكون نافعاً لكل أحد، مثل الطعام الجيد مثلاً العسل أليس شراب مبارك وطيب وفيه منافع وفيه شفاء للناس؟ فيه ناس قد يضره شرب العسل، لو شرب العسل ربما هلك ومات، فإذن العلم كذلك؛ فيه نافع ومفيد في نفسه لكن بعض الناس لا يصلح أن تعطيه هذه المعلومة.

والبخاري رحمه الله لما عقد هذا الباب أخرج هذا معاذ بن جبل **"أتدري ما حق العباد على الله، وما حق الله على العباد"** ماذا قال معاذ في آخر الحديث **"ألا أبشر الناس؟"** ماذا قال له الرسول **"لا تبشرهم فيتكلوا"** لأن بعض الناس قد يفهم من كلمة أن الله **"لا يعذب من مات لا يشرك به شيئا"** أن معناه يكفي أن تقول لا إله إلا الله، وبالتالي تترك الواجبات وتفعل المحرمات ولا حرج عليك.

والمؤلف ذكر هذا الأثر هنا في باب الأسماء والصفات، هل قصده من ذلك أن الأسماء والصفات هذا المبحث ما يُنشر على الناس ولا تُقرأ على الناس نصوص الأسماء والصفات؟ هل هذا قصده؟ **"حدثوا الناس بما يعرفون"** كما قلنا بما يمكنهم فهمه واستعابه **"أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟"**هل معنى إدخال هذا الأثر في هذا الباب أن نسكت؟ إذا جئنا إلى آية ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ما نقرأها؟ لا نقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] – لا، ليس هذا القصد، ولهذا هو المؤلف رحمه الله ألَّف هذا الكتاب لعامة الناس كما هو أيضاً لخاصتهم "كتاب التوحيد"، وهل يوجد أحاديث في الأسماء والصفات أو لا يوجد؟ وفيه آيات في الأسماء والصفات أو لا؟ ملآن، فليس هذا القصد، إنما القصد أنه الداعي إلى الله، المعلم، الخطيب، الواعظ، يجب أن يتوخى الحكمة في عرض مسائل العلم، من ذلك مثلاً أن يحدِّث الناس باللغة التي يفهمونها ويدركونها، ما هو تأتي عند ناس عوام وتكلمهم باللغة العربية الفصحى بمفردات غريبة وعجيبة ما يدرون ماذا تقول، لا ما يصلح، فمن الحكمة أن تتنزل معهم في الأسلوب، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن

رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، فإذا كانوا ما يفهمون منك بهذا الأسلوب إذن تنزل بالأسلوب حتى تخاطبهم بأسلوب يدركون ويفهمون.

أيضاً إذا كانت المعلومة تحتاج إلى المقدمات لا تعطهم المعلومات مباشرة، ما يستوعبونها، قد يكذبونك لكن مهّد لهم بالممهدات، ففيه معلومة عادية ممكن تعطي المعلومة مباشرة بدون سابق المقدمات، وفيه معلومات تحتاج إلى التمهيد، يعني مثلاً الآن لو جئنا للناس وقلنا لهم: "والله إن التوبة واجبة، الذي يذنب يجب أن يتوب"، هل هذه تحتاج للتمهيد وترويج النفوس؟ الآن لو أمامي الآن ألف شخص من عامة المسلمين ما هم من خاصتهم من طلاب العلم وألقيت عليهم كلمة بعد الصلاة قلت: "يا إخوان الذي سرق، الذي زنا، الذي شرب الخمر، الذي سب، الذي كذا وقع في الذنوب فعليه أن يتوب إلى الله لأن الله يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]"، ماذا ستكون ردة الفعل عند الناس؟ عادي، يتقبلون هذا الكلام بدون أي مشكلة.

لو جاء الشخص مثلاً يريد أن يحذر من واحد من أهل البدع الذين لهم جمهور ومكانة عند الناس، مباشرة يقول: "إن فلان وفلان قال كذا وهذه بدعة، وقال كذا وكذا وهذا انحراف في العقيدة، وقال كذا وكذا"، سيكون عند الناس في الغالب العنف والاستنكار إلى آخره، مباشرة يُفسَّر هذا من باب الغيبة المذمومة، بغض النظر عن التعصب لكن قد يرون هذا من باب الغيبة والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، فإنك تحتاج هنا إلى تمهيد تبين لهم أن الغيبة محرمة صحيح ولكن الشرع استثنى منها التحذير من أهل البدع، فتحتاج إلى مثل هذه المقدمة، تبين لهم أسساً ومقدمات حتى إذا طرحت عليهم الموضوع وإذا به يتقبلونه أو على الأقل يتقبّل أهل الإنصاف منهم.

فإذن المعلومات ليست على حد سواء، لو تجيء عند بعض الناس وتقول له "إن النبي ﷺ لا يُدعَى ولا يُستغاث به، وعندهم عنك خلفية أنك وهابي، وعندهم خلفية أنك لا تحب الرسول ﷺ وأنك ما توقّر الرسول ولا تعظّم الرسول ﷺ، فلو أول كلمة أول لقاء معهم: "لا تدعوه لا تستغيثوا به وكذا"، ممكن يُفسَّر أنك تنطلق من منطلق كره النبي ﷺ والاستخفاف من مقام النبي ﷺ وعدم توقيرك وتعظيمك له، فهنا تحتاج

إلى مقدمة، أنا ما أقول لك لا تقل لهم، لا، بلِّغهم، بيّن لهم أن الرسول لا يُعبَد ولا يُستغاث به ولا كذا ﷺ، ولكن مع مقدمات:

- بيِّن فيه حق الله جل وعلا وأنه المستحق وحده للعبادة، المهم ما هي العبادة.
- بيِّن لهم حق النبي ﷺ وخصائصه وفضله ﷺ.

هذه المقدمات بإذن الله ينفع الله عز وجل بها ويفتح بها القلوب ويلين بها بعض ما يكون عند بعضهم من النفور والتشدد والجفاء عن قبول الحق، فالمعلم، الداعي إلى الله، الواعظ ينبغي أن يتوخى الحكمة، من ذلك تسهيل العبارة وضرب الأمثال وتبسيط الكلام حتى يُفهَم عنه، كذلك أيضاً المسائل تختلف،

- فيه مسائل تحتاج إلى **مقدمات وتمهيد**، فابدأ بالمقدمات والممهدات ثم اطرح موضوعك،
- وفيه مسائل ما تحتاج هذا، فلا حرج أن **تبدأ بها مباشرة**.
- كذلك أيضاً فيه مسائل تحتاج **المبادرة إلى البيان**،
- وفيه مسائل **بالإمكان أن تؤخرها** من باب تأليف الناس؛ لأمر أكبر من هذا الشيء الذي أنت أخرته.

فالمقصود إذن من هذا الأثر ليس المقصود أن المعلم أو العالم أو الخطيب أو الواعظ أنه ما يطرح موضوع الأسماء والصفات، بل الأسماء والصفات هو جزء من ديننا، بل هو أحد أنواع التوحيد، ولكن ينبغي تَوَخِّي الحكمة في عرضه على الناس.

وأيضاً من الحكمة في هذا أنك إذا بيَّنت له الصفات أن تبين له القاعدة أنك تثبت لله عز وجل الصفات ولكن دون أن يخطر بالبال أن الله عز وجل مثل خلقه؛ لأن بعض الناس لما يسمع آيات الصفات يتصور في ذهنه أن الله عز وجل له وجه كوجوهنا، له يد كأيدينا، هكذا يتبادر إلى فهمه وإلى ذهنه، بعض الأطفال الصغار يعني ما يختص الأطفال المميزون يمكن ابن عشر سنوات أو إحدى عشر سنة ممكن تسأله هذا السؤال مباشرة يقول لك "إن الله عز وجل مثلنا"، فيعرف أن لله عز وجل وجهاً وأن لله يداً يقرأ في القرآن

الكريم هذا لكن ما عُلِّم، ما فَهِم أن الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فهذا من الحكمة التي ينبغي أن تُتَوَخَّى في عرض هذا الباب.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس "أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات -استنكارا لذلك– فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه" انتهى.

قال رحمه الله: "**وروى عبد الرزاق**" يعني ابن همام الصنعاني، الإمام الكبير صاحب كتاب **المصنَّف**، والمصنَّفات نوع من التأليف في علم الحديث، ولكنها تمتاز **بالحرص على إيراد الآثار**، فتجد فيه الحديث المرفوع للنبي ﷺ، وتجد فيه الآثار المروية عن السلف مثل الصحابة والتابعين، وهذا من مميزات كتب المصنَّفات "كمصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة"، وهي مراجع مهمة لمن أراد أن يعرف أقوال السلف ومذاهبهم واختلافهم.

"**عبد الرزاق عن معمر**" معمر بن راشد الأزدي له كتاب اسمه "**الجامع**"، هذا الجامع مطبوع في آخر مصنَّف عبد الرزاق.

"**عن ابن طاووس عن أبيه**" طاووس بن كيسان اليماني "**عن ابن عباس**" وهذا إسناد صحيح.

"**أنه رأى رجلاً**" مبهم لا ندري من هو، "**انتفض**" أي ارتعد خوفاً، "**لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات**" يعني ابن عباس يحدث جلساءه حديثاً في صفة الله جل وعلا مما سمعه من رسول الله ﷺ، فواحد من الحاضرين انتفض خوفاً من الله، كيف خوفاً من الله؟ يعني أن تكون هذه الصفة له سبحانه، كأنه يرى أن هذا من باب الكذب على الله، أن يُقال أن الله كذا وكذا، ولهذا قال: "**استنكاراً لذلك**" ليس هذا الانتفاض بمعنى من خشية الله أنه لما سمع هذه الصفة امتلأ قلبه من خشية الله وتعظيم الله والإجلال لله، إنما استنكارًا وخوفًا أن يُنسب إلى الله هذا الشيء، ولهذا أنكر عليه ابن عباس ولهذا قال الراوي "**استنكارًا**".

"**لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات انتفض استنكارًا لذلك**" هل أقره ابن عباس على هذا الاستنكار؟ لا، بل تعجَّب منه وممَّن كان في مثل حالته قال: "**ما فَرَق هؤلاء؟**" لماذا يخافون حينما تُذكر صفات الله جل وعلا، فلا يرضون بذكرها وإيرادها على الناس وتعليم الناس إياها؟ "**ما فَرَقَ هؤلاء**" يعني ما خوفهم.

"**يجدون رِقَّةً عند مُحكَمِه**" يعني تلين قلوبهم حينما تُتلى عليهم الآيات المحكمة، يعني الآيات الواضحة.

"**ويَهلكون عند مُتشابهه**" يعني الشيء الذي يعرفونه تلين قلوبهم له، والشيء الذي لا يفهمونه يبادرون إلى إنكاره، وهذا غلط، بل ما ثبت عندك عن الله وعن رسوله ﷺ فآمِن به، فهمت معناه فالحمد لله، ما فهمته آمن أيضاً به ورُدَّ علمه إلى الله جل وعلا واسأل أهل العلم عنه، لا تستنكر هذا، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] يعني المحكم والمتشابه.

هل القرآن مُحكَم أو مُتشابه؟

- القرآن كله مُحكَم والقرآن كله مُتشابه
- والقرآن فيه مُحكَم وفيه مُتشابه،

كيف هذا؟ عندنا **الإحكام** بمعنى الإتقان، فالقرآن كله مُحكَم بهذا المعنى، قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]، قال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١]، ما قال بعض آياته، أحكمت آياته كلها، كل الآيات محكمة في غاية الفصاحة، في غاية البلاغة، دلالة على خير، فالقرآن من هذه الجهة كله مُحكَم.

أيضًا القرآن كله **مُتشابه**: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، ما قال بعضه مُتشابه، كله مُتشابه، كيف كله مُتشابه؟ يعني يشبه بعضه بعضًا في الدلالة على الخير، الدلالة على الحق، هذا المقصود.

لما نقول فيه شيء مُحكَم وفيه شيء مُتشابه هنا يكون معنى الإحكام والتشابه معنى آخر غير المعنى السابق:

- **فالمُحكَم** بمعنى الواضح البين المعنى،
- **والمُتشابه** الذي فيه خفاء، ثم هذا الخفاء ينقسم قسمين:

- **معنى خفي على الخلق كلهم**: فهذا الذي لا يعلمه إلا الله، مثل كيفية الصفات، مثل حقائق عذاب القبر ونعيم القبر ونعيم الجنة وعذاب النار والميزان والصراط، فهذا مُتشابه من هذه الجهة لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.
- وفيه مُتشابه **بمعنى خفي خفاءً نسبيًا**: يخفى على زيد لكنه معلوم عند عمرو،

فابن عباس هنا أطلق المحكم والمتشابه بمعنى الواضح والخفي عند بعض الناس، فالشيء الذي يُعلم معناه يُؤمَن به والشيء الذي يجهل معناه يُبادر إلى إنكاره وهذا غلط، بل ما عرفت معناه فآمِنْ به وما لم تعرف معناه فآمِنْ أيضاً به وكِل معناها إلى الله جل وعلا، وإذا تيسر لك اللقاء بأهل العلم أو الاتصال بأهل العلم أو مطالعة هذه المسألة حتى تعرف معناها.

"**يجدون رِقَّةً عند مُحكَمِه**" بمعنى الآية واضحة المعنى يؤمن بها ويعملون بمقتضاها، وإن كانت خبرًا صدَّقوا وإن كانت حُكمًا عملوا.

"**يَهلكون عند مُتشابهه**" النص الذي لا يعرفون معناه ماذا يفعلون؟ يبادرون إلى إنكاره وربما بادروا إلى تأويله، والمنهج الحق في هذا أن تبادر إلى الإيمان بكل ما ثبت عن الله وعن رسوله، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] يعني المحكم والمتشابه ما عرفنا معناه وما لا نعرف المعنى، فلا يفرون إلى الإنكار والتكذيب والجحود ولا يفرون إلى التأويل.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر "الرحمن" أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد:٣٠]

هذا الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره: "**كانوا يسمعون النبي ﷺ يدعو في سجوده يقول: "يا رحمن يا رحيم"، فقالوا: يدعو اثنين**"، يدعو الرحمن ويدعو الرحيم.

وهذا أيضاً من الشبه التي جعلت بعض الناس يُنكر أسماء الله جل وعلا ويقولون إذا أثبتنا لله عدة أسماء أثبتنا أكثر من إله، وهذا أيضاً من الجهل.

المقصود لعله بعض قريش والله أعلم، وقد يكون هذا عندهم كلهم فالعلم عند الله، **"أنهم كانوا يُنكرون من أسماء الله الرحمن"**، ويؤمنون بالله كما تقدم لكن يُنكرون هذا الاسم ويُكذبون به، وبعضهم يقولون: **"لا نعرف إلا رحمن اليمامة"**، من رحمن اليمامة؟ يقصدون مُسيلمة أنه تسمى بالرحمن، والعلم عند الله.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٠ - باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د، علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٤٠ – باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: **باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾** [النحل: ٨٣]. هذه الآية في سورة النحل: **﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾**.

وهذه السورة تُسمى **سورة النعم**؛ لأن الله عز وجل عدَّد فيها كثيرًا من النعم:

∇ فابتدأ أولاً بنعمة **إرسال الرسل وإنزال الوحي** الذي به حياة القلوب ولا صلاح للدين والدنيا إلا به،

∇ ثم امتنَّ على العباد **بخلق الإنسان** وأصل خلقه من ماء مهين، من طين ثم جعله سميعًا بصيرًا ناطقًا عاقلاً يتصرف في هذه الأرض؛ بيع وشراء ونكاح وغير ذلك.

∇ ثم امتنَّ على العباد بما أنعم عليهم من **بهيمة الأنعام** وما جعل لهم فيها من المنافع؛ من أكل وشرب وحمل متاع وجمال وركوب إليها لتوصل إلى بلاد بعيدة.

∇ ثم امتنَّ أيضاً عليهم بنعمة **البحر** وما جعل له فيه من المنافع،

∇ وامتنَّ عليهم بنعمة **النجوم** التي جعلها هدى لهم يستدلون بها على الجهات وعلى الأماكن ويستدلون بها على أمور أخرى مما يتعلق بدخول الفصول وخروجها ونحو ذلك.

∇ وامتنَّ على العباد أيضاً بنعمة **المساكن الثابتة والمتنقلة**،

∇ وامتنَّ عليهم بنعمة **المشارب كالعسل** وغيره،

∇ وامتنَّ عليهم بنعمة **الملابس** التي يُستر بها البدن، تُستر بها العورة، والملابس التي يُتزيَّن ويُتجمَّل بها، والملابس التي تُلبس في الحرب لتقي المقاتل من سلاح عدو.

نعم عظيمة جليلة عدَّدها الله عز وجل في هذه السورة، ومع ذلك يقابلها كثير من الناس با**لكفر**، إما بالكفر الأكبر وإما بالكفر الأصغر، يكفرون بهذه النعم كفرًا أكبر حينما يعتقدون أن المنعم بها **والمُولي بها هو غير الله جل وعلا**، أو يكفرون بها كفرًا أصغر حين يعتقدون أنها من عند الله وأن الله هو المولي بها ولكن **يضيفونها إلى غيره** مع اعتقادهم أن الله عز وجل هو المنعم بها والمولي بها.

فعلى المسلم أن يتقي الله جل وعلا وأن **يؤدي شكر نعم الله عز وجل عليه**، وذلك بأن يشكرها **بقلبه**، وذلك باعتقاده ويقينه أن المنعم بها هو الله سبحانه وتعالى، ويشكرها **بلسانه** بالحمد والثناء على الله وإضافتها إليه والتحدث بها، هذا كله من شكر اللسان كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، ويشكرها أيضاً **بجوارحه**، وذلك بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته؛ لأن الشكر يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح.

أفادتكم النعماء مني ثلاثة *** يدي ولساني والضمير المحجبا**

فهذا الواجب على المسلم أن يشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه بالقلب وباللسان وبالجوارح، ويتساهل كثير من الناس في هذا الباب، فيقع في **الشرك الأصغر** من حيث لا يشعر، فعقد المؤلف هذا الباب للتنبيه على أن **نسبة النعم إلى الأسباب** أن ذلك من الشرك، والأصل أنه شرك أصغر ولكن قد يكون شركًا أكبر.

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **"باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾"**.

﴿يَعْرِفُونَ﴾ يعني **يعلمون أنها من الله** جل وعلا، كما قص الله عز وجل عنهم أنهم لو سُئِلوا من خلق السماء، من خلق الأرض، من خلقهم، من يُنزل المطر، من يدبر الأمر، سيكون جوابهم مَن؟ الله. فهم يعرفون أن هذه النعم من الله، أن الله هو الخالق لها، هذا معنى قوله: **﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾** يعني أن الله عز وجل هو الذي خلقها.

ومعنى **﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾** يعني **نِعَمَ الله**، فهي في اللفظ مفرد ولكنها في المعنى مقصود بها الجمع؛ لأن المفرد إذا أضيف أفاد العموم، **﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾** يعني نِعَمَ الله من صحة ومطر ومال وولد وزوج وسلامة من مصيبة إلى غير ذلك.

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ يعني **يكفرون بها**، وذلك بنسبتها إلى غير الله كما ستأتي الأمثلة بعد قليل.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، فأكثر الناس يكفر بنعمة الله ولا يقوم بشكرها.

قال مجاهد ما معناه: "هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي."

"قال مجاهد" وهو ابن جبر المكي المفسر المشهور التابعي الجليل الذي قال عنه **سفيان الثوري**: **"إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به"**، وذلك أنه تلقى التفسير على **ابن عباس** حبر الأمة وترجمان القرآن والذي دعا له النبي ﷺ فقال: **"اللهم علمه التأويل"**، ومع ذلك مجاهد كغيره يُخطئ ويُصيب حتى في التفسير.

"قال مجاهد ما معناه؟ هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي" من أين لك هذا البيت العظيم؟ من أين لك هذا الإبل والبقر والغنم؟ من أين لك هذه المزارع؟ قال: **"هذا مالي ورثته عن آبائي"**.

لو كان هذا هو الواقع أن هذا الشخص خلَّف له أبوه بيتاً عظيماً، خلَّف له أموالاً طائلة، خلَّف له سيارة، خلَّف له مزرعة، وانتقلت إليه بحكم الإرث، أليس هذا واقعاً؟ هذا واقع، إذا كان كلامه مطابقًا للواقع فهذا واقع يُخبر عن الواقع، ولهذا لو ذهب الشخص للمحكمة بشأن تقسيم تركة أو إرث وكذا، فالقاضي يسأله: ماذا ترك لك أبوك؟ فيقول: ورثني مثلاً بيتاً، خلَّف لي بيتاً، هل يكون هذا المجيب الآن، هذا المتكلم الذاهب إلى المحكمة هل يكون بذلك قد وقع في الشرك الأصغر؟ الشرك الأكبر؟ وقع في هذا الوعيد؟ **ظاهر العبارة** ظاهر كلام مجاهد وهو: **"قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي" أنه داخل في هذا**، ولكن العلماء يقولون **المقصود به ليس مجرد الإخبار عن الواقع**، الذي يخبر عن الواقع وإخباره هذا مطابق للواقع ليس عليه شيء، وإنما المقصود أن يقول هذا من باب **التبجُّح**، من باب **البَطَر**، من باب **الفخر**، من باب **الخُيلاء**، في الوقت الذي **يتناسى فيه نعمة الله عز وجل عليه** أنه هو المنعم عليه بهذا المال.

فالله عز وجل هيَّأ هذا المال له من جهة **القدر** حيث ملَّك أباه وأمه ومورثه ملَّكهم هذه الأموال، ثم بما هيَّأ له بسبب **الشرع** حيث جعل هذه القرابة التي بينه وبين هذا الميت جعلها سببًا في انتقال الإرث إليه، سبب

شرعي، فإذًا المنعم المتفضل بهذا المال الذي وصل عن طريق الإرث هو الله جل وعلا، هو الذي هيَّأ لك الأسباب الشرعية والقدرية حتى وصل هذا المال إليك، فالمقصود إذًا إن كانت المسألة قضية مجرد إخبار عن واقع فهذا يُرجى إن شاء الله أنه لا حرج فيه، وأما إن كان التعبير هذا من صاحبه **للفخر والعجب بالنفس والعُجب بالآباء فخرًا بهم، ومتناسٍ أن الله عز وجل هو المنعم المتفضل** فهذا الذي يدخل في الوعيد، ومجاهد توفي عام **١٠٤ هـ**.

وقال عون بن عب دالله: "لولا فلان لم يكن كذا".

"وقال عون بن عبد الله" يعني ابن عتبة ابن مسعود الهذلي، يقولون: **"لولا فلان لم يكن كذا"** يعني مثلاً لولا أن الطبيب الممتاز جدًا لهلك المريض، لولا وصول الدفاع المدني في الوقت المناسب لاحترق البيت كله، كلام دارج بكثرة على ألسن الناس: "لولا فلان لم يكن كذا"، إذن نجد أن عون بن عبد الله يجعل هذا تفسيرًا للآية، هذه الصورة من التعبير داخلة في قوله: **﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾**، إذن هي من **كفران النعمة** ومن إنكارها.

متى تصح هذه العبارة؟ "لولا الله ثم فلان"، "لولا الله ثم الطبيب"، "لولا الله ثم الشرطي"، "لولا الله ثم كذا"

- وأحسن من ذلك أن يقتصر على لفظ الجلال لوحده فقط: **"لولا الله لحصل كذا"**، هذا أكمل شيء، فالأكمل أن لا يُضاف مع الله شيء،
- ثم المرتبة الجائزة أن **يُعطف على لفظ الجلال بـ (ثم)**،
- وأما أن يقتصر على السبب أو يشرك بين الله عز وجل وبين السبب بلفظ **الواو**، فهذا **محذور شرعًا**، فلا تقول: "لولا فلان لحصل كذا"، ولا تقول: "لولا الله وفلان لحصل كذا"، كما سيأتي إن شاء الله في الباب القادم بإذن الله، باب **"لا تجعل لله أنداداً وأنتم تعلمون"**.

فعلى المسلم أن يضبط هذه العبارات ولا يتساهل فيها، الناس تتساهل بأشياء وهي عند الله عظيمة، فمشاعر الناس ونظرة الناس للأمور ما هي ميزان شرعي، الله في قصة الإفك ماذا قال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ

عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، فليست العبرة بإحساس الناس ونظرة الناس وثقافة الناس، لا، الميزان **موافقة الشرع**، فإذًا حينما تتحدث عن هذه الأمور يجب أن تضبط لسانك بالضوابط الشرعية.

وقال قتيبة: "يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا".

"**وقال ابن قتيبة**" يعني أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدِّينَوَري، قال: "**يقولون هذا بشفاعة آلهتنا**" يعني يُسألون مَن الذي نزل المطر؟ يقولون: الله، هذا ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ**﴾، ﴿**ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**﴾ يقولون: لكن **بشفاعة آلهتنا**، استشفعنا باللات، استشفعنا بالعزَّى، استشفعنا بكذا، فنزل المطر، فهذا **كفران** بنعمة الله، ونلاحظ أن كفران النعمة يتفاوت، فصورة الأخير هذه **بشفاعة آلهتنا** هذا شرك أكبر أو أصغر؟ **أكبر**، ومثل هذا يقولون مثلاً: لولا البدوي لغرقنا في البحر، لولا استغثنا **بالحسين** لهلكنا، هذا كفران النعمة لكن من أي باب؟ من أي درجة؟ **الشرك الأكبر**؛ لأنه جعل هذا المخلوق شريكًا مع الله في الربوبية والتصرف في الكون.

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه :وأن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر - الحديث وقد تقدم- وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

"**وقال أبو العباس**" كنية ابن تيمية رحمه الله، ابن تيمية ما تزوج أصلاً رحمه الله، وما في حرج أن واحدا يتكنى وليس له ولد، ما في شيء، ولهذا النبي ﷺ كان يكني الأطفال الصغار والبنات الصغيرات، يكنِّيهم ﷺ، وكَنَّى زوجته عائشة رضي الله عنها قال لها: "**أنتِ أم عبد الله**"، وهي ما حملت أصلاً.

يقول "**أبو العباس رحمه الله بعد حديث زيد بن خالد يعني الجهني الذي فيه: "أن الله قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**" وكان هذا الكلام أين؟ في أي مكان؟ في **الحديبية**، بعد ماذا صار هذا الكلام؟ على إثر **مطر** سماء من الليل، نزل عليهم مطر في الليل.

"**وقال قد تقدم**" يعني في باب الاستسقاء بالأنواء، قال: "**وهذا كثير في الكتاب والسنة**" ما هو؟ "**يَذُمُّ سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويُشرك به**"، يعني في نسبة النعم إلى غير الله، نسبة النعم إلى الأسباب، مثل ما أولئك نسبوا نزول المطر إلى **النجم**، فسمى الله عز وجل هذا **كفرًا**، كفر النعمة.

- إن كان يعتقد أن **النجم** هو الذي خلق المطر، هو الذي نزل المطر استقلالاً فهذا يكون **شركًا أكبر**.
- إن اعتقد أن النجم هذا مجرد **السبب** في نزول المطر، يكون **شركًا أصغر**.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

"**قال بعض السلف**" يعني من تقدم من هذه الأمة من الصحابة، من التابعين، من أتباع التابعين، هؤلاء سلفنا ومَن سار على دربهم ونهج منهجهم فهو له حكم في هذا الباب، يعني في صحة المعتقد.

قال بعض السلف فهي كقولهم" يعني ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ "**كانت الريح طيبة**"، يعني إذا انتهت الرحلة في البحر ووصلوا إلى شاطئ البحر سالمين آمنين قالوا: "كانت الريح طيبة"، من أجل ذلك سَلِموا؛ لأن الريح كانت طيبة، فسارت السفينة سيرًا حسنًا فوصلنا سالمين غانمين، إذًا نسبوا السلامة إلى أي شيء؟ إلى **طيب الريح**.

قالوا: "**والملاح حاذقًا**" يعني قائد السفينة يُسمى **مَلاحًا**، صيغة المبالغة، لملازمتها السير في الماء المالح في البحر، "**والملاح حاذقًا**" يعني قائد السفينة ما شاء الله عليه فنان، ممتاز جدًا في القيادة، فلهذا نجوا، لهذا سَلِموا، فنسبوا السلامة من أهوال البحر، نسبوه إلى الريح وإلى الملاح، **ومَن الذي جعل الريح طيبة**؟ الله جل وعلا أين ذهب؟! ومَن الذي علَّم وفهَّم هذا الملاح؟ الله جل وعلا، فيتناسى الناس المنعم الحقيقي هو الله جل وعلا وينسبون هذه النعم إلى المخلوق، ينسبونها إلى السبب، ولو شاء الله عز وجل **لعطَّل منفعة هذا السبب**، أليس كذلك؟ النار من شأنها تُحرِق لكن الله عز وجل في قصة إبراهيم قال للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا

وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وكانت بردًا وسلامًا، وهكذا ذكروا في ترجمة **أبي إدريس الخولاني** لما حُرِّقَت اليمن أن الله عز وجل أكرمه فلم تحرقه النار فذكروا هذا في ترجمته.

فالمقصود إذًا أن الله عز وجل هو المنعم وهو الذي يسَّر هذه الأسباب وأجرى عليها المسبَّبات، ولو شاء لما حصل من ذلك شيء.

"وقال بعض السلف وكقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير" يعني من الناس، وهذا موجود قديمًا وموجود حاضرًا، فما أكثر ما نستعمل وما أكثر ما نسمع مثل هذه الأساليب: "لولا كذا لحصل كذا".

من أهل العلم من **يُرخِّص في بعض هذه الاستعمالات**، استعمال "لولا كذا لحصل كذا"، إذا كان **السبب ظاهرًا وواقعًا فعلاً** أنه ما في حرج أن يقول ذلك لكن دون أن تتغافل وتتناسى أن الله عز وجل وراء هذا السبب، ويستدلون بحديث النبي ﷺ: **"لولا أنا لكان أبو طالب في الدرك الأسفل من النار"**، يقولون أن النبي ﷺ نسب إخراج أبي طالب من الدرك الأسفل من النار إلى ضحضاح من النار حتى كان أخف الناس عذابا نسب ذلك إلى نفسه، **"لولا أنا"**، من باب **نسبة الشيء للسبب الظاهر**، لكن يقول النبي ﷺ لم يكن غافلاً ولا متناسيًا أنه إنما حصل ذلك على يده بأمر الله جل وعلا وبإذنه حيث أذن له أن يشفع لعمه، وتفضَّل عليه بقبول هذه الشفاعة في التخفيف من العذاب لا في الخروج الكلي من العذاب؛ لأن أبا طالب مات على **الكفر الأكبر، على الشرك الأكبر**، ومَن يموت على الشرك الأكبر فالجنة عليه حرام، لكن قَبِل الله عز وجل فيه شفاعة النبي ﷺ، شفاعة خاصة بأن يخفف الله عنه العذاب.

وعمومًا ينبغي للمسلم أن **يحتاط** وأن ينتبه لألفاظه وعباراته فينسب الأمر إلى الله وحده، وإن كان ولابد فيأتي بالسبب لكن يعطف السبب على لفظ الجلال بـ (ثم): **"لولا الله ثم كذا وكذا"**.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤١ - باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د، علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٤١ - باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: "**باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**" هذا الباب قريب من الباب السابق الذي مر ذكره، هو قوله: **باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾** وتقدم معنا في الدرس الماضي في ذلك الباب، النهي عن عبارات فيها **خدش لكمال التوحيد الواجب**، وذلك **بإضافة النعم إلى غير الله سبحانه وتعالى**، وإن كان المتكلم لا يقصد أن هذا المخلوق هو المستقل بهذه النعمة، ومع ذلك الشرع ينهى عنها؛ لأن الظاهر فيه إيهام بأن هذا القائل يقصد أن هذه النعمة جاءت عن طريق هذا المخلوق استقلالاً، مع أنه لو اعتقد ذلك لكان مشركاً **شركاً أكبر**، هو لا يريد ذلك، وهكذا أيضاً في هذا الباب سينبِّه المؤلف رحمه الله بما يذكره من الآثار النهي عن بعض الألفاظ التي توهم أو يُفهم ظاهرها **مخالفة التوحيد**.

يقول رحمه الله: **باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** قبل هذا الجزء من الآية قول الله سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢١-٢٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ نداء للجميع، و**﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾** أي **أفردوه بالعبادة**، وحِّدوه بالعبادة، **﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾** هذا أول **فعل أمر** يمر عليك في القرآن الكريم بالترتيب الموجود، كما أن أول فعل مضارع: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، "**فنعبد**" أول فعل مضارع، "**واعبدوا**" أول فعل أمر.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ جاء بلفظ **الربوبية** هنا: **﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾** إشعاراً وإشارة إلى أنه ما دام أنه هو الرب الخالق الرازق المالك المتصرف، إذًا هو **المستحق أن يُعبد** سبحانه وتعالى، **﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾**

الذي رباكم بنعمه خلقاً وإيجاداً وتربية ورعاية، ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ فأنتم لم تخلقوا أنفسكم، وأنتم لم تُخلقوا من عدم من غير خالق، بل خلقكم خالق هو الله سبحانه وتعالى.

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الآباء والأجداد والأسلاف وما قبلكم أيضاً من الموجودات في الكون سماء وأرضاً وغيرها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني بهذه العبادة بهذا التوحيد **عذاب الله جل وعلا**، وذلك أن من اتقى الله ووحد الله فقد اتقى **الخلود في نار جهنم**، ثم إن حقق التوحيد تحقيقاً تاماً كاملاً دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإن أتى بالتوحيد الخالص الذي لا إشراك فيه ولكنه لقي الله بذنوب ومعاصي وكبائر لم يتب إلى الله منها، فأمره إلى الله إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة، وإن شاء تفضل عليه وأدخله الجنة بلا سابق عذاب، المهم أن **الموحد إذا مات على التوحيد فقد اتقى الخلود في النار**.

ثم ذكر أيضاً سبحانه وتعالى بعض الآيات الدالة على وحدانيته في **ربوبيته**، وذلك يستلزم توحيده في **ألوهيته**، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ يعني **بسطها ومَدَّها ومهَّدها**، هذا معنى كونها فراش، أنها منبسطة حتى يتمكن الناس من الانتفاع بها على ظهرها، فيبنون ويزرعون ويتنقلون من قُطر إلى قُطر إلى غير ذلك من المصالح.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يعني **سقف** محفوظ، وزيَّن هذه السماء بالنجوم وجعل في السماء في هذا العلو والارتفاع من المصالح الشيء العظيم، ومن أعظم ذلك السحاب الذي ينزل منه الماء ينزل منه الغيث فتحيا به البلاد والعباد.

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ من السماء يعني **من السحاب**، السماء الأولى السقف، السماء الدنيا السقف المحفوظ، السماء الثانية هي يعني السحاب.

٤١ – باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً * فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يعني المختلفة المتنوعة في أجناسها في أنواعها في ألوانها في طعومها في منافعها، في استعمالاتها إلى غير ذلك، وهذا من آيات الله سبحانه وتعالى، فالماء واحد، والتربة واحدة، ومع ذلك الثمرات مختلفة، والأشجار مختلفة ومتنوعة.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ فالأصل فيها **الإباحة**، فما جعله الله في هذه الأرض لمصالح العباد الأصل فيه الإباحة، لا يحرم منه شيء إلا بدليل، فالله عز وجل إنما سخّرها لمصلحتنا وخلقها لمنفعتنا ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ امتنان من الله سبحانه وتعالى علينا.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ جمع **نِدّ** وهو **الشريك**، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ يعني تشركونها مع الله، تعبدونها مع الله جل وعلا.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تعلمون ماذا؟ تعلمون أنه لم يخلق شيئاً من هذا الكون أحد غير الله سبحانه وتعالى، تعلمون بأنه لا ينزل المطر إلا الله، ولا يخرج الثمرات إلا الله، ولا يرزق إلا الله، حتى المشركون، حتى المشركون من كفار قريش وغيرهم يعلمون هذا، أن المتفرد بالخلق والإيجاد والإحياء والإماتة والضر والنفع هو الله سبحانه وتعالى، فيُلزمهم جل وعلا بإيمانهم بـ **توحيد الربوبية** يُلزمهم من خلاله أن يؤمنوا بـ **توحيد الألوهية**، فيُفردوا الله جل وعلا بالعبادة، فكما تُقرون وتوقنون أنه المتفرد جل وعلا بالخلق والإيجاد والتدبير والربوبية، إذًا أفردوه بالعبادة، كيف تعبدون مَن لا يخلق؟ كيف تعبدون مَن لا يرزق؟ كيف تعبدون مَن لا يملك ضراً ولا نفعاً؟ هذا أسفه السَّفه، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه لا شريك له في ربوبيته، ولكن الحال كما أخبر الله جل وعلا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، يؤمنون بالربوبية ويشركون في الألوهية، وهذا تناقض عظيم.

ويأتينا أن **ابن عباس رضي الله عنه فسر هذه الآية فسرها بالشرك الأصغر**، ويعني بذلك أن الآيات التي نهت عن الشرك الأكبر وحذّرت من الشرك الأكبر يُستدل بها على الشرك الأصغر بجامع أن هذا شرك وهذا شرك، هذا تنديد وهذا تنديد، ولكن هل معنى ذلك أن كل حكم ثبت للشرك الأكبر يثبت مثله للشرك الأصغر؟ الجواب **لا**، ليس هذا المقصود، فالشرك الأكبر **مُحبط للعمل كله**، الشرك الأصغر **لا يُحبط العمل**

كله، الشرك الأكبر يوجب **الخلود في النار**، الشرك الأصغر **لا يوجب الخلود في النار**، فهناك أحكام يستقل بها الشرك الأكبر عن الشرك الأصغر، لكن هذا لا يمنع كما نرى في كلام السلف، من الاستدلال بالآيات الناهية عن الشرك الأكبر على النهي عن الشرك الأصغر بجامع أن كلا منهما شرك، كلاً منهما تنديد.

قال ابن عباس في الآية: "الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل". وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا; هذا كله به شرك" رواه ابن أبي حاتم.

"قال ابن عباس رضي الله عنه في الآية" يعني في تفسير وشرح الآية.

"الأنداد قال: هو الشرك أخفى من دبيب النمل" يعني **مشي النمل**، والمقصود هنا يعني **أثر دبيب النمل**، النمل معروف الذَّر الصغير هذا، **"على صفاة"** يعني حجرة ملساء تُسمى صفاة، **"على صفاة سوداء في ظلمة الليل"** يعني خفاء شديد جداً، قال لك الشرك الأصغر هذا الذي سيُحذَّر منه **أخفى منه**.

كيف تُكلَّف بأمر في الخفاء إلى هذه الدرجة؟ الآن لو الصخرة السوداء الملساء هذه بجوارك وأنت في ليل مظلم، ومشت عليه نملة، هل في طاقتك واستطاعتك أن تراها؟ هل في طاقتك واستطاعتك أن تسمع صوت أثرها؟ هل في طاقتك واستطاعتك أن ترى أثر أرجلها وهي تمشي على الصفا هذه؟ **لا**.

فهل معنى هذا أن هذا تكليف بما لا يُطاق؟ الجواب **لا**، ليس هذا القصد، إنما المقصود أن **الشرك الخفي يخفى على كثير من الناس**، وإلا بالإمكان تعرفه وتفهمه كما سنَتعلَّمه الآن، هذه النملة التي تمشي على هذه الصفاة لو ولَّعت اللمبة النور الكشاف عليها، تراها أو ما تراها؟ تراها وهي تمشي، وهكذا أيضاً إذا **نوَّرت قلبك بنور العلم والبصيرة والتعلم** ومعرفة التوحيد ومعرفة ما يُضاد التوحيد عرفت هذا الشرك الخفي، فآلة معرفته ميسورة وهي **التعلم**، ادرس في التوحيد، ادرس كتاب التوحيد، ادرس كتب العقيدة، ادرس آثار

السلف الصالح في هذا الباب، يتبين لك، تستطيع تميز بين التوحيد وبين الشرك وتعرف الشرك وأنواع الشرك إلى آخره.

فالمقصود هنا التحذير من **خفاء هذه** وأنه كثير من الناس يجهلها، كثير من الناس يتساهل فيها ويَتَهاون فيها.

وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي

وهو أن تقول: "واللهِ" "والله "هذه شرك، أو ليس بشرك؟ لا، ليست بشرك، هو ما يريد "والله" إنما هو يحكي أسلوب الناس.

"والله وحياتك" يعني تجري **لفظ الجلالة على ألسنتهم بدون قصد في الغالب**، لكن هو يقصد الحلف "وحياتي".

"واللهِ وحياتك يا فلان" و **"وحياتي"** يعني "وحياتكِ يا فلانة" إذا كانت فلانة أو "حياتكَ يا فلان" **"وحياتي"**، هذا **قسم بالحياة**، يقسم الشخص بحياته هو أو يقسم بحياة المخاطب، **"وحياتك، وحياتي"**، الحياة مخلوقة، الحياة حياتي وحياتك **مخلوقة**، فلا يجوز الحلف بها؛ لأن الحلف بالمخلوق لا يجوز، الشرك الذي يخفى على كثير من الناس في هذا المثال هو **الحلف بغير الله**، كالحلف بـ**الحياة** ومثل الحياة بـ**الشرف** والحياة بـ**الرأس** ونحو ذلك.

وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص.

وتقول: "لولا كُلَيْبَةٌ هذا لأتانا اللصوص" هي كلب الحراسة، وكلب الحراسة من شأنه، إذا جاء رجل غريب يريد يدخل البيت مثلاً، فإنه الكلب ينبح عليه، فإذا نبح تنبه أهل البيت إلى أنه فيه رجل قادم، فإذا كان هذا النباح وقع في وقت ما يُتَرَقَّب فيه وصول أحد من الجيران أو الأقارب أو الأهل أو الأصدقاء، قد

يغلب على الظن أن هذا الذي أراد الدخول أحد اللصوص ممن يريد شراً، يخرج مثلاً هذا الرجل صاحب البيت وإذا خرج رأى اللصوص هربوا، فينسبون الفضل في السلامة من اللصوص إلى مَن؟ إلى **الكُلَيْبَة**، وكُلَيْبَة تصغير كلبة، فينسبون النجاة من شر اللصوص وهجوم اللصوص على بيت وسرقتهم للمال في البيت، ينسبونه إلى الكلب، مع أن الذي حفظهم ونجَّاهم من شر هذه اللصوص مَن هو؟ **الله سبحانه وتعالى**،

- هو الذي خلق هذا الكلب،
- وهو الذي أعطاه هذه الخاصية وألهمها، أن تَنبح حين رؤية الرجل الغريب، الشخص الغريب،
- وهو الذي قدَّر أن تكون مستيقظة ومنتبهة إلى آخره،

فإذًا النعمة الحقيقية هي من الله سبحانه وتعالى، وهذا النباح وهذه الكلبة ما هي إلا **أسباب**، نفع الله عز وجل بها.

تقول: "لولا كليبة هذا لَأَتَانَا اللصوص" وأنت تنظر أن هذا الأسلوب أسلوب **منتشر عند الناس قديماً وحديثاً**، مثل ما سبق في نسبة نجاة السفينة إلى الملاح: **"كان الملاح حاذقًا، وكانت الريح طيبة"**، فينسبون أن السلامة سلامة السفر في البحر والوصول إلى الشاطئ بسلامة وأمان ينسبونه إلى الريح، ينسبونه إلى الملاح وهنا أيضاً نسبة السلامة من اللصوص إلى هذه الكلبة.

ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص

قال: **"ولولا البَطُّ في الدار لكان اللصوص"** البط طائر معروف ، يكون في الماء أكثر ما يكون، يقول: **"ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص"** أيضاً من عادة البط أنه إذا رأى رجل اغريبا يدخل فإنه أيضاً يُصوِّت عليه ويصيح عليه، ويصدر أصواتاً مزعجة، فيتنبه أهل البيت، ولهذا اللص قد يخاف أن ينفضح، فإذا سمع البط يصيح عليه وَلَّى هارباً، وَلَّى هارباً، مثل اللص إذا سمع الكلب ينبح عليه وَلَّى هارباً يخاف أنه يُقبض عليه وأن يُكشف أمره، فينسبون السلامة من اللصوص إلى هذه وسائل التنبيه، اليوم يحطوا مثلاً **جهاز إنذار**،

إنذار الحريق مثلاً، فيجي يقول "والله لولا جهاز الإنذار عندنا موجود في البيت ولَكَانَ احترقنا كلنا"، نفس الشيء، ما نَجَوت، لم يُنَجِّكَ هذا الجهاز، الذي نَجَّاك من الاحتراق هو **الله سبحانه وتعالى**، هذا الجهاز **سبب** أجراه الله وسخَّره الله، فالمتفضل والمنعم هو الله سبحانه وتعالى.

ونحن ما ننكر الأسباب، الكلب في هذا المثال سبب، البط سبب، جهاز الإنذار سبب، ولكن هذه الأسباب لا تنفع إلا بإذن الله، المنعم المتفضل عليك بالنعمة هو الله جل وعلا، "**ولولا البط في الدار لكان اللصوص**". والله يقول الآخر عندي: "لولا إني مركب كاميرا مراقبة ولَكَانَ قضى علينا اللص"، هذا نفس الشيء، هذا **غلط في التعبير**، غلط في العبارة، فيها خلل في التوحيد.

. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، . وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا; هذا كله به شرك" رواه ابن أبي حاتم.

وقول الرجل لصاحبه: "ما شاء الله وشئت" أين الخلل؟ **عطف مشيئة العبد على مشيئة الله بحرف الواو**، التي تقتضي التشريك.

"**وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت**" الخلل هنا عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق **بالواو الدالة على الجمع والتشريك**، ونحن نعلم أن مشيئة الله مشيئة مستقلة، ومشيئة العبد مشيئة أيضاً مستقلة عن مشيئة الله، ولهذا قد تشاء شيئاً ولكن الله لا يشاء فلا يكون، قد تشاءوا شيئاً ولا يكون هذا الشيء، لأن الله لم يشأه، والعبد له مشيئة، وله اختيار، ولكن مشيئته **تابعة** ومترافعة عن مشيئة الله، فلا تشاء إلا ما شاء الله، فـ"**مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ**" وهذا طبعاً سيأتينا إن شاء الله في حديث قُتَيلة قالت: "**ما شاء الله وشئت**".

إذًا التعبير الصحيح في مثل هذا؟ أن تقول مثلاً: "لولا الله ثم كليبة فلان"، "لولا الله ثم البط" مثلاً، "ما شاء الله ثم شئت"، وقول الرجل: "لولا الله ثم فلان"، ولا تقولوا: "لولا الله وفلان"، هذا تصويب العبارة، ولهذا يقول: "**لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك، رواه ابن أبي حاتم**".

٤١ – باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

ابن عباس رضي الله عنه يعطينا الأسلوب **الأفضل الأتم الأكمل**، هو أن **تقتصر على نسبة هذه الأمور إلى الله وحده**، قال: **"لا تجعل فيها فلانا"**،

- لا تقول: **"لولا كليبة هذا لَأَتَانَا اللصوص"**، قل: "لولا فضل الله لَأَتَانَا اللصوص"،
- **"لولا البط في الدار لَأَتَانَا اللصوص"**، "لولا الله عز وجل سلَّمنا لَأَتَانَا اللصوص"،
- **"ما شاء الله وشئت"** يقول: قل **"ما شاء الله"** فقط،
- **"لولا الله وفلان"** قل: **"لولا الله لحصل كذا ووقع كذا"**،

قال: **"لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك"**، الهاء في (به) الضمير عاد إلى مَن؟ إلى الله جل وعلا، يعني هذه العبارات كلها **شرك بالله**، كلها تنديد بالله جل وعلا، ولكن كما قلنا شرك ماذا؟ الأصل فيه أنه **شرك أصغر**.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من حلف بغير الله قد كفر أو أشرك" رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم.

الذي عند الترمذي والذي عند الحاكم من رواية **ابن عمر**، **"وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ"** هذا الذي عند الترمذي وعنده وعند الحاكم، وعند أيضاً غيرهما، فهذا الحديث من رواية **ابن عمر** وليس من رواية أبيه عمر رضي الله وأرضاه، ولكن في مسند أحمد، في مسند عمر رضي الله عنه وأرضاه، ذكر هذا الحديث من حديث **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه وأرضاه، فعند أحمد عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمعه يحلف يقول: **"وأبي"، فقال: "مَهْ؟ إنه مَن حلف بشيء دون الله فقد أشرك"**. لكن الكلام على المتن الموجود في الترمذي وفي الحاكم هذا من طريق من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

٤١ – باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

سمع النبي ﷺ عمر وهو يحلف بأبيه، فنهى النبي ﷺ عنه، حيث سمعه يحلف بالخطاب، فقال ﷺ: **"لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ"** وهنا قال ﷺ: **"مَن حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد كفَرَ أو أشرَكَ"**.

"مَن حلف بغير الله" يعني:

- بغير اسم الجلالة **الله**،
- أو بغير اسم من **أسماء الله** الأخرى غير لفظ الجلالة،
- أو بغير **صفة من صفات الله** جل وعلا،

إذا حلف بغير هذه الأساليب الثلاثة فقد كفر وأشرك، فإذًا الحلف المشروع أن تحلف **بالله**، يعني بهذا اللفظ باستعمال هذا اللفظ: **"والله"** أو **"بالله"** أو **"تَاللَّه"**، أو تحلف باسم آخر من أسماء الله: **"والعزيز"** و **"الجبار"** و **"المتكبر"** ونحو ذلك، أو تحلف بصفة من صفات الله: **"ومقلِّب القلوب"** و **"وعزة الله جل وعلا"** ونحو ذلك، هذا الأسلوب في الحلف جائز؛ لأنه حلف بالله سبحانه وتعالى.

أما إذا حلفت بغيره، حلفت **بالكعبة**، "والكعبة" شرك، حلفت **بالولي "وسيدي فلان"** شرك، حلفت **بالحياة** بـ**الشرف** بـ**الرأس** بـ**الأب** بـ**الأم** هذا كله شرك، حلفت **بالنبي** ﷺ؟ أيضاً شرك.

وتجد في بعض كتب الحنابلة، أنه يقولون: **رواية عن أحمد**، أنك إذا قلت: **"وحق النبي** ﷺ**"** ثم حَنِثْتَ، فعليك الكفارة، يعني يعتبرون هذا **يميناً شرعياً**، تحلف بحق النبي، أو تحلف بالنبي، لماذا؟ علَّلوا، قالوا: لأن الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة إحدى شِقَّي كلمة التوحيد: **"لا إله إلا الله محمد رسول الله"** ولكن هذا تعليل **ضعيف جداً**، وأيضاً تقرير ضعيف، وأيضا قالوا حتى **لا يثبت عن أحمد هذا الكلام**، نفاه عنه عدد من المحققين أنه ما قال هذا الشيء، ولا أفتى به، لو فرضنا أن هذا ثابت عن أحمد أو عن مَن هو أكبر من أحمد رحمهم الله جميعاً، فإن النبي ﷺ أكبر منهم كلهم، والحق أكبر منهم جميعاً، فالنبي ﷺ حذر من **الحلف بغير الله جل وعلا**، بل عدّ ذلك من **الكفر**، عدّ ذلك من **الشرك**، الواجب على المسلم أن إذا حلف أن يقتصر

حالفاً بالله جل وعلا ولا يحلف بغيره، وأهل العلم كل يؤخذ من قوله ويُرد كما قال مالك، كل واحد من العلماء يعرض كلامه وقوله على قول الله وقول الرسول ﷺ، ما وافق الحق قُبِل وما خالف الحق رُد.

النبي ﷺ جاء في الحديث الصحيح عنه أنه قال في الرجل الذي سأله بعض الأسئلة ثم انصرف قال: "**أفلح وأبيه إن صدق**"، فقالوا هذا حديث ثابت في الصحيح وفيه أن النبي ﷺ **حلف** بأبي الرجل، حلف بهذا الرجل، "**أفلح وأبيه إن صدق**"، كيف نعمل؟ يقول لك: إن الرسول ﷺ حلف بغير الله، حلف بأبي هذا الرجل، **العلماء أجابوا** عن هذا بعدة أجوبة، منها الأجوبة القوية ومنها الأجوبة الضعيفة.

ابن عبد البر رحمه الله يقول: إن هذه اللفظة **غير محفوظة**، وإذا كانت غير محفوظة فهي **شاذة**، والشاذ من قبيل **المردود**، فيقول هي لفظة غير محفوظة.

يجيء واحد ويخالفه غيره يقول له: بلى هي محفوظة والأصل عدم تخطئة الثقة، فما الجواب؟

- بعضهم قال: إن النبي ﷺ ما قصد حقيقة الحلف وإنما **شيء يجري على اللسان** هكذا بحكم التعود، ولكن أيضاً هذا **جواب ضعيف**.
- من الأجوبة أيضاً قالوا: إن هذا **خاص برسول الله ﷺ**، يعني نحن لا نحلف بالمخلوقين، لكن النبي ﷺ له أن يحلف، وهذا أيضاً **ضعيف**، الخصوصية تحتاج إلى دليل على أنه هذا خاص بالنبي ﷺ أن الله أذن له أن يحلف بالمخلوق.
- مَنهم مَن قال: إنه الحلف بالمخلوق يُنهى عنه إذا كان بقصد **التعظيم**، أما إن كان بقصد **التوكيد** بدون تعظيم فيجوز، والنبي لما قال: "**وأبيه**" قصد التوكيد ولم يقصد التعظيم، هذه المقاصد والنوايا ما يطلع عليها إلا الله جل وعلا، أين الدليل على هذا؟ وعندنا النهي عام، النهي مطلق: "**لا تحلفوا بآبائكم**"، ما قال: لا توكيداً أو تعظيماً، لم يُقيِّد هذا النهي بشيء، ما قال: "لا تحلفوا بآبائكم معظمين"، حتى نفهم أنه إذا كان لغير التعظيم يجوز، جاء النهي مطلقاً، إذاً هذا التقسيم والتنويع

لليمين إن كانت كذا فتجوز وإن كانت غير كذا فلا تجوز، هذا أيضاً يحتاج من يقوله إلى نطالبه بالدليل عليه.

- ومن الأجوبة أيضاً: أن هذا الحلف **كان قبل النهي**؛ لأنه كانوا في الأصل يحلفون بغير الله، يحلفون بالآباء، كان هذا موجودا، ولهذا عمر بن الخطاب كان يحلف بـ**الخطاب**، وعمر يعرف أن أباه مات على الشرك، وأن ظاهر حاله أنه حطب من حطب جهنم، ومع ذلك كان يحلف به؛ لأنه لم يَرِدْه، لم يرد النهي عنه، مثل ما سيأتي لأنه كانوا يقولون: **"ما شاء الله وشئت"** وكانوا يقولون: **"والكعبة"** وكانوا يقولون مثل هذه العبارات التي جاء ثم نُهي عنها، فإذًا يكون حلف النبي ﷺ بأب ذلك الرجل متمشياً مع الحال الأولى **قبل النهي**، ثم جاء النهي بعد ذلك، فنسخت الإباحة السابقة، وهذا والله أعلم هو **أقرب الأجوبة وأولاه**.

"مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" شرك أكبر ولا أصغر؟ **الأصل أنه شرك أصغر**؛ لأن الحالف في الغالب ما يخطر في باله أن هذا المحلوف به مثل الله سبحانه وتعالى ولكن لو اعتقد الحالف أن هذا الذي يحلف به **مثل الله جل وعلا** أو أنه **أعظم من الله جل وعلا**، فما الحكم؟ **يكون شركًا أكبر**، وذكر عليه أنه **يُكفَّر بالإجماع**؛ لأنه إذا اعتقد هذا الاعتقاد أنه يكون كافراً بالإجماع.

وهذا للأسف يوجد عند كثير من الخرافيين والمتعلقين بالقبور والأضرحة، إذا طُلِب منه في تهمة من التُّهم أنه يحلف بالله، حلف بالله ولا يبالي، يحلف بالله كاذباً ولا يبالي، أهم شيء عنده أنه ويسلم من العقوبة ولا ينكشف أمره، لكن لو قيل: "احلف **بسيدِك فلان**" هنا لا يحلف، ما يتجرأ يحلف، يخاف، فإذاً قام بقلبه من الخوف والهيبة والتعظيم لهذا الولي لهذا السيد **أعظم مما في قلبه من الخوف من الله جل وعلا**، فهذا يكون من قبيل **الشرك الأكبر** والعياذ بالله.

وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقا".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "لَأَنْ أحلف بالله كاذباً" أن وما بعدها **مؤولَة** بمصدر، والتقدير: "الحلف بالله كاذباً" يعني "حالة كون الحالف كاذباً".

عندنا الحلف بالله هذه **حسنة توحيد**، وفيه عندنا حسنة **صدق**، وفيه **سيئة كذب** وفيه سيئة **شرك**، ابن مسعود سوَّى بينها مقارنة، ما النتيجة طلعت؟ إنه **حسنة التوحيد أولى وأعظم وآكد من حسنة الصدق**، وأن **سيئة الشرك أعظم وأخطر من سيئات الكذب**، ولهذا قال: **"لَأَنْ أحلف بالله كاذباً"** يعني أقع في سيئة الكذب، لكن ما أقع في سيئة الشرك، **هذا أحب إليَّ من أن أقع في سيئة الشرك مع حسنة الصدق**، وهذا من دقة فقه ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه.

مع أن الحلف بالله كاذباً هذه معصية كبيرة جداً، الحلف بالله كذب هذه التي تُسمى **اليمين الغموس** التي **تَغمِس صاحبها في النار** والعياذ بالله، والتي لخطورتها وغلظتها وشدتها **لا كفارة لها**، ما تكفرها الكفارة، ما تكفرها إلا **التوبة** ومع ذلك هذه اليمين التي بهذه المنزلة هي أحب إلى ابن مسعود من سيئة الشرك الذي هو الحلف بغير الله.

وأيضاً في هذه اليمين الخبيثة السيئة الوعيد الذي قال فيه النبي ﷺ: **"ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم"**، أربع عقوبات أعدها الله لمن حلف كاذباً، في هذا الحديث يقول: **"ورجل جعل الله بضاعته، لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه"**، يعني يحلف بالله كاذباً من أجل أن يُنفق السلعة، يحلف بالله كاذباً حتى يخدع البائع فيشتري منه السلعة بسعر أقل، هذه اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار، هذه اليمين المتوعَّد صاحبها بهذه العقوبات الشنيعة الشديدة، الخوض فيها أحب إلى ابن مسعود من أن يلقى الله بسيئة الحلف بغيره جل وعلا.

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان" رواه أبو داود بسند صحيح.

٤١ – باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"وعن حذيفة" يعني ابن اليمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **"لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ"، رواه أبو داود بسند صحيح.**

ومثل هذا أيضاً حديث **قُتَيلة رضي الله عنها** أن رجلاً من اليهود جاء إلى النبي ﷺ، فقال للنبي ﷺ: **"إنكم تُشركون، وإنكم تُنددون"**. كيف هذا؟ قال: **"تقولون والكعبة، وتقولون: ما شاء الله وشاء محمد أو ما شاء الله وشئت". فقال النبي ﷺ: "قُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ"**.

وأيضاً يقول **الطفيل بن سخبرة** هذا أخو عائشة من أمها رضي الله عنها، جاء إلى النبي ﷺ وأخبره أنه رأى في المنام رؤيا، وهي أنه مَرَّ على نَفَرٍ من اليهود، **فقال: "ما أنتم؟" قالوا: "اليهود"، قال: "إنكم أنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله". قالوا: "وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد". قال: "ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم أنتم القوم، لولا تقولون: المسيح ابن الله". فقالوا: "وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد".**

فلما أخبر النبي ﷺ، سأله: "أخبرت بها أحداً؟" قال: "نعم". فقام النبي ﷺ وخطب الناس، وقال: "إن الطفيل رأى رؤيا أخبر بها من شاء الله منكم"، وقص عليهم الرؤيا وقال: **"إنها كلمة كان يمنعني كذا وكذا أنهاكم عنها"**، وفي رواية: **"كان يمنعني الحياء أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده"** أو قال: **"ما شاء الله ثم شاء محمد"**.

فهذه الأخبار وما جاء في معناها تدل على **النهي أن نعطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق بالواو.**

تذكرون في حديث **زيد بن خالد الجهني** لما سأل النبي ﷺ أصحابه: قال **"أتدرون ماذا قال ربكم البارحة؟"** ماذا قال الصحابة؟ **قالوا: "الله ورسوله أعلم"**، هل أنكر عليهم؟ **ما أنكر عليهم**، إذًا **"الله ورسوله أعلم" جائزة**، "ما شاء الله وشاء محمد" **لا تجوز**، لماذا؟ لأن **مشيئة النبي ﷺ مستقلة عن مشيئة الله**، لكن **العلم** الذي جاء به النبي ﷺ في الدين، من أين؟ من الله، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

[النساء: ٨٠]، ففي **باب العلم الشرعي** هذا جاز عطف الرسول ﷺ على لفظ الجلالة **بالواو**، ما في حرج، ولكن في **باب المشيئة الكونية القدرية**، **لا**، لأن هذا مستقل عن هذا.

وجاء عن إبراهيم النخعي: "أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا لولا الله وفلان".

"**وجاء عن إبراهيم النخعي**" أحد كبار التابعين علماً وفضلاً، "**أنه يكره أن يقول**: "**أعوذ بالله وبك**"، **ويجوِّز أن يقول**: "**بالله ثم بك**" يعني يجوز أن يقول: "**أعوذ بالله ثم بك**".

"**أعوذ بالله وبك**" ما تجوز، لِما فيها من **العطف على لفظ الجلالة على الله عز وجل بالواو**.

"**ويجوز أن يقول: أعوذ بالله ثم بك**" لأن ثم تدل على **العطف مع التراخي ومع الترتيب**، فالمخلوق يأتي بعد الخالق، يأتي بعد الخالق، لكن الواو لا تقتضي مطلق الجمع والتشريك.

إذا لو قال: "**أعوذ بالله ثم أعوذ بك أيها الشرطي من هذا اللص**"، يجوز، "**أعوذ بالله وبك أيها الشرطي من هذا اللص**" ما يجوز، "**أعوذ بالله ثم بك يا سيدي عبد القادر من هذا اللص**"؟ ما تجوز، فإذاً كونه يستعيذ ويستغيث **بميت** بـ**غائب** ولو جاب **ثم** ولو جاب ألف **ثم** يبقى **شركا**، هذا ما يجوز، لأن هنا ليست القضية في العطف، هي القضية في **الاستعاذة في الاستغاثة في اللجوء إلى ميت أو إلى غائب** فيعتقد فيه، ما دام أنه صدرت منه هذه الاستعاذة، يعتقد فيه أنه له من التصرف في الكون مثل ما لله جل وعلا.

ويقول: "**لولا الله ثم هذا**" هذا تصويب العبارة، "**لولا الله ثم فلان**" **ولا تقولوا**: "**لولا الله وفلان**".

- فإذًا الغلط: "**أعوذ بالله وبك**"، التصويب: "**بالله ثم بك**"،
- "**لولا الله وفلان**" هذا غلط، تصويبه أن يقول: "**لولا الله ثم فلان**".

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٢ – بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللَّهِ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بن سُلَيْمانِ التّميميّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د، علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٤٢ – بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللَّهِ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: **"بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللَّهِ"** هذا الباب علاقته بباب التوحيد: أن من **لم يقنع بالحلف بالله** فإن ذلك **نقص في كمال تعظيمه لله جل وعلا**، فهذا يُنافي كمال التوحيد، فإذا قنعت بالحلف بالله ممن حلف دل ذلك على تعظيمك لله، وإذا حلف لك الحالف بالله فلم تقنع بحلفه دل ذلك على نقص في كمال تعظيمك لله جل وعلا، وهذا يُنافي كمال التوحيد.

وهذا الكتاب كما نعلم يُورد المسائل التي هي من التوحيد والمسائل التي تناقض التوحيد، وكذلك المسائل التي **تنافي كمال التوحيد**، فهذا منها، هذا من هذا القسم الثالث.

"بابُ ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله" يعني **من الوعيد**.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصْدُق؛ ومن حُلِف له بالله فليْرضَ؛ ومن لم يرض فليس من الله" رواه ابن ماجه بسند حسن.

"عن ابن عمر" وهو **عبد الله بن عمر بن الخطاب** القرشي العدوي، توفي رضي الله عنه في آخر ثلاثة وسبعين أو في أول أربعة وسبعين من الهجرة، وهو من **المكثرين من رواية الحديث** عن النبي ﷺ.

وقد كتب إلى ابن عمر رجل يطلب منه وصية ونصيحة وطلب منه أن يستقصي له، يعني أن يتوسع في النصيحة، فكتب إليه ابن عمر جواباً مفاده أن العلم كثير ولكن احرص على الأمور التالية: **"أن تلقى الله عز وجل وأنت سليم اللسان من أعراض المسلمين، وسليم اليد من دمائهم، وسليم البطن من أموالهم"** فهذه النصيحة تكفي، وكان الزمن زمن فتن واختلاط واضطراب وفتن:

- **فتحفظ لسانك** عن الكلام في أعراض المسلمين،
- **وتحفظ سلاحك** عن إراقة دمائهم يعني القتل،

- **وتحفظ بطنك** عن أن تأكل شيئاً من أموالهم بغير وجه حقه،

وفي الحديث: "**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**" فهذه نصيحة من ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه نصيحة عظيمة جليلة، والمسلم يحتاجها في كل وقت.

"**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**" هذا **نهي**، والأصل في النهي أنه **للتحريم**، "**لا تحلفوا بآبائكم**" هل له مفهوم مخالفة؟ الآن لو قلت لشخص: لا تأكل بشمالك، ما مفهوم المخالفة من هذا النهي؟ كُل بيمينك، لما قال: "**لا تحلفوا بآبائكم**" هل له مفهوم مخالفة يعني احلفوا مثلاً بشرفكم بحياتكم، يعني احلفوا بكل شيء لكن لا تحلفوا بالآباء؟ هل هذا المقصود؟ **لا**، ولهذا نقول: "**لا تحلفوا بآبائكم**" **ليس له مفهوم مخالفة**، ليس معناه إذا نُهيت عن الحلف بالآباء إنه يجوز لك أن تحلف مثلاً بالأمهات، إنه يجوز لك أن تحلف بالحياة، أو تحلف بالشرف أو نحو ذلك، لا، فهذا لا مفهوم له لأنه قد دلت الأدلة على **حرمة الحلف بغير الله مطلقًا**، كما تقدم: "**مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**".

"**مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ**" "**مَن**" أداة شرط، "**حلف**" فعل شرط، وجواب الشرط "**فليصدق**". و**الصدق مأمور به مطلقًا** سواء مع اليمين أو بدون يمين، لكنه مع اليمين **آكد**، الصدق مأمور به مطلقًا كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، قال جل وعلا: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، وقال في أصحاب البر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

المقصود: أن **الصدق مأمور به مطلقًا**، يجب على المسلم أن يتحرى الصدق: "**ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقًا**". والعكس الثاني: "**يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا**" والعياذ بالله، فالصدق مأمور به مطلقًا، لكن إذا اقترن بالكلام اليمين فيكون الصدق آكد، وإذا كانت هذه اليمين في خصومة يستحق بها مالاً على أخيه فالصدق هنا **آكد وآكد**.

فالنبي ﷺ حذَّر من الحلف بالله كاذبًا، كما جاء في الحديث: "**مَن حلف بالله كاذبًا لقي الله وهو عليه غضبان**"، هذا مطلق وفي حديث آخر فيه النص على موضوع الحلف بالله من أجل اقتطاع مال امرئ

مسلم: "**مَن حلف على يمين صَبْر وهو فيها كاذب يقتطع بها مالاً لأخيه، لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**". وفي الحديث الآخر: "**مَن اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة، فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيراً؟ فقال ﷺ: وإن كان قضيباً من آراك**" يعني عود مسواك، هذا عند مسلم، وفي رواية الموطأ كرر ذلك ثلاث مرات: "**وإن كان قضيبًا من آراك، وإن كان قضيبًا من آراك، وإن كان قضيبًا من آراك**"؛ لأن الذي يجترئ على الشيء اليسير يجترئ فيما بعد على الشيء الكثير.

فالمقصود أن الصدق مأمور به مطلقًا، فإن اقترن باليمين الحلف بالله كان الصدق آكد، وإن اقترن بهذه اليمين استحقاق حق كان الصدق هنا آكد وآكد.

"**وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ**" فهنا **مطلقًا** جاء النص "**مَن حُلِف له بالله فليرضَ**"، يعني ما قال: "ومَن حُلِف له بالله فليرضَ إذا كان الحالف صادقًا" جاءت الرواية مطلقة ما قُيِّدت بشيء.

"**ومَن لم يرضَ**" يعني إذا حُلِف له بالله، "**فليس من الله**" هذا الوعيد وهذا محل الشاهد، "**فليس من الله**" يعني بل هو بريء من الله والله بريء منه والعياذ بالله، فهذا يدل على **وعيد**، مَن حُلِف بالله له فلم يرضَ.

إذًا هذا الحديث اشتمل على عدة مسائل:

❍ **المسألة الأولى**: **النهي عن الحلف بالآباء**، وقد تقدم أن الحلف بالآباء **شرك**.

هذه الجملة لا مفهوم مخالفة لها، ليس معناه أنه نهي عن الحلف بالآباء أنه يجوز له الحلف بالأمهات مثلا، بل هو نهي عام يشمل النهي عن كل محلوف به غير الله سبحانه وتعالى، فلا يجوز لأحد أن يحلف بغير الله، "**مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**".

هل هو شرك أكبر أو شرك أصغر؟ **الأصل في الحلف بغير الله أنه شرك أصغر**.

متى يكون شركًا أكبر؟ إذا **عظَّم المحلوف به تعظيمًا مساويًا لتعظيم الله** أو من باب أولى إذا كان يعظِّم المحلوف به هذا أكبر من تعظيم الله والعياذ بالله، فالأصل إذًا في الحلف بغير الله أنه شرك أصغر، فعامة الحالفين ما يعتقدون أن هذا المخلوق مساوٍ لله جل وعلا، إنما التسوية له في اللفظ، لكن لو وقع في قلبه أن هذا المخلوق، هذا الولي أعظم من الله أو مثل الله، لا شك أن هذا شرك أكبر والعياذ بالله.

٤٢ – بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللَّهِ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

ما كفارة الحلف بغير الله؟ ليست فيها كفارة، فيها **التوبة إلى الله**، وجاء في الحديث **"أنه مَن حلف باللات والعزى إنه يقول: لا إله إلا الله"، "ومَن قال لأخيه تعالى نقامر فليتصدق"**، فما فيها كفارة، يعني ذنب أعظم من أن يُكفَّر بكفارة، بل فيه **التوبة إلى الله جل وعلا**، هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية: **"مَن حلف بالله فليصدق"** فيه الأمر بالصدق في اليمين، وتقدم أن المسلم مأمور بالصدق مطلقًا، لكن إذا كان الكلام فيه يمين بالله عز وجل، فالمطلوب في هذه الحالة الصدق يكون آكد.

المسألة الثالثة: **"مَن حُلِف له بالله فليرضَ"** هذه الجملة ظاهرها أنها تشمل **عموم الصور**، يعني سواء كان ذلك في حال الخصومة والتحاكم عند القضاء، أو كان في باب المعاذير، يعتذر منك أخوك ويحلف لك، أو في باب الأخبار، أو نحو هذا، فظاهر النص العموم، لم يخصه بحالة، جاء اللفظ أيضاً مطلقا لم يقيده بقيد. **"ومَن حُلِف له بالله فليرضَ"** ما معنى هذا الكلام؟ نبدأ أولاً بموضوع **القضاء**.

القاعدة في القضاء: أن **البينة على المدعي واليمين على من أنكر**، البينة على المدعي، جاء زيد عند القاضي وقال: أنا أطالب عمرو بألف ريال، مُره فليعطني الألف"، هذه دعوى، نقول لزيد هنا: أثبت هذه الدعوى **ببينة**، أين البينة؟

قال: "عندي بينة"، ما بينتك؟ قال: "عندي **شاهدان عدلان**"، جاء بالشاهدين وشهدا، استحق الألف أو لا؟ يستحق الألف، جاء بالشاهدين وشهدا، الشاهدان عدول، يستحق الألف، حتى لو أنكر المدعى عليه، هذه بينة، جاء شاهدان عدلان وشهدا، قالوا: نعم، نشهد أن لزيد في ذمة عمرو ألف ريال، خلاص هنا يؤمر عمرو بتسليم الألف لزيد.

زيد قال: "ما عندي بينة"، ما عنده إلا مجرد الدعوى، فإذًا يقال لعمرو: "يا عمرو زيد يُطالب بالألف، هل تُقِر له بالألف؟"، قال: "لا ما أُقِر له بالألف هو كاذب، يدعي دعوى كاذبة"، قيل له: "يا عمرو إذًا تحلف، تقول: واللهِ ليس في ذمتي لزيد ألف ريال"، فيحلف عمرو، وإذا حلف **برئت ذمته**، يعني في الظاهر، فإن كان صادقا الحمد لله نجا في الدنيا والآخرة، وإن حلف كاذبًا سَلِمَ في الدنيا في الحكم لكن في الآخرة مؤاخذ بالألف التي أخذها ظلمًا وعدوانًا.

هنا يُقال لزيد: "ما دام إنه عمرو حلف بالله فعليك أن **ترضى**"، قال: "هو كاذب"، نقول: **هذا حكمُ الله**، يجب أن ترضى بحكم الله سبحانه وتعالى، إن كان صادقا الحمد لله، وإن كان كاذبا فليس لك منه إلا الظاهر وهذا حكم الله ويجب أن ترضى بحكم الله؛ لأن الحكم الشرعي البينة على المدعي واليمين على من أنكر، والله عز وجل يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

هذه الحالة الأولى حالة الخصومة: إنه إذا توجبت اليمين على المدعى عليه فيجب على المدعي أن يرضى بتلك اليمين وهذا حكم الله.

وإذا كان هذا الحالف كاذبا والمدعي يعلم أنه كاذب **فلا لوم على الشرع**؛ لأن الشرع يبني الأمور في أعمال الناس على الظاهر، فلا تَعُد باللوم على الشرع، ولكن عُد باللوم على **نفسك أنت**، مَن الذي قصَّر في تثبيت هذا الحق؟ أنت الذي قصرتَ في تثبيت حقكَ، ما الذي يمنعك حينما أعطيته الألف أن تُشهد شهوداً عدولا، تكتب ورقة ويوقع عليها هو، توقعها من آخرين، ونحو ذلك من البينات، يعني البينة ليست فقط هي في الشهادة، الشهادة واحدة من البينات، البينة مثل ما يقول ابن القيم: "**كل ما أبان الحق**"، فالمقصود: أن هذا الشخص هو الذي **فرَّط** في تثبيت حقه، فلا يلوم الشرع وإنما إذا أراد أن يلوم فليلم نفسه، هذه الصورة الأولى.

كذلك أيضاً في باب **المعاذير**، حصل من أخيك شيء، بلغك عنه كلام أو رأيت منه تصرف، أو نحو ذلك مما يؤذيك، فوقع في نفسك عليه، فاتصلتَ به أو قابلته، التقيتَ به فقلت: لِمَ قُلت كذا وكذا؟ أو لِمَ فعلت كذا وكذا؟ لماذا سلَّمت عليك لم تَرُدَّ عليَّ السلام؟ فاعتذر لك، قال مثلاً: "واللهِ لم أسمعك"، "واللهِ لم أنتبه لك"، أو "واللهِ إني ما قُلت هذا الكلام"، خلاص **اقبل هذا منه**، ولو كنت في باطن الأمر تعلم أنه ليس بصادق في هذا النفي، ولكن ما دام إنه أظهر لك الحلف بالله فقبل منه هذا العذر.

اقبَل معاذيرَ من يأتيكَ معتذرا * إن بَرَّ عندكَ فيما قال أو فَجَرَا**

فالمقصود إنه هذا الشخص الذي حلفَ لك بالله عز وجل في باب المعاذير **قبل عذره، وارض بيمينه**؛ لأن هذا فيه إصلاح للنفوس وإصلاح للعلاقات بين الإخوة، وفيه أيضاً حُسن الخُلق.

عمر يُروى عنه أنه قال: "لا تحمل كلمة سمعتها من أخيك أو بلغتكَ عن أخيك، لا تحملها على محمل سيئ وأنتَ تجد لها في الخير محملا"، يعني بلغتك كلمة، بلغك تصرف عن أخيك، **فاحمله على المحمل الحسن**، ما دُمت تجد له محملاً حسناً، فهذا من أسباب دوام المودات بين المسلمين، وحُسن العِشرة بينهم.

فإذًا إذا حُلِفَ لك بالله عز وجل في باب القضاء عليك الرضا، إذا حُلِفَ لك بالله في باب المعاذير فعليك أيضاً الرضا.

في غير هذين الموضعين، نحنُ كما قلنا الحديث ما قيَّدها بحال، فظاهر الحديث **العموم**، لكن من الشُراح مَن قيَّدها بهاتين الحالتين.

ومِنهم مَن يقول: لا، مطلقة سواءً في باب الخصومات أو في باب المعاذير أو في الكلام العادي، في الوقائع العادية، ومما يدل على ذلك أو من أمثلته مثل قصة **عيسى بن مريم** في الصحيح، فعيسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً بعينيه يسرق، فقال له عيسى: **"سرقت؟" فقال: "كلا واللهِ الذي لا إله إلا هو"**، ماذا قال عيسى؟ قال: **"آمنتُ بالله وكذبتُ عيني"**، فهذا حلف بالله: **"كلا واللهِ الذي لا إله إلا هو"**، يعني إني ما سرقت، وعيسى رأى، فقال: **"آمنتُ بالله"** يعني الذي حلفتَ به، **"وكذّبتُ عيني"**.

أما إذا كان هذا الشخص الحالف بالله عز وجل قالوا: يعني **معروف بالفجور وبالكذب وبالاجتراء على الحلف بالله عز وجل كاذبًا**، فإذا كان في الخصومات، فلك أن تقبل يمينه ويمشي الحكم على ما حلف عليه إذا لم يكن لك بينة، وإن شئت أن تترك القضية فالأمر إليك.

ويدل على هذا مثلاً قصة **مُحيّصة بن مسعود وحُويّصة بن مسعود وعبد الله بن سهل**، ثلاثة من الصحابة كانوا في حالة فقر وجوع وشدة، فذهب اثنان إلى خيبر، خيبر كانت مزارع نخيل فيها تمور وفيها خير كثير، فذهب عبد الله بن سهل وابن عمه محيّصة بن مسعود، ذهبا إلى خيبر من أجل يطلبان الرزق، إما يعملان أو يستلفان أو شيئًا من هذا، فتفرقا في مزارع خيبر، هذا ذهب في طريق وهذا ذهب في طريق، عبد الله بن سهل أخذ طريقًا ومحيّصة أخذ طريقًا آخر.

ثم بعد وقت جيءَ إلى مُحيِّصة، وقيل له إن عبد الله بن سهل **قُتل**، الرفيق الذي كان معه، قُتل ورُميَ في بئر، فرفعوا الخبر إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: **"إما أن يدفعوا ديته، وإما أن يُؤْذَنوا بحرب"**، فكتبت يهود إلى النبي ﷺ: **"ما قتلناه"**، قالوا: "ليس نحن الذين قتلناه، ابحثوا عن الذي قتله، ما ندري مَن؟". فقال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سهل الذي هو أخ عبد الله القتيل، وقال لحُويّصة بن مسعود ومُحيّصة بن مسعود، قال لهم: **"تحلفون"**، أنتم تحلفون إن اليهود قتلت عبد الله بن سهل. **قالوا: "كيف نحلف على شيء لم نشهده؟"**، قال: **"إذًا تبرؤكم يهود بخمسين يمين"** هذا المبحث **باب القسامة** معروف، يحلفون خمسين يمين. فقالوا: **"يا رسول الله: قومٌ كُفَّار"** يعني يهود يحلفون بالله كذبا ولا يُبالون، فأبوا أن يقبلوا منهم اليمين **لكفرهم**، ففداه النبي ﷺ من عند نفسه، فدفع لآل عبد الله بن سهل دفع لهم مائة رأس من الإبل.

وهكذا أيضاً حصل مع **الأشعث بن قيس بن مَعْدِكَرِب** رضي الله عنه، فإنه دخل على تلاميذ ابن مسعود أبي وائل ومعه، فقال: **"ما حدثكم عبد الرحمن؟"** فقالوا: "حدثنا بقول النبي ﷺ: **"مَن اقتطع مال امرئٍ مُسلم بيمينه لقي الله وهو عليه غضبان"**، وأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، إلى آخره".

فقال: **"صدق، فيَّ نزلت هذه الآية، كان بيني وبين ابن عم لي"** في رواية: **"رجل من اليهود"**، قالوا إن ابن عمه هذا كان يهوديا أصلاً، اختصما في بئر، فقال النبي ﷺ للأشعث: **"عندكَ بينة؟" قال: "لا". قال: "إذًا يحلف". فقال: "يا رسول الله إذًا يذهب بمالي". فقال ﷺ: "مَن اقتطعَ مال امرئٍ مُسلم بيمينه لقي الله تعالى وهو عليه غضبان"**. وفي رواية: **"إنه قال: ليس لك إلا هذا"**، يعني إلا أنه يحلف أو البينة، فتركه، وحُدِّثَ الرجل بالحديث فترك الأرض للأشعث.

المهم: أن **الحلف بالله عز وجل أمرٌ عظيم**، **"ومَن حلفَ بالله فعليه أن يصدق، ومَن حُلِفَ له بالله فليرضَ"** تعظيمًا لِمَن؟ تعظيمًا لله سبحانه وتعالى، هذا خلاصة هذا المبحث.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

٤٢ – بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللَّهِ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٣ – بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩ هـ

٤٣ - بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

"بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ" هذا فيه عطف لمشيئة المخلوق على مشيئة الله **بالواو**، **"ما شاء الله وشئت"** ففيه **تشريكٌ في اللفظِ**، وهذا **يُنافي كمال التوحيد**، فهذا من الشرك الأصغر.

عَنْ قُتَيْلَةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُوْنَ، تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! وَتَقُوْلُوْنَ: وَالكَعْبَةِ! فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُوْلُوا: "وَرَبِّ الكَعْبَةِ". وَأَنْ يَقُوْلُوا: "مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ". رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ".

"عَنْ قُتَيْلَةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا" يعني بنت صيفي **"أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُوْنَ"** اليهودي يقول للنبي ﷺ، يعني لاحظ **ملاحظة على المسلمين**، ما هي؟ قال: **"إنكم تشركون"**، ما هو هذا الشرك؟ قال: **"تقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون: "والكعبة"** إذًا هذا اليهودي رأى ملاحظة، أمراً مُستنكراً عند بعض المسلمين، وهو **الشرك في اللفظ** بقول: **"ما شاء الله وشئت"** والحلف بالكعبة.

وهذا يدل على أن هذا اليهودي عنده **علم**، يُميز به بين التوحيد وبين الشرك، حتى الشرك الأصغر عرفه وفهمه، في الوقت الذي هو مُقيم فيه على ماذا؟ **مقيم على الشرك الأكبر وعلى الكفر الأكبر وعلى سب الله وسب رُسلهِ** عليهم الصلاة والسلام، لكن هذا مثل ما قيل إنه يرى **القذاة في عين أخيه ولا يرى الجِذعَ في عينهِ**، فرأى الشرك الأصغر عند بعض الناس، ولم يرَ ما هو واقعٌ فيه من الكفر والضلال والشرك الأكبر والعياذ بالله.

ومما يدل على أن هذا كان معروفا عند **بني إسرائيل**، إن مثل هذه الألفاظ مخالفة للتوحيد، قصة الملك الذي أرسله الله عز وجل إلى أبرص، وإلى أقرع، وإلى أعمى، أتاهم على صورة رجل فقير يطلب صدقة، يطلب الإعانة، فجاء إلى واحد منهم قال له: **"رجل فقير، أو مسكين، تقطعت بِيَّ الحبال، تقطعت بِيَّ الأسباب ولا بلاغَ لِيَّ اليوم إلا بالله ثم بكَ"**، لاحظ العبارة وهذه من أخبار بني إسرائيل، يعني قصة وقعت

في بني إسرائيل، والنبي ﷺ يرويها، **"ولا بلاغَ لي اليوم إلا باللهِ ثُمَّ بك"**، فكأن هذا يدل على أن عندهم في دينهم إنه هذا العطف بهذه الصيغة أنه من باب الشرك، ولهذا عبر بالتعبير الصحيح وهو المجيء بحرف العطف **"ثُمَّ"**.

"إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة" لاحظ موقف النبي ﷺ، قال: **"فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: "ورب الكعبة"، وأن يقولوا: "ما شاء الله ثم شئت"**، إذاً قبل الرسول ﷺ النصيحة أو ما قبلها؟ **قبلها**، لم يمنع النبي ﷺ من قبول هذا الحق أن يكون قائله يهودياً.

وهذا نموذج ومثال للكلمة التي نسمعها: أن **الحق يُقبل ممن جاء به**، يعني كافر قال كلمة حق، ما تقبلها؟ تردها؛ لأنه كافر؟ لا، تقبل هذه الكلمة، مثل الشيطان مع أبي هريرة، ماذا قال له؟ قال النبي ﷺ عن كلمة الشيطان: **"صدقكَ وهو كذوب"**، والصدق يُقبل أو ما يُقبل الصدق؟ يُقبل الصدق، **"صدقكَ وهو كذوب"**، فالحق يُقبل ممن جاء به، لكن ليس هذا معناه الدراسة والتتلمذ والتعلم والقراءة لأهل الكفر ولأهل الأهواء وأهل البدع، هذا شيء وهذا شيء، هذا مقام وهذا مقام.

- في هذا الحديث **معرفة بعض اليهود للشرك الأصغر**.
- وفيه أن **الحق يُقبل ممن جاء به**، من مسلم أو كافر ولو كان يهودياً.
- وفيه: أن **العطف على لفظ الجلالة بالواو**، في مثل: **"ما شاء الله وشئت"** أنه شرك.
- وكذلك أيضاً **الحلف بغير الله كقول: "والكعبة" أيضاً أنه شرك**.

ومن فوائد هذا الحديث أيضاً: أن النبي ﷺ **أعطى الأمة البديل**، لما نهاهم عن اللفظ المنكَر شرعاً أعطاهم البديل الصحيح، فقال: **"قولوا: ورب الكعبة"**، هذا تصحيح لقوله: **"والكعبة"**، تقول: **"ورب الكعبة"**. وتصحيح **"ما شاء الله وشئت"** أن يقولوا: **"ما شاء الله ثم شئت"** وهذا البديل الجائز، وسيأتينا بديل أكمل وأفضل من هذا البديل.

وهذا من **آداب المعلم المفتي**، ومن آداب الناصح، إنه إذا حذَّر الناس من شيء حرام وله بديل في الحق أن يدلهم على البديل، جئت لمجتمع فيه الزنا، فيه عمل قوم لوط، حذرهم من الزنا، حذرهم من اللواط ودلهم

على **النكاح**، لوط عليه السلام لما منع قومه من إتيان الذكران من العالمين، قال: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١] دلهم على الزواج، دلهم على النكاح، نكاح الرجال للنساء، النكاح الشرعي، الله عز وجل يقول: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] حرَّم الربا وأعطاهم البديل عنه وهو البيع، فإذًا إذا منعتهم من شيء وهذا الشيء الحرام له بديل فيما أحل الله أو فيما شرع الله فدُلَّهم عليه.

ثم قال: وَلَهُ أَيْضًا يعني النسائي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ"، فَقَالَ: "أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ".

هذا يدل على ما مضى في حديث قتيلة، لما اليهودي قال: **"إنكم تقولون ما شاء الله وشئت"** فهذا شاهد أيضاً **"أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت فقال: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟"** هذا استفهام إنكار، **"بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ"**.

وهذا الحديث فيه أيضاً من الفوائد ما تقدم، ويضاف إليه:

- أن النبي ﷺ كان **يُبادر إلى إنكار المنكر** ولاسيما إذا كان هذا المنكر يتعلق بالاعتقاد، فإنه بادره بقوله: **"أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ"**.
- وفيه **إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى**، فكل ما يقع في هذا الوجود لا يقع إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، حتى ما يكرهه الله من الكفر والمعاصي والظلم لا يقع إلا بمشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالله قد يشاء ما يُحب، وقد يشاء ما يكره.

هنا لاحظ قوله ﷺ: **"بل ما شاء الله وحده"**، وهناك في حديث قتيلة: **"ما شاء الله ثم شئت"**، قلنا في لفظ جائز، وفي لفظ أكمل:

- **اللفظ الجائز**: أن تقول: **"ما شاء الله ثم شئت"** أنك جعلت مشيئة النبي ﷺ تابعة لمشيئة الله، فما فيه تشريك،

- البديل الآخر الذي في حديث ابن عباس **أكمل**، توحيد الله في المشيئة فقط، **"بل ما شاء الله وحده"**

لا يوجد تعارض بين الحديثين، يعني لا يأتي شخص يقول: كيف هنا يقول: **"ما شاء الله وحده"** وهناك: **"ما شاء الله ثم شئت"**؟ ما في تعارض **"ما شاء الله ثم شئت" هذه جائزة**، **"ما شاء الله وحده" هذا أفضل وأكمل**.

ولابن ماجه عن الطفيل -أخي عائشة لأمها- قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: هل أخبرت بها أحدا ؟ قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده.

ثم قال: **"وَلابْنِ مَاجَه عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا"** اسمه: **الطفيل بن عبد الله بن سخبرة الأسدي**، أخو عائشة من أُمها **أُم رومان**؛ **"قَالَ"** الذي هو الطفيل هذا: **"رَأَيْتُ"** يعني في المنام **"رَأَيْتُ: "كَأَنِّيْ أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ اليَهُوْدِ؛ قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ"** هذا أسلوب مدح.

"إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ" لكن فيكم خصلة لو سلمتم منها لكنتم الأفضل والأحسن ونحو ذلك، **"إنكم لأنتم القوم؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ!"**، ماذا رد عليه أولئك النفر؟ **"قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ!"** يعني اليهود مدحوا الصحابة وقالوا: **"وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ"** لكن فيكم خصلة لو سلمتم منها لكملتم، ما هي؟ قال: **"تقولون: ما شاء وشاء محمد"**.

قال: **"ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى"** هذا في المنام، **"فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: المَسِيْحُ ابْنُ اللهِ!"** يعني يمدح النصارى، هذا أسلوب مدح، لكن فيكم خصلة سيئة، ما هي؟ **"أنكم تقولون: المسيح ابنُ الله! "قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ!"**.

قال: **"فَلَمَّا أَصْبَحْتُ"** استيقظ من نومه وأصبح.

قال: **"أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ"** إما بعض أهله أو بعض أصدقائه أو كذا.

قال: **"ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: "هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟" قُلْتُ: نَعَمْ"** يعني أخبرت بها من أخبرت، **"قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا؛ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلَا تَقُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ"**.

هذا الحديث أيضاً تأكيد لما مرَّ ذكره ولكن هذا فيه بيان سبب نزول الوحي والتشريع بالنهي عن هذه اللفظة بعد أن كان مسكوتاً عنها؛ لأن الحلف بغير الله وقول **"ما شاء الله وشئت"** كان في الأول مباحاً ثم حُرم ونُهي عنه.

يقول: **"عن الطفيل، أخو عائشة لأمها"** تقدم، أن الطفيل بن عبد الله بن سخبرة، وأمها أُم رومان، **"قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ اليَهُوْدِ؛"** هذه رؤيا، والرؤيا كما ثبت عن النبي ﷺ **"أنها جزءٌ من ستٍ وأربعين جزءًا من النبوة"** وتقدم أظن أكثر من مرة شرح معنى هذا الحديث، وأن المقصود بها أن النبي ﷺ أول ما بُدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة تمهيدًا، فكان مرَّ على هذا الحال تقريباً **ستة أشهر**، **"لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"** لمدة ستة أشهر، ومُدة النبوة كم؟ **ثلاثة وعشرون سنة** والسنة فيها كم ستة أشهر؟ قسّمها اثنا عشر شهراً، فيها قسمين، فصارت بهذا التقسيم **ستة وأربعين جزءاً**، كل سنة نقسمها نصفين، ستة أشهر وستة أشهر، **ستة وأربعون**، فالستة أشهر هذه التي كانت تُعتبر جزءاً من ستة وأربعين جزءاً، هذا على أحد التفاسير لهذا النص.

الشاهد :أن النبي ﷺ أخبر أن **الرؤيا شأنها كبير وعظيم**، وبالتالي لا يجوز للمسلم أن يكذب في الرؤيا، يقول: "رأيت" وهو لم يَرَها، حتى لو كان **لغرض صحيح** يعني بعض الناس يتخذ موضوع الرؤيا يتخذها أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله، فيقول: "رأيت في المنام كذا وكذا"، ويأتي برؤية مُفزِعة تُدخل على القلوب الرعب والهلع والخوف حتى يرتدع الناس عن المعصية من المعاصي مثلاً.

"لماذا تكذب؟" قال" :**أُريد أن أصلح بين المخلوق والخالق**، أليس الكذب في الإصلاح بين المخلوق والمخلوق جائز؟ تقول له: "بلى"، قال لك" :**إِذًا الكذب للإصلاح بين المخلوق والخالق من باب أولى"** يعني قياس.

هذه الصورة فيها نهي، النبي ﷺ كما ثبت عنه يقول: "**مَن أَرَى عينيه ما لم تَرَيَا كُلِّفَ أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل"**، أو كما قال ﷺ، ففيه **نهي ووعيد شديد** أن الشخص الذي يقول: "رأيت في المنام كذا" ولم ير، يُعذب يوم القيامة، يعذب حتى يتمكن من العقد بين شعيرتين، حبة الشعير يُكلَّف أن يربط هذه بهذه، ولا يقدر، فظاهر الحديث: **طول عذاب هذا الشخص** والعياذ بالله.

فلا يجوز الدعوة إلى الله بالكذب، الدعوة إلى الله تكون كما دعا النبي ﷺ وأصحابه، كما دعا الأنبياء من قبل، **أهل صدق ودعوة صدق ودعوة حق**، فلا يجوز لمسلم أن يتجرأ على الكذب بـ**الدعوى أنه رأى في المنام وهو لم يرَ**.

"قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ" هذا طبعاً في المنام، ولا ينبغي الثناء على الكفار، ومدح الكفار، لا ينبغي هذا إذا كان على وجه قد يُدخل الاغترار بهم في قلوب المسلمين وثبت عن عمرو بن العاص أنه أثنى على الروم بصفات هي فيهم.

"قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ!" نبي من الأنبياء أو أنه رجل صالح، ويُقال هو قال الله فيه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

- **"أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ!"** اليهود نسبت لله الولد **"عزير"**،

- النصارى نسبت الابن لله وهو "**المسيح**".
- كفار العرب قريش نسبوا لله عز وجل البنات "**قالوا: الملائكة بناتُ الله**" تعالى الله وتقدس أن يكون له ولد أو تكون له صاحبة.

"**إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ! قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ!**" إذًا لاحظوا هذه الكلمة، عطف مشيئة النبي ﷺ على مشيئة الله بواو العطف، "**ما شاء الله وشاء محمد**".

ومثل ذلك حصل مع النصارى "**ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: المَسِيْحُ ابْنُ اللهِ!**" المسيح عيسى ابن مريم، "**قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ!**".

لما أخبر بها الطفيل بن عبد الله بن سخبرة النبي ﷺ، ماذا فعل النبي ﷺ؟ قام فخطب الناس، "**قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ**"، هذا من آداب الخطبة، من آداب الكلام، تُفتتح بالحمد، بحمد الله والثناء والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، وتأتي بكلمة الفصل: "**أما بعد**"، كلمة يُنتقل بها من حديث إلى حديث.

ثُمَّ قَالَ: "**أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا**" الفاء يقول هي واجبة الذكر لا أن تذكر الفاء "**رَأَى رُؤْيَا**" يعني رؤيا حق، "**أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً**" يعني كنتم تقولون كلمة، "**كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا**"، يعني كان الرسول ﷺ يسمعها منهم لكن لم يكن ينهاهم عنها، لماذا؟ هنا في هذه الرواية لم يُصرح بالمانع له من النهي، لكن جاء في رواية: "**كان يمنعني الحياء أن أنهاكم عنها**" وسبب عدم النهي للنبي ﷺ الناس عنها، أنه لم يُوحَ إليه فيها شيء، أما لو كان قد نزل النهي عن هذه الكلمة، فهل نتخيل أن الرسول سيترك الإنكار؟ لا، لن يترك الإنكار ﷺ؛ لأنه لو بُلِّغ بذلك وأوحي إليه بذلك لكان جزء من المهمة التي أُمر بتبليغها: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالمقصود: إنه هذا قبل أن يوحى إليه فيها شيء في هذه العبارات، لكن كأنه هذا اللفظ أيضاً يفيد إنه كان كارهاً لهذه الكلمة لا يحبها، هذا الذي يظهر؛ لأنه يريد أن يمنعهم منها، يريد أن ينهاهم عنها لكن في شيء يمنعه من ذلك.

الآن ثبت بها الوحي، نزل الوحي يعني على النبي ﷺ، فالحكم ما أُخذ من رؤيا الطفيل، لا، الحكم يُؤخذ من النبي ﷺ، يُؤخذ من قول النبي ﷺ: **"فَلَا تَقُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ"**.

هنا ثبت الحكم الشرعي، أما مجرد الرؤيا، رؤيا آحاد الناس فهذا لا يثبت بها حكم، لا تحليل ولا تحريم، لا يثبت بها حِل ولا حُرمة، لكن صار هذا شرعاً بقول النبي ﷺ: **"لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا: ما شاء الله وحده"**، مثل قصة عبد الله بن زيد لما رأى الأذان، متى صار شرعاً هذا الأذان؟ بالرؤيا فقط؟ لا، لكن **بإقرار النبي ﷺ له**، بإقرار **النبي ﷺ وأمره بلال أن يؤذن بهذا الأذان**، هنا صار تشريعاً، أما رؤيا الأنبياء فهذا حق، رؤيا الأنبياء وحي، هذا خاص بهم عليهم الصلاة والسلام.

وهذا اللفظ البديل: **"قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ" هو الأكمل**، ولو قال: "ما شاء الله ثم شاء محمد" فإن ذلكَ جائز.

هذا وبالله التوفيق والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٤ – باب من سب الدهر فقد آذى الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩

٤٤ – باب من سب الدهر فقد آذى الله (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب من سب الدهر فقد آذى الله"**.

هذا الباب نبَّه فيه المؤلف رحمه الله على **خطورة سب الدهر**، وأن سب الدهر في الحقيقة **مَسَبَّة لله جل وعلا** فهذا سب الدهر **يُنافي كمال الإيمان الواجب**، فهو من الشرك لكن الأصل أنه من **الشرك الأصغر**، إلا إذا اعتقد أن الدهر هو خالق الحوادث التي تقع فيه، فإن هذا يكون **شركاً أكبر** والعياذ بالله.

قوله: **"من سب الدهر فقد آذى الله"** **أَذِيَّة الله** يعني أن المخلوق يُسمع الله جل وعلا ما يُبغضه، يُسمع الله جل وعلا ما يكرهه، هذه الآذية المقصودة، أن يعمل العبد عملاً، أو يقول العبد قولاً يُبغضه الله ويكرهه الله والعبد بهذا المعنى يؤذي الله جل وعلا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧] ولكن لا يضر الله هذا الشيء جل وعلا مثقال ذرة، **فالضرر منفي عن الله جل وعلا**، ﴿فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٤٤] وفي الحديث القدسي **"لن تبلغوا ضري فتضروني"**، فلا يلحق الله عز وجل ضرر، إذا كفر العبد بالله، أو سب الله جل وعلا، أو كفر بأنبيائه ورسله وكتبه، هذا كله لا يضر الله شيئاً؛ بمعنى لا يُنقَص شيء من ملك الله سبحانه وتعالى، ولكن لا يلحقه ضرر أياً كان ذلك الضرر، إنما المثبَت في هذا الحديث وفي الآية الكريمة، المثبت **الآذية**، وهو أن يقول العبد قولاً يُبغضه الله، أو يعمل عملاً يُبغضه الله جل وعلا.

"باب مَن سب الدهر"، الدهر هو الزمن، الأيام والليالي والشهور والأعوام والأسابيع والساعات، هذا الدهر يعني الزمن و**السب**: معناه **الشتم**، الشتم والعيب والذم والتنقص واللعن، كل هذا يدخل في السب **"باب مَن سب"** يعني لعن، أو تنقص، أو ذم، أو شتم، **"الدهر"** الزمن كله، أو بعض أجزائه **"فقد آذى الله"** يعني أسمع الله ما يُبغضه الله ويكرهه الله، هذا فيما يتعلق بمعنى هذه الترجمة.

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

﴿وَقَالُوا﴾ يعني الكفار المشركون الذين ينكرون البعث، ينكرون النشور، ينكرون يوم الجزاء والحساب: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يعني هذه الحياة التي نحن فيها، ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بمعنى يموت بعضنا ويحيا بعضنا، أو كما قال بعض المفسرين: نموت وتحيا أولادنا، هذا معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، ليس المقصود أنهم يموتون الآن في هذه الدنيا، ثم نحيا يعني نُبعث يوم القيامة، لا، هم لا يُقرون البعث أصلاً، لا يؤمنون بالبعث، إنما المقصود أن بعضنا يموت وبعضنا يحيا وهكذا وهكذا أبد الدهر.

ومنهم من يقول: أن الآية فيها **تقديم وتأخير** يعني من جهة المعنى، وتقدير الكلام: وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا، نحيا ونموت، وذكروا أن هذه قراءة لـ **ابن مسعود**؛ يعني قراءة شاذة بمعنى غير متواترة، وعلى هذا التقدير واضح المعنى، نحيا ثم نموت، وينتهي الأمر بالموت، فلا بعث ولا نشور ولا حياة أخرى.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ يعني إلا **طول العمر**، يُعمَّر يُعمَّر يُعمَّر الإنسان، ثم يهرم ثم يموت، مَن يَعِشْ يكبر، ومَن يكبر يَمُت، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ يعني إلا التقدم في العمر، أو ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ يعني إلا **حوادث الدهر** من مرض أو قتل أو مجاعة أو غير ذلك من أسباب الموت التي لا تعد.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يعني ليس لهم دليل على ما قالوا، وبالتالي **لا عِبرة بهذا القول**، القول الذي لا دليل عليه لا قيمة له، مجرد تخرصات وظنون وأوهام لا قيمة لها وهكذا ينبغي على طالب العلم، أن يُعوِّد نفسه، يُربي نفسه على **قبول القول بدليله**، وإذا حصل النزاع والخلاف في مسألة عقدية، في مسألة فقهية، في أي مسألة كانت، لا يتعصب لفلان وإنما يدور مع الدليل حيث دار.

ونحل الشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ **فنسب التصرف إلى الدهر**، أنه هو الذي يهلك.

والله عز وجل قد رد في مواطن كثيرة من كتابه الكريم، رد على مُنكر البعث، رد بأساليب متعددة، بردود متنوعة جداً، فمنها مثلاً على سبيل المثال:

❑ أنه أثبت البعث من جهة أن الله سبحانه وتعالى **أحيا بعض الموتى**:

- **مثل الرجل** الذي مر على قرية،

- **ومثل القوم** الذين خرجوا من ديارهم وهمألوف،
- **ومثل الطيور** التي أُمر إبراهيم عليه السلام بذبحها،
- **ومثل ما حصل** من عيسى ابن مريم عليه السلام **يحيي الموتى بإذن الله**،

والذي قدر على إحياء نفس واحدة، قادر على إحياء الأنفس.

❑ ومنها أيضاً تنبيه العباد إلى **إحياء الأرض بعد موتها**، فتكون الأرض ميتة هامدة، فينزل عليها المطر فتنبت، تخضَر، فالذي أحيا هذه الأرض بعد موتها بالنبات، قادر على إحياء الناس بعد موتهم.

❑ كذلك أيضاً من الأساليب والطرق التي جاءت في القرآن لإثبات البعث، **التنبيه بابتداء الخلق**، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١] فالتنبيه بابتداء الخلق دليل على إمكان الإعادة، وسهولة الإعادة، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] الكل هين وسهل على الله جل وعلا، ابتداء الخلق وإعادة الخلق، لكن بحكم تصورات العقل، بحكم ما يدركه العقل، أن الإعادة أسهل من ابتداء الشيء واختراع الشيء، فالذي ابتدأ الخلق ووجده من عدم، قادر على إعادته، وهذا الدليل واضح.

❑ كذلك أيضاً التنبيه على أن الله عز وجل **خلق مخلوقات أعظم من خلق الإنسان**، ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] فالذي استطاع وقدر أن يخلق هذه السماوات العُلا، وهذه الأراضين السبع، وهي أعظم من خلق الإنسان بمراحل، قادر على أن يعيد الإنسان مرة أخرى.

❑ وكذلك أيضاً التنبيه على أن الناس في هذه الدنيا على نوعين: مؤمن وكافر، وتقي وفاجر، ثم يموتون جميعاً الصالح والطالح، والمؤمن والكافر، والبَر والفاجر، كُلاً يموت، ويموت هذا ويموت هذا، قبل أن ينال جزاءه على عمله في الدنيا، أين الجزاء على هذه الأعمال؟ أين المحاسبة على هذه الأعمال؟ إذا كان الموت هو نهاية هذه الرحلة، إذًا يكون خلق الناس من باب العبث، والله جل وعلا **مُنَزَّه عن العبث**، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، هذا مُحال، فالله سبحانه وتعالى حكيم، والحكيم لا يخلق هذا الخلق عبثاً ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] ما يمكن، ما يمكن أن يُساوى هذا بهذا فإذًا لابد من بعث ونشور يكون فيه الجزاء على الأعمال، فيثاب أهل الإيمان، ويُعاقب أهل الكفران فهذه بعض أساليب القرآن الكريم في إثبات البعث والنشر.

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال تعالى :يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار .وفي رواية :لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر.

"**قال الله**" يعني في **الحديث القدسي**، ليس في القرآن الكريم، إنما في الحديث القدسي، يُسمى حديثاً قدسياً، يُسمى حديثاً إلهياً، مضاف إلى الله جل وعلا.

"**يؤذيني ابن آدم**" يعني يقول قولاً يُبغضه، يقول قولاً أكرهه.

"**يؤذيني ابن آدم**" ثم فسَّر، قال "**يسب الدهر**" إذا وقعت به مصيبة، ووقعت به بلية، وقع عليه ما يكره، سب الدهر، "الله يلعن هذه الساعة"، "الله يلعن هذا اليوم"، "لعن الله هذا العام"، وأمثال هذا من الكلام أحياناً بين الزوجين خصومة، تجد أحدهم يقول للآخر: "لعن الله اليوم الذي عرفتك فيه"، أو "اليوم الذي اجتمعت فيه معك" وهكذا هذا من **سب الدهر**، سواء العام، ولا اليوم، ولا الساعة، أياً كانت، "**يسب الدهر**" يعني لما وقع فيه من المكروه.

وعموماً السب لا يجوز أصلاً، فينبغي للمؤمن أن يتنزه عن السب واللعن والشتم يقول ﷺ: "**إن اللعّانين لا يكونوا شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**"، ويقول ﷺ: "**ليس المؤمن بالفاحش، ولا باللعّان، ولا الطعان، ولا البذيء**"، ولم يكن النبي ﷺ لعّاناً، ولا فاحشاً، ولا بذيئاً، ولا صخَّاباً في الأسواق ﷺ، ولنا فيه أسوة حسنة.

والله عز وجل أدّبنا في سورة الحجرات، نهانا عن السخرية، ونهانا عن التنابز بالألقاب، آداب إسلامية راقية عالية ينبغي أن يتخلق بها المسلم ويقول ﷺ: "**سِباب المسلم فسوق، وقِتاله كفر**" بل جاء النهي حتى عن سب الدواب والبهائم وما لا يعقل كان النبي ﷺ في مسير في سفر، ومعه امرأة راكبة على ناقة لها، فتعسرت

عليه الناقة، ما مشت مع الناس، ماذا فعلت؟ ضجرت منها فلعنتها، فسمعها النبي ﷺ فقال: **"لا تَصحَبْنا ناقة ملعونة"**، فنزلت عنها المرأة، ونزل ما عليها من المتاع، وتُركت، من باب التعزير، فنُهينا عن سب الحيوان، نُهينا عن سب الريح: **"لا تسبوا الريح"**، فكيف بمَن يسب الله جل وعلا، أو يسب نبيه ﷺ، أو يسب كتابه الكريم، أو يسب الدهر، ومؤدى هذا السب سب الله جل وعلا، إذًا لا شك أن هذا النهي أشد، فعلى المسلم أن ينتبه وإذا قلنا المسلم عامة، فهذا في حق طالب العلم آكد وآكد.

وراح نشوف بعض الخصومات التي تقع ويكتب فيها ما يقال فيها، فنجد ألفاظاً كثيرة بذيئة، لا ينبغي لطالب العلم أن يتلفظ بمثل هذه الألفاظ، ويرد الباطل، الباطل يُرد على صاحبه، لكن لا ينبغي لطالب العلم، ولا سيما في مثل وسائل التواصل تنتشر، ويطلع عليها كل واحد، أن يتلفظ بالألفاظ التي يُغني عنها رد الباطل، وبيان الحُجَّة في رد ذلك الباطل.

"وأنا الدهر" كيف هذا؟ ما معنى أنا الدهر؟ يعني هل من أسماء الله **الدهر**؟ كما قال أهل العلم: **الجواب لا** وإنما معنى **"وأنا الدهر"** تفسير ومعنى **"أنا الدهر"** الجملة التي بعدها، هذا تفسير **"أنا الدهر"**، تفسير قوله جل وعلا: **"أقلب الليل والنهار"**، إذًا الزمن لا يعمل شيئاً، الزمن **ظرف**، محل لما يجري به القضاء والقدر، فهو لا يعمل شيئاً، لا يخلق، لا يُحيي، لا يُميت، لا يُغني، لا يُفقر، لا يُصِح، لا يُمْرِض، لا يُعِز، لا يُذِل، لا يُسْعِد، لا يُشْقِي، الدهر ما يفعل شيئاً من هذا، إنما الذي يُقلب الليل والنهار، ويُجري ما يقع فيها من الحوادث هو الله سبحانه وتعالى وفي رواية: **"لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر"**، نفس الكلام السابق، يُعرَف أن الله هو الذي يُقلب ويجري الحوادث فيه.

فمثلاً: واحد خسر في تجارته يوم السبت، قال: "لعن الله يوم السبت هذا"، "الله يلعن هذا اليوم"، لماذ لعن هذا اليوم؟ لأنه خسر في هذا اليوم، هل يوم السبت هو الذي خسَّرك؟ لا، الذي قدَّر عليك هذه الخسارة مَن؟ هو الله جل وعلا، إذًا كأنك تسب مَن؟ كأنك تسب الله.

وما المطلوب من المسلم إذا وقعت به مصيبة في يوم السبت، ولا الأحد، ولا أي يوم؟ ما المطلوب من المسلم إذا أصابه ما يكره؟ **الصبر**، يصبر ويحتسب، هذا المطلوب، وإذا استطاع بعد أن يصل إلى درجة **الرضا** فهذا أحسن وأحسن، فالمصائب تُقابَل با**لصبر**، وبا**حتساب الأجر عند الله**، ما تُقابل بالسب والشتم قد

يكون المصاب الذي وقع بسبب ذنبك، إذاً هذه المصيبة تقابلها بـ**الصبر**، وبـ**محاسبة نفسك**، وبـ**مراجعة نفسك**، تستغفر، تتوب، تجدد توبة، هذا المطلوب فتخرج من هذه الخسارة رابحا إن شاء الله، رابحا **تكفير الذنوب** الذي يقع بالمصيبة، ورابحا **الأجر والثواب** على الصبر، ورابحا أيضاً **التوبة والاستغفار وإصلاح الحال**، فتنقلب هذه المصيبة إلى نعمة إن شاء الله لكن وقعت المصيبة ثم سببت الدهر، كم اجتمعت عليك مصيبة؟ **مصيبتان**:

- المصيبة التي وقعت وكرهتها،
- والمصيبة الثانية هذا **الشرك اللفظي**، هذا الجُرم الذي يؤذي الله سبحانه وتعالى.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٥ – باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

قال رحمه الله: **"باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه"**.

"التسمي" يعني أن يسمي الإنسان نفسه **"قاضي القضاة"** أو يسمي نفسه باسم نحو هذا الاسم، مثل: **مَلِك الملوك**، أو **ملك الأرض**، أو **ملك الأملاك**، أو **سلطان السلاطين**، أو يسميه غيره، ويرضى بهذا الاسم.

"باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه" يعني أن يتسمى هو، يتسمى هو بهذا الاسم، ويُلقب نفسه بهذا اللقب، أو يسميه به غيره ويرضى بذلك، ويقره، ولا ينكره، فالحكم في الحالتين واحد.

"ونحوه" سواء باللغة العربية أو بأي لغة كانت، المقصود **المعنى**، فلو واحد تسمى **"بقاضي القضاة"** لكن باللغة الإنجليزية مثلاً، أو بالفرنسية، أو بغيرها، يدخل في الذم.

"قَالَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ، رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكِ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ".

"قال في الصحيح" يعني في البخاري ومسلم، **"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ، رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكِ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ"**.

قال سفيان مثل: شاهان شاه.

"قال سفيان" يعني ابن عيينة، راوٍ أحد رجال هذا الإسناد، من أسانيده عند البخاري، علي ابن عبد الله ابن المديني، عن سفيان ابن عيينة، عن أبي الزناد عبد الرحمن بن ذَكْوَان، عن الأعرج هو عبد الرحمن ابن هرمز، عن أبي هريرة.

قال سفيان: "مثل شاهنشاه" ترجمتها **"ملك الملوك"**.

وفي رواية :أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه.
قوله :أخنع يعني: أوضع.

وفي رواية: "أغيظ" يعني اسم يغيظ الله جل وعلا، الغيظ يكون أشد الغضب.

"وقوله: أخنع يعني أوضع" في صحيح مسلم عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: **"سألت أبا عمرو"** أحد علماء اللغة **"سألت أبا عمرو عن أخنع فقال: أوضع"**، فهذا التفسير من أبي عمرو، سأله عنه الإمام أحمد رحمه الله وهكذا أيضاً قال غيره فسر أخنع بمعنى **أوضع**.

"إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى" أخنع كما قلنا أوضع، وهذا من باب **الجزاء بنقيض القصد**، هو تسمى بهذا الاسم من باب **التعاظم**، من باب العلو، من باب الكبرياء، فيجازيه الله عز وجل **بأن يجعله ذليلاً حقيراً صاغراً، فالكِبر صفة ذميمة**، وجاء في الحديث: **"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"**، وجاء في الحديث: **"أن المتكبرين يُحشرون يوم القيامة على هيئة الذر"** تحقيرًا لهم، وإذلالاً لهم، ومعاملة لهم بنقيض قصدهم.

"رجل تسمى" يعني هو الذي سمى نفسه، أطلق على نفسه، أو **أُطلق عليه، ولكن رضي بذلك**، وذكر بعض ألفاظ هذا الحديث: "رجل يسمى".

"ملك الأملاك، لا مالك إلا الله" هذا **تعليل لهذا النهي**، لماذا لا يقال عن فلان أنه ملك الأملاك، أو ملك الملوك، لماذا؟ قال: **"لا مالك إلا الله"**، فهذا الاسم لا يُطلق إلا على الله جل وعلا.

الأسماء التي يختص بها الله لا يجوز إطلاقها على غيره، فلا يُسمى أحد الله، ولا يُسمى أحد بالرحمن، ولا يُسمى أحد من المخلوقين **بالخلاّق**، فهذه الأسماء تختص بالله جل وعلا.

وهناك **أسماء أخرى أسماء مشتركة**، يُسمى الله عز وجل **بها** وسمى الله **بها** بعض خلقه، مثل: **رؤوف**، ومثل: **رحيم**، ومثل: **عليم**، ومثل: **حليم**، فهذه تُطلق على الخالق، وتُطلق على المخلوق، ولكل منهما ما يليق **به**،

فلله عز وجل من ذلك الاسم ما يليق **به** من جهة **الكمال** وللمخلوق ما يليق **به** من هذا الاسم من جهة **النقص**، فهو كريم لكن كرمه محدود، حليم لكن حلمه محدود، ليس كحلم الله، ليس ككرم الله، ليس كعلم الله.

ومثل هذا مثل ما بوب عليه المؤلف **"قاضي القضاة"** يعني **رئيس القضاة**، يكون في البلد قضاة، ويكون لهؤلاء القضاة رئيس، سُمِّيَ وزيراً أو رئيساً، فلا ينبغي أن يُسمى **بقاضي القضاة** هكذا، وإنما لو عُدل، غُير الاسم باسم آخر، مثل: **رئيس القضاة**، أو **مدير القضاة**، أو **وزير القضاة**، أو نحو ذلك، فهذا ما فيه حرج.

هكذا أيضاً لو **قُيِّد**: قاضي قضاة مصر، قاضي قضاة العراق، قاضي قضاة السعودية، مثلاً، أيضاً هذا ما يدخل في هذا المحظور، وإن كان **تركه أولى**، لكن التخصيص والتقييد لا يجعله في حكم الاسم المطلق.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٦ – باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم من أجل ذلك

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ
مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ
١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٤٦ – باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم من أجل ذلك

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

"باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم من أجل ذلك"

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ :إن الله هو الحكم، وإليه الحكم .فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال :ما أحسن هذا فما لك من الولد؟ قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال :فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال :فأنت أبو شريح رواه أبو داود وغيره.

"عن أبي شريح" اسمه **هاني ابن يزيد الكِندي،** صحابي وفد على النبي ﷺ وأسلم هو وقومه، أوفد مع قومه وأسلم.

"عن أبي شريح أنه كان يُكنى أبا الحكم" هل هي كنية محضة أو كنية لها سبب؟ كنية لها سبب ولهذا اشتقت هذه الكنية من هذا السبب.

"كان يُكنى أبا الحكم فقال له النبي ﷺ: "إن الله هو الحكم، وإليه الحكم" يعني إن هذا الاسم من أسماء الله عز وجل، **الحكم** من أسماء الله فإذا قيل: "يا أبا الحكم" كان بمنزلة ما لو قيل مَن يا أبا الله والله عز وجل ليس له أب، إذا كان عمر كره أن يُكنى **بأبي عيسى،** كأن يقول عيسى ليس له أب، فالمقصود أن النبي ﷺ قال: **"إن الله هو الحكم"** يعني ولا يليق أن يقال لفلان أبا الحكم والحكم من أسمائه والله عز وجل الحكم والله عز وجل لا أب له.

"إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فقال الرجل" أبو شريح رضي الله عنه، قال: **"إن قومي"** مُبيِّناً لماذا كُنيَ بهذه الكنية قال: **"إن قومي إذا اختلفوا في شيء آتوني"**، إذا تنازعوا في قضية آتوني، يعني لأصلح بينهم، **قال: "فحكمت بينهم"**، أصلحت بينهم، **"فرضى كلا الفريقين"** يصلح بينهم صلحًا، يرضى به الطرفان،

وهذا يدل على **رجاحة عقله، وصواب رأيه**، بحيث أن يجد للمشكلات آراء تحلها ترضي الطرفين، وقليل من يهتدي لمثل هذا.

"آتوني فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين"، فقال ﷺ: "ما أحسن هذا" يعني ما أحسن أن كُنيت بهذه الكنية بناءً على هذا الأمر هل هذا المقصود؟ المقصود "ما أحسن فعلك" فالمدح والثناء هنا لحكمه وإصلاحه؛ لأن الله عز وجل يحب الصلح ﴿والصلح خير﴾ قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] وفي الحديث يقول ﷺ: **"الصلح جائز بين المسلمين"** فالصلح طيب وكان النبي ﷺ يصلح بين من تقع بينهم خصومة من أصحابه.

وحتى قبل البعثة كان يصلح، تذكرون قصة **إعادة بناء الكعبة**، ولما وصلوا للحجر حصل نزاع وانشقاق، كادوا أن يقتتلوا، تواعدوا للقتل، وضعوا أيديهم بعضهم في الدم، علامة على أنهم لن يتراجعوا عن قرار الحرب، فحكّم بينهم النبي ﷺ قبل أن يُبعث، فأمر **برداء**، فبُسط، ووُضِع الحجر عليه، وأمر كل قبيلة من القبائل المتنازعة أن تختار مندوبًا لها، واجتمعوا، وكلاً مسك بطرف، ورفعوه جميعاً، فلما قُرِّب من مكانه وضعه النبي ﷺ بيده الشريفة، فحصل المقصود، وانتفت المشكلة، ورضي الجميع بهذا الرأي.

وكون النبي ﷺ فرح بهذا الوصف، وأثنى عليه، وأثنى على صاحبه، هذا يدل على أنه **ينبغي للمسلم أن يسعى في الصلح**، إذا كان عنده علم، وعنده رأي، وعنده نظر جيد، **لا يبخل على الناس**، لا يبخل على الناس بهذه النعمة التي مَنَّ الله بها عليه، اسعَ في الصلح بين الناس، ولكن يكون عندك علم كيف تصلح؛ لأن بعض الناس يصلح بالضغط على أحد الجانبين، بالذات إذا كان مظلوماً ضعيفاً يضغط عليه حتى يرضى، ويرضخ، ويقول: "أنا أصلحت" لا ما أصلحت، هذا ليس صلحاً، **تصلح بصلح يكون فيه رضا من الطرفين**، هذا الصلح المحمود، ولا يكن في هذا الإصلاح **تحليل ما حرم الله جل وعلا**.

وبعض الناس والعياذ بالله على العكس، ما يسعى بين الناس للإصلاح وإنما بالعكس يسعى بين الناس **بالإفساد**، وإذا المشكلة صغيرة ودخل فيها عظَّمها وكبَّرها، فلا يكون المسلم على هذا، بل يكون ساعياً

بالصلح قدر ما يستطيع، إن استطاع أن يحل المشكلة كلها فعل، ما يستطيع على الأقل أن يخفف من هذا، يخفف من هذه المشكلة.

"قال فما لك من الولد" الولد يطلق على **الأبناء والبنات،** لكن لو قال: "ما لك من الأبناء" اختص الذكور، لكن لو قال: "ما لك من البنات" اختص بالإناث، لكن لما قال: **"ما لك من الولد"** يعني سؤال عن جميع ذريته، ذكوراً وإناثاً.

"قُلتُ: شريح، ومسلم، وعبد الله". "قال: فمَن أكبرهم؟ قُلتُ: شريح، قال: فأنت أبو شريح" فدل هذا على أنه **يُستحب أن يُكنى الرجل بأكبر أولاده،** والكنية ما صُدِّر بأب أو أم، أو ابن، أو بنت أما اللقب فما أشعر بمدح أو ذم.

وهذا فيه **الدلالة على البديل،** لما قال: **"لا تتكنى بأبي الحكم"**، إذن بما أتكنى فأعطاه البديل، كناه بأكبر أبنائه **"أبو شريح"**، محل الشاهد من هذا الحديث **قوله: "إن الله هو الحكم، وإليه الحكم"**، هذا محل الشاهد، قال هذا من باب الإنكار أن يُكنى بأبي الحكم **"إن الله هو الحكم وإليه الحكم"**.

هل هذا التغيير من باب الوجوب أو من باب الاستحباب؟ الذي يظهر والله أعلم، إن هذا التغيير لاسم الحكم إنه **من باب الاستحباب،** لماذا؟ لأن **"الحكم" يُطلق على الله ويُطلق أيضاً على المخلوق:** ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، سمى هذا حَكَماً وهذا حَكَماً وكذلك أيضاً بعض الصحابة كان كلاً منهم اسمه **الحكم،** والحافظ في "الإصابة" وفي كتب تراجم الصحابة، ذكروا جُملة كثيرة ممن اسمه **الحكم،** ولا تجد النبي ﷺ أمرهم بتغيير أسمائهم: **الحكم ابن عمرو الثغاري، الحكم بن سعيد،** وغيرهم آخرون.

وتجد أيضاً في بعضهم يمكن اثنين أو ثلاثة غيَّرهم النبي ﷺ، يقول: أنا حكم بن سيعد، فيقول: "أنت **عبد الله**"، فالشيخ العثيمين رحمه الله يرى أن إذا كانت هذه الكنية **مبنية على هذا السبب،** إنه كان يحكم، فهنا يُغير، تُغير هذه الكنية، فإن كان الاسم أو الكنية مبنية على هذا السبب، أنه يحكم بين الناس فيُغير أما إذا

كان **اسماً محضاً علماً محضاً** "حكم" وليس من شأن هذا الشخص أنه يحكم بين الناس ويصلح بين الناس، فلا حرج.

لكن لو واحد سمى ولده، أو تسمى، أو سُميَّ مثلاً **بالرحمن** أو **بالخلاق**، هنا ما حكم تغيير الاسم؟ **واجب**، وإذا واحد سُميَّ بـ**كريم**، أو **حليم**، أو **عليم** هذا **جائز**، بالنسبة لـ "أبي الحكم"، أو "الحكم"، هذا يحتمل، إما القول الأول **التغيير مطلقاً**، وهذا يدل عليه صنيع المؤلف رحمه الله، هذا مذهب المؤلف رحمه الله، أو يقال إن التعديل **من باب الاختيار ليس من باب الحتم والإلزام** أو أن يقال هذا الاسم أو هذه الكنية **مبنية على الحكم بين الناس فتُغير**، وإن كانت علماً محضاً فلا تُغير، عدة احتمالات، علم محض يعني اسمه الحكم لكن ما يحكم بين اثنين، بدون سبب، يعني علم محض مثل ما تقول: فلان اسمه فارس، ما ركب فرسا ولا قاتل ولا سوَّى ولا شيء، هذا علم محض.

الأقرب من هذه الأقوال، الشيخ ابن باز رحمه الله كان يميل إلى **تضعيف هذا الحديث**، ويقول: "الأحاديث الصحيحة على خلافه"، لكن **الحديث حسن وثاتب فيما يظهر** والأقرب والله أعلم إن تبديل وتغيير الاسم، **من باب الأولى والأفضل**، ولهذا نجد النبي ﷺ غيَّر بعض مَن اسمه الحكم، وبعضهم لم يغيرهم، نكتفي بهذا القدر.

والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٧ – باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٤٧ – باب من هزل بشيء فيه ذكر لله أو القرآن أو الرسول

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيْهِ ذِكْرٌ لِلَّهِ، أَوِ القُرْآنِ، أَوِ الرَّسُوْلِ ﷺ"**.

"باب من هزل" يعني **سخر** واستهزأ **"بشيء فيه ذكر لله، أو القرآن، أو الرسول ﷺ"** أي ما حكم ذلك؟ وقد أبان المؤلف من خلال ما ذكر من الآيات والأحاديث، أن مَن هزل بشيء فيه ذكر لله سبحانه وتعالى، أو هزل بالرسول ﷺ، أو هزل بالقرآن، فإنه **كافر**.

ف**الاستهزاء بالله، أو برسوله، أو بكتابه رِدَّة** تخرجه من الإسلام، ولو كانت من باب المزح. لا يقصد بقلبه الحقيقة، فهذا لا يُسأل فيه عن قصده، ماذا تقصد لما سخرت بالقرآن؟ ماذا تقصد لما سخرت بالرسول ﷺ؟ لا يوجد استفسار، فإذا صدرت هذه السخرية، فإنها **رِدَّة** والعياذ بالله.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ هذا **استفهام إنكار**.

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة -دخل حديث بعضهم في بعض- أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء -يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء-. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله

ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ :أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ [التوبة:٦٥] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

ثم قال "**عن ابن عمر**" عبد الله ابن عمر ابن الخطاب، "**ومحمد ابن كعب**" القُرَظِي، "**وزيد ابن أسلم**" العدوي مولاهم، "**وقتادة**" ابن دِعامة السَّدوسي، قال: "**دخل حديثهم بعضهم ببعض**" يعني أن الرواية التي ستأتي من مجموع مرويات هؤلاء الأعلام.

"**أنه قال رجل في غزوة تبوك**" آخر غزوة غزاها النبي ﷺ، **أنه قال رجل في غزوة تبوك**: "**ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء**" القُراء يقصد بهم: **حفظة القرآن الكريم مع العلم به**، وليس مجرد الحفظ فقط، الحفظ مع العلم.

"**ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء**" مثل علمائنا مالهم؟ قال: "**أرغد بطونًا**" يعني كناية عن كثرة الأكل، حب الطعام، "**ولا أكذب ألسنًا**" أي أنهم كثير الكذب، "**ولا أجبن عند اللقاء**" جبناء أسأل الله العافية فوصفوهم بهذه الأوصاف: **الجشع، والطمع، والكذب، والجُبن.**

وهم في الحقيقة وصفوا القُراء بما هو فيهم؛ يعني بما في هؤلاء المتكلمين أنفسهم:

فإن **المنافقين هم الكذبة** بشهادة الله عليهم، قال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]،

- وهم الجبناء حقيقة، بوصف الله عز وجل لهم فقد قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤]، من الجبن والهلع والخوف،
- وهم الأحرص على الدنيا، مَن الذي دعاهم إلى إظهار الإسلام وإبطان الكفر؟ الحرص على الدنيا، الحرص على السلامة،
- وفيما يخص الطعام بذاته النبي ﷺ أخبر "**أن الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معى واحدة**"،

فالمقصود أنهم وصفوا أصحاب رسول الله ﷺ بما هو فيهم هم.

وبالمناسبة، الحديث يجر بعضه بعضًا، حينما نسمع في التهم التي يرميها **دعاة الإخوان المسلمين** الحركيون والحزبيون يتهمون بها دعاة أهل السنة والجماعة، علماء السلفيين، في الغالب تجد هذه التهم التي يتهمون بها علماء السلف، هي أمور موجودة فيهم هم.

مثلاً: على سبيل المثال يقولون عن طلبة العلم السلفيين، العلماء السلفيين: أنهم **أهل الغلو في الطاعة**، وأنهم **عبيد للسلطان**، ونحو هذا من الأوصاف المعروفة، مَن الذي عنده غلو في رئيسه؟ في أميره؟ في إمام جماعته؟ مَن؟ في الحقيقة علماء السلف، طلبة علم السلفيون، الدعاة إلى الله على بصيرة، يأمرون **بالسمع والطاعة**، وينصحون لوليّ أمر، ويأمرون الرعية بالاجتماع عليه، والائتلاف عليه، وعدم الخروج عنه، ويوصون بالدعاء له، فهم يتعاملون مع وليّ الأمر في حدود الشرع، لكن أولئك حينما تنظر إلى منهجهم مع قادتهم، مع أئمة جماعتهم، مع أنظمتهم، تجد **الغلو بعينه**، حتى زعموا فيما زعموا أن **جبريل عليه السلام ينزل على رئيس من رؤساء الإخوان المسلمين ويؤيده ويسدده**.

وعندهم في **نص بيعتهم**، أنك تسمع وتطيع لرئيس الجماعة، السمع والطاعة بلا تردد، أي شيء يأمرك فيه، تسمع وتطيع دون منازعة، دون تردد، وأين قول النبي ﷺ: **"إنما الطاعة في المعروف"** هذا على فرض أنها بيعة صحيحة، من غلوهم في سادتهم، أنهم يسمعون منهم **الكذب على الله وعلى رسوله**، فيقرونه ويعتذرون له، ويبينون المخارج على زعمٍ مخارج صحيحة لهذه الكلمة، يعني رئيس أحد رؤساء الإخوان المسلمين يقول: **"إن القطع ليد السارق ليس من الشريعة"** هكذا يقول أمام الملأ، ثم لا ينكرون عليه، بل يعتذرون له، ويجاهدون في أن يكون كلامه هذا يخرج من مخرج كلام صحيح، مع أن الله عز وجل في كتابه الكريم يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] وهكذا لو ذهبت تبحث وتفتش عن هذا الغلو تجده عندهم، فالمقصود أنهم يرمون خصومهم من أهل السُنة والجماعة بالصفات القبيحة السيئة التي هي موجودة فيهم.

٤٧ – باب من هزل بشيء فيه ذكر لله أو القرآن أو الرسول

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**قال**" يعني الراوي "**رسول الله ﷺ وأصحابه القُراء**" أسأل الله العافية، يعنون بهذه الأوصاف القبيحة، يعنون بها الرسول ﷺ وأصحابه القُراء يعني العلماء من الصحابة؟

"**فقال عوف ابن مالك**" الأشجعي صحابي، توفي في السنة اللي مات فيها عبد الله ابن عمر سنة ثلاثة وسبعين من الهجرة، ابن عمر مات في آخر ثلاث وسبعين أوائل أربعة وسبعين، هذا مات في ثلاثة وسبعين رضي الله عنه وكان صحابياً صغيراً في تبوك، فكان حاضرا هذا المجلس، الذي قيلت فيه هذه الكلمة، فلما سمع الطعن في النبي ﷺ وفي أصحابه، **أخذه الغضب لله، والغضب لرسوله ﷺ**، أخذته الحمية الدينية المشروعة، فلم يرض ولم يسكت، بل قال: "**كذبت**" قال لهذا القائل "**كذبت ولكنك منافق**"، لأن هذا الكلام لا يصدر من مؤمن، وإن صدر من شخص، عنده إيمان قبل هذه الكلمة، فقد **حبط إيمانه، وبطل إيمانه بها**.

قال: "**ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ**" فهذه فيه فضيلة لعوف ابن مالك رضي الله عنه، ومنقبة جليلة له، على صغر سنه إلا أنه كان يتحلى **بالشجاعة، يتحلى بالجرأة في الحق**، ما قال أنا صغير، وهؤلاء رجال كبار، ما قال أنا واحد، وهؤلاء مجموعة، إنما صرَّح بالإنكار رضي الله عنه "**كذبت ولكنك منافق**" ثم قال "**لأخبرن رسول الله ﷺ**" يعني سأرفع أمرك إلى رسول الله ﷺ أخبره بما قلت، وفعلاً ذهب وأخبر النبي ﷺ، وسنلاحظ أن النبي ﷺ لم يقل له إن هذا من النميمة، فهذه **نميمة مشروعة**، هذا إبلاغ مشروع، نقل للكلام نقل مشروع.

فإبلاغ **وليّ الأمر عن المفسدين** للعقيدة، المفسدين للدين، المفسدين للأخلاق، المفسدين للأمن، فهذا من **التعاون على البر والتقوى**، ومن التناصح، ومن السعي في الإصلاح، ومَن فعله فعمله هذا محمود، وإن كان يريد به وجه الله فهو مأجور.

أحياناً لا يستتب الأمن ولا تستقر الأحوال في البلد، إلا إذا وجد مَن ينقل أحوال هؤلاء المستترين بالإفساد إلى وليّ الأمر، وليّ الأمر لا يعلم الغيب، بل هو بحاجة لمَن يعينه ويرفع إليه الأمر، ولهذا الدول كلها تضع لها

أجهزة لنقل الأخبار، أخبار مَن يتحينون الفرص في الإفساد، سواء في الداخل أو الخارج، **أجهزة مباحث، أجهزة الاستخبارات**، هذه أجهزة ضرورية لحفظ الأمن.

والتكفيريون يحرصون على تدوير هذين الجهازين؛ لأنهم يحبون الفوضى، يحبون الاضطراب، يحبون ذهاب الأمن، وبالتالي الأجهزة التي يكون من أعمالها تثبيت الأمن، أجهزة بالنسبة لهم عدوة لدودة بغيضة، ولهذا أذكر تربينا ونحن صغار على كلام كثير كنا نسمعه في التخويف، ليس في التخويف، التخويف قد يكون جيدا إلى حدود لكن كتكفير هذا أفراد هذا الجهاز، تكفيرهم، النظر إليهم نظرة مُنفسقة، وأنهم فُجار، وأنهم حرب لله ولرسوله وللدعاة إلى الله، وحرب على طلبة العلم، وحرب على المجاهدين، فينشأ الشاب على صغره يبغض أن ينتمي إلى هذه الأجهزة على أساس إنه محارب للدعوة إلى الله، وأنا أتكلم طبعاً عن الوطن السعودي، فينشؤونك على النظر إليهم نظرة أن هؤلاء فسقة، هؤلاء محاربون للحق، محاربون للجهاد، محاربون للعلم، محاربون للدعوة إلى الله، وهذا من الظلم، والبهتان، والافتراء، وهو جزء من الحرب الكبيرة التي يشنونها على استقرار المجتمع المسلم، يفسدون عقيدته ويفسدون أيضاً أمنه.

فهذا الجهاز جهاز ضروري وطبعاً على مَن ينتمي إليهم أن يتقي الله سبحانه وتعالى، وأن يكون صادقاً فيما ينقل، وهكذا مَن يتبرع ويتعاون مع الدولة بإبلاغها، أيضاً عليه يجب أن يكون صادقاً، وأن يكون أميناً في نقله، متحرياً في نقله، فالشيء الذي فيه فساد، فيه إضرار بالأمن، فيه إخلال بالعقيدة، إخلال بالدين يبلغ عنه. أما أن تجعل مثلاً: تجعل الصلاة جريمة، أو تجعل قراءة القرآن جريمة، أو يجعل العمل الصالح الذي لا شبهة فيه، ولا شك فيه أنه عمل صالح يُجعل جريمة، حجاب المرأة جريمة، ثم ترفع عن هذا الشخص أنه يصلي، أو عن هذه المرأة أنها متحجبة لتُنزل بها عقوبة، لا، ما نتكلم عن هذا، إنما الكلام عن مَن ينقل الأخبار التي لأشخاص يتعلق بها إضرار، إضرار بالدين أو إضرار بالأمن ونحو ذلك، هذا المقصود.

فقال عوف ابن مالك: "كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ" فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه" نزل الوحي من السماء يخبر النبي ﷺ بما قال هؤلاء المنافقين، وما حكمهم،

٤٧ – باب من هزل بشيء فيه ذكر لله أو القرآن أو الرسول

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قال: **"فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ"** يعني الرجل الذي تكلم؛ لأن المتكلم كان واحد، ولكن أهل المجلس ضحكوا معه، ورضوا بكلامه، ولم ينكروا عليه، فكان حكمهم حكمه.

فالنبي ﷺ لما نزل عليه الوحي بهذا الأمر عزم على الرحيل بسرعة، قال: **"فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل"** أي وضع رحله على ناقته وركب الرحل.

وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: "يا رسول الله" جاء هذا الرجل معتذراً، فقال: **"يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، ونقطع به عناء الطريق"** يعني يقول أن الطريق طويل، وكان الوقت وقت صيف، والسفر سفر تبوك بعيد، فيقول نشعر بالملل، فمن باب المزح والضحك قلنا هذا الكلام، لا نقصد حقيقة السخرية، ما نقصد حقيقة الاستهزاء، ما نقصد حقيقة التنقص، إنما المقصود كما يقال الترفيه عن النفس، والترويح عنها، والضحك، حتى ما نشعر بالطريق.

قال **ابن عمر: "كأني أنظر إليه"** يعني يفيدنا شدة حفظه للواقع، وأنه ما نَسِيه، كأنه يراه أمامه، قال: **"كأني أنظر إليه، متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ" النسعة** يعني الحزام أو السير الذي يربط به الرحل، يشد به الرحل عن الناقة، فالنبي ﷺ راكب على راحلته والراحلة تمشي، وهذا حريص أن يحاذي النبي ﷺ فيكرر عليه الاعتذار، فكان يتعلق بهذه النسعة، هذا الحزام وهذه الناقة ماشية، وهو يمشي معهم.

قال: **"كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تَنقُضُ رجليه"** يعني ما ينظر في الأرض، وإنما متعلق ينظر في رسول الله ﷺ وهو يعتذر منه، فكانت الحجارة ماذا تفعل برجليه؟ **"تنقض رجله"** تضرب رجله، الحجارة تضرب رجله، كأنه مشغول بالنظر إلى رسول الله ﷺ أو بالكلام معه، وبتكرار الاعتذار، فلا ينتبه لمواقع رجليه، فتضربه الحجارة، وهو يقول: **"إنما كنا نخوض ونلعب"** يعني لم نكن جادين، كان مزح، والنبي ﷺ ما يزيده، إلا يكرر عليه قول الله جل وعلا: **﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾** [التوبة: ٦٥] **قال ابن عمر: ما يلتفت إليه وما يزيد عليه"**.

فهذا يدل على **خطورة الاستهزاء بالله** سبحانه وتعالى أو بكتابه الكريم، أو بالرسول ﷺ، أو بكتب العلم التي فيها قال الله، وقال الرسول، هذا كله شيء عظيم وخطير.

وأيضاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ دليل على إنهم كانوا قبل هذه الكلمة، كان عندهم إيمان، فلما قالوا هذه الكلمة كفروا والعياذ بالله، وهذا يفيدنا وجوب الخوف، **يخاف المؤمن على نفسه من الرِدَّة**، يخاف على نفسه من النفاق، ما عندك عهد أنك لن تموت إلا على التوحيد، على الإيمان، ما تدري، والعبرة بالخواتيم، فإذا كان هذا كان مؤمناً ثم كفر، فما الذي يضمن لك العصمة؟ فعليك أن تسأل ربك الثبات، تستعيذ به من الضلال بعد الهُدى قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] الله علمنا أن ندعوه بالثبات، وأن نستعيذ به من الزيغ، فالشُبه كثيرة، والمعصوم مَن عصمه الله.

وهذا الباب واضح الدلالة على ما فيه من هذه القضايا، ولا سيما إنه ليس فيه فرق في الاستهزاء بين **الجاد والهازل، اللعب**، وفي هذا الخبر أيضاً **عداوة أهل النفاق للعلماء**، لأهل العلم، وهذا من نظري فهو أيضاً أعداء دعاة أهل السنة والجماعة، فما زالوا إلى يومنا هذا يطعنون في أهل العلم، يطعنون فيهم ويقدحون فيهم، ويتهمونهم في دينهم وفي أمانتهم، وفي كل شيء.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٨ – باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٤٨ – باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

(التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

هذا مثل ما تقدم، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، المقصود: أن الله عز وجل يذم مَن يُعطي النعمة بعد الضر، ثم يكفر نعمة الله عز وجل عليه، وكفران النعم له صور كثيرة:

- منها ألا ينسبها إلى الله، هذا كفر للنعمة،
- ومنها أن يستعملها في معصية الله جل وعلا، وهذا أيضاً كفران النعمة،
- ومنها أن يعتقد أن هذه النعمة حق واجب على الله له، هذا أيضاً من الغرور، من العُجب، ومن الكفر.

قال مجاهد: "هذا بعملي، وأنا محقوق به."

ما معنى ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ **يقول مجاهد: "هذا بعملي"** يعني هذه النعمة، هذا الربح في التجارة، هذه الصحة، هذا الولد، هذا كذا، هذا نلته بسعيي وبعملي.

" وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "يريد من عندي

قال ابن عباس: "يريد من عندي" يعني ليس لله عز وجل فيها دَخل.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً﴾ يعني صحة، عافية، غنى، أو غيرها من نعم الدنيا ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ يعني مرض، فقر أو خوف أو نحو ذلك، ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ يعني إنما حصلت على هذه النعمة مثلاً بذكائي، حصلت عليها بجدّي واجتهادي، حصلت عليها بشرفي وحسبي، حصلت عليها؛ لأني أستحق هذه النعمة

وهكذا، لا يقول: هذا من فضل الله، لا يقول: هذا من كرم الله، لا يقول: هذا من عند الله، إنما ينسبها إلى نفسه.

وقوله قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:٧٨] قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب".

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب" يعني بالخبرة، بالذكاء التجاري، حصلت على هذا الربح الكبير، حصلت على هذا المال.

وقال آخرون: "على علم من الله أني له أهل" وهذا معنى قول مجاهد: "أوتيته على شرف"

وقال آخرون: "على علم من الله أني له أهل" أني أستحق هذه النعمة، وهذا المال، لي شرف وله مكانة وله كذا، **وهذا معنى قول مجاهد: "أوتيته على شرف"** المقصود إن هؤلاء كلهم لا ينسبون الفضل إلى الله جل وعلا إنما ينسبون ما حصلوا من النعمة إلى أنفسهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال الإبل أو البقر -شك إسحاق- فأعطي ناقة عشراء وقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، فأعطي شعرا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها.

"**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أن ثلاثة من بني إسرائيل**" هذا خبر إسرائيلي، والنبي ﷺ قد يَقُصُّ علينا بعض أخبار بني إسرائيل كما في القرآن الكريم، وذلك من باب أخذ العظة والعبرة، فلا بأس بذكر الحكايات عن بني إسرائيل من باب الاتعاظ والاعتبار.

قال ﷺ: "**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**" ولكن ينبغي أن نعلم أن أخبار بني إسرائيل على ثلاثة أنواع:

١. **ما نجزم بصدقه**: فهذا يُروى ويُصدق بمضمونه، كأن يكون هذا الخبر في القرآن الكريم، أو في السُنة الصحيحة.

٢. **ما نجزم بكذبه**: كأن يكون فيه السب لله، أو سب للأنبياء، ونحو ذلك، فهذا نجزم بكذبه ولا نذكره إلا من باب التحذير منه، إذا اقتضى الحال ذلك.

٣. **الذي لا نجزم بصدقه ولا بكذبه**: فهذا يُروى، يتعظ، يُعتبر، إذا كان فيه عظة، وعبرة، لا حرج، لكن ما نجزم بصدقه.

"**إن ثلاثة من بني إسرائيل**" من أولاد يعقوب، من ذرية يعقوب، إسرائيل هو يعقوب عليه السلام.

"**أبرص، وأقرع، وأعمى**" هذه أمراض وآفات في البدن، **الأبرص** في الجلد واللون، **والأقرع** الذي ذهب شعر رأسه، **والأعمى** الذي ذهب بصره، "**فأراد الله أن يبتليهم**" يختبرهم حتى يتبين مَن من هؤلاء الثلاثة يشكر ومَن من هؤلاء الثلاثة يكفر.

"**فبعث إليهم ملكاً**" أرسل إليهم ملكاً، "**فآتى الأبرص**" آتى هذا الملك الأبرص، كأنه أتاه على صورة بشر، على صورة رجل.

٤٨ – باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾
(التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

فقال: "أي شيء أحب إليك؟" يعني تمنّ ما الذي تحب؟ ما الشيء الذي تحبه وتريده؟

قال: "لونٌ حسن" أريد لونا حسنا، **"وجلدٌ حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به"** يعني يريد أن يشفى يُعافَى من هذا البرص، ويكون له لون حسن، وجلد حسن.

قال: "فمسحه" مسح عليه مسحا على وجهه، أو على بدنه الله أعلم، المهم أنه مسحه مسحة فذهب عنه الأذى، ذهب عنه الأذى، وذهب عنه البرص، **"وأُعطي لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا"** وهذا يدل على كمال قدرة الله ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١] بمسحة واحدة مسح هذا الملك، ذهب ذاك المرض كله.

قال: "فمسحه فذهب عنه قذره، فأُعطي لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا" هل انتهت النعمة؟ لا، فيه نوع ثانٍ أيضاً، **قال: "فأي المال أحب إليك؟"** أي أنواع المال أحب إليك؟

قال "الإبل أو البقر، شكّ إسحاق" ابن عبد الله بن أبي طلحة.

قال: "فأُعطي ناقة عشراء" يعني حامل في بطنها ولد، **"الناقة العشراء"** الحامل التي تم لها عشرة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، لكن قالوا لمن أتم العشرة: لعل هو الأقرب والأصح لأجل اللفظ عشراء، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] **"فأعطي ناقة عشراء، ناقة"** وفي بطنها ولد، وقال له: **"بارك الله لك فيها"** دعاء من هذا الملك، هذا بالنسبة للأبرص.

فآتى الأقرع، قال: "أي شيء أحب إليك؟ قال: "لون حسن، وشعر حسن" يريد أن يعود إليه الشعر الذي ذهب منه، **"ويذهب عني الذي قذرني الناس به"** يعني فلا يجالسوني، ولا يخاطبوني بسببه.

قال: **"فمسحه، فذهب عنه قذره، وأُعطي شعرا حسنا"** بقدرة الله سبحانه وتعالى لا أدوية، ولا عمليات.

فقال: "أي المال أحب إليك؟" قال: "البقر أو الإبل"، فأُعطي بقرةً حاملاً" الناقة العشراء، يعني حمل الناقة ما بين اثنى عشر شهر إلى ثلاث عشر شهر، وهي في الشهر العاشر، يعني قريبة النتاج، وهذه بقرة حامل، حمل البقر تقريبًا تسعة أشهر، وعلى كذا أسبوع، **"فأعطى بقرةً حاملاً، قال: "بارك الله لك فيها"**.

٤٨ – باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"ثم آتى الأعمى، فقال: "أي شيء أحب إليك؟" قال: "يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس" قال: "فمسحه فرد الله إليه بصره" قال: "فأي المال أحب إليك؟" قال: "الغنم"، فأُعطى شاة والدة، فأنتج هذا وولّد هذا" يعني كل من الناقة والبقرة والشاة كلها كانت قريبة النتاج أو الولادة، **"فأنتج هذان، وولد هذا، وبارك الله لهما فيما أُعطوا"**.

قال: "فكان لهذا وادٍ من الإبل" إبل كثيرة تملأ الوادي، **"ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم"** تبدل الحال من المرض إلى الصحة، ومن تشوه إلى جمال، ومن فقر إلى غنى واسع.

قال: "ثم أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته" يعني التي جاءهم فيها أول مرة يوم الابتلاء، **فقال: "رجلٌ مسكين، وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري"** الحبال: الأسباب، **"قد انقطعت بي الحبال في سفري"** ما عندي مال، ما عندي طعام.

"فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك" يعني ما أستطيع أن أصل إلى قصدي وأتم سفري **"إلا بالله عز وجل ثم بك"** يعني بما تُعينني به وتساعدني به، وهذا يدل على أن بني إسرائيل كان عندهم مشروع عطف على الله عز وجل بحرف العطف (**ثم**)، ما تسوي الله عز وجل بغيره في اللفظ، فلن يقول: "لا بلاغ لي إلا بالله وبك"، بل "إلا بالله ثم بك"، تذكرون أن اليهود والنصارى انتقدوا على المسلمين في أول الأمر قولهم: **"ما شاء الله، وشئت"** وانتقدوا عليهم قولهم: **"والكعبة"** فكأن هذا من العلم الذي ورثوه وبقي معهم.

قال: "فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن" الحين هذا الرجل صاحب الهيئة الفقيرة يُناشد هذا الرجل: **"أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيراً أتبلغ به في سفري"**، أنت عندك الوادي من الإبل، الله أعلم كم فيه رأس، أعطني من هذا القطيع كله، أعطني فقط بعيرا واحدا، **"أتبلغ به في سفري"** يبلغ به المكان الذي أريد، انظر ذكَّره بالماضي حتى يتعظ ويعتبر، ويرق قلبه، ويشكر نعمة الله عز وجل عليه، ويُعطي شيئًا قليلا من هذا الخير الكثير، فماذا كان رده؟

قال: "الحقوق كثيرة" أنا عندي عيال يحتاجون نفقة، وعندي ضيوف، وعندي ناس تطلب الديون، وهكذا، **"الحقوق كثيرة"** هذا الإبل تحتاج إلى نفقة وعلف ومياه وراعي وكذا، فما أستطيع أن أعطيك شيئا.

فقال له: "كأني أعرفك، ألم تكن أبرص؟ يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله المال" ذكّره بصراحة، فانظر كيف كان رد هذا الرجل والعياذ بالله.

قال: "إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر" هذا مال أبي وجدي، ورثته عنهم، وأنا ثمَّرته ونمَّيته، يعني جمع إلى كفران النعمة الكذب والعياذ بالله.

فقال: "إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت" دعا عليه، هذا الأول الأبرص خسر ورسب في الامتحان.

قال: "آتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا" ذكره، طلب منه المعونة، ذكره بماضيه، ذكره بنعمة الله عز وجل عليه، أعطني شيء مما عندك، رفض وأبى، **"والحقوق كثيرة"**، فاعتذر، **"ورثته كابراً عن كابر"، فقال: "إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت"** يعني صيَّرك الله أقرع فقير.

قال: "وآتى الأعمى بصورته" فقال: "رجل مسكين، وابن السبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري" يعني ممكن يأخذ الشاة يبيعها، ويستفاد منها، من قيمتها.

قال هذا الأعمى: "كنت أعمى، فرد الله علي بصري" تذكر نعمة الله عز وجل عليه، ونسبها إلى الله، **"كنت أعمى، فرد الله علي بصري، فخذ ما شئت"** هذا الوادي أمامك، هذا الغنم كله **"خذ منها ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخدته لله"** يعني لا أمنعك من شيء تأخذه، أخذت واحداً، أخذت اثنين، أخذت عشرة، أخذت أكثر، لا أمنعك؛ لإن هذا من شكر الله عز وجل على نعمته علي.

فقال له الملك: "أمسك عليك مالك" نجح في الاختبار، **"فإنما ابتليتم"** اختبرتم، أنت، والأقرع، والأبرص، **"فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك"** كم عدد الذين اختبروا؟ ثلاثة، كم نجح؟ واحد، يعني الثُلث نجح والثلثان رسبا.

٤٨ – باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

تأمل هذا الحديث، وتذكر قول الله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الشاكرين.

فإذًا **نسبة النعم إلى غير الله جل وعلا هذا من كفرانها**، ، وتقدم معنا **"لولا البط في الدار، لولا كليبة فلان"** وهكذا، هذا كله من الكفر بالنعمة، لكن إذا نسب النعمة إلى السبب المباشر لها، ومع حمد الله عز وجل والثناء على الله، وشكره، فإن هذا **يرفع المحظور** إن شاء الله.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٤٩ – باب قوله تعالى ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٤٩ - باب قوله تعالى ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾

(التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام رحمه الله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠].

قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الكلام عن آدم وحواء، هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ "آدم"، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ "حواء" ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ كناية عن الجماع، ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فاستمرت به حتى تم الحمل، ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ يعني ولداً **سَوِيّاً** لا عيب فيه ولا تشوه، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ رزقهما ولداً سويّاً، ليس فيه تشوه، ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فسياق الآية عمن يتحدث؟ عن آدم وحواء ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾ يعني **الشرك في الطاعة، وليست العبادة "أن سمَّيا عبد الحارث"** سميا هذا الولد عبد الحارث، ولا يقصدان حقيقة أنه عبد يعبد الحارث، إنما القصد **التسمية**، سيأتينا إن شاء الله كلام ابن عباس.

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب.

"قال ابن حزم" إمام مشهور عالم كبير، من أئمة الظاهرية، توفي في عام ٤٥٦هـ.

قال ابن حزم: "اتفقوا على تحريم كل اسم مُعَبَّد لغير الله" كعبد الكعبة، عبد النبي، عبد الحسين هذه كلها محرمات بالاتفاق قال: **"كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وغير ذلك حاشا عبد المطلب"** يعني جد النبي ﷺ عبد المطلب، لم يتفقوا على تحريمه، لماذا؟ قالوا: لأنه مأخوذ من **عبودية الرِّق**، إن هذا الولد عبد للمطلب، ذكروا في القصة أن المطلب ابن عبد مناف سافر إلى المدينة، وأحضر ابن أخيه عبد المطلب ابن

هاشم ابن عبد مناف، كان اسم عبد المطلب اسمه **شيبة**، فذهب عمه وأحضره من المدينة، وكان عبد المطلب ولداً صغيراً، فمع السفر قد تغير لون بشرته، من السفر والشمس والحر فدخل به مكة، ورأوا المطلب ابن عبد مناف ومعه غلام صغير على لونه سمرة، فظنوا أن المطلب اشتراه من المدينة في سفره هذا، فغلب عليه هذا الوصف "**عبد المطلب**"، فليس من باب العبودية، كعبد العزة أو عبد الكعبة، المقصود بها **عبودية الرِّق، عبودية المِلك**.

ولهذا قال النبي ﷺ في غزوة حنين: "**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**" ولكن أيضاً قد يقال أن هذا من باب **الإخبار** بالاسم الذي اشتهر، فلا يُستفاد منه حل هذا الاسم، فالأسماء الماضية تُنقل كما هي، نقول فلان ابن فلان، ولو كان مُسمَّى مُعبَّد لغير الله جل وعلا، فلا يُؤمر الشخص أن يُغير اسم جده، واسم أسلافه اسم شخص قد مات، ما يُؤمر بتغييره، الماضي مضى وانتهى.

"**حاشا عبد المطلب**" يعني لم يتفقوا على تحريمه، بل منهم من يبيحه، ومنهم من يمنعه، لو جاء الآن مولود وأراد أبوه أن يسميه عبد المطلب يجوز أو ما يجوز؟ فيه خلاف:

- منهم من يقول: يجوز؛ لأن عبد المطلب تسمية على جد النبي ﷺ والمقصود بهذه العبودية عبودية **المِلك** وليست عبودية **العبادة**، وأصحاب هذا القول يستدلون بأن النبي ﷺ لم يغير اسم صاحبه **عبد المطلب ابن ربيعة**، فكان في الصحابة عبد المطلب ابن ربيعة ولم يغيره النبي ﷺ.
- ومنهم من يقول: لا يجوز، ما دام اسم معبَّد لغير الله فمثله مثل عبد الكعبة، وعبد النبي وغيره من الأسماء المعبَّدة لغير الله، فيُغير، ولا شك أن هذا هو **الأحوط**.

وعن ابن عباس في الآية: "قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمياه عبدالحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله،

فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبدالحارث، فذلك قوله جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا [الأعراف:١٩٠]" رواه ابن أبي حاتم.

"**وعن ابن عباس رضي الله عنهما**" في الإسناد إليه رجل يقال له **خُصيف** يرويه الشريك عن خصيف، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، خصيف سيئ الحفظ.

قال وعن ابن عباس في الآية" يعني في تفسير الآية "**فلما تغشاها آدم حملت، فآتاها إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة**" يعني تهدد وتوعد "**لتطيعانني أو لأجعلن له قرني أَيّل**" قرون وعل"**فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن**" يعني من التخويف والتهديد، "**سَمِّيَاهُ عبد الحارث**" وأنا لا أفعل به هذا التشويه، فيخرج بشراً، لكن لو لم تسمياه عبد الحارث، سيخرج على صورة وعل، على صورة **أَيّل** وله قرون، وقد يقتلك أنت، لأن يشق بطنك بقرونه، "**فأبيا أن يطيعاه**" قال: لا، "**فخرج ميتاً**" خرج الجنين ميتاً.

"**ثم حملت فآتاهما ذكر لهما**" نفس التهديد الأول، "**فأدركهما حب الولد**" فطرة وغريزة، "**فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾** شرك في التسمية ليس في العبادة، "**رواه ابن أبي حاتم**".

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته".

"**وله بسند صحيح عن قتادة**" ابن دِعامة السَّدوسي، **قال**: "**شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته**"، فقتادة أيضاً كان يفسر الآية أنها في شأن آدم وحواء.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله :لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا [الأعراف:١٨٩] **قال: "أشفقا أن لا يكون إنسانا" وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.**

٤٩ – باب قوله تعالى ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

إذًا المروي عن ابن عباس، وعن قتادة، وعن مجاهد، وعن الحسن، وسعيد ابن جبير: أن الآية في شأن آدم وحواء.

وهذا يكون منهما إما قبل أن يعلم بحرمة هذا العمل، حرمة تسمية تعبيد الاسم لغير الله، أو يكون من باب الوقوع في **المعصية**، من باب الشفقة، وغلبة محبة الولد.

وهذا لا يُنافي كون آدم نبياً، فالنبي ﷺ سئل عن آدم قال: **"نبي مُكَلَّم"**، فمن أهل العلم من يرى أن النبي قد تصدر منه الصغيرة، لكنه **معصومون من الكبائر**، ومن الصغائر التي فيها خسة ودناءة، هذه يُعصمون منها.

وابن القيم، وابن كثير، وآخرون يقولون: لا، ليس المقصود آدم وحواء، إنما المقصود **جنس المشركين**، ففي أول الآية في آدم وحواء، لكن ما بعد أول الآية هذا يتعلق **بجنس المشركين**، مشركي قريش وغيرهم.

والمقصود في هذا الباب التحذير من **تعبيد الأسماء لغير الله جل وعلا**.

نكتفي بهذا القدر والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٠ – باب قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٠ – باب قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾**، وآخر الآية: **﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٠].

هذا الباب يتعلق بالنوع الثالث من أنواع التوحيد وهو **توحيد الأسماء والصفات** وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأسماء الله وصفاته الواردة في كتاب الله جل وعلا، والواردة في سنة النبي ﷺ.

فهذا الباب مبناه على **التوقيف**، ليس محلاً للإضافة والاجتهاد من المخلوق وهذا الإيمان مبني على الإيمان بها على ما تقضيه معانيها في **لغة العرب**، فالله خاطبنا باللغة العربية، والنبي ﷺ خاطبنا باللغة العربية، فهذه الأسماء وهذه الصفات لها دلالات ولها معانٍ في لغة العرب، فنفهم هذه الأسماء وهذه الصفات على ما تقضيه لغة العرب، فاليد لها معنى، والوجه له معنى، والرِجل لها معنى، والرحمة لها معنى، والغضب له معنى، وهكذا معانٍ معروفة في لغة العرب.

ثم هم مع هذا الإيمان **لا يُشبهون الله بشيء من خلقه**، لا يمثلونه بشيء من خلقه، فهو **إيمان بلا تمثيل، إيمان بلا تعطيل**، فيقرون بها ولا يجحدونها ولا يعطلونها، يثبتونها مع عدم تشبيه الله أو تمثيله بشيء من خلقه، فإذا قالوا: لله وجه، لا يقولون: إن وجه الله كوجه المخلوق، إذا قالوا: لله يد، فلا يعني ذلك أنهم يقولون: إن يد الله كيد الإنسان، أو يد غيره من الخلق، معاذ الله.

ولا يلزم من إثبات الصفة أو إثبات الاسم لله لا يلزم منه تشبيه الله بخلقه.

ودليلهم على هذا الموقف من الأسماء والصفات قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فنلاحظ في هذا الجزء من هذه الآية الكريمة أن الله نفى أن يكون له مِثل، ثم أثبت له اسمين، قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فدل على أنه يسمع وعلى أنه يبصر ولكن سمعه ليس كسمع المخلوق،

وبصره ليس كبصر المخلوق، فمن نفى عن الله صفة السمع والبصر فقد نفى ما أثبته الله لنفسه، ومن أثبت ومثَّل فقد نفى ما أثبته الله وهو عدم المماثلة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فأثبت لله ما نفاه عن نفسه جل وعلا، ووفق الله أهل السنة والجماعة فمشوا على مقتضى ما ورد في هذه الآية جميعاً، **إيمان بلا جحود بلا تعطيل، إثبات بلا تشبيه بلا تمثيل.**

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وُصفت هذه الأسماء **بالحسنى** أي البالغة في الحسن منتهاه، البالغة في الحسن كماله، وذلك أن الاسم من أسماء الله يدل على اتصافه جل وعلا بالمعنى الذي تضمنه ذلك الاسم أو دل عليه ذلك الاسم.

فاسمه **السميع** يدل على صفة السمع، واسمه **البصير** يدل على صفته البصر، واسمه **الرحمن الرحيم** دال على اتصافه جل وعلا بالرحمة، اسمه **الغفور** دال على أنه سبحانه وتعالى غافر الذنب وهكذا، فكل اسم من أسماء الله جل وعلا دال على قيام الصفة التي دل عليها ذاك الاسم، وقيامها بالله جل وعلا واتصافه بها، ولهذا صارت حسنى.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ هذه الأسماء الحسنى منها ما عرفناه، يعني منها ما عرفه الخلق ومنها ما لم يعلمه الخلق إنما استأثر الله به، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ في دعائه: **"أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"** فمن الأسماء ما نعلمها ومن الأسماء ما لا نعلمها، ولله في ذلك الحكمة البالغة.

وأما حديث: **"إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد، مَن أحصاها دخل الجنة"**، فهذا لا يدل على الحصر، وأن أسماؤه جل وعلا تنتهي عند تسعة وتسعين، وإنما المقصود أن هذه الأسماء المشار إليها في هذا الحديث لها خاصية وهي **"أن من أحصاها دخل الجنة"** ومعنى الإحصاء كما تقدم معناه **العد والعلم بمعانيها والحفظ لها والعمل بمقتضاها.**

٥٠ - باب قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وهنا قال سبحانه وتعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ يعني إذا دعوتم الله **ادعوه بأسمائه**، وإذا دعوتم الله **توسلوا إليه بها**، فتقول: يا الله يا رحمن، يا رحيم، يا كريم، تدعو الله تناديه بأسمائه سبحانه وتعالى التي سمى بها نفسه وسماه بها نبيه ﷺ.

كذلك أيضاً تتوسل بهذه الأسماء، تتوسل بالصفات، وذلك بأن تختار من أسماء الله أو من صفاته ما يناسب الموضوع الذي تدعو فيه، فتقول مثلاً: إذا كنت تريد أن تدعو الله بالرحمة أن يرحمك، فتقول: **يا رحيم أو يا رحمن ارحمني**، وإذا كنت تريد المغفرة تقول: **يا غفور اغفر لي**، أو تقول: **"اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم أن ترحمني"، "اللهم إني أسألك بأنك أنت الغفور غافر الذنب قابل التوب اغفر لي ذنبي وتب عليّ"**، فتختار من الأسماء أو من الصفات ما يناسب الحاجة التي تدعو الله بها.

مراتب الدعاء والتوسل بأسماء الله:

١. **دعاء المسألة والتوسل**: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ إذًا التوسل بها في دعاء المسألة هذه مرتبة.

٢. **دعاء العبادة**: المرتبة الثانية: أن يكون الدعاء هنا **دعاء العبادة** ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ يعني تعبدوا لله بها. وهذا أشمل من دعاء المسألة، عندنا دعاء المسألة دعاء طلب "يا رحيم يا رحمن تب عليّ ارحمني، وهكذا"، وفيه عندنا دعاء العبادة من الخوف والرهبة والرغبة والخشوع والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادات، فأنت إذًا تتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء والصفات.

- فتفهم من معاني مثلاً **السميع** تفهم معنى هذا الاسم وما تضمنه من الصفة أن الله يسمع كلامك، سواء أعلنت أو أسررت، جهرت أو ناجيت، سواء تتكلم مع أحد أو تتكلم مع نفسك، فالله عز وجل سميع، إذًا يورثك هذا أن تحتاط لنفسك في كلامك ما تتكلم بكلام يغضب الله جل وعلا، فلا تغتاب، لا تنتهك عرض أحد بغير وجه حق، لا تسب، لا تشتم، لا تشهد شهادة زور، كل هذا خضوع منك أو تماشياً منك مع إيمانك بأن الله سميع يسمع كلامك.

٥٠ – باب قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- هكذا إذا تأملت صفة الله واسمه **البصير**، فصفته أنه يبصر الأشياء ويرى كل شيء حتى أنه يرى النملة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء لا تخفى عليه، فيورثك هذا أن تراقب الله جل وعلا في قولك في عملك، فيما تأتي فيما تذر، سواء كنت مع الناس أو كنت خالياً بنفسك.
- وهكذا أيضاً إذا تأملت صفة الله أنه **رحيم** وأنه **رحمن**، فلا تيأس ولا تقنط من رحمة الله جل وعلا مهما بَلَغَ ذنبك، بل تتوب وتنيب وترجو من الله أن يعفو عنك ويتجاوز عنك، فهذا دعاء العبادة، فتكون حياتك في اليوم والليلة ما دمت في هذه الدنيا متماشياً مع مقتضى هذه الأسماء والصفات، ويدخل دعاء المسألة فيها، يدخل التوسل بها في دعاء المسألة، وهذا من أعظم آثار هذه الأسماء والصفات، وأعظم آثار دراستها.

كذلك أيضاً أن تتحلى بما يليق بالمخلوق من هذه الأسماء، فمن أسماء الله **الكريم**، الكرم في المخلوق صفة حميدة فتكون كريماً، من أسماء الله **الحليم**، والحلم في المخلوق من الصفات الحميدة فتتخلق بهذا الخلق وهكذا.

فهذا المبحث مبحث عظيم وجليل وينبغي لطالب العلم أن يُعنَى به، ولا يدرس هذا الباب كما قال دراسة جامدة بمعنى أقصد أنه لا تأثير لها في سلوك العبد، يكون فقط همه مقتصراً على النقاشات والجدال والمسائل التي خاض فيها أهل العلم في الرد على أصحاب الفرق الأخرى، ويشغله عن التعبد لله بمقتضاها، تجمع بين الأمرين جميعاً، تتفقه فيها وتعرف مذهب أهل السنة والجماعة، وتعرف أيضاً حسب طاقتك واستطاعتك المذاهب المخالفة حتى تحذرها أو حتى إذا ابتليت بمجتمع أو بقوم تخالطهم ابتلوا بالانحرافات في هذا الباب فيكون عندك القدرة على المناقشة والرد والإجابة عن الشبه لكن ما تنسى أبداً أن المقصود منك يا عبد الله أن تتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء وهذه الصفات.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ إذًا هنا **توسل مشروع** دلنا الله عليه وهو التوسل إليه بندائه بأسمائه وكذلك أيضاً بصفاته؛ لأنها تدل عليها الأسماء، وهذا نوع من أنواع التوسل المشروع.
وجاءت الأدلة أيضاً بتوسلات أخرى منها:

٥٠ – باب قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

١. **التوسل بالعمل الصالح**: مثل حديث أصحاب الغار الثلاثة، قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، كل واحد منهم اختار عملاً رأى أنه فيه كان مخلصاً غاية الإخلاص، ما حمله عليه إلا ابتغاء ما عند الله جل وعلا، لا يريد به رياء ولا سمعة ولا حظ من حظوظ الدنيا، فكشف الله عنهم الكرب، فرَّج عنهم ما هم فيه، خرجوا برحمة الله يتماشون، فهذا توسل مشروع.

٢. **التوسل بدعاء العبد الصالح الحي**: تطلب منه أن يدعو الله لك، إن كان هذا لا ينبغي أن يكون عادة لكن إن حصل فهو جائز، قال أبناء يعقوب لأبيهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [يوسف: ٩٧] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨] ويروى عن النَّبِيّ ﷺ في حديث في سنده كلام منهم من يحسنه ومنهم من يضعفه، أن عمر أراد العمرة فقال له النَّبِيّ ﷺ: **"لا تنسنا من دعائك يا أُخَي"**. وأيضاً ما ورد في شأن الاستسقاء، كانوا يستسقون بالنبي ﷺ بمعنى أنهم يدعو الله فيسقيهم، ولما مات النَّبِيّ ﷺ استسقوا ببعض الصالحين، قال عمر للعباس: "**يا عباس قم**"، لما قال: "**اللَّهُمَّ إنا كنا نستسقي بنبيك ﷺ فتسقينا، وإنا نستسقي بعم نَبِيّنا**"، ثم يقول: "**قم يا عباس**"، أي قم فادعوا مثلما كان النَّبِيّ ﷺ يفعل، فيقوم العباس يدعو والناس تُؤمِّن وفي عهد معاوية رضي الله عنه استسقوا **بيزيد بن الأسود الجُرَشي** فدعا الله وسقاهم الله، فهذا من التوسل إلى الله بدعاء الحي الصالح الحاضر الموجود.

هذه توسلات مشروعة دلت عليها الأدلة من كتاب ومن سنة رسول الله ﷺ وهناك **توسل بدعي** وهناك **توسل شركي** وقع فيه كثير من المسلمين جهلاً.

- **التوسل البدعي**: التوسل بحق المخلوق، أو التوسل بجاه المخلوق، "اللهم إني أسألك بجاه نبيك ﷺ"، "أسألك بجاه عبادك الصالحين"، "أسألك مثلاً بحق نبيك ﷺ أو بحق هذا اليوم"، هذا توسل بدعي ما عليه دليل من كتاب ولا من سنة، لكن **ليس شركا**؛ لأنه ليس فيه صرف العبادة لغير الله.

٥٠ – باب قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- **التوسل الشركي**: مثل مَن يدعو أصحاب القبور، "يا سيدي البدوي"، أو "يا سيدي الحسين"، أو "يا سيدي علي"، أو نحو ذلك، فيدعون هؤلاء الموتى يدعونهم مباشرة، يطلبون منهم مباشرة بحجة أنهم ينوون ويقصدون أنهم شفعاء لهم عند الله، ويقولون: "هذا توسل وليس بشرك"، لا، **هذا شرك وهذا كفر**، وهذا هو عين شرك الجاهلية الأولى، قال الله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هذه حجة مَن عبد الأصنام وعبد الأوثان من قبل أنهم يدعونهم على أساس أنهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله، فلم يقبل الله منهم هذا التعليل ولا هذا العذر، ولهذا ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] جعلهم كذبة وجعلهم كفاراً بذلك.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يميلون عن الحق فيها، وهذا **الإلحاد** الذي هو الميل عن الحق فيها له صور:

١. **أن يُسمَّى الله بما لم يسمّ به نفسه** وبما لم يسم به رسوله ﷺ أو يوصف الله بما لم يصف به نفسه، ولم يصفه به نبيه ﷺ، فهذا الباب كما قال أحمد: **"لا يتجاوز القرآن والحديث"**، ما نتجاوز فيه الوارد، وكثير من الناس ممن يُسمَّون اليوم بالمفكرين الإسلاميين يتوسعون في هذا الباب، ويطلقون على الله أسماء ويصفونه بصفات من عند أنفسهم، هذا غلط.

٢. **أن يُكذَّب بها وتُنفى وتُعطَّل**: مثل ما نفى المشركون أن يكون من أسماء الله **الرحمن** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] وقالوا للنبي ﷺ: **ما نعرف الرحمن والرحيم، نعرف: "باسمك اللَّهُمَّ"**، فمن الناس مَن يقتدي بهؤلاء المشركين والعياذ بالله، فينفي عن الله أسماءه وينفي عن الله صفاته، ومن هؤلاء **الجهمية** ينفون أن لله اسم أو أن لله صفة، لماذا؟ بدعوى أن إثبات الأسماء لله وإثبات الصفات لله أنها تقتضي تشبيه الله بالمخلوق، فالمخلوق له اسم وله صفة، والذي لا اسم له ولا صفة له هذا **العدم**، ولهذا يقول **نعيم بن حماد** شيخ البخاري يقول: **"المشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً"**، فهذا من الإلحاد، فمن الإلحاد أن **يُسمي الله بما لم يُسَمِّ به نفسه**، من الإلحاد

أن **يُنفى عن الله ما سَمَّى به نفسه**، وقد يبلغ بعضهم حتى ينفي كل اسم لله وكل صفة لله **كالجهمية** ولهذا كفروهم العلماء.

٣. **أن يشتق منها أسماء للآلهة**: مثل ما فعلت قريش، فاشتقوا من اسم الله **العزيز**، **العُزَّى** لصنم من أصنامهم، واشتقوا اسم **اللات** من **الإله**، واشتقوا اسم **مَناة** من **المنان**، فهذا من الإلحاد في أسماء الله.

٤. **تأويلها على غير معانيها الظاهرة**: بناءً على الشبه، مثل ما تفعل **الأشاعرة** وغيرهم من تأويل الكثير من الصفات، سواء الجهمية أو المعتزلة ولا الأشاعرة والماتُريدية وغيرهم ضلوا في هذا الباب ضلالا عظيما، ويتفاوتون في مدى الانحراف، لكن يشتركون أن كلاً منهم له نصيب من الإلحاد في هذا الباب، فهؤلاء يقولون: نحن لا ننفي أن لله وجها، لا ننفي أن لله رحمة، لا ننفي أن لله رضا، ولكن ما معنى الوجه؟ قال: "الوجه معناه **الذات**"، ما معنى الرحمة؟ قال: "**إرادة الإنعام**"، ما معنى الغضب؟ يعني "**إرادة الانتقام**". فلا يثبتون لله الوجه، ولا يثبتون لله رحمة، ولا يثبتون لله الغضب كما أثبت الله لنفسه، وهذا فيه تلبيس على الناس.

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف:١٨٠]: يشركون".

ثم قال رحمه الله: "**ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: "﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يشركون**" يسمون غير الله بأسماء الله ويعبدونها مع الله جل وعلا.

وعنه: "سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

"**وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز**" يعني أسماء مؤنثة من أسماء الله جل وعلا.

وعن الأعمش: "يدخلون فيها ما ليس منها".

٥٠ – باب قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"**وعن الأعمش**" سليمان بن مهران "**يدخلون فيها ما ليس منها**" وسبق أن هذا الباب مبناه على التوقيف فلا يُدخل فيها ما ليس به.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥١ – باب لا يقال: السلام على الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥١ – باب لا يقال: السلام على الله (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"بَابُ لَا يُقَالُ: اَلسَّلَامُ عَلَى اللهِ"**

"فِي الصحيح" يعني في **الصحيحين** البخاري ومسلم.

"عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ".

هذا الباب عقده المؤلف لبيان مسألة من المسائل التي فيها **تعظيم لله جل وعلا**، فيها **توقير له سبحانه وتعالى**، وهو ألا يُحَيَّ بالسلام أو يُدعى له بالسلام.

قال ابن مسعود: **"كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ"** يعني في أول الأمر، **"قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وفلان"** ثم بعد ذلك نُهُوا عن ذلك.

"فقال النبي ﷺ: لا تقولوا السلام على الله" لماذا؟ قال: **"فإن الله هو السلام"**.

ما معنى السلام؟

١. **السالم**: يعني السالم من العيب، السالم من النقص، السالم من الآفات.

٢. **المُسَلِّم**: وهو أيضاً المسلِّم لغيره، فالله هو السلام يعني السالم من كل عيب ونقص، وهو أيضاً المسلِّم لعباده **"اللهم أنت السلام ومنك السلام"**.

فـ**السلام** حينما تسلّم على أحد تقول: "السلام عليكم"، هذا معناه أمرين اثنين:

- **الأمر الأول: التحية،**
- والأمر الثاني: **الدعاء له بالسلامة.**

فأنت تحييه وهذه التحية فيها دعاء له، وهذه ميزة هذه التحية الإسلامية أنها تحية ودعاء.

الله يحيى لكن ما يدعى له، ولهذا لا يناسب أن يقال: "السلام على الله"، حتى ولو كنت تريد بها التحية؛ لأن هذه تحية مع دعاء، فلا يليق هذا في حق الله جل وعلا، فالله سبحانه وتعالى **يُدعى ولا يُدعَى له**، ويُطلب منه ولا يُطلب له سبحانه وتعالى، إنما يُدعَى للمحتاج للدعاء، للمخلوق الفقير المحتاج إلى الله جل وعلا، هو الذي يُدعَى له.

"لا تقولوا السلام على الله" ثم علل فقال: **"فإن الله هو السلام"** وهذا فيه **أدب** من الآداب التي ينبغي أن يحرص عليها المعلم وطالب العلم: أن **يقرن الحكم الذي يصدره بعلة**، حتى يفهم المخاطب، وحتى يزداد قناعة بما تأمره به، وأيضاً إذا جاء الحكم معللاً **أمكن القياس عليه**.

مثلاً: لو ابن جالس مع أبيه، صبي صغير مثلاً لكن يعقل يفهم، فهذا الولد كان يسمع مقطع في اليوتيوب في الجوال ورفع الصوت، فقال له أبوه: سكر الجهاز هذا، طيب سكر الولد، لكن أخذ مثلاً ينشد أو يقرأ بصوت عالٍ، هل تحقق مقصود الأب؟ الأب يريد الهدوء ما يريد الإزعاج، الأب قال له: سكر الجهاز فقط، سكر التسجيل هذا، سكره، وقام الولد يتكلم بصوت عالٍ، يتسالف بصوت عالٍ، يضحك بصوت عالٍ، ما تحقق قصد الأب، لو قال مثلاً: "أنا أريد هدوء فأقفل الجهاز"، خلاص ما يزعج الأب بشيء ثانٍ، لماذا؟ لأنه **فهم العلة من الأمر**، فتمكن من القياس على ذلك الحكم، فعرف أن قصد الأب ما يريد الإزعاج، ما هو خصوص هذه المادة المسجلة لا، ما يريد إزعاج، إذًا لا يزعجه لا بالجهاز ولا بجهاز آخر ولا بسواليف أو بصوت أو بضحك أو بنحو هذا، ف**إيراد العلة مع الحكم** فيه فوائد كثيرة تنفع المخاطب.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٢ – باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٢ – باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ"**.

"في الصحيح" يعني في الصحيحين.

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال :لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اَللَّهُمَّ اِرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اَللَّهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ. ولمسلم :وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اَللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ.

"ولمسلم" يعني بعد قوله: **لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ** عند مسلم: **"وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اَللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ"** وليس عنده **"فَإِنَّ اَللَّهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ"**.

هذا من **آداب الدعاء**، قال: **"لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اَللَّهُمَّ اِرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ"** ما المحذور فيها؟ هل المخلوق له غنى عن مغفرة الله؟ هل المخلوق له غنى عن رحمة الله له؟ الجواب: لا، فلما تقول: **"اللهم ارحمني إن شئت"**، **"اللهم اغفر لي إن شئت"**، كأنك غني عن الله، كأنك تتصور أنك يمكن أن تستغني عن رحمة الله، كأنك تستغني عن مغفرة الله لك، ما عندك الرغبة الأكيدة في أن يغفر الله لك، في أن يرحمك الله، وهذا هل نقص أو كمال في حق المخلوق؟ نقص عظيم، خطر عظيم جداً.

نُهينا عن هذا لما يُشعره هذا الأسلوب من **الفتور** وعدم الرغبة الجادة في المغفرة والرحمة، وعدم الافتقار الكامل إلى الله، حتى كأنك غني عن رحمة الله ومغفرته لك.

ثم أيضاً في قوله: **"فَإِنَّ اَللَّهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ"** يعني قد يقول العبد: **"اللهم اغفر لي إن شئت"** كأنه يُشعر بأن الله قد يغفر له لكن من باب المجاملة، وإلا من باب أنه **غصب عليه وإكراه له** أنه يغفر لك، **"الله لا مكره له"** ليس له مكره، بل يغفر إن شاء ويعذب إن شاء سبحانه وتعالى.

فإذا سألت، اسأل الله جازماً، مسألة عازمة جازمة قاطعة ما فيها أي تردد، وهذا المقصود به فيما كان **خيراً محضاً لا تردد فيه**، أما إذا كان دعاؤك بأمر ما تدري فيه مصلحة أو ما فيه مصلحة لك، هل فيه خير لك أو ما فيه خير لك، فهنا **لا حرج أن تعلِّق المسألة بالمشيئة**.

فالآن الرحمة والمغفرة هل فيها تردد في أنها خير محض؟ لا، دخول الجنة فيه تردد أن هذا قد يكون خير وقد يكون شر؟ لا، فلهذا تسأل الله الجنة سؤال جازم: "اللهم أدخلني الجنة"، لا تقول: "اللهم أدخلني الجنة إن شئت"، "اللهم أعذني من النار" هكذا بصيغة الجزم، ما تقول: "أعذني من النار إن شئت"؛ لأن دخول الجنة خير محض، السلامة من النار خير محض، ما في شك، ما في تردد.

لكن الزواج بفلانة، نويت أن تتزوج فلانة من الناس هل هذا خير محض؟ هل هو شر محض؟ ما تدري، قد يكون هذا النصيب خير، وقد يكون هذا النصيب شر، ولهذا ماذا شرع لنا في مثل هذا التردد؟ أن **نستخير**: "إن كان خيرا فيسره، وإن كان شراً فاصرفه"، لا يوجد جزم، لماذا؟ لأنك ما تدري هل سيكون فيه خير أم سيكون فيه شر؛ لأن الأمر يتردد بين الاحتمالين، ومثلها التجارة ومثلها غيرها من الأمور التي لا يدرى عن عواقبها، أما ما كان خيراً محضاً فهذا يُدعى فيه دعاءً جازماً.

"لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اَللَّهُمَّ اِرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ" يعني "اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم أدخلني الجنة، اللهم أعذني من النار" وهكذا.

"لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ" لأن تعليق الدعاء بالمشيئة معناه أنه ما عندك رغبة جازمة فيما عند الله من هذا الخير، وكذلك أيضاً معنى قوله: **"فَإِنَّ اَللَّهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ"** لأن هذا يُشعر بأن هذا التردد في الدعاء أنك تتوهم أن الله قد يغفر لك غصباً عنه وقهراً عنه وأنت لا تريد أن تأمره بأمر لابد له من امتثاله، حاشا لله معاذ الله أن يكون ذلك.

ولمسلم: "وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اَللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ" يعني لما تقول: "اللهم أدخلني الجنة إن شئت"، هل تتوقع أنك إذا أدخلك الله الجنة أن هذا سينقص من غنى الله جل وعلا؟ كأنك مُشفق؟ لا، الله بيده الخزائن كلها سبحانه وتعالى، بيده كل شيء مقاليد كل شيء وخزائن كل شيء، وتذكرون في الحديث القدسي يقول الله سبحانه وتعالى: **"يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ**

وَاحِدٍ يسألوني فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَسْأَلَتَهُ" ما النتيجة؟ "**مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي شَيْءٌ إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**" ماذا تنقص الإبرة إذا أدخلت البحر؟ ما تنقصه شيء.

الله غني واسع العطاء فلماذا تتردد في سؤاله سبحانه وتعالى؟ "**فَإِنَّ اَللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**" يُعطي الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، الرجل الذي يلقى الله ما في قلبه إلا مثقال أدنى أدنى ذرة من خير، يدخله الجنة، وأدنى رجل في الجنة له مثل الدنيا هذه عشر مرات، الله ما يتعاظمه شيء سبحانه وتعالى، فلماذا تعلق دعاءك لربك الغني الكريم سبحانه وتعالى بالمشيئة؟ **اعزم المسألة وحسن الظن بربك جل وعلا.**

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٣ – باب لا يقول: عبدي وأمتي

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٣ – باب لا يقول: عبدي وأمتي (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب لَا يَقُلْ: عَبْدِي وَأَمَتِي"**

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ؛ وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي".

هذا من **الآداب** التي أمر بها النبي ﷺ، وهو أن **تجتنب الألفاظ الموهمة في التوحيد**، تجتنب الألفاظ الموهمة شيئاً من الشرك، وهنا نُهينا عن هذه الألفاظ لما فيها من **إيهام التشريك** مع الله سبحانه وتعالى في العبودية، فإذا كان لك مملوك أو مملوكة، ما تقول: "هذا عبدي فلان"، "هذه أمتي فلانة" بل تقول قال ﷺ: **"لِيَقُلْ فَتَايَ"** بالنسبة للمملوك، **"فَتَاتِي"** بالنسبة للمملوكة، أو عبارة أخرى لفظة أخرى **"غُلَامِي"**، "جاريتي"، فهذا اللفظ يؤدي المعنى دون الوقوع في هذا **التشريك اللفظي** في الاسم، الذي يوهم أن هذا الشخص **مُعَبَّد لك**؛ لأن **العبودية لله سبحانه وتعالى فقط.**

وهكذا في الجملة: **"أَطْعِمْ رَبَّكَ"**، فالرب هو الله جل وعلا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] فيُعدل عن هذا اللفظ إلى لفظ آخر، قال: **"وَلْيَقُلْ سَيِّدِي"** وليقل أيضاً: **"مَوْلَايَ"**. لا يقول: "ربي فلان"؛ بل يقول: "سيدي فلان" و"مولاي فلان"؛ لأن هذا أيضاً يؤدي نفس المعنى دون حصول الخلل في هذا اللفظ.

جاء في مسلم: **"لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ مَوْلَايَ فَإِنَّ مَوْلَاكُمُ اللَّهُ"** لكن من أهل العلم مَن حكم على هذه اللفظة **بالشذوذ**، وأنها مروية بالمعنى، **فغَلِط فيها الراوي**؛ لأن الحديث الصحيح الصريح فيها التوجيه إلى استعمال هذه اللفظة: **"وَلْيَقُلْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ"** فهذا من باب الأدب في الألفاظ.

ومَن العلماء مَن يرى أن هذا النهي **للتحريم**، ومَن يرى أنه **للكراهة** وما دام النبي ﷺ نهى عنه، فينبغي للمسلم أن يعدل عنه، حتى ولو قيل أن هذا النهي للكراهة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٤ – باب لا يرد من سأل بالله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٤ – باب لا يرد من سأل بالله (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ"**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

"مَن سأل بالله" قال: "أسألك بالله أن تعطيني كذا"، أو "أحلِّفك بالله أن تعطيني كذا"، أو "أقسم عليك بالله أن تعطيني كذا"، هذا معنى السؤال بالله.

قال رسول الله ﷺ: "مَن سأل بالله فأعطوه" تعظيم لله جل وعلا، وعدم إعطائه مع أنه سألك بالله كأن فيه تنقص لله سبحانه وتعالى الذي سُئلت به، ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

فهذا الحكم في الحديث ظاهره **الوجوب**، وظاهره أيضاً أنه مطلق في أي شيء سألك هذا السائل، لكن العلماء قيدوا بما دلت عليه الأدلة في هذا الباب.

- **سؤال المحرم:** مَن سألك بالله أمراً محرماً، ما يُعطى، فالحرام لا يُستحَل بالسؤال بالله.
- **سؤال ما فيه ضرر:** سألك بالله أن تعطيه شيئاً لك وفيه مضرة عليك لو أعطيته ونفسك غير طيبة به، شيء لك من ملكك وتتضرر مثلاً بإعطائه، هل يلزمك أن تعطيه؟ الجواب: لا، القاعدة الشرعية: **"لا ضرر ولا ضرار"** لكن إن أعطيته هذا الأمر الذي سأل ما دام ما فيه حرام، فهذا أفضل.
- **سؤال ما فيه حق واجب:** سألك بالله شيئاً له فيه حق، هذا واضح أنه يُعطى، لأنه يعطى لو لم يسأل بالله؛ لأن هذا شيئاً له، مثلاً واحد أنت استلفت منه، استدنت منه مالاً، وجاء موعد الأجل وجاء يطلبك حقه الذي له عندك وأنت قادر على العطاء، فقال: "أسألك بالله تسددني الذي

لي؟"، هنا يجب أن تعطيه؛ لأنه أصلاً حتى لو ما قال: "أسألك بالله" وجب عليك الإعطاء، فكيف وقد سأل.

- **سؤال أمر غير واجب**: يسأل أمراً له فيه حق، لكن مثلاً لا يكون هذا الحق واجباً، له نوع مشاركة فيه، مثلاً واحد من الرعية يذهب إلى ولي أمره يقول: "أسألك بالله أن تعطيني من بيت المال"، الأمر راجع إلى نظر ولي الأمر، لكن الأولى والأفضل أن يعطيه؛ لأن هذا الفرد من الرعية له حق في بيت المال وهكذا، سألك شيئا ما يلزمك إعطاؤه، فهنا أنت تنظر، إذا فيه مضرة عليك فهذا لك عذر في عدم الإعطاء، وإن سمحت نفسك تحملت الضرر وأعطيته احتراماً لاسم الله الذي سأل به فأنت على خير وعلى أجر.

"وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ" قال: "أعوذ بالله منك" "أعوذ بالله من شرك"، فأعِذْهُ، لكن لو كان وجبت عليه عقوبة شرعية، وجب عليه حق للمخلوق وطلب أن يُعاذ، فلا يُقام عليه الحد، لا يُقام عليه القصاص، لا يؤدي الحق الذي عليه مع قدرته، هل يُعاذ؟ ما يُعاذ فمن وجب عليه شيء من هذه الحقوق وطلب أن يُعاذ من أدائها أو من إقامتها عليه فلا يُعاذ، هذا فيه معصية، والنبي ﷺ يقول: **"لعن الله من آوى مُحدِثًا"**.

"ومَن استعاذ بالله فأعيذوه" يعني ما لم يستعذ من شيء واجب عليه أداءه أو الاقتصاص منه فيه والنبي ﷺ زُفَّت إليه امرأة، ولما دخلت عليه **عمرة بنت الجون**، فلما دخلت عليه خافت، هابته، **قالت: "أعوذ بالله منك"، فقال النبي ﷺ: "لقد عُذت بمعاذ"** يعني عُذت بعظيم هو الله جل وعلا **"إلحقي بأهلك"**.

"وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ" الدعوة مطلقة، دعوة عُرس أو غير عُرس، ما دام أنها دعوة مباحة لا محذور فيها فأجيبوا كان ابن عمر يُجيب كل دعوة، يعني عُرس أو غير عُرس، لكن وليمة العرس آكد في إجابة الدعوة.

"ومَن دعاكم فأجيبوه" اللهم إلا إن كان هناك عذر يمنع من الإجابة كاشتمالها على منكر أو عجزك عن الحضور، أو انشغالك بما هو أهم ونحو ذلك فتعتذر، لكن لا يمنعك التثاقل والتكاسل فقط؛ لأن إجابة الدعوة فيها توثيق لِعُرَى المودة والأخوة في الله سبحانه وتعالى ومَن أسباب الفوز برضى الله جل وعلا ومحبته، في الحديث القدسي يقول الله: **"وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمُتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ"** فإجابة الدعوة

فيها مصالح كثيرة، من التذاكر في العلم والتناصح والتواصي بالحق والصبر، التذاكر فيما ينفع الفرد والمجتمع، ففيها خير كثير.

"وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ" صنع إليكم معروفا سواء هذا المعروف بماله أو بجاهه كشفاعة أو بعلمه أو بغير ذلك من صور المعروف، **"مَن صنع إليكم معروفاً فكافئوه"** يعني بمثل المعروف الذي قدمه مع الاستطاعة، فإن لم يتيسر فبما تستطيع أنت، صنع إليك معروفا عظيما ما تقدر أن تكافئه بمثله، لكن تستطيع أن تقدم له شيء، شيء رمزي بمقدورك، فكافئه بما تستطيع، إذا ما وجدت مالًا أو ليس لك جاه تعامله بالمثل.

"فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أو "حتى تُروْا"، ما الفرق بينهما؟ **"حتى تَرَوْا"** بمعنى حتى تعلموا، **"حتى تُرَوْا"** حتى تظنوا، **"حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"** يعني حتى تعلموا وتطمئنوا أنكم قد كافأتموه بمثل ما صنع، وعلى الضبط الآخر: **"حتى تُرَوْا"** يعني حتى تظنوا يغلب على الظن أنكم قد كافأتموه بهذا الدعاء.

"فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" والمكافأة لها حِكم ومصالح، من حكمها ألا تكون له مِنة عليك، الآن استويتم؛ لأنه إذا صنع إليك معروفا ولم تكافئه تبقى له المِنة عليك، لكن صنع لك معروفا وأنت كافأته استويتم ها هنا.

وكذلك أيضاً المكافأة على المعروف مما يسر الخاطر، وهكذا الطبيعة البشرية، أنك إذا صنعت إلى شخص معروفا فكافأك عليه بالمكافأة أو بالكلمة الطيبة أو بالدعاء هذا شيء يسر الإنسان، وإن كان لا يقصد ما عند الناس، لكن هذه طبيعة البشر تحب أن يُقابل المعروف بالمعروف كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. فهذا من مكارم الأخلاق ومحاسن الأخلاق، وهو مما يشجع الناس على المواصلة في هذا الدرب، لكن إذا صنع شخص معروفا ثم قوبل بالنكران، قوبل بالجحود، ما كل الناس تستطيع أن تجاهد أنفسها وتستمر على ما هي عليه، فقد تنقطع عن بذل المعروف، فالمكافئة:

- فيها قطع للمِنة،

٥٤ – باب لا يرد من سأل بالله (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

- وفيها إدخال السرور على قلب المحسن،
- وفيها أيضاً تشجيع على الاستمرار وعلى التأسي بهذا الشخص الذي يصنع إلى الناس المعروف.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٥ – باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٥ – باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةَ"**.

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةَ" رواه أبو داود.

هذا الحديث فيه إثبات أن **لله وجهاً**، وهذا ثابت في كتاب الله وفي الصحيح من سنة رسول الله ﷺ، قال الله جل وعلا: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، **فصفة الوجه ثابتة لله سبحانه وتعالى**، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن لله وجهاً **يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى**.

أما أهل الأهواء، فيؤولون هذا الوصف، ويقولون: معنى الوجه يعني **الذات** وقد يُفسر بعض أهل العلم قول الله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ بقوله: "تبقى ذاته"، وهنا لا يمكن الجزم بأن هذا المفسر مؤول أو أنه ينكر صفة الوجه، ما يمكن الجزم بهذه العبارة فقط، لأنه ممكن يكون فسر المعنى؛ أي فسر أن الله لا يفنى منه شيء، حتى لا يتبادر إلى الذهن أنه الذي يبقى وجه الله دون اليدين والرجلين وكذا، فيكون هذا القصد من كلمته هذه.

لكن عموماً، يجب على المسلم أن يثبت لله ما أثبته لنفسه ومن ذلك أن يثبت لله وجهاً، ووجهه سبحانه وتعالى يليق بجلاله وكماله **لا يُشبه وجه شيء من وجوه الخلق**.

وهذا الوجه صفة **عظيمة جداً**، وبالتالي **لا يُسأل بها إلا شيء عظيم**، لا يُسأل بها الدنيا ولا ما والى الدنيا، إنما يُسأل بها الجنة وما يقرب إلى الجنة، **"لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةَ"** وهكذا ما يقرب إليها؛ أي ما يقرب إلى الجنة ويدخل الجنة من الإيمان والعمل الصالح، أما الدنيا والمال ونحو ذلك، فلا تسأل ذلك بوجه الله سبحانه، **فوجه الله عظيم ولا يُسأل به إلا أعظم المطالب وهو الجنة** أو ما كان موصلاً إلى الجنة.

٥٥ – باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بالمناسبة بعض الناس قد ينادي بالوجه، فيقول: "يا وجه الله" بقصد الدعاء، فهذا لا يجوز، الصفات لا تدعى، لا يدعى وجه الله، ولا تدعى رحمة الله إنما يدعى الله نفسه سبحانه وتعالى، أما الصفات يتوسل بها ويدعى الله بها ولا تدعى هي.

وهذا الحديث ذكر أهل العلم أن إسناده ضعيف ولكن كما ذكروا أن العمدة ما جاء في مجموع هذا الباب وليس بخصوص هذا الحديث، لأن فيه رجل يقال له سليمان بن معاذ مجهول، ويقال أن الراوي سليمان بن معاذ هو سيء الحفظ وبعضهم يقول واه، فسند الحديث بخصوصه فيه ضعف، لكن العمدة على مجموع ما يجيء في هذا الباب.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٦ – باب ما جاء في اللو

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٦ – باب ما جاء في اللو (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب ما جاء في اللَّو"** نلاحظ أنه لم يجزم بحكم، لم يقل: "حرمة أو النهي عن استعمال لو"، ولم يقل: "إباحة استعمال لو"، إنما ترك الباب أو الترجمة مفتوحة كما يقال أو معلقة تحتمل الأمرين جميعاً وذلك أن **"لو" تارة تكون محمودة وتارة تكون مذمومة**، فحكم استعمال "لو" يختلف باختلاف حال استعمالها:

١. **استعمال مذموم**: إذا كانت من باب **الاعتراض على القدر** أو **كراهية القدر** وسوء **الظن بالله سبحانه وتعالى**، و**التسخط على قضائه وقدره**.

٢. **استعمال محمود**: إذا استعملت من باب **التأسف والندم** على فوات الخير، فهذا لا حرج فيه؛ لأنه صح عن النبي ﷺ أنه استعمل **"لو"** في هذا الباب.

"باب ما جاء في اللو" يعني في قول **"لو"**، لو فعلت كذا لما وقع كذا.

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقول الله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ**﴾ الضمير يعود إلى **المنافقين**، وذلك بعد **غزوة أحد** وما جرى فيها من القتل والجراحات والإصابات البالغة التي وقعت للمسلمين، فهؤلاء المنافقون يقولون: ﴿**لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا**﴾ **"لو"** هذا محل الشاهد هنا، اعتراض على ما قدَّر الله، اعتراض على قرار النبي ﷺ لما قرر الخروج إلى أحد وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول ومَن معه أنهم يمكثون في المدينة ولا يخرجون ويدافعون عن المدينة في داخل المدينة.

فاختار النبي ﷺ الرأي الآخر وخرج إلى أحد وحصل ما حصل، فهؤلاء يقولون: لو كان الأمر بأيدينا والقرار بأيدينا ما خرجنا، ولو أننا فعلنا ذلك وبقينا في المدينة ما قُتل مَن قُتل، وما وقع ما وقع.

فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ بمعنى أن ما قدره الله فلابد من وقوعه، ما قدره الله فلابد أن يقع كما قدر الله، لا يرد قدر الله شيء، فما قضاه الله وقدره وأمضاه سبحانه وتعالى فلابد من وقوعه، ﴿لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وكتب الله عَلَى فلان وفلان منكم أن يقتل في مكان كذا وكذا فلابد أن يخرج إِلَى هذا المكان ويقتل فيه كما قدر الله وقضى، هذا معنى قوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي أن ما قدره الله فَهُوَ كائن وَلَابُدَّ.

فلو أن خمسة، ستة، عشرة، مائة شخص في بيت وكتب الله على واحد منهم أن يموت في الموقع الفلاني بحادث، بقتل بغير ذلك من الأسباب فسيخرج إلى محل مصرعه ويموت فيه في الوقت الذي قدره الله في المكان الذي قدره الله، لا يتقدم لحظة ولا يتأخر لحظة وهم يظنون لو أنهم جلسوا في المدينة وما خرجوا ما حصل القتل ولم يمت مَن مات، مَن كتب الله عليه الموت يموت، مَن انتهى أجله مات حيث كان ومتى كان.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ ثم بين الحكمة سبحانه وتعالى مما وقع من الإصابات والقتل والجراحات التي وقعت للمسلمين، فقال جل وعلا: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ إذًا هذا الابتلاء ليس عبثاً وإنما هذا الابتلاء عن حكمة بالغة، وهي حكمة الاختبار والابتلاء والتمحيص حتى يتبين المؤمن من المنافق، ويتبين الصابر الثابت من ضعيف الإيمان الجازع المتسخط، حتى يكون في المؤمنين شهداء ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ولحكم أخرى، فالله من حكمته أنه لا يجعل الغلبة دائماً لأهل التوحيد، يعني الانتصار في المعارك ليست دائماً لأهل التوحيد، إنما مرة يُدالون ومرة يُدال عليهم، لكن العاقبة لهم، العاقبة دائماً للمتقين.

أما الحروب فهي سجال، مرة لهم ومرة عليهم، لو كان المسلمون ينتصرون دائماً دائماً ما يدخلون معركة إلا وانتصروا فيها ما الذي يحصل؟ سيحصل العجب، ويحصل الكبر في النفوس ويحصل اغترار بالعمل، ونحن نجزم أنه لو حصل انتصار دائماً أنه بين كل انتصارين كان في معاصي وذنوب؛ لأن كل بني آدم خطاء، فإذا كان يذنبون ويخطئون وينتصرون، يخطئون ويذنبون وينتصرون، يخطئون ويذنبون وينتصرون، دائماً وأبداً معنى ذلك

أنه في الغالب لن يراجعوا أنفسهم لن يتوبوا؛ بل سيكون ذلك من أسباب الاغترار والأمن من مكر الله، والبقاء والاستمرار على معصية الله، لكن حينما ينكسرون في معركة ما الذي يحصل؟ تحصل محاسبة النفس، مراجعة النفس، تذكر الذنوب، تذكر المعاصي، وأن هذه الهزيمة التي وقعت إنما هي بذنب، فيجدد المسلمون التوبة والإنابة والرجوع إلى الله، فيقع بسبب ذلك من الخير الشيء الكثير.

ثم أيضاً لو كان الانتصار دائماً دائماً لدخل في الإسلام كثير من المنافقين طمعاً في العلو في الأرض، طمعاً في الغنائم وهم غير صادقين في حقيقة الأمر، لكن مرة انتصار ومرة هزيمة، مرة انتصار ومرة هزيمة، هنا تتحقق المصالح والحكم العظيمة الجليلة، فيتميز أهل الثبات أهل الإيمان الصادق عن أهل النفاق وأهل الكذب وعن ضعاف الإيمان.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ إذًا هذه الآية جاءت في حكاية استعمال "**لو**" في الاعتراض عَلَى قضاء الله وقدره من المنافقين، فدل عَلَى استعمالها في هذا الباب هُوَ من أخلاق المنافقين وصفات المنافقين، فعلى الموحد الحريص عَلَى دينه عَلَى إيمانه عَلَى توحيده أن يجتنب استعمال "**لو**" في هذا الباب، وهو معارضة القدر والتسخط على القضاء والقدر.

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

نفس الكلام السابق ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ قعدوا عن القتال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ بالجلوس وعدم الخروج ﴿مَا قُتِلُوا﴾ يعني كأن القعود والجلوس عن الخروج للحرب أنه مانع من الموت، فرد الله عليهم فماذا قال؟ ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ﴾ إذًا إذا كان سبب الموت هو الخروج إذًا معنى ذلك الذي يقعد لا يموت، وهل هذا الكلام صحيح؟ لا، حتى القاعد سيموت إذا انتهى أجله مات، أنتم قعدتم وما خرجتم، إذا كتب الله عليكم الموت تستطيعون أن تردونه؟ ما تردوه.

إذًا لا الخروج يقرب الأجل ولا الجلوس يبعد الأجل، مَن كتب الله عليه الموت مات، كتب الله عليه يقتل في المعركة سيخرج وسيقتل، كتب الله عليه أنه سيموت على فراشه، سيجلس ويموت على فراشه، فـ "**لو**" هذه لا

تقدم ولا تؤخر ولا تفيد قائلها بشيء؛ لأن قدر الله ماضٍ ولابد، وهذا فيه تعليم محاجة أهل الباطل، فالله رد على هذه الشبهة، قال: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

فشبهات أهل النفاق شبهات أهل الأهواء، شبهات أهل الكفر، شبهات أهل الإلحاد، إذا أشيعت في المسلمين وظهرت يجب أن تُقارع وأن تُكشف وأن تُبيَّن بأقوى حجة، ما يتولى الرد على هذه الشبهة ضعيف؛ لأنه إذا كان الرد ضعيف كان هذا في تعزيز للشبهة، فتُقوي أهل الباطل، لكن يكون الرد ردا قويا بحيث أنه ما يبقى لهذه الشبهة قائمة.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا، وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان".

"في الصحيح" يعني صحيح مسلم **"عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "احرص على ما ينفعك"** هل في أمر الدين أم الدنيا؟ يشمل الدين والدنيا.

"واستعن بالله" إذًا الأول فيه الأخذ بالأسباب، الحرص على ما ينفع هذا الأخذ بالسبب، والاستعانة **"استعن بالله"** هذا من أعظم الأسباب، فأنت تأخذ بالسبب المادي وتستعين بالله عمل قلبي، تطلب العون من الله سبحانه وتعالى بالقلب وباللسان، تستعين بالله بقلبك وبلسانك، تعلم أن الله إذا أعانك ووفقك حصل ما أردت، إذا خُذلت ولم تُعن لم تبلغ ما تريد.

"ولا تعجزن" تأكيد لقول: **"احرص"** والحرص يَتبعه عمل، يَتبعه سعي **"ولا تعجزن"** كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من العجز من الكسل.

"وإن أصابك شيء" يعني مما تكره، سعيت وبذلت ومشيت في الأمر لكن ما حصل الذي تريد، أو حصل أقل مما تريد أو حصل خلاف ما تريد، **"وإن أصابك شيء"** من موت من خسارة مال أو نحو ذلك من المصائب.

"فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا" لو أني مثلاً استعملت النشاط الآخر للتجارة، تجارة الملابس كان أحسن من تجارة السيارات مثلاً، لو أني فعلت كذا لكان، لو أني اشتريت الكتاب الفلاني كان أحسن وخير من الكتاب هذا.

"وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا" لو أني عالجت مريضي في المستشفى الفلاني كان أحسن من أني وديته إلى المستشفى الآخر، لا تقل هذا.

"ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل" يعني هذا قدر الله، وتقدير الكلام "هذا مقدور الله، هذا الشيء الذي قدّره الله، "هذا قدر الله" يعني هذا مقدوره **"وما شاء فعل"** يعني الله ما شاء فعل، مهما حرصت، ومهما فعلت، ومهما بذلت في الأخير لا يكون إلا ما قدره الله سبحانه وتعالى.

هل معنى كونه لا يحصل إلا ما قدره الله، هل نترك العمل بالأسباب؟ لا، العمل بالأسباب هو من جملة قضاء الله وقدره، فالله أمرنا بالأخذ بالأسباب، وأمرنا أيضاً الإيمان بالقضاء والقدر.

"ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل" لماذا لا نقول **"لو"**، لو أني فعلت كذا لكان كذا؟ **قال** ﷺ **"فإن "لو" تفتح عمل الشيطان"** **(لو)** هذه قفل تفتح باب مغلق، بكن هذا باب شيطاني ينفذ إليك منه شيطان، ما هو عمل الشيطان؟

- ❑ تفتح عليك باب **التسخط على قضاء الله وقدره**، وأنت مطلوب منك الرضا،
- ❑ وتفتح عليك **عدم الصبر** وأنت مأمور بالصبر، فالصبر واجب والرضا مستحب، **(لو)** هذه تخرجك من الأمرين جميعاً لا تصبر ولا ترضى، الله أثنى على المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧] فالمطلوب منك أن تصبر عَلَى القضاء والقدر الذي تكرهه، المطلوب درجة أعلى إن قدرت عليها وهي أن ترضى، بحيث أنك ما تحب أن المصيبة لم تقع، يعني وقوعها كان أحب إليك من عدم وقوعها، هذا رضا درجة أعلى.
- ❑ تفتح عليك باب **الحزن**، والحزن يُهلك القلب ويهلك البدن،

❑ يفتح عليك باب **سوء الظن بالله سبحانه وتعالى**، فربما يرد على قلبك أن الله ليس بحكيم، أن الله – تعالى الله وتقدس – ليس بعدل ظلمك في هذا القضاء والقدر، تنسب إلى الله ربما الجهل تعالى الله وتقدس.

تفتح على العبد أبوابا عظيمة من الشرور، ولهذا كانت من صفات المنافقين.

أما استعمالها في الخير في **الندم على فوات الخير** فهذا ليس فيه حرج؛ لأنه ليس فيه هذه المحاذير، النبي ﷺ في حجة الوداع ماذا قال؟ قال: **"لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولأحللت لجعلتها عمرة"** تمنى أنه ما كان محرما بنسك التمتع، بمعنى أنه لم يسق الهدي، حتى بعدما ينتهي من الطواف والسعي يقصر شعره ويتحلل ويجعلها عمرة كاملة مستقلة عن الحج.

لكن ما الذي منعه من ذلك فصار قارناً؟ الذي منعه أنه ساق الهدي، فهذا تندم وتأسف على فوات الخير على فوات الأفضل.

هكذا أيضاً ما ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **"يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما"** يعني من خبر موسى والخضر؛ لأن لما أتيا القرية وأصلحا الجدار موسى قال للخضر: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦] فجعل الحد للصحبة بينهما السؤال رقم ثلاثة، وبالفعل ما جاءوا ودخلوا القرية ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ ماذا قال موسى للخضر لما قام للجدار؟ ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] هذه الثالثة التي كانت عمداً من موسى، الأول النسيان والثانية النسيان، لكن الثالثة كانت عمداً حتى تنتهي الصحبة بينهما، فالنبي ﷺ يقول: **"يرحم الله موسى، لَوَدِدْنا لو أنه صبر"** ما قطع الحبل بينه وبين الخضر حتى يقص علينا من خبرهما؛ لأنه لو استمرت الصحبة بينهما لظهرت لنا عجائب وعجائب، ولله في ذلك الحكمة.

فالمقصود أن استعمال لو هنا أيضاً تأسف على فوات شيء من العلم النافع لو اطلعنا عليه.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٧ – باب النهي عن سب الريح

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٧ – باب النهي عن سب الريح (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ"**

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال: "لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ" هذا نهي عن سب الريح، شتم الريح، لعن الريح.

"فإذا رأيتم ما تكرهون" يعني من الريح، جاءت ريح قوية شديدة خفتم منها، فلا تسبوا، لا تقولوا: لعن الله الريح، كسرت أشجارنا، أعمت عيوننا، جابت غبار، نكدت عيشتنا.

"لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيْهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيْهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ" صححه الترمذي.

إذًا نهانا النبي ﷺ عن سب الريح وأعطانا البديل، بديل مبارك عن السب، وهو هذا الدعاء الكريم.

لماذا لا نَسُبُّ الريح؟ لأنها لا ذنب لها، الريح مخلوق مُسَخَّر يُسيره الله حيث يشاء، فإن وقع بخير فمن الله، وإن وقع منها شر على الناس فهو بقدر الله وبذنوب العباد، فما ذنبها أن تُلْعَن وأن تُسَب؟

مثل ما تقدم النهي عن سب الدهر **"يُؤْذِيني ابن آدم يَسُبُّ الدهر وأنا الدهر أُقَلِّب الليل والنهار".** لكن الفرق بينهما أن **الدهر عام** والنهي عن **سب الريح خاص.**

فالدهر ليس له اختيار، والحوادث التي تقع فيه ليس هو الذي يجريها، الذي يجريها الله، وحينما تسب الدهر في حقيقة الأمر تسب مَن قدَّر المقادير التي تقع في الدهر، وحينما تسب الريح كأنك تسب مَن سخَّر هذه الريح وأرسل هذه الريح وأمرها بما حصل ووقع، فهذا مما يُضعف إيمان العبد.

"فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيْهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ" إذًا هذه الرياح **مأمورة مُسَخَّرة مُسَيَّرة بأمر الله جل وعلا.**

٥٧ – باب النهي عن سب الريح (التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وأيضاً ثبت في الصحيح عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا عصفت الريح قال: **"اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به"** هذا أيضاً ثابت في الصحيح، إذا عصفت الريح، وهنا قال: **"إذا رأيتم ما تكرهون"**.

فإذا أقبلت الريح وخشينا أن تكون قوية وقد يكون منها ضرر، فنلجأ إلى هذا الدعاء الكريم الذي علمنا إياه النبي ﷺ.

وأما حديث: **"اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً"** فحكم عليه الشيخ الألباني بأنه ضعيف شديد الضعف.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٨ – باب قوله تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ}

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٨ – باب قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **باب قول الله تعالى:** ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

"قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن" قاله في **زاد المعاد**، **"فسر هذا الظنَّ بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يُظهره الله على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا الظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.**

فمَن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده ووعده الصادق.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت مَن فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك، هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة *** وإلا فإني لا إخالك ناجياً".**

٥٨ – باب قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

خلاصة هذا الباب: أن المنافقين ظنوا بالله ظن السوء، هذه الظنون، يعني حينما يقع القضاء والقدر بخلاف ما يريدون، حينما يقع القضاء والقدر بما لا تحب، فالمنافق حينما تقع به المصيبة، يقع به شيء من القضاء والقدر الذي يكرهه سواء في نفسه، أو وقع هذا القضاء والقدر في غيره، يظن بالله ظن السوء.

ما هو هذا الظن السيئ؟

١. **إنكار القدر**: إما أن هذا الأمر وقع بدون قضاء وقدر، وقع بلا قضاء ولا بقدر، يعني ينكر القدر.

٢. **إنكار الحكمة**: أو أنه وقع بقضاء وقدر لكن ليس لله فيه حكمة، أو أن الله لا مشيئة له ولا حكمة له في هذا القضاء والقدر، هذا الظن رقم اثنين.

٣. **اتهام الله بالظلم**: أو أنه وقع بقضاء وقدر ولله حكمة، وهذه الحكمة المراد بها ظلم العباد وجور العباد.

وكل هذه الظنون فاسدة وظنون سيئة، فحينما يقع شيء عليك أن تؤمن أنه وقع **بقضاء الله وقدره،** وعليك أن تؤمن بأن لله في ذلك **الحكمة البالغة**؛ لأن الله وصف نفسه بأنه حكيم، والحكيم ما يخلق شيئاً أو يقدر شيئاً عبثاً، وعليك أن تؤمن بأن هذا الذي قضاه وقدره فيه **عين العدل** ليست ظلماً على العباد؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] فهذه الأمور الثلاثة يجب أن تنتبه لها ولا تتشبه فيها بأهل النفاق.

فما قدره الله فله فيه الحكمة البالغة، وأفعال الله وأقداره ليس فيها ظلم للعباد.

وأما بخصوص ظنهم في تلك الواقعة، فظنوا أن الله لن يُنفذ وعده وكلمته التي بشر بها، لما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] وقوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ووعد النبي ﷺ لأمته: **"ليتمن الله هذا الأمر"** فهم لما رأوا الهزيمة في أحد ظنوا أنها الهزيمة الدائمة الأبدية، وأنه لن يحصل بعد ذلك عز ولا نصر للإسلام وأهله، وهذا ظن **عدم الصدق بالله**، أن الله لم يصدق في

وعده ولم يصدق في حديثه، وأن النبي ﷺ لم يصدق في وعده وحديثه، ولم يكن مصدوقاً فيما أوحي إليه والعياذ بالله، فهكذا ظنوا أن الله ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

فيجب على المسلم أن يجتنب هذه الظنون الفاسدة مهما بلغت المحنة والابتلاء والمصائب على الإسلام وأهله، فيجب أن تؤمن بمقتضى وعد الله سبحانه وتعالى لما قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] ولما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

فهذه وعود من الله جل وعلا، **والله لا يخلف الميعاد**، وهذه أخبار من الله، والله لا أصدق منه قيلاً ولا أصدق منه حديثاً سبحانه وتعالى، فما أخبر الله عنه في مواضع فهو صدق وحق، وما وعد الله به أن يأتي فلابد من وقوعه كما وعد جل وعلا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٥٩ – باب ما جاء في منكري القدر

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٥٩ – باب ما جاء في منكري القدر (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"بَاب مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ"**.

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة: **"أن تؤمن بالقدر خيره وشره"**، فمَن أنكر القدر وكذَّب به فهو كافر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ وبعض أهل البدع ينكرون بعض أفراد مسائل القدر، بعض الجزئيات في مسائل القدر، فهؤلاء بدَّعهم أهل العلم ولم يكفروهم.

لكن مَن أنكر **علم الله**، مَن أنكر **الكتابة في اللوح المحفوظ**، هذا **كافر** ولهذا يقول الإمام أحمد أو الشافعي: **"خاصموهم بالعلم"** خاصموا القدرية الذين ينكرون القدر، ينكرون المشيئة، وينكرون خلق الله لأفعال العباد، يقول أحمد أو الشافعي: **"خاصموهم بالعلم، فإن أقروا به خُصِموا، وإن كذبوا به كفروا"** يعني هذا الذي يقول: إن الله لم يقدر طاعة العبد ولا معصية العبد، اسأل: هل الله كان يعلم أن هذا العبد سيطيع أو أن هذا العبد سيعصي أو كان جاهلاً تعالى الله وتقدس؟

- إن قال: كان عالماً؛ لأن الله بكل شيء عليم، إذًا إذا كان الله يعلم أن هذا العبد سيطيع وهذا العبد سيعصي ما الذي يمنع من أنه كتب هذا الشيء وأنه شاءه، وأنه أوجده؟ فلا حجة له.
- وإذا قال: أن الله ما كان يعلم، إذًا نسب الله إلى **الجهل**، وكذب بالتالي بمئات الآيات التي فيها التصريح بوصف الله بالعلم وبإحاطة علمه بكل شيء.

فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يؤمن بقضاء الله وقدره ويؤمن بـ **مراتب القدر الأربعة** كلها:

- ❖ يؤمن بعلم الله
- ❖ وبكتابة المقادير في اللوح المحفوظ،
- ❖ وبمشيئة الله للأشياء،
- ❖ وبخلقه وإيجاده لها على نحو ما سبق به علمه، وسبقت كتابته في اللوح المحفوظ.

وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر".

الصحابة كان مذهبهم واحد كلهم، كلهم متفقون على الإيمان بالقضاء والقدر، في آخر عهد الصحابة نجمت فرقة أخذت تخاصم في القدر، **"أنه لا قدر وأن الأمر أُنُف"**، وهؤلاء الذين قالوا هذه الكلمة ليسوا من الصحابة، إنما قوم عندهم حرص على العلم وطلب العلم لكن على هواهم، أو على جهالة وضلالة، وسوء مصادر تلقوا عنها العلم، فضلوا في هذا الباب.

فانتدب حميد بن عبد الرحمن ويحي بن يَعْمُر حتى قدموا المدينة والتقوا بابن عمر فسألوه عما نجم عندهم في الكوفة من القوم الذين ينكرون القدر.

فقال ابن عمر عن هؤلاء الذين يكذبون بالقدر قال: **"والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم"** هؤلاء الذين ينكرون القدر **"مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر"**.

إذًا كأن ابن عمر يحكم على هؤلاء الذين كذَّبوا بالقدر بماذا؟ **بالكفر**، لأن عمله حابط، لا يُقبل من عمله شيء، ولا ينفعه من عمله شيء؛ لأن العمل ما ينفع إلا مع التوحيد، ما ينفع إلا مع الإيمان، إذا كان العبد كافراً وينفق في سبيل الله ما قبل الله منه ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤].

"ثم استدل بقول النبي ﷺ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" رواه مسلم.

وهذا يدل على أنه إذا كان فيه مسألة وتريد أن تستدل لها فسواء استدللت بالقرآن أو استدللت بالسنة الأمر سواء، كلاً منهما يؤدي الغرض والحمد لله في إثبات المستدل عليه؛ لأن آيات القدر كثيرة في القرآن الكريم: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ونحو ذلك آيات القدر كثيرة، ابن عمر ما استدل في هذا الموضع بالآيات، استدل بماذا؟ استدل بالحديث حديث أبيه **حديث جبريل**، حدثه أبوه عمر أنهم بينما كانوا جالسين عند النبي ﷺ **"إذ دخل عليهم رجل شديد بياض الثياب**

شديد سواد الشعر" إلى آخره، فهذا يدل على أن لك الخيار إن شئت استدل بآية وإن شئت استدل بحديث، لكن المهم إذا استدللت بحديث يكون الحديث ثابتا وصحيحا، وإذا استدللت بآية أو بحديث ثابت فيجب أن يكون هذا الدليل فيه الدلالة على المسألة المستدل عليها، ما تأتي بدليل مشرق والمسألة المستدل عليها مغربة ما يصح هذا.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول :إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أُكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة . يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول :من مات على غير هذا فليس مني.

"**وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه**" يعني **الوليد**؛ لأن هذا من رواية عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه.

"**يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان**" يعني الإيمان له طعم وله حلاوة، لكن من يذق حلاوة الإيمان؟ قال: "**لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**" مهما بذلت من الأسباب حتى تتقي شيئاً كتبه الله عليك لابد أن يقع، مهما بذلت من الأسباب والمحاولات على أن تنال شيئاً والله لم يقدره لك لن تناله.

"**سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة" يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن مات على غير هذا فليس مني**".

وفي رواية لأحمد: "إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة".

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: "فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار".

"**إن أول ما خلق الله القلم**" ما معنى هذه الجملة؟ هل المقصود منها أول المخلوقات القلم إطلاقاً؟ لا؛ لأنه قد ثبت في الأدلة أن **الماء خلق قبل ذلك والعرش خلق قبل ذلك**، فالعرش والماء الذي فوقه العرش هذا مخلوق قبل القلم، فهي أولية نسبية، يعني أول ما خلق الله بعد العرش وبعد الماء، أو أن المقصود حين خلق الله القلم، أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، يعني ما في فاصل بين خلق القلم وإيجاد القلم وبين أمره بالكتابة، يعني حين تم خلق القلم قال له: اكتب، ما ترك زمن ألف سنة أربعين سنة ثم قال له: اكتب.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص "**أن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**".

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: "أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ" حديث صحيح. رواه الحاكم في صحيحه.

"**وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي**" هذا **عبد الله بن فيروز الديلمي**، **قال**: "**أتيت أُبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر**" يعني صار عندي وساوس، ترد علي وساوس، والمؤمن قد يُبتلى بوساوس وبشكوك، يقذفها الشيطان في قلبه، لكن المؤمن يدفعها يكرهها، وينفيها، يستعيذ بالله منها، ما يتمادى معها، ولا يتحدث بها تحدث مُقتنِع بها، إنما يستعيذ بالله في صرفها عنه، وإن تحدث تحدث من باب طلب البحث عن حل هذه المشكلة التي وقع فيها كيف يتخلص منها.

فهذا جاء إلى **أُبي بن كعب** رضي الله عنه الصحابي الجليل؛ الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يقرأ عليه سورة البينة باسمه، الرسول قال له: "**إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة، قال: آلله سماني لك؟ قال: الله سماك لي**" فبكى أُبي رضي الله عنه، فأنصت أُبي والنبي ﷺ يقرأ عليه سورة البينة.

قال: "**أتيت أُبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي**".

إذًا هو ما كان مطمئنا لهذه الوساوس، ما كان مطمئنا لهذه الشكوك، فهو كان كارهاً لها، خائفاً منها، وحينما شعر بهذه المشكلة ذهب يبحث عن الحل، وذهب يبحث عن الحل في المكان الصحيح؛ لأن بعض الناس قد يُبتلى في مثل هذا البلاء ويذهب يسأل مَن ليس أهلاً للسؤال، بعض الناس أشوف أنه يكتب في وسائل التواصل أني عندي المشكلة الفلانية، فيرد عليه الملحد ويرد عليه المبتدع، ويرد عليه ظالم، ويرد عليه صاحب حق، هؤلاء ما تزيده هذه الإجابات إلا شكوكا، وإلا ضلالا، الله يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، أهل العلم.

"فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر" إذًا الإيمان بالقدر ليس أمراً اختيارياً، إن شئت أن تؤمن وإن شئت ما تؤمن، هذا ركن أساسي من أركان الإيمان، مثلما تؤمن بالله، مثلما تؤمن بالملائكة، مثلما تؤمن بالكتب، بالرسل، باليوم الآخر، بالجنة، بالنار، يجب أن تؤمن بالقضاء والقدر.

"وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك" مثل النص الذي سبق معنا في حديث عبادة بن الصامت.

"ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار" "مَن لم يؤمن بالقضاء والقدر أحرقه الله بالنار" كما سمعنا قبل قليل.

"قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ" كأنه والله أعلم قوة المشكلة التي كانت عند عبد الله بن فيروز، ولكن مثل هذا العلاج، من هذا العدد من الصحابة واحد منهم يكفي، والله أعلم كان تعدد السؤال من باب الطمأنينة ليس من باب الشك، فهو تابعي فاضل ثقة، وأبوه له مقام في الإسلام، أبوه هو الذي قتل مدعي النبوة **الأسود العنسي** في اليمن.

فهذه الإجابات وكلها مرفوعة إلى النبي ﷺ تدل على أن مَن كذَّب بالقدر فهو كافر، ولكن تفاصيل الحكم على القدرية يتفاوت الحكم عليهم، ففيه قدري كافر وفيه قدري مبتدع.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٦٠ – باب ما جاء في المصورين

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٩هـ

٦٠ – باب ما جاء في المصورين (التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: "**بابٌ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ**" يعني من الوعيد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة أخرجاه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**قال الله تعالى**" يعني حديث قدسي، "**وَمَنْ أَظْلَمُ**" يعني لا أحد أظلم، "**مِمَّن ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**" النملة الصغيرة "**أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**" حبة بَرّ مثلاً، أو ليخلقوا شعيراً "**أخرجاه**" هذا فيه **وعيد شديد** على مَن يصور الصور والتماثيل على هيئة ما فيه روح، من إنسان أو حيوان.

قال عز وجل متوعداً: "**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**" فليخلقوا نملة فيها حياة، وهي متحركة، وهي مخلوق صغير، والذي يعجز عن خلق الذرة يعجز عن خلق الإنسان، أو خلق الحيوان الكبير.

"**أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً**" تنزل معهم من المخلوق الحي إلى المخلوق الجامد لا حياة فيها "**أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**" والنتيجة طبعاً هي **العجز عن ذلك**، لن يستطيعوا خلق ذرة، ولا حبة، ولا خلق شعيرة، ولا خلق شيء؛ لأن **الخلق تفرد الله به**، لا يشارك الله في الخلق أحد سبحانه وتعالى ﴿هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦] ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالله سبحانه وتعالى متفرد بالخلق والإيجاد، ومعنى قوله: "**وَمَنْ أَظْلَمُ**" هذه صيغة وعيد يعني لا أحد أظلم.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال :أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا" صيغة تفضيل "أشد".

"أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ" يضاهئون بالهمزة أو يضاهون بالواو، كلها بمعنى واحد، يعني **يشابهون "الذين يضاهئون بخلق الله"** يعني يصورون صورا **تشابه ما خلق الله** من الحيوان مما فيه روح من إنسان أو دابة أو طير أو نحو ذلك.

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول :كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم.

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ" صيغة عموم.

"يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ" يعني أن هذه الصور التي صورها يجعل لها روح، يجعل فيها نفس يوم القيامة، ثم هذه الصورة تعذِّب المصور، صوَّر مائة صورة تعذبه مائة صورة، صور ألف صورة تعذبه ألف صورة وهكذا، والله على كل شيء قدير، فهذه الصورة التي صورها تجعل لها أنفس، يجعل لها روح، فيعذب بها هذا المصور والعياذ بالله.

ولهما عنه مرفوعا :من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.

ولهما عنه مرفوعاً: "مَن صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ" يعني يُعذب إلى أن ينفخ فيها الروح، ولا يمكنه ذلك، فهذا يدل على **طول عذابه** نسأل الله العافية.

ولمسلم عن أبي الهياج قال: "قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته.

"ولمسلم عن أبي الهيَّاج" الأسدي **حيان بن حصين** رضي الله عنه.

٦٠ – باب ما جاء في المصورين (التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قال: "قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟" هذا في زمن خلافة علي، **"أَلَا أَبْعَثُكَ"** يعني أرسلك لمهمة أرسلني إلى مثلها النبي ﷺ، ما هي؟ قال: **"أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ"**.

لاحظ الجمع بين الصورة وبين القبر المشرف؛ لأن القبر المشرف إذا كان القبر عالياً هذا معناه في **غلو في هذا القبر**، لماذا رُفع فوق الشبر؟ لماذا رُفع متر، مترين؟ لماذا جُعلت عليه قُبة؟ لماذا جُعلت عليه بناية؟ لماذا مُيز عن بقية القبور؟ معناه أنه له خاصية، فيُتبرك به اليوم، يُطاف لله حوله اليوم، يُدعى الله عنده، يُصلى لله عنده، ثم بعد ذلك يُعبد مع الله جل وعلا، **فرفع القبور والغلو في القبور من أسباب الشرك.**

كذلك أيضاً **الصور من أسباب الشرك**؛ لأن أول شرك وقع في الدنيا كان سببه صور الصالحين، فهذا والعلم عند الله الحكمة من الجمع بين هذين الأمرين في هذا السياق؛ لأن كلاً من الصور ورفع القبور من وسائل الشرك.

- وإذا كانت هذه الصور **مُجَسَّمة** التي يعبِّر عنها العلماء بأنها لها ظل، يعني إذا كانت هذه الصور مجسمة صورة إنسان أو صورة حيوان، فهذه **مُحرَّمة بالإجماع**،
- وأما إذا كانت الصور **كرسومات** في ورق أو في خرقة أو نحو ذلك فـ **جمهور العلماء أيضا على تحريمها**، وبعض أهل العلم من التابعين ومَن بعدهم رخصوا فيها، ولكن الأدلة تدل على **حرمة النوعين جميعاً**، سواء كان مجسماً أو كان رسماً في ورقة أو في خرقة أو جدار أو نحوها.

ولما جاءت **آلات التصوير الحديثة** صار فيه خلاف بين أهل العلم في هذا، والمسلم **يحتاط** فلا يستعمل هذا التصوير إلا عند الضرورة أو عند الحاجة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

٦١ – باب ما جاء في كثرة الحلف

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

١١١٥ ١٢٠٦ هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

١٤٣٧هـ

٦١ – باب ما جاء في كثرة الحلف (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ"**

لاحظوا الباب ما قال: **"باب ما جاء في الحلف"**، إنما **"باب ما جاء في كثرة الحلف"**، إذًا الذم على أي شيء؟ على **كثرة الحلف**، كثرة الحلف مذمومة ويأتي إن شاء الله الكلام فيها.

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

يقول: **وقول الله تعالى**: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ ما معنى حفظ اليمين؟ **قيل**: لا تحلف، **وقيل**: حفظ اليمين إذا حلفت فلا تحنث وأوفِ بيمينك، **وقيل**: معنى حفظ اليمين أنك إذا حنثت فكفِّر كم تفسير؟ **ثلاثة:**

- لا تحلف،
- لا تحنث،
- إذا حنثت فلا تدع كفارة اليمين.

الحلف بالله مأذون به في الشرع؛ بل الله أمر نبيه أن يحلف في بعض المواضع: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ [يونس: ٥٣] وكان أهل العلم ربما يفتون ويحلفون دون أن يستحلفوا، والإمام أبي داود رحمه الله جمع المسائل التي حلف عليها الإمام أحمد في رسالة مطبوعة موجودة، فالحلف عند الحاجة ما في حرج **لتأكيد الأمر**، **وتعظيمه، وتوثيقه في نفس المستمع، والتنبيه على أهميته**، لكن لا ينبغي الإكثار منه؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] فكثرة الحلف تنبئ عَلَى **عدم الاهتمام والتوقير والتعظيم لليمين**، ما لها قيمة ما لها أهمية، ولهذا يُكثر منه.

كذلك أيضاً كثرة الحلف قد توقعك في **الحلف كذباً**؛ لأنك متعود أن تحلف فتحلف، فتحلف على شيء كذب ليس بصدق، فتحلف بالله كذابا، ثم محذور ثالث: وهو أنه قد توقع نفسك في **الشكوك**، يشك فيك

الناس؛ لأن الشخص الذي يحلف ويكثر من الحلف قد يُشعِر بأنه كاذب، ولهذا يريد أن يدفع تهمة الكذب عنه بكثرة الحلف، فتوقع الناس في سوء الظن بك.

فهذه بعض المحاذير في كثرة الكذب:

- خشية من **الاستهانة باليمين**،
- الخشية من **الوقوع في الحلف بالله كاذباً**،
- الخشية من أن **يُساء بك الظن**، فيظنوا بك عدم الصدق، ولهذا تعمد إلى كثرة الحلف لدفع هذه التهمة عن نفسك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ" أخرجاه.

يقول ﷺ: "**الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**" يعني هذا إخبار عن واقع، الحلف يُنفق السلعة، يعني تأتي عند البائع بكم هذه؟ قال مثلاً: بمائة ريال، قلت: لا، ثمانين، قال لك: أقسم بالله إنها عليَّ بتسعة وسبعين ريال، والفائدة من ورائها ريال واحد، ويحلف بالله، أنت ما كنت تريد أن تشتري لكن لما حلف لك وكرر الحلف وأقسم بالله، فأنت ترحمه وتشفق عليه من ربح ريال واحد، وتكاسبه في الريال هذا، فتشتري منه السلعة، ما الذي جعلك تشتريها؟ الحلف، هذا معنى "**الحلف مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ**" جعل الزبون يشتري.

لكن بعدين قال: "**مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**" يعني تمحو أو تنقص، **تمحق بركة الكسب**، فلا يكون في كسبك بركة ولا يكون في كسبك خير.

وعن سلمان: أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه" رواه الطبراني بسند صحيح.

٦١ – باب ما جاء في كثرة الحلف (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وعن سلمان: أن رسول الله ﷺ قال: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" نسأل الله العافية هذا وعيد شديد.

"أَشْيَمَطُ زَانٍ" كبير في السن ظهر فيه الشيب وهو يزني، هذا عقوبته أشد من عقوبة الزاني الشاب؛ لأن الزاني الشاب عنده دافع للزنا وهو شدة الشهوة، لكن هذا الذي تقدمت به السن وظهر به الشيب وضعف عنده هذا الجانب ما الذي جره على الزنا إلا **الرسوخ في الفجور** والعياذ بالله، و**حب المعصية للمعصية** نسأل الله العافية، فلهذا كانت عقوبته أشد.

والزنا يتفاوت في الإثم، كله كبيرة من الكبائر، وكله من أقبح وأسوأ المعاصي والعياذ بالله، لكن يتفاوت إثماً:

- فمثلاً إذا كان **الزنا بمحرم** هذا من أشد أنواع الزنا، ولهذا يقول ﷺ: **"من أتى ذات محرم فاقتلوه"** يعني البِكر والثيب كله الجميع ولما قال الله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] ثم لما جاء عند زنا المحارم ماذا قال؟ قال: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، فيها زيادة **المَقْت**، هو مَقْت؛ لأن زوجة الأب من المحارم لا تحل لك نكاحها.

- كذلك من المواطن التي يعظم ويشتد فيها إثم الزنا، **الزنا بامرأة الجار**، ولهذا يقول النبي ﷺ: **"لأن يزني أحدكم بعشر نسوة خير من أن يزني بامرأة جاره"** ليس معناه أن الزنا بامرأة غير الجار جائز، هو إثم عظيم وجرم كبير جداً، ولكن الزنا بامرأة الجار أشد وأعظم إثماً.

- كذلك يشتد جُرم الزنا إذا كان الزنا **بامرأة الغازي في سبيل الله**، إذا خرج أحد إلى الجهاد في سبيل الله وجئت تخلفه في أهله والعياذ بالله بهذا الخلف الخبيث، فتزني بامرأته هذا من أشد أنواع الزنا، ولهذا تُوقفان يوم القيامة، يُوقف الزاني وهذا الرجل الغازي ويقال للغازي: **"خذ من حسناته ما شئت"**، هل تظن سيبقي من حسناته شيء؟ لا.

فهناك حالات يشتد فيها إثم الزنا، فصار عندنا إثم كبير في السن زنا **مُغلَّظ**، زنا الرجل بامرأة جاره زنا مُغلَّظ، الزنا بالمحرم زنا مُغلَّظ، الزنا بامرأة الغازي في سبيل الله زنا مُغلَّظ، والزنا كله غليظ، نسأل الله العافية والسلامة.

"وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ" فقير ومتكبر، الكبير ما هو؟ رد الحق وتحتقر الناس، هذا الكبر، تحتقر الناس، فهذا فقير مُتقِع ومع ذلك يحتقِر الناس، وهذا يدل على أن الكبر مستأصل فيه وراسخ والعياذ بالله وهذا أشد من الكبر العارض، لما واحد يكون عنده مال وغنى أو منصب وكذا وشعر بكبر وزهو، هذا كِبر لسبب عارض للمال أو المنصب أو الجاه أو كذا، لكن هذا الذي ما عنده أي داعي من دواعي الكبر على ماذا يتكبر؟ ما الذي حمله على أن يتكبر؟ فدل هذا على أن المعصية التي تقع من الشخص والداعي لها ضعيف أن إثمه أكبر من إثم مَن وقع في نفس المعصية ولكن توجد عنده دوافع ودواعي لها.

"وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَهُ: لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ" يعني **مُنفِّق سلعته بالحلف الكذب،** قد يكون كاذبا وقد يكون صادقا، لكن هو دائماً مع كل سلعة مع كل الزبون هو قاعد يحلف، لا تحلِفْ، إن عرف الناس منك الصدق والأمانة وعُرفت هذا في السوق أتاك الناس وأخذوا منك بدون ما تحلف.

"وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَهُ: لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ" وتذكرون أيضاً في الصحيح في حديث أبي ذر النبي ﷺ قال: **"ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"** وذكر الثلاثة فقال: **"الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَذِبِ"** فهذا أيضاً في هذا الباب.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم -قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا- ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرُ أُمَّتِي" يعني أخير، خير بمعنى أخير وأفضل، وخير هذه تأتي بمعنى أخير مفاضلة وتأتي بمعنى المال ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠]

يعني مالاً ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] يعني لحب المال، وتأتي بمعنى المفاضلة كما هنا، يعني أخير أمتي، أفضل أمتي **"قرني"** المقصود بهم **الصَّحَابَة**، **"ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"** يعني التابعون.

"ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" أتباع التابعون، كم قرن؟ ثلاثة.

قال عمران: "فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا" الأقرب والله أعلم أن القرون مجموعة ثلاثة؛ لأن هذا الحديث حديث عمران بن حصين رواه أحمد من طريق راوٍ اسمه **هلال بن يساف** بدون شك، رواه عنه بدون شك، الشك جاء من رواية أحد التلاميذ الآخرين عنه الذي هو ابن مُغرِّب، ففي رواية ابن مغرِّب يوجد الشك هذا في حديث عمران، لكن في رواية هلال بن يساف ليس فيه شك **"خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"**.

وكذلك أيضاً في حديث ابن مسعود ما في شك، اقتصر على أن المجموع كلها ثلاثة قرون، قرن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، فالأقرب والله أعلم أن القرون المفضلة ثلاثة: قرن الصحابة، وقرن التابعين، وقرن أتباع التابعين.

"ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا" يعني بعد هذه القرون المفضلة الثلاثة.

"يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ" يعني يبادرون بالشهادة قبل أن تُطلب منهم، هل الرسول يمدح هؤلاء القوم أو يذمهم؟ يذمهم؛ لأنه في مقابل أهل الخير، يعني هو ذكر أول الشيء القرون المفضلة، ثم ذكر بعدهم قال: هؤلاء القوم إذًا لن يكونوا خياراً، الذين فيهم هذه الأوصاف الثلاثة ليسوا خياراً؛ لأنها ليست من صفات القرون المفضلة.

وهذا يُشكل عليه الحديث الذي في الصحيح الحديث الآخر: **"خَيْرُ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا"** يعني تشهد قبل ما تُطلب منك الشهادة هذا خير الشهداء، وهنا ذم مَن شهد ولم يُستشهد، فيه إشكال أو ما فيه إشكال بين الحديثين؟ فيه إشكال.

الجواب عن هذا الإشكال: ما أُطول فيه، لكن أقرب الاحتمالات أو أقرب وجوه الجمع بين الحديثين، أن حديث **"خَيْرُ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا"** هو الشاهد الذي يشهد لشخص بحق، وهذا

الشخص صاحب الحق لا يدري أن عندك شهادة، فلو لم تشهد له لضاع حقه، فكونك أنت تبادر عرفت أن فلان وفلان بينهم خصومة في المحكمة على قضية مال ولا قضية عِرض، وأن زيد هذا صاحب الحق وقد يُظلم في المحكمة لعدم وجود شاهد عنده، لعدم وجود بينة معه، وأنت تعرف الحق وعندك شهادة تنفعه فبادرت إلى القاضي وقلت: "أنا أشهد لفلان". فأنت من خير الشهداء، لماذا؟ لأنك شهدت بحق؛ بل إن الشخص الذي صاحب الحق ما استشهدك؛ لأنه ما يدري عنك، لكن إذا صاحب الحق يعرف أنه عندك شهادة وما طلبها منك وتروح تبادر أنت بها، قالوا: هذا يذم؛ لأنه كان عنده استخفاف بشأن الشهادة، لا تشهد حتى تُطلب منك، هذا أحد وجوه الجمع.

ومَنهم مَن يقول: إن المقصود في حديث عمران نوع خاص من الشهادة، المذموم هنا في حديث عمران "**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ**" يعني يشهدون **بالزور**، فيكون الشهادة المذمومة هي شهادة الزور، وتكون الشهادة التي هناك "**تأتي بالشهادة قبل أن تُطلب منك**" يعني **الشهادة بالحق**، وبالتالي على هذا القول سواء عرف صاحب الحق أو لم يعرف صاحب الحق أنه عندك، فمتى بادرت إلى الشهادة بالحق فأنت محمود؛ لأن الشهادة المذمومة هي الشهادة بالزور.

"**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ**" يعني **بالزور** "**وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ**" بعضهم يقول: النفي هنا "**ولا يُستشهدون**" يعني لا تُقبل منهم الشهادة لما عُرف عنهم من الفسق، لما عُرف عنهم من الكذب، ولما عُرف عنهم من التساهل في هذا الباب فليسوا أهلاً للشهادة وبالتالي لا أحد يطلب منهم الشهادة، وإن شهدوا لا تُقبل منهم الشهادة لعدم عدالتهم.

"**وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ**" تفشوا فيهم الخيانة حتى لا تجد مَن تكاد تأمنه لغلبة الخيانة عليهم.

"**وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ**" ينذرون نذراً يجب الوفاء به، أو يستحب الوفاء به ثم لا يوفي بنذره، أما إذا نذرت نذر معصية المطلوب منك أنك ما تفي به، هذا المطلوب منك، لكن تُذم على عدم الوفاء بالنذر إذا كان النذر نذراً يجب الوفاء به، أو نذر يستحب الوفاء به، هنا تُلام، قد تأثم وقد لا تأثم لكن على حسب ونوع هذا النذر "**وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ**" وتقدم الكلام على النذر، وأن النذر **مكروه**، قال ﷺ: "**لا تنذروا**" النذر

مكروه، لكن متى ما صدر النذر يجب الوفاء به، ولهذا الله مدح على الوفاء ما مدح على النذر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

"**وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ**" كيف هذا يكون فيه ذم؟ مر علينا ويمر علينا وفي التراجم وفي السير أن بعض الصالحين في وقت مبكر من عهد الصحابة وعهد التابعين وأتباع التابعين وصفوا بـ **عظم البطن**، أو وصفوا بالسمن أو نحو ذلك، مثل ما يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: "**ليس كل سمين سيئ**"، وليس كل سمين مذموم، إنما المقصود هنا الذم حينما يكون هذا السمن **ناتج عن غفلة الإنسان عن عمل الآخرة**، فهو مقبل على دنياه وعلى التنعم فيها حتى أدى به هذا الإقبال على التنعم في الدنيا إلى ترك الواجبات أو فعل المحرمات لغلبة الغفلة عليه.

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته.

تلاحظون هنا أن المجموع **ثلاثة قرون** "**ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**" يعني لا يبالون بالشهادة ولا يبالون باليمين، فهم متهاونون فيها، ليس في قلوبهم تعظيم للشهادة، وليس في قلوبهم تعظيم لليمين.

وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة ونحن صغار."

"**وقال إبراهيم**" يعني **ابن يزيد النخعي**.

"**كَانُوا يَضْرِبُونَنا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ**" يعني كان آباؤهم ربما أمهاتهم إذا رأوا أبناءهم يبادرون ويسرعون إلى الإدلاء بالشهادة أو يدلون باليمين ويكثرون من اليمين كانوا يضربوهم من باب التأديب؛ حتى ينشئوا على تعظيم الحلف بالله، حتى ينشئوا على تعظيم موضوع الشهادة، فهذا فيه حسن التربية، تربية السلف لأبنائهم وبناتهم.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

62 – باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بن سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 - 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1439هـ

62 – باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: **"بَاب مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ"** يعني ما جاء فيها الأمر بالوفاء بعهد الله جل وعلا والنهي عن نقضها ونكثها، وذلك أنك إذا أعطيت أحداً ذمة فإن من كمال التوحيد أن **توفي بهذه الذمة ولا تنقضها**، فإذا أخفرتها ونكثتها ونقصتها، دل ذلك على عدم تعظيمك لربك جل وعلا الذي عاهدت باسمه سبحانه وتعالى، وهذا مما ينقص التوحيد.

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 91].

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ فعل أمر، **﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾** العهد يطلق على العقد، معاقدة على العهد الذي يكون بينك وبين أحد من الناس:

- قد يكون في حال سِلم وقد يكون في حال حرب،
- قد تكون مقترنة باليمين، وقد تكون مجردة عن اليمين،

كل هذا يدخل في اسم العهد، فما تلتزمه على نفسك لغيرك فهذا عهد منك له.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ حينما تقول: "أعاهدك بالله، أعطيك عهد الله أني أفعل كذا" أو "أعطيك عهد الله أني لا أفعل كذا"، فإذا صدر منك هذا العهد المقرون باسم الله جل وعلا فالواجب عليك أن توفي بهذا العهد، حتى لو تبين لك أنك مخطئ فيه، ما دام أنك أعطيت عهد الله فأوفِ به، طبعاً ما لم يكن معصية، لكن أقصد تبين لك أنك مخطئ فيه كان الأنسب لك والأصلح لك ألا تلتزم بهذا الالتزام، فما دام قلت: "أعطيك عهد الله أن أفعل كذا أو لا أفعل كذا" فأوفِ به ولا تخفر يعني لا تنقض هذا العهد.

﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ دليل على أن اليمين تسمى عهداً، أو أن المقصود أن العهد المقرون هنا عهد ويمين، أو أن الآية تضمنت حكمين: الوفاء بالعهد، والوفاء باليمين.

﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ فإذا صدرت منك اليمين حلفت لشخص أنك تفعل كذا معه أو لا تفعل كذا معه فأوفِ بهذه اليمين ولا تحنث فيها، اللهم إلا إن كانت فيها معصية فلا يجوز الإقدام على المعصية، لكن مقصود النهي أن تنقضها؛ لأنه تبين لك أنه لك مصلحة في هذا النقض، ما دام صدرت منك فأوفِ بها، والتزم للناس بما تعهدت به لهم.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ وهذا كما قلنا سواء كان في حال السلم أو في حال الحرب، في اليسر أو في حال العسر.

وعن بريدة قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا فقال: اغزوا بسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال-، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام؛ فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين.

فإن أبوا أن يتحولوا منها؛ فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنْزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا". رواه مسلم.

"**وعن بريدة**" يعني ابن الحصين رضي الله عنه، قال: "**كان رسول الله ﷺ**" في بعض نسخ "**سُبل السلام**" المطبوعة في كتاب الجهاد لما يذكرون هذا الحديث يقولون: "**عن بريدة رضي الله عنه عن عائشة**"، فعائشة

هذه **غلط**، إضافة عائشة بين بريدة وبين النبي ﷺ هذا غلط، والصواب: أن الحديث بدون عائشة، عن بريدة كان النبي ﷺ.

"وعن بريدة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ" يعني من عادته ومن سنته، **"إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ"** الجيش كامل والسرية قطعة من الجيش، والسرية تكون أقل عدداً من الجيش، بعضهم يقول: أنها إذا زادت عن ثلاثمائة تكون جيشاً ولا تسمى سرية، وبعضهم يقول: أربعمائة، إذا بلغ العدد أربعمائة فهو جيش، وإذا كان دون فهو سرية، المقصود أن الجيش أعم وأكثر من السرية والسرية قطعة صغيرة من الجيش.

"أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ" أوصى أمير هذا الجيش **"أوصاه بتقوى الله جل وعلا"** يعني في خاصة نفسه، أوصاه في خاصة نفسه أن يتقي الله جل وعلا، فيراقب الله ويمتثل أمره ويجتنب نهيه؛ لأن تقوى الله من أسباب النصر، الله مع المتقين، والمعاصي والفسوق والفجور والظلم هذه من أسباب الهزيمة والانكسار.

"أوصاه بتقوى الله تعالى" يعني في خاصة نفسه، **"وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا"** يعني أوصاه بمَن معه، وذلك بأن يأخذ على يد الظالم ويرفع الظلم عن المظلوم ويُعطي صاحب الحق حقه ويراعي ضعيفهم، مَن يحتاج إلى المساعدة منهم، ويتفقد حاجاتهم ولا يشق عليهم، ولا يأمرهم بما فيه معصية لله، ولا يغامر بهم مغامرة تزهق فيها أرواحهم، فيتقِ الله في مَن ولاه الله أمره من أفراد هذا الجيش.

"فَقَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" فعل أمر من الغزو، يعني باشروا الغزو انطلقوا، **"اغزوا باسم الله"** يعني مستعينين بالله متبركين باسمه، فإن هذا الجهاد هذا الغزو تستحضرون إنما تغزون من أجل الله سبحانه وتعالى امتثالاً لأمره وإعلاءً لكلمته وابتغاء ما عنده من الأجر والدار الآخرة، هذا المقصود من الغزو **"اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"** لا رياء لا سمعة لا بطر لا كبرياء، لا حب للدنيا التوسع فيها، إنما هذا الجهاد في سبيل الله المقصود به وجه الله، المقصود به إعلاء كلمة الله، المقصود به إخراج العباد من عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده.

"قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ" هذا سبب الغزو، هذا سبب الجهاد **الكفر بالله جل وعلا** والصد عن سبيله، فنحن نقاتل من كفر بالله حتى يكون الدين لله، ونقاتل من كفر بالله حتى تبلغ دعوة الإسلام مَن يَصُدُّ الكفار الناس عن سماع هذه الدعوة المباركة.

"اغْزُوا" مرةً أخرى تأكيد.

"وَلَا تَغُلُّوا" النهي عن **الغلول**، فالغلول **الأخذ من الغنيمة قبل أن تُقسم**، ولو شيء قليل، ولو مخيط، اللهم إلا ما أذن فيه، إلا ما أذن فيه الشارع أن يُؤخذ من الغنيمة قبل أن تُقسم، وذلك مثل الأشياء التي يسرع إليها الفساد، مثل: الفاكهة، ومثل الجُبن، وهكذا من الأطعمة المطبوخة إذا غنمها المسلمون فلهم أن يأكلوها وأن يتناولوها، وهكذا العسل إذا وجدوا له مَن يشربه ويأكله، رُخص في هذا النبي ﷺ، فهذه أشياء يسرع إليها الفساد لو تُرِكت حتى توزع الغنائم، قد لا توزع الغنائم إلا بعد وقت، فهذه الأشياء التي يسرع إليها الفساد مثل الطعام المطبوخ لا حرج أن يتناول منه المجاهد المقاتل ما تيسر له قبل قسمة الغنيمة.

"وَلَا تَغْدِرُوا" الغدر حرام، قال ﷺ: **"يُنصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ مَقْعَدَتِهِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ"**، فالغدر حرام ولا يجوز، فهو مذموم مطلقاً، ليس مثل الخداع، وليس مثل المكر، المكر والخداع أحياناً يكون محموداً وأحياناً يكون مذموماً، لكن الغدر والخيانة هذه لا تقع إلا مذمومة؛ لأنك تؤمِن ثم تبغي وتعتدي، تؤمِن تعطي الأمان ثم تبغي وتعتدي.

"وَلَا تُمَثِّلُوا" يعني لا تقطعوا طرفاً من أطراف الميت، لا تقطعوا طرفاً من أطرافه أو تُشوهوا بجثمانه بقطع أذن أو جَدْع أنف، أو بقر بطن أو نحو ذلك، وأشد منه طبعاً فصل الرأس عن الجسد، إذا كان قطع الأذن ممنوعاً ومنهياً عنه، وقطع جزء من الأنف ممنوعاً ومنهياً عنه، فقطع الرأس كله أيضاً هذا من باب أولى أن يكون منهياً عنه.

"وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا" يعني الطفل الصغير الذي ليس من شأنه القتال والحرب، هذا لا يُقتل، وكذلك مثله النساء، استثنتهم النصوص، فلا يُقتل المرأة ولا يُقتل الطفل ولا يُقتل الشيخ الكبير الفاني، ولا يُقتل الرهبان الذين في الصوامع، وهكذا الذين لا شأن لهم بالقتال.

"**وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" "**عَدُوَّكَ**" مفرد مضاف فيعم، يعني كل مشرك، أي مشرك، أي عدو من المشركين، سواء كان من أهل الكتاب أو من المجوس، أو من الوثنيين أو كما يقال مَن لا دين له، كل هؤلاء يدخلون في هذا اللون "**إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**".

"**فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ –**" المعنى واحد، لكن هذا من باب احتياط الراوي، يقول: لا أدري هل شيخي قال: خلال، أو قال: خصال، فمن باب التحري والدقة في نقل السُنة عن النبي ﷺ قال: "**خلال أو خصال**".

"**فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ**" هذا يدل على أن المقصود بالتخيير هي خصلتان فقط، أما الثالثة فليس فيها كف، الثالثة هي القتال، لكن هذا من باب التغليظ، من باب التغليظ قال: ثلاث، وإلا التخيير هو بين اثنين، بين خصلتين فقط.

1. **الدعوة إلى الإسلام**: "**فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ**"، هذه الخصلة الأولى الدعوة إلى الإسلام، الدعوة إلى التوحيد، الدعوة إلى الشهادتين، فتعرض عليه محاسن الإسلام ودين الإسلام، وحقيقة دين الإسلام، يعني يعرض عليه العرض يكون داعية إلى قبول دين الإسلام والفرح به والسرور به، "**فَادْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ**" يعني إلى الدخول فيه ومفتاحه الشهادتان التوحيد، "**فَإِنْ أَجَابُوكَ**" شهدوا الشهادتين، "**فَاقْبَلْ مِنْهُمْ**" يعني لا تقاتلهم، المقصود هو إسعاد الناس بالدخول في دين الله، هذا المقصود من الجهاد، فما دام أسلموا إذًا يكف عنهم.

"**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ**" في ذاك الوقت المدينة، يُطلب منهم التحول من ديارهم إلى المدينة حتى يكونوا مَنَعةً وسنداً للنبي ﷺ وللمؤمنين معه في المدينة، "**وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ**" يعني من الفيء والغنيمة.

"**فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا**" يعني قبلوا الإسلام لكن قالوا: سنبقى في ديارنا، لنا فيها مزارع لنا فيها مصالح، لنا فيها أهلنا، ولم يتحولوا، لا رغبةً عن الإسلام؛ بل هم دخلوا في الإسلام واستقروا عليه، لكن لم يشاءوا أن يفارقوا ديارهم، فيبقون في ديارهم لكن على الإسلام. "**فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ**" يعني ليس لهم نصيب

في الغنائم، ليس لهم نصيب في الفيء، اللهم إلا مَن شارك منهم في المعركة، واحد من هؤلاء الذين استقروا في ديارهم لم ينتقلوا إلى المدينة لكنه خرج لما سمع بمعركة للنبي ﷺ خرج وجاهد معه، هذا يُعطى من الفيء والغنيمة، لكن الذين بقوا في ديارهم وما خرجوا إلى الجهاد لا يكون لهم نصيب. **"وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ"**.

2. **طلب الجزية**: **"فَإِنْ هُمْ أَبَوْا"** أبوا الإسلام، **"فَسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ"**

- ❑ جمهور العلماء على أن الجزية إنما تؤخذ من اليهود والنصارى والمجوس؛ لأن الله نص على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] وجاءت السنة بـ **إلحاق المجوس بهم**، قال ﷺ: **"سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ"** يعني في أخذ الجزية، وأما في باب النكاح وباب الذبائح فلا، لا تُباح نساء المجوس ولا تُباح ذبائح المجوس، إنما يلحقون بهم في أخذ الجزية كما روى ذلك عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، هذا قول جمهور أهل العلم.
- ❑ **ومَنهم مَن يقول**: إن الجزية تؤخذ من كل كافر، من أهل الكتاب ومَن غير أهل الكتاب، من العرب ومَن غير العرب، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وابن القيم وهذا الحديث في ظاهره العموم كما سبق؛ لأنه مفرد مضاف فيعم، **"فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ"** كف عنهم لا تقاتلهم.

3. **القتال**: **"فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ"** إذا أبوا الإسلام وأبوا الرضوخ لحكم الإسلام ودفع الجزية مقابل حمايتهم، فلم يبق إلا الخيار الثالث وهو القتال، فقال: **"فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"** لا تغفل عن الاستعانة بالله، فأنت لا تقاتل الناس بعدد ولا عُدة، وإنما تقاتلهم تستنصر عليهم بالله جل وعلا.

"وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ" يعني بناء منيع متين كالقلاع ونحوه كما كانت عادة اليهود، عادة اليهود أنهم كانوا يتحصنون في حصون مشيدة، بخلاف الأعراب والبادية فكانوا ليست لهم مثل هذه الحصون.

"فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ" يعني أرادوا أن يستسلموا لكن بشرط أن تعطيهم ذمة الله وذمة نبيه يعني الشروط التي تتفقون عليها، من جهة حماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، والشروط التي تشترطونها عليهم، يشترطون عليكم من أجل تسليم الحصن، فقالوا: تجعلوا لنا ذمة الله الذي تعبدوه، وذمة نبيكم الذي

تؤمنون به وتتبعونه، قال ﷺ: **"فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ"** ماذا يفعل القائد؟ قال: **"وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ"** ما تقول: أعطيكم عهد الله وعهد نبيه مثلاً، وإنما تقول: أعطيكم عهدي وعهد أصحابي أننا نعمل كذا وكذا وكذا، ولا نعمل كذا وكذا وكذا، على أن تسلموا الحصن، لماذا؟ قال:

"فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ" يعني نقض العهد الذي بينك وبينهم سواء عهد الله أو عهد نبيه أو عهدك وعهد أصحابك، السؤال الآن: هل يجوز نقض هذا العهد بأي من الصيغتين؟ كل من الصيغتين محرم نقضها، ولكن أيهما أشد إثماً؟ أن تنقض عهد الله وعهد نبيه ﷺ، هذا أشد إثماً، فالنبي ﷺ هنا ينبه على **أهون الشرين** في حال حصل النقض، وإلا الواجب الوفاء، لكن لو حصل النقض فإثم النقض في حال أعطيتموهم عهد الله وعهد نبيه أعظم من الإثم الذي يترتب على نقضكم بعهد أعطيتم فيه ذمتكم وذمة أصحابكم، وهذا محل الشاهد من الحديث، من قوله: **"فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ"** إلى آخره.

"وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ" يعني في المسائل الاجتهادية، أما المسألة التي فيها النص واضح فهذه ما فيها إشكال، لكن مسألة راجعة إلى الاجتهاد، المجتهد ما يدري، هل يُصيب حكم الله أو يخطئ حكم الله، لكن إذا كانت المسألة منصوص عليها وظاهرة واضحة فحكم الله لا يكون إلا صواباً، حكم الله وحكم نبيه ﷺ لا يكون إلا صواباً، لكن حكمك المبني على الاجتهاد هذا يحتمل الخطأ ويحتمل الصواب.

ولهذا قال: **"فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ"** تقول: "أنا أجتهد أن أصيب حكم الله، لكن هذا اجتهاد مني، فإن أصبت فمن الله وأن أخطأت فمني ومن الشيطان" كما كان يقول ابن مسعود رضي الله عنه.

"وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لَا" إذن ليس كل مجتهد مصيب، لكن كل مجتهد بحق مأجور، هل فيه فرق بين الأجر والإصابة أو لا يوجد؟ فيه فرق، فالمجتهد إذا اجتهد وأصاب له أجران، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، إذا اجتهد وأخطأ وهو أهل لأن يجتهد، يحق له أن يجتهد فله أجر واحد، أجر الاجتهاد، وأما الخطأ فهو مغفور معفو عنه، فهذا أيضاً من باب الاحتياط، من باب

الاحتياط أن تجعل هذا الحكم تصرح بأن هذا حكمك أنت؛ حتى لا ينسب الخطأ ولا ينسب الظلم والجهل إلى حكم الله سبحانه وتعالى، وإنما ينسب إليك أيها المجتهد المخطئ.

وهذا أيضاً فيه تنبيه مهم وهو أن الأخطاء التي تصدر عمّن يتحدث غالباً باسم الدين، أو يظهر منه دائماً مظهر أهل الدين والخير أن الخطأ منه ما ينسب إليه عند الناس، إنما ينسبونه إلى مَن؟ ينسبونه إلى الدين الذي ينتمي إليه ويتكلم هذا الشخص باسمه، مثلاً مسلم في بلاد كفر في بلاد نصارى ولا يهود ولا ملاحدة، يعرفون أن هذا مسلم فإذا ارتكب أموراً منافية للعدل والرحمة والأخلاق الفاضلة وكذا، ينسبون هذا الخطأ والظلم والجور إلى مَن؟ إلى الإسلام، فيحكمون على الإسلام من خلال تصرفاتك أنت، وبالتالي تكون هذه جناية ما هي جناية مختصة بك ضررها، وإنما الضرر متعدي يلحق بالإسلام، وربما يعوق من انتشاره ومن قناعة الناس به.

فالمسلم الذي في بلاد الكفار عليه أن يراعي هذا الجانب، ما نقول: أنك تتخلق بأخلاق الإسلام مراءاة لهم، لا، لكن تنبه إلى أن خطر إخلالك في أقوالك في أفعالك في كذا أن جنايتها ينجر ويحلق ضرره بسمعة الإسلام نفسه.

وهكذا طالب العلم عليه أن يراعي ويتق الله في الناس الذين يقدرون ويرقبون أقواله ويرقبون أفعاله وتصرفاته، فإن الناس تحمل على أنك الآن لما تفعل هذا العمل إنما تطبق الشريعة الإسلامية، تطبق الدين، تطبق العلم الذي تحمله. فإذا رأوك تكذب، رأوك تظلم، رأوك تقول ما لا يليق، إذا رأوك تتكلم بكلام سيئ، لحق هذا الضرر بك وبغيرك من طلبة العلم، حتى ربما بعض الناس يقولون: إنهم لا يلتفتون لهم ولا يعبئون بهم، كلهم شر، كلهم كذبة، كلهم فجرة، حكم هذا الشخص لا شك أنه ظالم، لكن كنت أنت السبب في هذا، فهذا طالب علم حصل منه هذا الخلل، وذاك طالب العلم الثاني حصل منه هذا الخلل، فربما العوام وربما في قلبه هوى يستغل مثل هذه الأخطاء ويجر الحكم على كل طلبة العلم، وبالتالي يجعل الناس تسيء الظن بأهل العلم، وتسيء الظن بهذا العلم الشرعي الذي يحمله هؤلاء القوم.

كذلك أيضاً من جهة أخرى إذا تكلمت بكلام مخالف للشرع، مثلاً أنت طالب علم ودكتور في الحديث في العقيدة في أي شيء، وسمعك الناس تحلف "**والنبي**"، ماذا سيظنون؟ سيظن الناس أن هذه الجملة هذا

النوع من القسم أنه من الدين، ولهذا لو قلت لواحد عامي: "لا تحلف بالنبي"، لقال: "كيف ما أحلف بالنبي؟ الشيخ الفلاني يحلف بالنبي" ما معنى الكلام هذا؟ معناه أنه يعتقد أن الكلام الذي يقوله الشيخ فلان أنه منطلق من منطلق الدين؛ لأنه ما يقول كلام إلا يوافق الدين، لو رأوا طالب علم وهو يطوف حول القبر أو يتوسل بقبر أو يستغيث بقبر فنفس الشيء، سيقول الناس: إن هذا من الدين، ولو لم يكن من الدين ما فعله الشيخ فلان. فتكون الفتنة عظيمة، فيجب على طالب العلم أن يتحرى في أقواله وأفعاله موافقة الشرع حتى لا يتكلم بكلام أو يتصرف تصرف مخالف للشرع فيظن الناس أنه من الدين فيقتدون به ويتشبثون به. وكذلك أيضاً لا يتصرف تصرف سيئ تلحق بسببه سمعة سيئة على الإسلام، أو تلحق بسببه سمعة سيئة على السنة وأهلها، أو تلحق بسببه سمعة سيئة على طلبة العلم وعلى حملته وأهله.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

62 – باب ما جاء في الإقسام على الله

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 - 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1439هـ

62 – با باب ما جاء في الإقسام على الله (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ"**.

هذا الباب عقده المؤلف لبيان **الإقسام على الله**، كأن تقول: "والله سيفعل الله كذا"، "والله لن يفعل الله كذا"، هذا معنى الإقسام على الله جل وعلا، وبعضهم أيضاً قد يقول: "أقسم على الله أن يفعل كذا".

وهذا الإقسام على الله على نوعين اثنين:

1. **النوع الأول (المذموم)**: أن يكون صادراً من باب **العُجْب بالنفس، والاغترار بالعمل**، وظن الإنسان أو العبد هذا المقسِم من نفسه درجة من الصلاح ودرجة من المنزلة عند الله بحيث أنه يدل على الله جل وعلا وأن الله لا يخالف له قسماً أو طلباً أو نحو ذلك من أجل صلاحه، فهذا نوع صادر عن عُجب واغترار بالنفس، وأنه له حق عظيم عند الله بحيث إذا قال: يا رب تفعل كذا الله يفعل كذا، هذا النوع **مذموم** والعياذ بالله، و**قادح في التوحيد**، وصاحبه على خطر عظيم جداً.
2. **النوع الثاني (الجائز)**: أن يصدر الإقسام على الله من باب **حسن الظن بالله جل وعلا**، فهذا دلت النصوص على أنه لا بأس به إن شاء الله، قد قال ﷺ: **"إن من الناس مَن لو أقسم على الله لأبره"** قاله ﷺ **في قصة أنس بن النضر** عن أنس بن مالك، وذلك أن أنس بن النضر صحابي جليل مشهور، هذا غاب عن غزوة بدر، وتأسف جداً على أنه لم يشهد غزوة بدر، تعرفون أن الناس خرجوا إلى غزوة بدر خرجوا من أجل القافلة من أجل العِير، ما على بالهم قتال، فتخلف بعض الناس عن النبي ﷺ، فحزن حزناً شديداً على أنه تخلف عن بدر، فقال للنبي ﷺ: **"تغيبت عن بدر ولئن شهدت معك مشهداً آخر ليرين الله ما أصنع"**، يعني سيعوض عن غيابه عن بدر ببلاء عظيم وصبر عظيم في المعارك القادمة.

جاءت بعدها **غزوة أحد** وشارك في الغزوة، ولما حصل ما حصل في الغزوة وصارت الغلبة للمشركين في آخر المعركة وفرَّ مَن فرَّ عن رسول الله ﷺ، قام أنس بن النضر قال: **"اللهم إني أعتذر إليك مما**

صنع هؤلاء"، يعني من الذين فروا، **"اللهم إني أعذر إليك مما صنع هؤلاء وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء"**، يعني المشركين. ثم لقي سعد بن معاذ فقال: **"واهاً يا سعد لريح الجنة، إني أجد ريح الجنة من دون أحد"**، ثم قال سعد بن معاذ: **"أنا معك"**، فانطلقوا، قال سعد بن معاذ وهو يحكي: **"يا رسول الله والله ما أطقت ما أطاق أنس بن النضر"**، فإنه أبلى بلاءً عظيماً حتى وجدوه بعدما قُتل بعد انتهاء المعركة وجدوه فيه بضع وثمانين ضربة بسيف وبرمح، ما أحد عرف جثته لتغير ملامحه، ما عاد فيه شيء يُعرف أن هذا أنس بن النضر، إلا أخته صاحبة القصة التي سأقولها الآن هي محل الشاهد عرفته بأطراف أصابعه فقط، عرفته بأطراف أصابعه رضي الله عنه وأرضاه.

الشاهد أن أنس بن النضر هذا حصلت بين أخته **الرُّبَيّع بنت النضر** وبين جارية بنت من الفتيات مشكلة، فالربيع رمتها بحجر وكسرت ثناياها، الأسنان المقدمة اثنين، فكسرتها، فجاء أهل البنت وطلبوا القصاص، قالوا: نكسر ثنية الربيع، فعرض عليهن أخوها أنس بن النضر عرض عليهم الأرش، عرض عليهم العفو فرفضوا إلا القصاص، واحتكموا إلى النبي ﷺ. فقال أنس بن النضر: **"والله لا تُكسر ثنية الربيع"**، النبي ﷺ التفت إليه وقال: **"يا أنس كتاب الله القصاص السن بالسن"**، ثم ألهم الله أهل الفتاة أهل الجارية بالعفو، فقال النبي ﷺ: **"إن من الناس مَن لو أقسم على الله لأبره"**، فهذا مثل ما قال: **"والله لا تُكسر ثنية الربيع"**، أبرَّ الله قسمه، وألهم أولئك التنازل عن القصاص فلم تُكسر ثنية الربيع.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: **"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ"**.

والمقصود أن الإقسام على الله جل وعلا إن كان صادراً عن عجب واغترار بالنفس، ظن الإنسان أن له منزلة عند الله جل وعلا عظيمة كبيرة بحيث أن الله لا يرد له طلب بصيغة القسم وكأنه فيها إجبار، "والله لتفعلن كذا يا رب"، فهذا مذموم والعياذ بالله، وإن خرج مخرج حسن الظن عن الله سبحانه وتعالى فهذا لا حرج فيه.

62 – با باب ما جاء في الإقسام على الله (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ" رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: "تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ".

وهذا الحديث حديث أبي هريرة في سنن أبي داود أسوق لكم بنصه يقول: **"كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيَيْنِ"** بينهم صحبة وصداقة، أو أخوة نسب الله أعلم، قال: **"فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ"** واحد مقصر صاحب ذنوب ومعاصي والثاني عابد، صاحب اجتهاد في العبادة.

"فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ" مناصحاً ومُنكِراً **"أَقْصِرْ"** يعني أقلع عن الذنب، تب إلى الله، اترك ما أنت عليه **"فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ"** أقلع، اترك الذنب تب إلى الله **"فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟"** زي ما يقول الناس: إيش دخلك فيّ؟ **"فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟"** هنا غضب العابد، غضب لله من أجل هذا المنكر، هي الخصومة التي بينهم من أجل المعاصي، فالدافع له دافع طيب، والحامل له على هذا الإنكار الغيرة على محارم الله، فقال غاضباً لله جل وعلا لحرمات الله جل وعلا: **"فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، وَلَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ"**.

ما النتيجة التي نتجت عن هذه الكلمة الصادرة عن غضب لله، وصادرة في مقام إنكار منكر من رجل عابد في حق رجل مذنب مقصر مُصِرّ على المعاصي فيما يظهر؟

قال النبي ﷺ: **"فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا"** قبض الله روح المجتهد العابد وقبض روح هذا العاصي، قد يكون هذا القبض مباشرة بعد تلك الحادثة، وقد يكون المقصود بعدما استوفى كل منهم أجله والمقصود أنه بعد وقت من تلك الحادثة.

"فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟" ماذا سأفعل وماذا لا أفعل **"أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟"** تملك الجنة وتملك النار وتعطي الجنة من تشاء وتمنع الجنة ممن تشاء، وتدخل النار

من تشاء وتُنقذ من النار من تشاء؟ طبعاً الجواب على كل ذلك: لا، هذا لا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى **"أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ"** والعياذ بالله.

ولهذا قال أبو هريرة: **"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ"** يعني العابد **"أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ"** نسأل الله العافية.

- وهذا فيه خطورة الإقسام على الله كما سمعنا،
- وفيه أيضاً من جهة أخرى **خطورة الغلو والمبالغة في إنكار المنكر**، وفيه خطر الغلو ومجاوزة الحد الشرعي في إنكار المنكر، فإن الغلو في هذا الباب قد يُفسد على المنكِر تفسد عليه دنياه وآخرته والعياذ بالله.
- وأيضاً فيه خطر اللسان وأن الكلمة الواحدة قد تقولها لا تلقي لها بالاً تهوي بها في جهنم كما ثبت في الأحاديث: **"إِنَّ الرَّجُلَ ليلقي الكَلِمَةَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يبالي بِهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ"** أو كما قال ﷺ.

فعلى المسلم أن يحفظ لسانه وأن يراقب كلامه وأن يقف عند حدود الله ولو كان في الجهاد ولو كان في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنت عبد لله تقف عند حدوده، وأنت الآن غاضب من هذا العاصي؛ لأنه تجاوز حدود الله، كذلك أنت في أمرك في نهيك في دعوتك لا تتجاوز حدود الله، وإلا كنت عاصياً وربما تكون معصيتك أشد من معصية هذا الذي تنكر عليه.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

64 – باب لا يستشفع بالله على خلقه

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 - 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لَمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

64 – باب لا يستشفع بالله على خلقه (التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"بابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ"** يعني **لا تجعل الله واسطة لك تتوسط بالله عند واحد من الخلق**؛ لأنه غالباً أن الشخص المتَوَسَّط به يكون أنزل رتبة وأقل رتبة من المتَوَسَّط إليه، مثلاً أنت لك مصلحة في وزارة من الوزارات وتعرف مديرًا في هذه الوزارة، والمصلحة هذه بيد الوزير، ماذا تفعل؟ تذهب إلى المدير تقول له: اشفع لنا عند الوزير، مَن أعلى رتبة؟ الوزير، وهكذا قِس، يعني في الغالب هكذا يكون موضوع الواسطات أنك **تستشفع بالأدنى إلى الأعلى**، ما تروح إلى الوزير تقول له: توسط لنا عند مديرك ولا عند الموظف الفلاني خليه يَمْشِي لي المعاملة، الوزير سيعتبر أن هذه إهانة له، فالله أعظم وأجل، فالخلق كلهم عبيده، وبالتالي لا يستشفع بالله على أحد من خلقه.

عن جبير بن مطعم قال: "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ :سبحان الله! سبحان الله !فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال :ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد" وذكر الحديث، رواه أبو داود.

"عن جبير بن مطعم رضي الله عنه" هو **نوف بن نوف بن عبد مناف**، يلتقي مع النبي ﷺ في عبد مناف.

قال: "جاء أعرابي" يعني ساكن البادية، دائماً نجد هنا أو في بعض الأحاديث لما يكون هذا القائل يتكلم بكلام غير لائق ويكون هذا الشخص أعرابي يصفونه بهذا الوصف من باب بذل العذر له؛ لأن الذي حمله على هذا الكلام هذا التصرف **قلة ما عنده من العلم**.

"جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُهِكتِ الْأَنْفُسُ وَجَاعَ الْعِيَالُ وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ" يعني بسبب **القحط والجدب**.

"**فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ**" يعني ادعُ الله أن يسقينا.

"**فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ**" هذا محل الشاهد، "**وَبِكَ عَلَى اللَّهِ**" الخلل في أي العبارتين؟ الخلل في العبارة الأولى، "**نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ**" أما "**نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ**" هذا مثل قوله: "**فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ**"، هذه هي لا إشكال فيها، في حياة النبي ﷺ لا بأس أن يُطلب منه الصحابة أن يدعو الله لهم، لكن بعد موته لا يجوز، الميت لا يُطلب منه الدعاء ولا يُطلب منه السقيا ولا يُطلب منه شيء.

"**فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ!**" تعظيم لله جل وعلا وإنكار على هذا الرجل هذه الكلمة لما قال: "**نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ**".

"**فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ من حلقه**" يعني إذا كان النبي ﷺ ما يستشفع بالله عليه، ما ظنك بغيره؟ إذًا **الاستشفاع بالله على الخَلْق هذا حرام**؛ لأنه فيه هضم وتنقُّص لمقام الربوبية وعدم تعظيم الله حق قدره جل وعلا.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد
الذي هو حَقُّ الله على العبيد

65 – باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميِّ

1115 - 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1439هـ

65 – باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

يقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **"باب مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ"** تذكرون مر علينا باب قريب من هذا الباب، الباب رقم 21: **"باب حماية المصطفى جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك"**، فهذان بابان متقاربان، لكن الشراح ذكروا الفرق، أن ذاك الباب يتعلق بسد ذرائع الشرك التي هي من باب **الأفعال**، وهذا الباب في سد ذرائع الشرك من باب **الأقوال**، والبابان جميعًا يعطياننا تصورا عن حرص النبي ﷺ على سد ذرائع الشرك كلها القولية والفعلية.

عن عبد الله بن الشخير قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال :السيد الله تبارك وتعالى، قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فقال :قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان" رواه أبو داود بسند جيد.

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا" يعني قال متحدث هذا الوفد باسم الوفد، **"أَنْتَ سَيِّدُنَا"** والنبي ﷺ أليس هو سيدنا جميعاً؟ بلى، النبي ﷺ يقول: **"أنا سيد ولد آدم ولا فخر"**، لكن لما قالوا: وأنت سيدنا، وواجهوه بهذا **أنكر**، وقال ﷺ: **"السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فقُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا"** يعني أكثرنا خيراً وعطاءً وتفضلاً.

"فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ" رواه أبو داود بسند جيد.

"أَنْتَ سَيِّدُنَا" السيد يعني صاحب السؤدد، فالله هو السيد والخلق كلهم عبيده.

فقال: **"السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى"** السيد الألف واللام لاستغراق الجنس، السيد يعني السيادة الكاملة المطلقة هو الله جل وعلا، المخلوق قد يتسيد لكن سيادته سيادة خاصة.

65 – باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

قال النبي ﷺ: **"أنا سيد ولد آدم ولا فخر"**، وقال للأنصار لما جاء سعد بن معاذ: **"قوموا إلى سيدكم"**. فالسيد على سبيل الإطلاق هكذا هو الله جل وعلا، السيد هو الله، ولا ينبغي للمسلم أن يُطلق اللفظ هكذا بالألف هكذا على أحد من الخلق "السيد"، ينبغي التنزه وتجنب هذه العبارة.

وعبّاد القبور عباد الأولياء عباد مشايخ الطرق وأمثالهم يطلقون على المعظمين لفظ **السيد**، ولهذا قد تجدون بعض الأسماء مُعَبَّدة للسيد، عبد السيد، أو راح عند السيد، أو جاء من عند السيد، وقبر السيد، ومدد يا سيد، فيطلقون على هذا الولي الذي يعظمونه يطلقون عليه لفظ السيد، ويقصدون به سيادة مطلقة، ولهذا هم يعظمونه ويدعونه ويستغيثون به، ويذبحون له وينذرون له، ويصرفون له العبادة ما لا يُصرف إلا لله جل وعلا.

ثم قالوا: **"وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ"** يعني قولوا بقولكم المعتاد، واجهوني نادوني بالقول المعتاد يا رسول الله، يا نبي الله، ونحو هذا.

"قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ" أو بعض منه القول المعتاد، **"وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ"** لا يجعلكم جَرِيًّا له يعني رُسلاً له، فهذا الغلو إنما هو من الشيطان هو الذي يَؤُزُّكم إليه ويَدْفَعُكم إليه، حتى يدخلكم من بابه إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى وهذا مقصود إبليس.

يُزَيِّن لك أن تغلو في النبي ﷺ في المدح والثناء تعبيراً عن المحبة والإجلال والتعظيم، ولكن هو قصده أن يجعل هذه الخطوة إلى ما بعدها وهو الشرك بالله، فتجعله نِدًّا لله سبحانه وتعالى، فتصفه من الأوصاف إلا ما لا يليق إلا بالله، أو تَصْرِف له شيئًا من العبادة، هذا الذي وقع في الأمة، فما زال الغلو في المدح حتى جعلوا النبي ﷺ نِدًّا لله وإذا قرأت قصيدة البردة للبوصيري رأيت أوضح الأمثلة على ذلك، كيف جعل النبي ﷺ نِدًّا لله سبحانه وتعالى.

65 – باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

(التفريغ لم يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وعن أنس "أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا. وابن سيدنا فقال :يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله" رواه النسائي بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه: **"أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا"** طبعاً قالوا هذا عن محبة للنبي ﷺ إكرام له، لكن النبي ﷺ ما أحب هذا الشيء منهم.

"فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ" يعني القول المعتاد، يا عبد الله، يا رسول الله، يا نبي الله.

"وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ" لا يَجُرَّنَّكم إلى اتباع الأهواء المضِلَّة.

"أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ" فهذا تواضع منه ﷺ وهضم لحق نفسه وتوجيه للأسلوب الأسلم، فهو سيدنا ﷺ، وهو خيرنا وهو أفضلنا وأعظمنا طولاً وفضلاً، ولكن النبي ﷺ ما أحب لأمته أن تواجهه بهذا المدح والثناء ولا أن تسلك هذا المسلك بإطلاق الأوصاف عليه التي قد تجرهم إلى الغلو فيه حتى يقعوا فيما وقعت فيه النصارى مع المسيح ابن مريم، ولهذا قال ﷺ: **"لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارى المسيحَ ابنَ مريم"**.

وهكذا أيضاً ينبغي لطالب العلم أن يُؤَدِّب الناس الذين حوله ومَن معه ومَن يَقْصِدُه بعدم مدحه والثناء عليه، حتى ولو مدحوك بما فيك، فهذا يَغُرُّك ويَضُرُّك، ومشايخنا رحم الله مَن مات منهم وحَفِظَ مَن هو على قيد الحياة منهم من أبغض الأشياء إليهم المدح، أن يُمدحوا وبالذات في وجوههم، وهناك تجدون تسجيلات مُسَجَّلة كثيرة لكبار العلماء والمقَدِّم يمدحهم ويثني عليهم ثم هم يُنكرون عليه ويُعاتبونه وربما نرى العتاب فيه شيء من الشدة، كل هذا تربية للناس على عدم الإطراء والمدح ومجاوزة الحد، هذا قد يُدخل الكذب في الممدوح تصفه بأوصاف ليست فيه، وقد يزرع الغلو في قلوب بعض الجُهَّال من مُحِبِّيه فيَغلون فيه وقد أيضاً يُدخله الغرور والكبر والنفس ضعيفة، ولو كان هذا عالماً ولو كان طالب علم فاضل، لكن النفوس ضعيفة، فينبغي لطلبة العلم ألا يَفْتَحُوا للناس هذا الباب، باب مدحهم والثناء عليهم في وجههم.

65 – باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

كتاب التوحيد

الذي هو حَقُّ الله على العبيد

66 – باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ

مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهّابِ بنِ سُلَيْمانِ التّميميّ

1115 - 1206 هـ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1439هـ

66 – باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

هذا آخر باب في كتاب التوحيد، ختم به المؤلف رحمه الله هذا الكتاب وهو ختام بديع، جمع توحيد الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات وبيان عظمة الله ﷻ، العظمة الكاملة التي تفرد بها سبحانه وتعالى، فاستحق أن يعبد وحده، ولا يعبد معه غيره ﷻ.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يعني ما عظموه حق تعظيمه، من هم؟ أصناف كثيرة، فالذي عبد مع الله غيره لم يقدر الله حق قدره، حيث ساوى بالله أحدًا من خلقه.

- كذلك ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ من أنكر بعثة الرسل وإنزال الكتب.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ من قال: إن الله ﷻ لم يخلق الإنس والجن لحكمة، إنما خلقهم سدى تركهم هملاً.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ من ظن بالله ظن السوء.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ من أوّل صفاته وحرّف في أسمائه.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ من طعن في قدَر الله ﷻ.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ من طعن في حُكم الله ﷻ.

فأصناف الذين لم يقدروا الله حق قدره أصناف كثيرة، ويتفاوت عدم التقدير، منه ما يكون شركًا أكبر، كفر بالله، ومنه ما هو وسيلة إلى الكفر، فعلى المسلم أن يحذر أن يكون له نصيب من هذه الآية.

66 – باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

بل يجل على المسلم أن يعظم ربه حق التعظيم ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فالله أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء، أنت الآن في صلاتك تستفتحها بقولك: الله أكبر، ثم تركع تقول: الله أكبر، ثم تسجد تقول: الله أكبر، ثم ترفع تقول: الله أكبر، ثم تسجد تقول: الله أكبر، ثم ترفع تقول: الله أكبر، وهكذا حتى تسلم، إلا في الركوع.

فكم مرة تكبر الله وتعلن أن الله أكبر من كل شيء؟! فكيف تسوي بالله مع الله أحدًا من خلقه؟ تناقض، فالله أكبر من كل شيء وانظر إلى أعظم المخلوقات التي يعلمها الناس، السماء والأرض، هذه أعظم المخلوقات سموات واسعة كبيرة، وأرض واسعة فسيحة كبيرة جدًا ومع ذلك تكون يوم القيامة قبضته.

﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً﴾ جميعًا تأكيد أن الأرض كلها بأطرافها بمن فيها ﴿قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني يجعلها في داخل قبضته في كفه سبحانه وتعالى.

﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ كالصحيفة المطوية ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:104] فهذه المخلوقات العظيمة لا شيء عند الله سبحانه وتعالى، فالله أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء، سبحانه وتعالى.

إذًا كيف يسوى بالله الشمس أو القمر فتعبد من دون الله؟! وكيف يسوّى بالله بشرًا أو ملكًا أو جنًا أو شجرًا أو حجرًا فيُسوّى بالله سبحانه وتعالى وهو ذرة من ذرات مما خلق الله ﷻ؟!

ثم ذكر عدد وجملة من الأحاديث في هذا المعنى.

عن ابن مسعود قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع،

66 – باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر:67]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء حِبرٌ" أو حَبرٌ كلها صحيح، يعني عالم.

"جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد" ناداه باسمه المجرد لكفره.

"إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع" السموات السبع على إصبع.

"والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك" يعني يوم القيامة هذا الكلام، **"السموات السبع"** كلها على أصبع من أصابع الله ﷻ، **"والأراضين السبع"** كلها على أصبع، **"والشجر"** التي لا عدد لها ولا حصر كبار وصغار على أصبع، **"والثرى"** التراب الندي على أصبع، في رواية: **"الجبال"** يعني إضافة، **"وسائر الخلق على أصبع"**.

"فيقول: أنا الملك" هذا الذي يجده اليهود في التوراة.

"فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه" يعني أضراسه وقيل غير الأضراس، لماذا ضحك؟ سرورًا بأن ما أخبر بهذا الحبر من هذا الكلام المدون في التوراة أنه مطابِق لما جاء به الوحي إلى النبي ﷺ، مثل ما فرح لما أخبره تميم الداري بأنه التقى بالمسيح الدجال وذكر من الصفات والأخبار المطابِقة لما كان يحدثهم به النبي ﷺ.

فهذا الضحك من النبي ﷺ سرورًا لتطابق ما في التوراة بما أوحي إلى النبي ﷺ ولهذا قال ابن مسعود: **"فضحك تصديقًا لقول الحبر"**، هذا كلام ابن مسعود أن ضحك النبي ﷺ تصديق لكلام الحبر، ماذا يقول المؤولون والمحرفون وأصحاب الانحراف في هذا الباب؟ يقولون: إنما ضحك النبي ﷺ سخرية بهذا اليهودي وإنكارًا عليه.

لأنهم يقولون: إذا قلنا إن لله أصابع وأنها خمس أصابع معناه أنت تسب الله ﷻ، وأنك شبهت الله ﷻ بالمخلوق، ومحال أن النبي ﷺ يقر بالتشبيه، ولهذا يقولون: إن ضحك النبي ﷺ كان من باب الإنكار والكراهية لما قال.

66 – باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

والرد واضح جدًا، الصحابي العالم الجليل ابن مسعود الذي حضر القصة هو فسر لنا سبب الضحك، قال: **"تصديقًا"** وأنت تقول: ضحك تكذيبًا، نصدقك أنت أو نصدق ابن مسعود؟ من أولى بالتصديق؟ ابن مسعود ما في شك، فلا يلبس عليها أهل الأهواء.

قال: **"فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر"** يعني لما قلت أهل الأهواء أنا أعلم أنه فيه بعض كبار أهل العلم وقعوا في هذا المزلق، لكن العالم مهما بلغ قدره ومكانته ما يتبع في خطئه، نحفظ له قدرهم وجلالتهم وخدمتهم لعلوم الشريعة، ولكن هذه الزلات لا يتابعون فيها.

وفيه أناس من هؤلاء المؤولين المحرفين للأسف يوجدون في عصرنا الحاضر وقبل عصرنا الحاضر بقليل وهم يكابرون وليس عندهم إلا الهوى في هذا الباب؛ لأنهم وجدوا من جادلهم وبين لهم الحق وناقشهم ومع ذلك أبوا إلا ثباتًا على هذا التحريف والإلحاد في أسماء الله وصفاته.

قال: **"فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر ثم قرأ"** النبي ﷺ **"ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾"** هذه القبضة مفسرة بما جاء في هذا الحديث.

وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله"

وفي رواية للبخاري: "يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع" أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: "يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله".

هذا لفظ حمزة بن عمر، عن سالم عن ابن عمر، وأما غيره من الرواة لم يذكروا لفظة الشمال، لفظة الشمال تفرد بها حمزة بن عمر رحمه الله.

والله عَجَّلَ له يدان اثنتان، يمين وشمال، ولكن من باب المقابلة أن هذه يمين وهذه شمال، ولكن من باب المنزلة من باب الرتبة فكلاهما يمين، أما شمال المخلوق فهي أنقص من يمينه، ولهذا قال النبي ﷺ: **"وكلتا يدي ربي يمين"**، ولهذا يجيء التعبير في أكثر الأحاديث: **"وفي يده الأخرى"**.

"ثم يأخذهن بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟" مثل ما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:16].

وروى عن ابن عباس قال: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم".

فهذا فيه إثبات الكف، والذي قبله في إثبات اليد اليمنى واليد الأخرى وتسميتها شمال، والذي قبله حديث ابن مسعود فيه إثبات الأصابع، فيه إثبات اليد والكف وإثبات الأصابع، وأهل السنة والجماعة قاعدتهم في الصفات واحدة، وهي أنهم يؤمنون بها على ما دلت عليها معانيها في اللغة العربية، مع تنزيه الله عَجَّلَ عن أن يشبه شيئا من خلقه، هذه القاعدة في كل شيء.

فيثبتوا لله أصبع تليق بجلاله وكف يليق بجلاله، ويد تليق بجلاله، كما قال الله عَجَّلَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، فكما يثبتون لله ذاتًا ليس كذات المخلوق، كذلك يثبتون لله صفات ليست كصفات المخلوق.

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ :ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس.

66 – باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

"وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي" يعني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

قال: قال رسول الله ﷺ: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس".

وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض".

يعني أن هذه المخلوقات العظيمة ما في مخلوق منها إلا وفي مخلوق أعظم منها، فهذه السموات السبع على عظمها وضخامتها واتساعها ومتانة خلقها إذا قورنت بالكرسي وإذا هي كدراهم سبعة ألقيت في ترس، ما هو الترس؟ قيل: القاع الفضاء في الصحراء، القاع المستدير، القاع أرض واسعة جدًا ترى كأنها حلقة دائرة كبيرة، فتأخذ سبع دراهم وترميها فيها، ما نسبة هذه الدراهم السبع إلى هذا القاع العظيم؟ لا شيء.

هذه نسبة السموات والأرض إلى الكرسي الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، ما نسبة الكرسي إِلَى العرش؟ قال: **"ما الكرسي في العرش إِلَّا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض"**، إذًا لا يكاد يكون الكرسي شيء بالنسبة إلى العرش، والأرض والسموات والكرسي والعرش ما هي إلا مخلوقات حقيرة صغيرة بالنسبة إلى خالقها ومبدعها ﷺ.

فعظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق، فكبر هذه المخلوقات تدل على أن الله ﷻ أكبر منها وأعظم وأجل سبحانه وتعالى.

وعن ابن مسعود قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله

فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى. قال: وله طرق.

أيضًا هذا الحديث كالذي سبقه يدل على عظم مخلوقات الله ﷻ، وعظم هذه المخلوقات تدل على عظمة خالقها سبحانه وتعالى.

قال: **"بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش"** لكن بعد هذه المسافات لا تحول بين هذه الخلائق وبين علم الله ﷻ بها واطلاعه عليها، ولهذا قال: **"لا يخفى عليه شيء من أعمالكم"** ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:19]. فالسمع وسع الأصوات كلها سبحانه وتعالى، وعلمه أحاط بكل شيء سبحانه وتعالى لا يخرج عن علمه شيء.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال :بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم بني أخرجه أبو داود وغيره.

66 – باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

(التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ)

هذا حديث مشهور باسم حديث الأوعال، إذًا هذا فيه زيادة مسألة الكثف، يعني المسافة بين السماء والأرض خمسمائة عام، وكثافة السماء الواحدة خمسمائة عام، وبين السماء والسماء خمسمائة عام، وجاء أيضًا في الأحاديث مسافات أقل من هذا، سبعين عام أو ونحو سبعين عام، قالوا: باختلاف نوع السير.

"قلنا: الله ورسوله أعلم. قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض" يعني مسيرة خمسمائة سنة.

"والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم بني" أخرجه أبو داود وغيره.

فهذا الحديث كالذي سبقه من الأحاديث في إثبات عظيم هذه المخلوقات والمقصود من ذلك أنه يستدل بها على عظمة خالقها جل وعلا، هذه العظمة المتناهية وأنه وحده المستحق أن يعبد وأن يُسأل وأن يستغاث به وأن يخاف منه وأن يرجى وأن يطمع فيه سبحانه وتعالى.

وبهذا نصل إلى نهاية التعليق على هذا الكتاب المبارك الكريم الطيب النافع، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكتب لي ولكم الأجر والمثوبة ولمن يسمع، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجزي مؤلف هذا الكتاب خير الجزاء عنا وعن الإسلام والسنة والتوحيد خير الجزاء.

وإذا كان فيما قلته شيء من الخطأ فأستغفر الله وأتوب إليه، والتسجيل بين أيديكم وما علقت بين أيديكم، فمن وجد فيه شيئا من الخلل، من الخطأ العلمي أو السهو، فيبلغني به وأكون له شاكرًا وله داعيًا.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.